كتاب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس تأليف

الإمام العالم العلامة أبي إسحق أحمد بن محمد

ابن ابراهيم الثعلبي تغمده الله برحمته

وأسكنه فسيح جنته

آمين آمين

آمين

وهو مع اشتماله مختصر روض الرياحين في ناقب الصالحين للعلامة

اليافعي نفع الله تعالى به ونفعنا في الفردوس مع أهل قربه

(فهرست كتاب قصص الانبياء المسمى بعرائس المجالس)

صحيفة	
٢	باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين
٣	مجلس في صفة خلق الارض
٣	الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها
٤	الباب الثاني في حدود الارض ومسافتها وأطباقها وسكانها
٥	الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض
٦	الباب الرابع في ذكر أجبالها وأنهارها
٦	الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الارض
٦	الباب السادس في عاقبتها وما آلت اليه أحوالها
٧	الباب السابع في وجوه الارض المذكورة في القرآن
٧	مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل بها
٧	الباب الاول في بدء خلق السموات
٨	الباب الثاني في جواهرها وأجناسها
٨	الباب الثالث في هيئتها وحدودها
٨	الباب الرابع في أجبالها وأنهارها
٩	الباب الخامس في ذكر الايام التي خلق الله الاشياء فيها
٩	الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات
١١	الباب السابع في ذكر ما آلت اليه أحوالها
	مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وما يتصل بأمرهما وأحكامها
١٥	مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة
١٥	الباب الاول في ذكر وجوه من الحكمة في خلق آدم عليه السلام
١٦	الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته
١٧	الباب الثالث في صفة نفخ الروح
١٨	الباب الرابع في صفة خلق حواء
١٨	الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام
٢٠	(فصل وابتليت حواء الخ)

صحيفة	
٢١	الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه
٢٥	الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة
٢٥	الباب الثامن في ذكر ما روي من الاخبار فيمن تراءى له ابليس الخ
٢٦	الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل
٢٨	الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام
٢٩	باب في انفاسه التي خصه الله بها آدم عليه السلام
٢٩	مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام
٣٠	قصة هاروت وماروت
٣٢	مجلس في قصة نوح عليه السلام
٣٦	ذكر خصائص نوح عليه السلام
٣٦	مجلس في قصة هود عليه السلام
٤٠	مجلس في قصة صالح عليه السلام
٤٣	مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمرود
٤٣	الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام
٤٥	الباب الثاني في تزويج ابراهيم عليه السلام من السرية الخ
٤٧	الباب الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام
٥٠	الباب الرابع في الثواء على بقية قصته وذكر
٥١	الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وما يتصل بأمرها الى وقتنا هذا
٥٤	الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده وفي هلاك النمرود بن كنعان
٥٨	الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وأولاده
٥٨	الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام
٥٩	الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام
٦٠	مجلس في ذكر بعض اخبار اسمعيل واسحق ابني ابراهيم عليهم السلام

صحيفة	
٦١	مجلس في قصة لوط عليه السلام
٦٤	مجلس في قصة يوسف بن يعقوب وابنيه عليهم السلام
٦٤	الباب الاول في ذكر نسبه عليه السلام
٦٥	الباب الثاني في صفة يوسف عليه السلام
٦٦	وحليته ونعته وخلقه وصفته وسيرته
٦٦	القول في القصة
٨٥	مجلس في قصة موسى بن عمران بن يوهف عليه السلام
٨٥	مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد
٨٨	مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس
٩١	مجلس في قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام
٩٧	مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام
٩٨	مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام
٩٩	مجلس في ذكر صفي الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام
٩٩	الباب الاول في ذكر نسب موسى عليه السلام
٩٩	الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام
١٠٢	الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام
١٠٣	الباب الرابع في قصة قتل القبطي وخروجه من مصر ورورده مدين
١٠٣	الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه
١٠٤	الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدو أمرها
١٠٥	الباب السابع في صفة الثلاث قرب التي كانت فيها الموسى
١٠٥	الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين الخ
١٠٨	الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون
١٠٩	الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة
١١١	الباب الحادي عشر في قصة خزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته

صحيفة	
١١١	الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها
١١٢	الباب الثالث عشر في بناء الصرح
١١٣	الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه
١١٣	باب في سنة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها
١١٤	فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجراد
١١٦	الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى عليه السلام ببني اسرائيل
١١٧	فصل قالوا لما سار موسى ببني اسرائيل من مصر الخ
١١٩	الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه
١٢١	فصل في نسخة العشر كلمات التي كتب الله تعالى لموسى نبيه
١٢٣	باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل
١٢٦	باب في قصة قارون حين عصى موسى واستكبر
١٢٩	باب في قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب
١٣٠	فصل في ذكر رجل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله
١٣٠	فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام
١٣٦	باب في ذكر قصة عاميل قبيل بني اسرائيل وقصة البقرة
١٣٨	باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وقصة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك
١٣٩	باب في ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حتى جاوزوا البحر وقصة يوشع بن نون والجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك
١٤٠	فصل في فضل الشام وأهله
١٤٠	ذكر قصة بلعام بن باعوراء

صفحة	
١٤٢	باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثهم إياهم إلى أرض كنعان وما أمرهم به وأقرهم
١٤٢	فصل في ذكر جمل من أخبارهم وسبق وأحوالهم
١٤٤	باب في ذكر النعمة التي أتم الله بها على بني إسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع بها همهم لكرامة نبيه وصفيه موسى عليه السلام
١٤٥	باب فتح أريحا وتزويج يشع بن نون بن إفرائيم الشام
١٤٥	قصة وفاة هرون عليه السلام
١٤٦	ذكر وفاة موسى عليه السلام
١٤٨	جامع في ذكر الأنبياء والملوك الذين قاموا بأمور بني إسرائيل بعد يشع وقصة كالب عليه السلام
١٤٨	ذكر حبرون وقبر إبراهيم عليه السلام
١٤٩	باب في قصة إلياس عليه السلام
١٥٢	قصة اليسع عليه السلام
١٥٤	جامع في قصة ذي الكفل عليه السلام
١٥٥	جامع في قصة إسماعيل وذكر بيت الله الحرام وقصة الناقة التي بعثت لثمود وعاقرها وما حل بالجميع
١٥٥	فصل في سياق آية ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل الآية وقصة القرية
١٥٥	القول في بعث أشمويل وقصة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم
١٥٧	ذكر قصة طالوت والتابوت وجالوت وحرب جالوت وما يتعلق به
١٥٧	قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه
١٥٩	باب في قصة شمويل حين أوحى الله إليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت ملك بني إسرائيل وصفتهم والابتلاء
١٦٠	باب في ذكر أمر داود عليه السلام وشيء من طالوت وصفة قتله
١٦١	ذكر بقية قصة طالوت وما كان من أمر داود عليه السلام بعد قتل جالوت

صفحة	
١٦٢	جامع في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها
١٦٣	باب في ذكر نسبه عليه السلام
١٦٣	باب ذكر صفته وحليته
١٦٣	باب في ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامات من أصناف النبوة والملك
١٦٥	باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلي بالخطيئة وما يتصل بذلك
١٦٩	باب في ذكر خروج ابنه داود على أبيه وما كان من أمرهما
١٧٠	باب في قصة أصحاب السبت
١٧١	باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث
١٧١	باب في قصة ما جرى للأشقى داود وابنه سليمان عليهما السلام وذكر بقية أمر الغلام
١٧٢	باب في ذكر وفاة داود عليه السلام
١٧٢	جامع في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به
١٧٣	باب في قصة صخر عليه السلام
١٧٣	باب في ما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام من ملكه من أنواع المناقب والآيات وغير ذلك
١٧٩	خاتمة القصة
١٨٠	قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر إليها بالهواء
١٨٠	صفة كرسي سليمان عليه السلام
١٨١	قصة بلقيس بنت الشمردل وما جرى له معها
١٨٢	باب في قصة تباشير ملكة سبأ والهدهد وما يتصل به
١٨٥	صفة القصر الذي بنته بلقيس
١٩٠	باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوبعة بالجزيرة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يد موسى بن والبة وملكه
١٩٣	باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام
١٩٤	جامع في قصة بخت نصر وخبر شعياء وأرمياء ودانيال وعزير
١٩٤	قصة شعياء عليه السلام

صحيفة	
١٩٧	قصة أرميا عليه السلام
٢٠٠	قصة دانيال عليه السلام
٢٠١	خبر وفاة دانيال عليه السلام
٢٠٣	باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
٢٠٥	باب في ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه
٢٠٥	مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا بن بوخيا وخراب حضور
٢٠٦	مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه
٢٠٧	باب في ذكر بعض ما روي من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن
٢٠٨	مجلس في قصة بلوقيا
٢١٣	مجلس في قصة ذي القرنين عليه السلام
٢١٣	باب في نسبه ولقبه عليه السلام
٢١٣	باب في ذكر بدو أمره وسبب استكمال ملكه
٢١٤	باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا الخ
٢١٦	باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به
٢١٧	باب في دخول ذي القرنين الظلمات وعمايلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة
٢٢٠	مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام
٢٢٠	باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر نحريرها
٢٢٢	باب في ذكر مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام
٢٢٢	باب في صفته وحليته عليه السلام
٢٢٣	فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده
٢٢٤	باب في مقتل يحيى عليه السلام
٢٢٥	ذكر مقتل زكريا عليه السلام

صحيفة	
٢٢٥	مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم به وما يتصل بذلك
٢٢٧	باب في ذكر ميلاده عليه السلام
٢٢٨	باب في رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت سليم
٢٢٩	باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر
٢٢٩	باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام
٢٢٩	باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه
٢٣١	باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس
٢٣١	باب في قصة الحواريين عليهم السلام
٢٣٢	ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مبعثه الى ان رفع صلوات الله عليه
٢٣٤	ذكر حديث جامع في هذا الباب
٢٣٥	نزول المائدة
٢٣٨	ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه سبعة أيام
٢٣٨	ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليها السلام
١٣٨	ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان
١٣٩	باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية
٢٤٠	قصة يونس بن متى عليه السلام
٢٤٣	باب في قصة أصحاب الكهف
٢٥٣	مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام
٢٥٨	باب في قصة شمسون النبي عليه السلام
٢٥٨	باب في قصة أصحاب الاخدود
٢٦٠	باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد) لله العظيم المنان * الرحيم الرحمن * الذي خلق الانسان * وزينه بنطق اللسان * وفضل من شاء من عباده * وهداه الى طريق الايمان * وشرف هذه الامة بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن * وجعل منهم الاولياء والاصفياء والشهداء والصالحين أهل العرفان * وأولى الفضل والايمان شرح لهم صدورهم وغفر لهم ذنوبهم وهداهم الى صراط مستقيم صراط الله العزيز المنان * أنعم عليهم بانعامه وجاد عليهم بأكرامه وسقاهم من كؤس محبته فانتشت من شراب قربه القلوب والابدان ووعدهم بالنظر الى وجهه الكريم فتوجهم بتاج الوقار وألبسهم من حلل رضائه ألوان * فسبحان من فضله عميم وجوده عظيم ولطفه قديم وهو الباقي وكل من عليها فان (أحمده) على طول الازمان * وأتوب اليه وأستغفره استغفار اوجب الغفران * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له

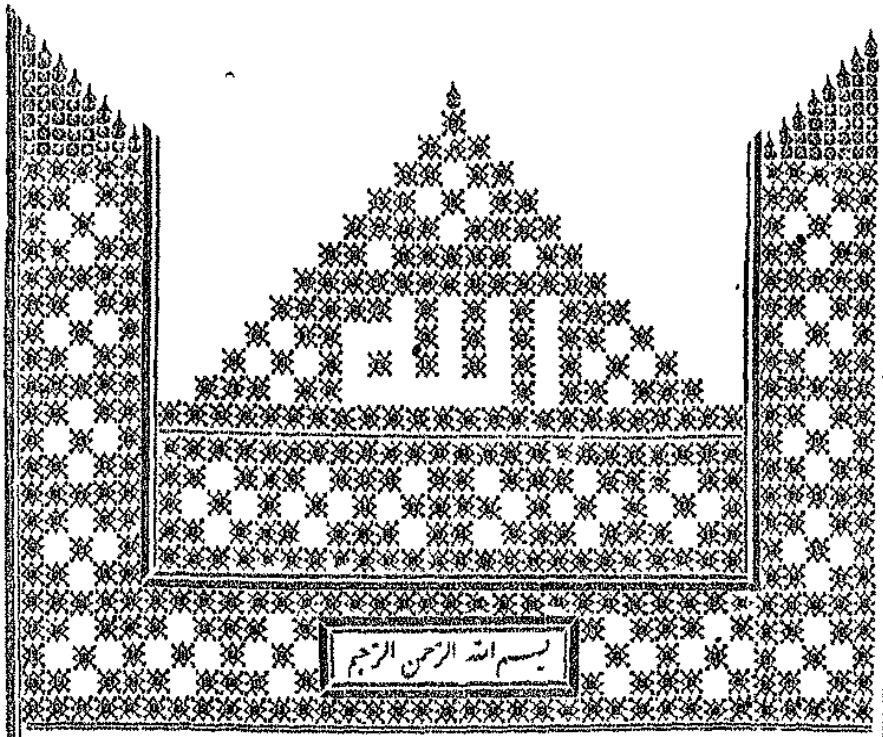

الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد وآله (قال) الاستاذ أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة في القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان

* (باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين) *

قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الماضين من الانبياء والامم لفوائد خمسة أمور أي حكم (الحكمة الاولى) منها أنه اظهار لنبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شيء من العلوم الى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار من مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحى الله اليه واخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وعنده وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبي عليه السلام قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض (والحكمة الثانية) انه انما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم والتمس أمته من أمور وعوتبت أمم الانبياء بخلافها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فنهم الله له بذلك معالي الاخلاق فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الانبياء أثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (والحكمة الثالثة) أنه انما قص عليه القصص تثبيتا له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر الى أخبار الامم قبله علم أنه عوفي هو وأمته من كثير مما ابتلي الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم في الشرائع ورفع عنهم الاثقال والاغلال التي كانت على الامم الماضية كما قال

بعض المتأولين في تفسيره قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما قص الله تعالى هذه القصص على نبيه ورأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله سبحانه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الانبياء والامم فوصل قيام الليل بنهاره وصله بقيامه بقيام لا يفتر عن عبادته به أداه الشكر حتى تورمت قدماه فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتقر عليه السلام فقال بعشت بالحنيفية السمحة

(والحكمة الرابعة) أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتنبيها لامته وذلك أنه ذكر الانبياء وقرابهم والاعداء وعقابهم ثم ذكر في غير موضع تعذر رباياهم عن صنع الاعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحو هذا من الآيات وكان الشبلي رحمه الله تعالى يقول في هذه الآيات اشتغل العالم بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين اسباء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم في ابقائه ذكره سببا لله تعالى في ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين والناس أحاديث يقال ما مات من ذكر بخير وقيل ما أنفق الملوك والاغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور الا ليقال هذا الذكر * وأنشدنا ناصر بن محمد المروزي قال أنشدني الحريدي

وانما الرجل حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن روى

(فصل في صفة خلق الارض)

قال الله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية وتظاهرت الآيات كثيرة في القرآن *(واعلم)* ان لكلام في نعت خلق الارض على سبعة أبواب

(الباب الاول في بدء خلق الارض ودحيها)

روى الواقدي بأسانيد مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض نظر بوجهه فصارت أضعاف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نار الى الماء فصار دخانا وارتفع منه بخار ودخان وأزبد من خشية الله فمن ذلك اليوم يزبد الى يوم القيامة ثم خلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أي قصد وعمد الى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ما ظهر من الارض على وجه الماء مكة فسماها الله الارض من تحتها فذلك قوله تعالى لتنذر أم القرى ومن حولها أي أسفلها وهو قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارض السابع فوضع قدميه على ما تحت الارض السابعة وهي يديه في المشرق والاخرى في المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارض من السبع حتى عرف قدميه ولم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنام ذلك الثور فلم تستقر قدماه فأهبط الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور والى أذن فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور سار بجنبتي أطراف الارض وهي كالسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة فنضر اغلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله الآية * روي أن لقمان لما قال له هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى لها نونا وهو الحوت العظيم اسمه لويتا وكنيته بلهوت وطبعهم موت فوضع الصخرة على

الرحيم الرحمن * واشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خير الخلائق من الانس والجان اللهم فصل وسلم على هذا النبي الكريم والرسول العظيم صلاة وسلاما دائمين متلازمين على طول الزمان * (أما بعد) * فهذه فوائد يحتاج اليه عظيمة تنقلت من كثير من الرياض في تنقيح بعض العالمين أعاد الله علينا من بركاتهم في الدارين نبذ كرهم تنزل الرحمات * وتحل البركات وقد أودعت فيها من أخبار السادات * وبيانه مناقب السادات * وجملا من أهل السعادات * بروايات * ورسالات ليزول عن معانيها الوهم والانكار * ويلوح بسببها لما سن تلك السير * فسميتها بنفحات الازهار على نسمات الاسحار * ورتبتها على مقدمة وأبواب وخاتمة أما المقدمة ففي الاذان وهذا أوان الشروع في ذلك ونسأل الله تعالى أن ينظمنا باولياء الله وان يحشرنا في زمرة أهل ولايته * (قال ناظم عقود جيد ذي النون المصري رضي الله عنه) * قال ركبت البحر مرة وركب معي شاب صبيح الوجه فلما توسطنا البحر فقد صاحب المركب كيسا فيه مال فتش كل من

ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وتحت الدنيا وما عليها معروفان من كتاب الله تعالى قال لها البارئ كوني فكانت فذلك قوله عز وجل انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وذلك قال بعض حكماء الشعراء

لاتخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك فى الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه * فان رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أندرى ما على ظهرك يالوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو فضتها اليتهم من ظهرك أجمع لكان ذلك أريح لك قال فهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت فى منخره فوصلت الى دماغه فصاح الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله تعالى لها فقربت قال كعب الاحبار فوالذى نفسى بيده انه ليتغار النهار وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذى أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالى وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم يعنى لكى لا تتحرك بكم * قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض نجت وقالت يارب تجعل على بنى آدم يعصونك على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فارساها الله تعالى بالجبال فقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء منضرة السماء منه يقال له جبل قاف فاحاط بها كاكها هو الذى أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من أنت قال أنا قاف قال فاخبرنى ما هذه الجبال التى حولك فقال هى عروق فاذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرنى فحركت عرقا من عروق فتزلزل الارض المتصلة به فقال يا قاف أخبرنى بشئ من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم تقصر دونه الصفات وتنقضى دونه الاوهام قال فاخبرنى بادنى ما وصفت منها قال ان وراء أرضا المسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها ولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم قال زدنى فقال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدى الله تعالى منكسو رؤسهم لا يؤذن لهم فى الكلام الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالى لهم فى الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعنى لا اله الا الله * وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

(الباب الثانى فى حدود الارض ومساقتها وأطباقها وسكانها)

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل أرض الى التى تليها مسيرة خمسمائة عام وهى سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفى الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بنى آدم وأدواههم مثل أفواه الكلاب وأيديهم كايدى الناس وأرجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المعز وأشعارهم كأصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم ثواب لبلهم نهارهم ونهارهم لبلهم والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التى أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فيها لاودية من كبريت لو أرسلت فيها الجبال الرواسى لانماعت قال وهب بن منبه هى مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل

كان فى المركب فلما
وصل الى الشاب ليفتشه
وثب من المركب حتى
جلس فى البحر فقام له
الموج على مثال السرير
ونحن ننظر اليه من
المركب ثم قال يا مولاى
ان هؤلاء ما خوفونى وانى
أقسم عليك يا حبيب
قلبى ان تأمر كل دابة
من هذا البحر ان تخرج
رأسها وفى فم كل واحدة
منهن جوهرة قال
ذو النون فما أتم الشاب
كلامه حتى رأينا دواب
البحر قد أخرجت رؤسها
وفى فم كل واحدة منهن
جوهرة تلألأ وتلمع
كالبرق ثم وثب الشاب
ثانيا من البحر فى الموج
وصار يمشى ولم تبتل
قدماه وهو يقول ايالك
نعبد وايالك نستعين حتى
غاب عن بصرى قال
ذو النون فعلمنى ذلك
على السياحة وتذكرت
قول النبى صلى الله عليه
وسلم لا يزال فى أمتى
ثلاثون رجلا قلوبهم
على قلب ابراهيم خليل
الرحمن كلما مات واحد
أبدل الله مكانه واحدا
*(وحكى عن سيدى
ابراهيم الخواص
رضى الله تعالى عنه)
أنه قال طالبنى نفسى
فى وقت من الاوقات
بالخروج الى البلاد
اليوم نفوسة نفسى

العظيم وهي التي قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة * أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزني قال أخبرنا أبو
عبد الله محمد بن يونس المقرئ قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن البيت قال حدثنا أبو حفص عمر بن
حفص القشيري قال حدثنا علي بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما أنا أريد الحج اذ دفعت الى
الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابي ثم دنوت الى باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول في
بكائه الهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولكني عصيتك اذ عصيتك بجهلي وخطيئتي اذ خالفتك
لشقوتي فالآن من عذابك من ينقذني ومن حبل من اتصل اذا انقطع حبلك مني واذ نبذ باءراغوثاه بالله قال منصور
فأبكاني والله فوضعت في على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله
الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت غشيا شديدا
واضطرابا شديدا ثم خمد الصوت فوضعت عيني على الباب لأعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا أنا كفان
أصلحت وعمود قد دخل الدار باكية وتخرج باكية فقلت لها يا هذه ما هذا البيت الذي فقالت البث عني يا عبد الله
لا تعد علي أحزاني فقلت اني أريد هذا الرجل لعل الله الكريم لعلك تستودعيني دعوة فاني منصور بن عمار واعنا
أهل العراق قالت يا منصور هذا ولدي قلت فما كانت صفته قالت كان من آل الرسول الله صلى الله عليه وسلم
يكتسب بما يكتسب فجعل اثلاثا ثلثا للمساكين وثلثا للسائل وثلثا يفطر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اذا
كان آخر ليلة أخذ في بكائه وتضرعه فمر رجل في هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبي يضطرب
حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى * وقال منصور بن عمار دخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلي صلاة
الخائفين فقلت نفسي ان هذا الفتى لشأنا عظيما عند الله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلم
سلمت عليه فرد علي فقلت له ألم تعلم أن في بيتهم وادبا يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى
فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال لي زدني فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة الآية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بالقلم الغدر وهو في عيد سمرا من جدة
عالية فطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته في المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل
الله بك فقال أتاني ثواب أعمالي بدر وزادني فقلت لهم لم قال لانهم ضلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف
الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب أهل النار كأمثال البغال اها أذناب كأمثال الرماح لكل ذنب سبعون مثانة
وستون مقارا في كل مقار ثمانمائة حية وستون فرقا من السم كل فرق منها ثمانمائة وستون قلة من سم لو وضع منه قلة
من ذلك السم في وسط الارض لمات جميع أهل الدنيا من نتنه وفسده وما يبقى شيء ذو روح الا يصطلي بنار أهل النار
كأمثال الاودية لكل حية منها ثمانمائة وعشر أنياب كل ناب منها كالنخلة العامرة في أصل كل ناب ثمانمائة وعشر
ألف قلة من السم لو أمر الله حية منها أن تضرب بنابها من أنيابها أعظم جبل في الارض لهدته حتى يعود ترابا
وانع الثاني الكافر فيسمه فتقطع مفاصله * والارض السادسة دار دار بن أهل النار وأجسامهم وأبوالهم وأرواثهم
واسمها سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكنا لابليس وجنوده
وفيها عشة في أحد جانبيه سموم في الآخر زمهرير وقد احتوشته جنوده من المردة عتاة لبن ومنها يبثه راياته
وجنوده فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبني آدم * وروى سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله قال
الجنة اليوم في السماء السابعة فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء النار اليوم في الارض السفلى فاذا كان غدا
جعلها الله حيث يشاء وأما بحر الارض فكان فيه عدو الله قارون حيث خسف الله به الارض وبداره
وبأمواله ففي الخبر انه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يزال قعرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام
بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيامة

* (الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض) *

قال الله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية قال أبو اسحق قال شبل بيدي أبو بكر
محمد بن أحمد القطان قال شبل بيدي أحمد بن الحسين بن شاذان قال شبل بيدي ابراهيم بن يحيى قال شبل بيدي

تلفت الى ذلك فرأيت
اشرف ديارهم وأجمل
أمطارهم والعناية
تكفني والرعاية تحفني
لا ألوي نصرانيا الا غض
بصره عني وتباعد عني
الى أن أتيت مدينة من
المدائن فرأيت على
بابها رجالا لابسين
السلاح وبايديهم آلات
الكفاح فلما رأوني أقبلوا
الي وقالوا أطبيب أنت
قلت نعم فقالوا أجب
الملك فمضيت اليه فلما
رآني قال أنت الطبيب
قلت نعم فقال الملك
ا ه علوها برا وبحرا وه
بالشر ا قبل الشول
بابها قال ابراهيم
فاحسبوني وقالوا ان
للملك ابنة قد أصابها
اعتلال شديد وقد أعيا
الاطباء علاجها وما من
طبيب دخل عليها
وعالجها ولم ير الا قتله
الملك فانظر الى نفسك
قبل الشول اليها قال
ابراهيم فقلت لا بل
ولا فوة الا بالله العلي
العظيم ثم قلت ان الملك
ساقني اليها فاخذوني وصعدوا
بي اليها فلما وصلت الى
باب القصر اذا هي تنادي
من داخل الباب ادخلوا
بالطبيب فسلي ولم ير
يجيب فبينما أنا كذلك
اذا شيخ كبير قد فتح

صفوان بن سليم قال شبك بيدي أيوب بن خالد الانصاري قال شبك بيدي عبد الله بن أبي رافع قال شبك بيدي أبو هريرة قال شبك بيدي أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمان يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

(الباب الرابع في ذكر أسمائها وألقابها)

*قال وهب بن منبه الاولى من الارض تسمى أدعما والثانية بسيطا والثالثة تقيلا والرابعة بطحا والخامسة متشاقة والسادسة ماسكة والسابعة نرى *(وأما أسماؤها المذكورة في القرآن) * فهي سبعة أيضا سماها الله فراشا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال أم من جعل الارض قرارا وسماها رتقا فقال أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها مهادا فقال ألم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتا فقال ألم نجعل الارض كفاتا * قال خالد بن سعيد كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات * ويحكى أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد المجوس شاب متعلب يدعي تحقيق الكلام وأظهر مسئلة تحريق الانفس بالنار وكان يزعم ان الجسد كثيف ميت في حال الحياة فاذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب الى زيادة تفتته وان الواجب احراقه واذواء رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد افتتنوا بمقالة هذا المجوسي فكتب الفقيه الى عبد الله بن طاهر ان اجمع بيننا وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبي تدعيه أمه وخاصمته أيهما أولى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هي الام منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا اليها فأفحم المجوسي وأنشد في معناه لامية بن أبي الصلت

والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد

*وسئل يحيى بن معاذ الرازي ان ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهي عشه ومنها رزق فهي عيشه واليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين الى الجنة

(الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الارض)

وهي سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة بار بعة أشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد واحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها بار بعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد العشار وزينها أيضا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزين الانبياء بار بعة ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب وأصحاب الشرائع وأولو العزم وزينها أيضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم أيضا بار بعة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم *(وروى) * يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما انفتل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال معاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل يا رسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان فقال أما الشمس فعلي والقمر فاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان في كتاب الله تعالى لا يفترقان حتى يردا علي الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بار بعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضي الله عنهم أجمعين (وروى) عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم بار بعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا بانواع الحيوانات والنباتات والجمادات *(الباب السادس في عاقبتها وما آل اليه آخرها)*

*(اعلم) * ان الله تعالى وعدها بسبعة أشياء * أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض

فدخلت فاذا بيت مبسوط مفروش بانواع الفرش وبستر موضوع ومن خلفه أنين ضعيف يخرج من جسد نحيف قال ابراهيم فقعدت من داخل الباب متفكرا وأردت أن أسلم فتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فامسكت عن السلام فنادت من داخل الستر أن سلام التوحيد والاخلاص يا أبا اسحق ياخواص قال فتعجبت من اجابتها بخبايا الضمائر ثم قالت يا ابراهيم سألت رب العزة الباروحة أن يرسل الي وليا من أوليائه يكون على يديه اخلاص فنوديت سيحضر منزلك ابراهيم الخواص قال ابراهيم فقلت لها منذ كم خطر على هذا الامر فقالت منذ أربع سنين وقد لاح لي الحق المبين فهو المحدث والانيس والمقرب والجليس فلما رأوا تعالى رقوني بالعيون ورموني بالجنون فما دخل على طيب الا أوحشني ولا زائر الا أدهشني قال ابراهيم فقلت لها وما الذي أوصلك اليه قالت براهينه الواضحة وآياته اللائحة فاذا وضح لك السبيل

وفى الطير يوتى بارض بيضاء من فضة كالطست التى اطوارى لم يعص عليها قط فرقعين ولا وسم فيها ولا انعم مستوية كالصاب الممهد * والثانى الزلزلة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يا رسول الله قال القتل فاذا أكلت أمتى الربا كانت الزلزلة واذا طوروا فى ملكهم اجستروا على مسلم العسدق واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة فصلوا ولولا البهائم لم يمطروا وفى الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضى الله عنه فاشتد بها صاحبها فصعد المنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة ما أسرع ما احدثتم والذى نفسى بيده لئن عادت لا ساكنكم فيها والرابع الرجف من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم أحدثتم أشياء حتى أعلم فهل أنتم منتهون أو يقذف من بين أظهركم * والثالث البروز قال الله تعالى وترى الارض بارزة يعنى لفصل القضاء * والرابع الريح قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كما يرجح الصبى فى المهد حتى ينكسر كل شئ عليها فرقا من ربها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المحى تخلى وتلقى ما فى بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت * والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا وقال تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى ان الربيع بن خيثم كان اذا قرأ هذه الآية أخذ حصاة فدقها بيده ويقول يا حصاة يا حصاة أين أنت يومئذ *(الباب السابع فى وجوه الارض المذكورة فى القرآن)*

وهى سبعة أولها امكنة أسسها قال الله تعالى فى الرعد والانبياء أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى أرض مكة والوجه الثانى أرض المدينة قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى أرض المدينة وقال تعالى ان أرضى واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشام وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعنى بلاد الشام وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع أرض مصر قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقوله فان أبى الارض أى أرض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال وليستخلفكم فى الارض أى أرض مصر والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعنى بالامم فى التصاوير أمثالكم فى التسخير وقال تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسابع أرض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين

(مجلس فى ذكر خلق السموات وما يتصل به)

وترتيب الكلام فى هذا المجلس أيضا على سبعة أبواب الباب الاول فى ان خلقها كان قبل خلق الانسان لا محالة أن تكون سبعا فالسموات سبع والارضون سبع والبحار سبع وغير الدنيا سبعة آلاف والايام سبعة والكواكب السبعة وهى السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعى بين الصفا والمروة سبعة ونورى الجمار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبثه فى السجن بضع سنين وابتلاء ملك مصر سبع سنين وقال الثانى انى أرى سبع بقرات سمان وكرامة الله للمصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وأمر بالسجود على سبعة أعضاء

(الباب الاول فى بدء خلق السموات)

(يروى) فى الاخبار المشهورة والآثار ان الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة

قال ابراهيم فبينما أنا أكلمها اذا الشيخ الموكل بها قد دخل علينا فقال لها ما فعل طبيبك هذا قالت عرف الصلاة وأصاب الدواء وظهر على يديه السرور وقابلنى بالبشر قال ابراهيم فسار الشيخ للملك وأخبره بعفتها فصرت أتردد عليها مدة سبعة أيام فقالت يا أبا اسحق أريد الهجرة معك الى بلاد الاسلام فقلت وكيف يكون ذلك ومن يقدر على الخروج من ثلاثة العساكر والجنود فقالت يا ابراهيم لا تخف ان الذى أدخلك على وأوصلك الى هو الذى يخرجنى معك ولم يشعر بنا أحد فقلت نعم الله على كل شئ قدير فلما كان الغد جئتها من باب من الابواب فجعلت تمشى السيوف بارادتها من يقول للشئ كن فيكون فهو الذى وفقها وهداها ما رأيت أحسن منها فى الصيام والقيام وكنت أصلى بها الى الليل ثم أنام وبارت بيت الله الحرام سبعة أعوام ثم فقدت فصبرت وطلبت فلم أجدها فبكيت حزنا عليها فاذا بها على بعد وهاتفة من الله تعالى على يقول ان الله تعالى عليها ونقمنا بها فى الدنيا والآخرة آمين *(وعن على رضى الله تعالى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه)* أنه قال خرجت من بلدة

مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظرا هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فعلى وارتفع وعلاه زبد وخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى فسدثم فتقها بعد ان كانت لبقة واحدة فسيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما *(الباب الثانى فى جواهرها وأجناسها)*

(قال) الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

(الباب الثالث فى هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر فى الخلق فقال لهم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانه لا تتعطر به الفكرة تفكروا فى أن الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

(الباب الرابع فى أسمائها وألقابها)

(قال) وهب بن منبه أولها سماء الدنيا وهى ريح والثانية ريحانا والثالثة رقيع والرابعة قيدون والخامسة طفطافيا والسادسة عبقر والسابعة عجماء وأما أسماؤها المذكورة فى القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان * وروى ان الملائكة قالت يارب لو أن السماء والارض حين أمرتهما عصيا لما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابى فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة قال فى مرج من مروج قالت يارب فأين ذلك المرج قال فى علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى * وقد ورد عن النعمان بن مراهم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب فى صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن عليوية قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كاون الحديد المجلى واسمها رقيعا وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو فيست شعرة بين مناكبهم لما انفاست رافعون أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واسمها ديوم وخلق الله فيها ملكا يقال له سيتيائيل نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كاون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحى الذى لا يموت أبدا صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف أحدهم لون صاحبه من خشية الله تعالى

على فانتهى الى سماحتى
نظر الماء كقصب غير مركب
ولا قائمة فتمت عين
الطريق فبينما أنا متعجب
اذ أتانى راهب نصرانى قد
أقبل على واعترضنى فى
الطريق ثم قال لى يا راهب
المسلمين هل الى مرافقتك
سبيل فقلت له لا أمنعك
عن مرادك فمشينا ثلاثة
أيام لم نستطعم فيها طعاما
فقال الراهب لابراهيم
يا راهب المسلمين ما نحتاج
فى أمرنا نخبر أو قد مضنا
الجوع فهات ما عندك
قال ابراهيم فتوجهت
الى الله عز وجل وقلت
الهى وسيدى ومولاى
لا تفضحنى بين يدى
عدوى وعدوك قال فما
أتممت دعائى حتى نزلت
علينا مائدة عليها خبز ولحم
وتمر وماء فأكلنا وشربنا
ومضينا ثلاثة أيام أخرى
ما كل فيها شيأ فلما أصبحنا
ابتدرت الراهب وقلت
له يا راهب النصارى
هات ما عندك قال فتوجه
الراهب الى الله عز وجل
واذا بمائدتين عليهما
كما كان على الاولى من
الخبز واللحم والتمر والماء
قال ابراهيم فلما رأيت ذلك
قلت للراهب وعزته
وجلاله لا آكل من ذلك
ما لم تخبرنى فقال الراهب
يا ابراهيم لما صحبتنى
حللت نارك على نفسى فعرفت
ان الذى على نفسى

وخلق الله السماء الرابعة بينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون النضة البيضاء واسمها ماون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة تركوا لذلك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التي تليها إلى الضعف وفي السماء الرابعة ملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو قالوا وهم قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملائكة منهم في أمر من أموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي إلى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا إله إلا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها لون الذهب واسمها الأرقلون وفيها إلى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الأرض سبع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها إلى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها بيت الله الأعظم الأكبر المكرر بيون لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله في أموره إلى أهل الدنيا رافعون أصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهي من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء السابعة وغلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعلى كل سماء ثمانية آلاف ملك وهو على سبعة آلاف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في سبع سموات وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى في كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهي من درة بيضاء ومن السماء السابعة إلى مكان يقال له مرهوياء مسيرة خمسمائة عام وفيها جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش الثمانية منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وأنواع شتى في جسده لا يشبه بعضهم بعضا وادعوت أصواتهم بالتهليل ينظرون إلى العرش لا يطرفون لو أن الثمانية منهم نشروا جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه ولا يسلم عددهم إلا الله تعالى ومن فوق ذلك سبعة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة إلى الكرسي سبع سموات وسبع أرضين والعرش فوق ذلك في بين لا يعلم منتهاه إلا الله تعالى

﴿الباب السادس في ذكر الأيام التي خلق الله الأشياء فيها﴾

روت الرواة أن الله تعالى ابتدأ خلق الأشياء يوم الأحد إلى يوم الخميس وخلق في يوم الجمعة ثلاثا أشياء السموات والملائكة والجنة إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة خلق في الساعة الأولى الآفات والآجال وفي الثانية الأرزاق وفي الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها الآية

﴿الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات﴾

وهي عشرة أشياء النجوم قال الله تعالى وجعل النجوم سراجا وقال تعالى وسراجا وقمرا منيرا والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا والشمس قال الله تعالى وأنزلنا من السماء الهواء ماء ثجاجا كما ذكرنا وهي على ثلاثمائة وستين منها معلق كتعليق القناديل في المساجد ومنها ما هي كثير كهيئة الغمر في الظلام وهي ثم كثير من خلق الله تعالى السود منها كما ذكرنا كالجبال وفيها ما هو كالجبال وفي بعض الأخبار ما أكون من سموات في الأرض ولا أدنى تدب دون العرش الأوفى خلق الكواكب سبعة أنهار العرش قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والأرض * وروي عن ابن عباس عن أبيه عن جده أنه قال في العرش مثال جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال ابن عباس تأويل قوله تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه سموات ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير السريع ثمانين ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور ولا يستطيع أن ينظر إليه من خلق الله تعالى والأشياء كلها في العرش كحلقة ملقاة في فلاة وإن لله ملكا يسمى سوتيائيل له اثنا عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام فطوله فاطرحه هل يقدر أن ينظر إلى العرش فزاده الله تعالى في الأجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى إليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له في الأجنحة والقوة

في اتباع النبي ﷺ
إلى الله واعتمدت عليه
بكر اعتمادك أنه أن
لا يفتنني منك فكان
ما رأيت وقد أقول كما
تقول أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن سيدنا
محمدا رسول الله وقال
إبراهيم فصرحت بذلك
فرحا شديدا وسرنا معي
فنحن ملكة شرفها الله
تعالى فلما فضينا ما كان
علينا من فرائض الحج
أقمنا بها أياما قلائل
فلما كان بعض الأيام
فقدته فرجعت إلى الحرم
فوجدته قائما يصلي
فلما أحس بي أسرع
في صلاته فلما سلم من
الصلاة التفت إلي وقال
يا إبراهيم قد آن لقاء الله
تعالى فاحفظنا ما سبق
من فراقي إياك وحبسني
عنك ثم شوقني شوقا
فأتيت رسول الله ﷺ فقال
إبراهيم فأسرعت بعده
أيامه ثم جهزته
ودفنته فلما كان الليل
رأيت في المنام كأني في
أحسن سورة وعلى
أحسن الهيئات
والأشياء تعرف فقلت له
ألست ميتا بالأمس
قال نعم تفرست بالله
فرحا شديدا ثم قلت له
ما فعل الله بك قال
يا إبراهيم أتيته بذنوب
كثيرة تحصاها على حسن
ظني به وبعلمي كما حدثتك
في الحديث المتداول في الأكثرة

وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى اليه أيها الملك لو طرت الى أن ينقطع في الصور مع أجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشي فقال الملك سبحان ربي الاعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم * وقال كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيأ أعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون ألف جناح في كل جناح سبعون ألف ريشة في كل ريشة سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطار وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية به * والكرسي قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض * وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكرسي لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسي أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان * وروى اسمعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الباجي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمر قد أخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخر لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا أعود ما كنت أخذت منه الا لاهل بيت نقر امن الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك أن تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضا ففتح الباب وقال سبحان من سخر لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أليس قد عاهدتني أن لا تعود فقال دعني هذه المرة فاني لا أعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتني أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعني عملت كما متاذا فانها لم يبق بك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن ان تركتك قال نعم قال فما هي قال الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذه انه كذلك صدق الخبيث * واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شيء أحصيناه في امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال) ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابه نور وقلمه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن (ويروى) ان أول ما خلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يا رب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة (ويحكى) ان ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده منهوما فقال له روح عني يا ابن الزيات فأنشأ يقول

الهم فضل والقضا غالب * وكاتب ماقط في اللوح
فالنفس الروح وأسبابه * أيأس ما كنت من الروح

والبيت المعمور (وروى) الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وان في السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينا فض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش الهاء تنتهي علم

ونفعنا به * وروى أن غلاما كان لجعفر الصادق رضي الله عنه صب الماء على يدي سيده يوما من الايام فسقط الاناء من يده في الطست فطار الماء على ثوبه فنظر اليه نظرة منكرة فقال الغلام يا مولاي والكاظمين الغيظ قال جعفر كظمت غيظي فقال الغلام والعافين عن الناس قال جعفر عفوت عنك فقال الغلام والله يحب المحسنين قال جعفر اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ولك ألف دينار من مالي وهذا من بعض كرامتهم وحسن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم *

* وحكي عن بعضهم رضي الله عنه ونفعنا به قال رأيت بعض المذنبين في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال وزنت حسناتي وسيآتي فرجحت سيآتي على حسناتي فصرت متحيرا فبينما أنا كذلك اذ وقعت صرة من السماء فسقطت في كفتي الميزان فرجحت الميزان ثم سمعت قائلا يقول وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قال ثم سلمت الصرة فاذا فيها

الملائق كل ورقة منها اثنان أمثال الامم يغشاها ملائكة كانهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم وأما الجنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من يدخل الجنة حي لا يموت ومنعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء أطت وحق لها أن تئط ليس منها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخرجتم الى صعرات تجأرون الى الله تعالى

(الباب السابع في ذكر ما لها وأوصافها)

اعلم ان الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدها النور قال الله تعالى يوم تور السماء مورا يعني تدور كدوران الرحا من هول يوم القيامة والثاني أخبر أنها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعني كدردي الزيت والثالث أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار أكثر من الانشقاق والسادس الانطواء قال الله تعالى واذا السماء قريت والسابع الكشط قال الله تعالى واذا السماء كشطت أي نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب الآية وأحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذي السما * فليس سواه له منازب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

(مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفتهما وما بدأ منهما وعادهما)

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الامين بقراءتي عليه في ربيع سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة قال أخبرني أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي املاء قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي قال حدثنا أبو عيسى يحيى بن أبي عيسى الخراساني قال أنبأنا ليث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما هو جالس ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس اني سمعت العجب من أحبار يذكرون الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاستوى ثم قال وما هو قال زعم كعب الاحبار انه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران مقرنان فيقذفان في النار قال فكبر ابن عباس حتى ظننا أن وقعة أخرى غضبا ثم قال كذب كعب الاحبار قالها ثلاثا بل هذه منزلتهما في الاسلام والله تعالى أكرم وأجل من أن يعذب أهل طاعته ألم تر الى قول الله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعني دأبهما في الطاعة فكيف يعذب عبدين اثنين عليهما أنهما عابدان في طاعته قال الله عز وجل وقد بعد ثمودا أجر أعمالهم فيريد أن يعذب هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض يخصل به تلك عرق الارض وقال كذلك ما شاء الله ثم انه فكر رأسه مرتين بالعود وقال ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما قلنا بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما أتقن خلقه احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان من سابق علم الله تعالى أن يمحوهما فانه خلقهما مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله أن يطمسهما ويحولهما فانه خلقهما دون الشمس في العظم ولكن انما يرى صغرهما من شدة ارتفاع السماء وبعدها عن الارض فلو ترك الله تعالى الشمس كما كان في بدء الاسلم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدري الاجير متى يعمل ولا متى يأخذ أجرته ولا يدري الصائم الى متى يصوم والى متى يفطر ولا تدري المرأة كيف تعتد ولا يدري المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدري المديون متى يحل دينهم ولا يدري الناس متى يزرعون ومتى يسكنون راحة لابدانهم وكان الله أنظر لعباده وأرحم بهم فأرسل جبريل عليه السلام

أفقته في فهم مسلم فنظر الله لي بذلك وأدخلني الجنة فأنظر الى كرم الله تعالى وحسن لطفه بعباده *(وحكي عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه)* ان ملكا بنى دارا وأحسن بناءها وزينها ومنع فيها طعاما ودعا الناس اليها وأجلس على بابها العبيد والغلمان يسألون كل من خرج ويقولون هل رأيتم عيبا فيقولون لا والله لا نعلم أحدا من الدخول حتى جاء أناس في آخر الناس عليهم مرقعات فلما دخلوا وأكلوا من تلك الوليمة تلقتهم العبيد والغلمان ثم سألوهم هل رأيتم عيبا فقالوا لهم رأينا عيبين اثنين قال فبهتوهم ورجعوا الملك فأخبروه بحاله وقالوا له ما رأينا شيئا أحسن من بنيانه وأحكامه ولكنا رأينا عيبين اثنين قال وما هما قالوا ليس فيها موت قال أفرأيتم ان مات أحد منكم أين يذهب قالوا نخرجه الى الباب فنحفر له ونواريه فيها فقال الملك هل تعرفون دارا لا تخرب ولا يموت ساكنها قالوا نعم فقال الملك فاني أدعوكم الى دار الخلد والجنة ونعيمها وشوقوه اليها وذكروا له النار وخشونتها ومنها

فامر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذي في جوف القمر مثل الخاتم وطبعه انما هو أثر المحو ثم خلق الله تعالى الشمس من شعاع نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون عروة وكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكا من الملائكة من أهل سماء الدنيا فكل تعلق كل منهم بعروة من تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق ومغارب في أقطار الارض وكنى السماء ثمانين ومائتي عين في المشرق من طينة سوداء وثمانين ومائتي عين في المغرب مثل ذلك من طينة سوداء هو رغاليها كغلي القدر اذا اشتد غليانها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة ومعنى حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد بين أولها مطلعا وأولها مغربا أطول ما يكون النهار في الصيف وآخرها مطلعا شرقا ومغربا أقصر ما يكون النهار في الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعني آخرها هنا وأولها هناك وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم في الهواء باذن الله تعالى لا يستقر منه قطرة والنجوم كلها ساكنة في ذلك البحر وهو جار في سرعة السهم وانطلاقه فهو في الهواء مستو كأنه جبل ممدود ما بين المشرق والمغرب وتجري الشمس والقمر والخمس في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة وزلازلها في ذلك البحر فذلك قوله تعالى وكل في فلك يسبحون والفلك في دوران العجلة في لجة تحت ذلك البحر والذي نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لاحرقت كل شيء على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا ما شاء الله أن يعصمهم من أوليائه وأهل طاعته

(قال) ابن عباس رضي الله عنه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه بابي أنت وأمي يا رسول الله ذكرت تجري الخمس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخمس في القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فالخمس فقال عليه السلام يا علي هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر في الفلك وأما سائر الكواكب فكلها معلقات في السماء كتعليق القناديل في المساجد وهي تدور مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة له تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وان أحببتم أن تتبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فالمجرة وبيانها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودوانهم اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور دورانا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها الثلثمائة وستون ملكا ناشرى أجنحتهم يجرونها في الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر في الشتاء كان ذلك أو في الصيف أو ما بينهما من الخريف والربيع فاذا أحب الله أن يبتلي القمر والشمس ويري العباد آية من الآيات يستعتبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس من العجلة وقال مرة تحرك الشمس عن العجلة فتقع في ثمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا أراد الله تعالى أن يعظم تلك الآية ليستدخوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة ثم منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنهي عن كسوفها فاذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان في الماء ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف ابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعتاب من الله تعالى فاي ذلك كان صارت الملائكة الوكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس وهم في ذلك يقودونها في الفلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهارا لا يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك السواد الذي يعلو فهو من ثمر ماء ذلك البحر وهو

قعالى فاجابهم الى ذلك
وخرج من ملكه هاربا
تائبا الى الله تعالى نسأله
تعالى التوبة والمغفرة
*(وتكلم عن بعضهم
رضي الله تعالى عنه)*
ونفعنا به قال كان لي
أخ في الله تعالى وكان
من الاولياء وكان رجلا
جميلا حسن الخلق
طيب المحيا وكان له
زوجة من أهل الخير
والصلاح وكانت على
قدمه فكانا يشتغلان
في صنعة المراوح
والاطباق فكنت أوده
وأزوره وألتمس منه
الدعاء فكنت كلما
دخلت بيته وجدت عنده
ريشا من ريش الطيور
العالية مثل العنقاء
والنسر والعقاب
والطاوس على سائر
الجنوس العجيبة يشتغل
بذلك الريش صنعة
المراوح فكنت أتعجب
من ذلك فقلت له يأتي
من يأتيك بهذا الريش
مع قلة تردده الى الجبال
والاودية فقال يا أخي
ان الله سبحانه وتعالى
سخر لي ملكا من
الملائكة يأتيني بذلك
في كل جمعة لاجل المعونة
على القوت فلما كان
في بعض الايام فقدته
فمضيت اليه في بعض
الاسواق التي كان
يبيع فيها المراوح فسلم
أجله فمضيت الى داره

وجوههما من ذلك الماء فاذا أنتوجوهها كلها التفتت الملائكة كلها فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تنبلج الفجر حتى يحمدوا الله تعالى على ما فوا تهم لذلك ويتملقون بعرى العجلة حتى يعبروها باذن الله تعالى في ذلك البحر حتى اذا بلغوا باب المغرب أدخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من أقفى السماء التي تليني ثم قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق الله وما بين من القدرة فلم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة أتعجبين من أمر الله وذلك ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فاهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل ومن نسل الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية بوقيشا وبالعبرانية بابلق واسم المدينة التي بالمغرب بالسريانية برجيساو بالعبرانية جابرساو وتعلق كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف رجل في احراسة عليهم السلاح ومعهم التكبير لا تنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ في الصور والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين تطلع ومن تغرب ومن ورائهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم منشلمنة وتارس وتاويل ومن ورائهم يأجوج ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بي اليهم ليلة أسري بي الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فابوا ان يجيبوني فهم في النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فاما برا وآمنوا فهم اخيار الناس في الدين من أحسن منهم فهو مع المحسنين ومن أساء فهو من المشركين ثم انطلق بي الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين الله وعبادته فابوا علي وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى في النار فاذا ما غربت الشمس رفعهم الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتسألني ان أذن لها أن تؤمر بالطلوع من مغربها أمرت بطلوعها وتكسى نورا وان كان الشهر فنور واحد على قدر ساعات الليل والنهار ثم يطلقون بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درباب الجنان في سرعة طيران الملائكة فتمر حيال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى سماء الدنيا بعث الله تعالى ملكين يظهر الطير عن الصبح فاذا انحدرت من بعض تلك العيون فذلك حين يضيء الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضيء النهار فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك تمام سنة أشهر ثم اذا رجعت كذلك من حين الى حين في الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة فبذلك أيامها ولياليها ثلاثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضعه على البحر السابع مقدار سعة الليالي في الدنيا فخلقها الله تعالى اليوم ثم رفع فاذا كان عند غروب الشمس أقبل ملك من الملائكة الذين وكلوا بالليل فيقبض بضفة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال أسافل قلال هجر براري الشفق فاذا غاب الشفق أرسل تلك الظلمة جميعا فتنشر بحذاء فيلقان أسافل الارض وكثيب السهلة ويجيء ذلك من ما شاء الله تبارك وتعالى فيسود ما بين الليل بحسابه بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أمر الصبح من المشرق فضرب ناصيته ثم ضم تلك الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكفيه ثم يقبض عليها بكفه ويعيدها في قبضته التي تناول لها من الحجاب بالمشرق ثم رفعها عند المغرب على البحر السابع فمن هذا الليل فاذا ما نقل ذلك الحجاب الى المشرق والى المغرب فاذا انفلق في السواء انتفض أيام الدنيا فنور والنهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطلعهما الى مغربهما الى ان تضعهما الى السماء السابعة تحبسهما تحت العرش حتى يأتي الوقت الذي وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر المعاصي في الارض وينهى المعروف ولا يأمر به أحد ويشيع المنكر فلا ينهى عنه أحد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما حبست واستأذنت ربها من أن تطلع فسلا يؤذن لها ولا يرد لها جوابا حتى توافي القمر فيحبسهما ويستأذن من أن يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد لها جوابا حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليالي للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون في الارض وهم يوشك عامة قليلة في الارض في كل بلد من بلاد

وفرت عوقالت الشمس بالباب
فقلت لها قسلان أخو
زوجك يريد السؤال
عنه هل هو نائب أم
ميت فقالت يا سيدي
انه مقيم الا انه مشغول
بذكر ربه عز وجل
فقلت لها الى أحدثه
أن أراه فانصرفت الى
البيت وعدت الى
وقالت ادخل فدخلت
اليه فرأيته في بيت صغير
له المحاريب وعليه
السعادة فلما رآني قام
الي واعتنقني وسلم علي
سلام الحبين فجلسنا
وتحدثنا ساعة فبينما
نحن في الحديث اذا
بمائدة قد وضعت بين
أيدينا فيها من جميع
الالوان فاكلنا من تلك
المائدة فلما رفعت اذا
بتفيسوس ماء قد وضع
بين أيدينا فتمضمضنا
فقال لي ما تقول في هذا
الطعام ولا أعدل
من ذلك الطعام ولا أجل
من ذلك الماء فعرفت
أن ذلك الطعام والماء
من الجنة ثم سألته بعد
ذلك عن سبب اقامته
عوراء فرفع الي نسبه
فتعجبت وقال يا أخي رفع
لي حجابه عظيمة فقلت
وما هي فقال تزوجت
يوما بيع المراوح على
عاتقي فمضيت الى أسواق
بغداد فلم يقع علي بصري
ولم يكن عندي شيء من
الصوت غير معتوهة

المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده ولا يصبح نعوما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في أماكنها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول أخففت قراءتي أم قصرت صلاتي أم فاتت قبل حيني قال ثم يقوم فيعود الى مصلاه فيصلي نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويتعالمه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلي قصرت صلاتي أو خففت قراءتي أو فاتت في أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت في أماكنها أول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادي بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواسلون فيجتمع المتهجدون من أهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فاذا تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغاربكما فقد أعظمتما علينا الضوء لكما عندنا ولانور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيكون جميعا لبكائهما لما لهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فطالعان من مغاربهما قال فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون في غفلتهم اذ نادى منادي ألا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فاذا هم بهما سودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرينين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا ويتمارى أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها والاحبة عن ثمرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت فاما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهي منتصفها بإذن الله جبريل عليه السلام فيأخذ بقرنيهما ويردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما من تلك العيون ولكن يعرجهما من باب التوبة فقال عمر بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى (٢) الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم الا وجبت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يردهما بين المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط واذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجري عليه ما كان يجري عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا فقال أبي بن كعب بأبي أنت وأمي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبي ان الشمس والقمر يكسفان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها يطمئنون على الدنيا ويحرثون فيها الانهار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها البنيان وأما الدنيا فلا تنفع الرجل منهم فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن مطلع الشمس من مغربها الى أن ينفخ في الصور فقال حذيفة حدثنا يا رسول الله فداءك أبي وأمي فكيف بهم عند النفخ في الصور فقال يا حذيفة والذي نفسي بيده ليطعنن في الصور ولتقومن الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقومن

(٢) قوله منذ خلق الله تعالى الخ هكذا بالاصل لعله الدنيا فليحرر اه

الساعة وقد أخذ كل منهما ثوبه فلا يتبايعان ثوبا ولا يطويانه ولا يتبايعانه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين أهل الجنة النار وقبل أن يدخلوها يدخلهم الله تعالى بالشمس والقمر فجامعها أسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا في الزلازل والبلايا وفراقصهما تر عدمن هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن مخافة الرحمن تعالى فاذا كانا سجدا العرش خرا ساجدين لله تعالى ويقولان يا الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا في طاعتك وسرعتنا لما مضى في أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين اياناقد علمت انا لن ندعوهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتما اني قد قضيت على نفسي أن أديني وأعبد اني معبدكما الى ما بدأتكما منه فأول ما خلقكما منه فيقولان ربنا ما خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشي فارجعا اليه فيتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيخالطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ ويعيد قال عكرمة فقصصت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من أمر الشمس والقمر حتى أتيناه فأخبرناه بخبر ابن عباس وما وجدنا من حديثه وما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ما بين مبدئهما الى معادهما فقال كعب الاحبار اني حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدي وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين خبر البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال بلغني ما كان من وجدك من حديثي وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وانى أستغفر الله من ذلك نصح أني لم أتقوله من تلقاء نفسي ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدري ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود وأنت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا أشهد أنك تبين بما حدثت به أصحابك من حديث الشمس والقمر فأعظم ذلك الحديث فاذا حدثت بشيء من أمر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذي تحدثني به مكان حديثي الاول فقال عكرمة فوالله لقد أزداد عليه ابن عباس الحديث وانى لاستقربه في قلبي بابا بابا فما زاد شيأ ولا نقص شيأ ولا قدم ولا أخر زاد في ذلك في ابن عباس رغبة وللحديث حفظا والله أعلم

(مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)

(الباب الاول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام) قال العلماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولو لم يخلق لما عرف أنه موجود ولظهر بكمال علمه وقدرته وتمام وأفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تأتي الا من قادر حكيم وليعبد فانه نصب عبادة العابدين دليلا على قدرته فضلا لا على قدرته أنهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا يزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من حكمته معصية العاصين والله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لاهل الجنة من فوجدهم ليوم الدين وليتفضل عليهم فيعفو عن بعضها بالعدل ويعذبها بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الصادق والفضيل بن عياض أي للرحمة خلقهم ولجهنم ولانه يحب الحمد (وروى) ان آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يا رب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى اني أحب أن أشكر (قال) أبو الحسن القابسي خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة وخلق الجنة للرحمة قال الله تعالى الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر ويحييكم ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم (عن) قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه

أن أتوسل الى أعلى ذلك القصر ثم غلبت عليها بالبسملة فقامت وأرشدتني الى باب مغلق يتوسل منه الى أعلاه ثم تختفي فالتمس منها فلم تعد فصعدت مسرعا الى أعلاه وانظرت الى الارض فرأيتها بعيدة فرفعت بصري الى السماء وقلت سيدي لا تؤاخذني عليك أمري الوت ولا معصيتك ثم هان عليّ الوقوع من أعلى ذلك القصر فألقيت نفسي الى الارض فأرسل الله تعالى اليّ ملكا من الملائكة فاستقبلني على يديه فلم أشعر بنفسي الا وأنا على باب داري فحمدت الله تعالى على ذلك وأنه رد عليّ روحي فصرت أذكر الله تعالى ثم صعب عليّ ذكر الله فصرت أقول لا اله الا الله محمد رسول الله وهذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فما زلت على ذلك الحال حتى ماتت رحمة الله تعالى ونفعنا به

(وروى عن الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أنه قال) حجت ستة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه السلام

منهم لا يحليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون (وقال) علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو (وقال) الاوزاعي بلغني ان في السماء ملكا ينادي كل يوم الا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا لما خلقوا له وقال بعضهم اذا ما تم خلقوا علموا لما اذا خلقوا له وجلسوا فتذاكروا ماذا عملوا وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته الهي غيبت عني أبي ولا أحببت علي محبي ولا أدري الى اي الدارين منقلبي لقد أودعتني وقسة المحزونين أبدا ما أبقيتني (وقال) أبو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلى فما دام الروح في جسده فهو في البلوى فاذا فارق الروح الجسد فهو في البلى فأنى له السرور وهو بين البلوى والبلى (وقال) بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك في الدنيا ان ربك حلف فقال لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأشياء مسكين بين الله تعالى وبين ابليس مطروح سامحه الله أعلم

(الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته)

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام أوحى الله الى الارض اني خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار ثم بعث الله جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الارض اني أعوذ بعزة الله الذي أرسلك ان تأخذ مني شيأ يكون فيه غدا النار نصب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله تعالى ملك الموت فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فقال ملك الموت واني أعوذ بالله أن أعصي له أمرا فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سهلها وحزنها وطينها وحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم عجنها ملك الموت الى الله تعالى فأمره أن يجعلها طينا ثم يخمرها فجعلها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام ان يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي طيب الارض وهوائها ونورها الخلق منها محمد صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة المربين المقربين الكروبيين وملائكة الصفح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي بيضاء نقية فعجنها بماء التسنيم وعركت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم سقت في أنهار الجنة كلها فلما خرجت من الانهار انطلق سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فتطاير منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها في السموات والارض فعرفت الملائكة جميعا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم تركها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا لينا ثم تركها أربعين عاما حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذي اذا ضربته بيدك صلصل أي صوت ليعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا يتقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا وألقاه على طريق الملائكة التي تهبط الى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفي صحيح الترمذي بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير أول البقرة ان الله تعالى خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على ألوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلق رأس آدم ووجهه من تراب الكعبة

صدره وظهره من بيت المقدس ونفذيه من أرض اليمن وساير من أرض مصر وقدميه من أرض الجاز ويده
اليمنى من أرض المشرق ويده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكان ماسا عليه ملأ من الملائكة
يبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال لامر
لخلق ثم ضربه بيده فاذا هو أجوف فدخل في فمه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا
خلق أجوف لا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم ان فضلت هذا عليكم فسألتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال
ليس في نفسي والله لئن فضل هذا علي لأعصينه ولئن فضلت عليه لأهلكنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون
ما كنتم تكتمون يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسر ابليس من المعصية وقوله تعالى الا ابليس أبى
استكبر وكان من الكافرين * (وفي) * الخبر أن جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة بمكة
يمطر السرور عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم في أولاده وتصير عاقبتها الى الفرح
والراحة * وأنشدنا في هذا المعنى أبو عوانة المهرباني

يقولون ان الدهر يومان كله * فيوم تحيات ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم تحبة * وأيام مكروه كثير البدائه

أنشدني ابن الاعرابي فقال

من الزمان كثير لا تنقضي * وسروره يأتيك بالفلتات

أنشدني أبو بكر الصولي لابن المعتز

أي شيء يكون أعجب من ذا * لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور تتوزن زنا * والبلايا تكال بالقفزان

* (الباب الثالث في صفة نفخ الروح) *

قال العلماء فلما أراد الله أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح كيف أدخل
في مظلم المدخل فقال للروح ثانية فعالجته فأبت وكذلك ثالثة الى أن قال في الرابعة ادخلي كرها أو طوعا
فلما أمرها الله تعالى بالدخول فيه تأولت ما أمرت به فدخلت في عينيه فصارتا درتين ثم مرت في جميع
جسده * والحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يري آدم ما خلق له حتى اذا نظر الى بعض
كرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت في خياشيمه فعطس فقال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجابه ربه عز وجل فقال
يرحمك ربك يا آدم الرحمة لك قال تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم نزلت الروح الى صدره وتراسيمه فأنس بما
تم فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقوله تعالى خلق الانسان من عجل فلما وصلت الروح
جوفه اشتهى الطعام فهو أول موضع دخل بعد آدم الا الله عليه السلام * (وفي) * بعض الاخبار
م عليه السلام لما قال له ربه جل ثناؤه يا آدم مد يدك وضعها على أم رأسه وقال أوه فقال الله تعالى يا آدم فقال
أذنبت ذنبا فقال من أين علمت ذلك فقال لان الرحمة للمذنبين فصارت تلك الرحمة في أولاده فأما أسباب أحدهم
سيئة أو محنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وصار ثم
ساه الله تعالى اياسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما وقف الذي سبق به القدر الجاري بقيت صورته مدة
أنا مله ابتدأ كر به أول ساله (قال عبد الله بن الحرث) كان الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه
سلام وكان النسر ياتي الحوت في البحر فيخبره بما في البر ويخبره الحوت بما في البحر فلما خلق الله تعالى آدم
يه السلام جاء النسر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيأ ليتراى من وكرى
بحر بجنبك من البحر فلما أتم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح فرطه وثقه موصو وضع عليه
نطقه وألبسه من لباس الجنة وزينه بانواع الزينة فخرج من ثنايا فوه كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله
يه وسلم في جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به في سمواتي

عيق كانهم البدو
فصارنا عليه ودقناه
والصرفنا مصر اعليه
فلما قربت عجز به
البرداد ثم سالت عن
ذلك الدرب فأرشدت
اليه فلما دخلت الدرب
نظرت فاذا بصبيان
يلعبون في الزقاق فنهض
من بينهم غلام صغير
السن حسن الوجه
فصيح اللسان فقال يا أبا
القاسم لعلك جئت
تخبر في بيوت الدعارة
الجنيد فتعجبت من
كلام الغلام على صغر
سنه وكاشفته ثم سلم
على وأخذ بيدي وأتى
الى باب داره وطرق
الباب فخرجت الي عجوز
عليها سيما الخير
والصلاح فسلمت عليها
وهي باكية العين حزينة
القلب ثم قالت يا بني
أرسلك ولدي عمرو فسألت
عن حاله ما تعمر فسألت
الغلام فقال لعل ما بغير
فقلت لها فقال لعله
ما بالمرد فسألت لها
الاخبار فقالت لعل ما بالبادية
مت شجرة بيلان فقلت
لها نعم فقال فاصلحي
عظمه وقالت ماء والماء
لا الى بئره أوصل ولا
معنا ترکه ثم شهقت
شهقة فارقت روحها
الدنيا رحمة الله عليها فقال
الجنيد فنظر الغلام الى
السماء وقال الهي وسيدي
ومولاي لامر أبي أخذتني

لابرى عجائبها وما فيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا وأطعنا فملئه الملائكة على أعناقها وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شئ من آياتها وعجائبها ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر يقال له المبون له جناحان من الدر والجواهر فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل آخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية الوسنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها (واختلف) العلماء في هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وأكثر العلماء على ان الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين *(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)*

قال المفسرون لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحشيا لم يكن له من يجالسه ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فاخذ الله ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيري فخلق منه حواء من غير ان أحس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو أحس آدم من ذلك شيئا لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بانواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم تمتعون عليه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء قال لانها خلقت من شئ حي قالوا صدقت فما ذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الي وأسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقمها تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها (وقيل) الحكمة في أن الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم حسنا وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فسادا *(وفي) بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا ان تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت *(وروى) سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يخلق جارية بعث الى الرحم ملكين أصفرين مكللين بالدر والياقوت فيضع أحدهما يده على رأسها ويضع الآخر يده على رجليها ويقولان بسم ربنا وربك الله ضعيفة خلقت من ضعيفة انطلق عليها ما ان الى يوم القيامة

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه في ذلك)

قال أهل التاريخ لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما نعيم الجنة كلها الا شجرة واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين (واختلفوا) في هذه الشجرة التي هي شجرة الخلد ما هي فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شئ علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الحنطة وقيل هي الكرمة فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فاكلا منها وهما عالمان بها من أكلا من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى أكلا منها وكان وسول عدو الله ابليس اليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره أصحاب الاخبار أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فادخلته في فيها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال طوبى لو كان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان

(وحكى عن السري السقطي رحمه الله ونفعنا به) قال كنت جالسا ببيت المقدس سنة من السنين عند الصخرة وكان ذلك في أيام العشر وأنا متحسر حزين على التخلف عن الحج في تلك السنة وقلت في نفسي ان الناس قد توجهوا الى مكة ولم يبق الا أيام قلائل وانا ههنا مقيم قال السري فبكيت على فواتي وتخلفي عن الحج في تلك السنة فسمعت هاتفا يقول يا سري لا تبك فان الله سبحانه وتعالى يبعث لك من يوصلك الى الحج في هذه الساعة قال السري فقلت كيف يكون ذلك وقد بقي أيام قلائل وأنا مقيم ببيت المقدس بعيد عن مكة فقال الهاتف يا هذا لا تخف فان الملك القدير يسهل عليه السير قال السري فسجدت شكرا لله عز وجل ثم جلست أرتقب صدق الهاتف فبينما أنا كذلك اذ أنا برهط قد دخلوا من باب المسجد كأن

منه فاتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا ألف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فادخله الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه اوهوفي كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوسل به الى آدم فمكث على باب الجنة ثلثمائة سنة تلا بأذن الله تعالى في خروج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال أنا طاؤس من طيور الجنة اسمي طاوس فتجلى ابليس فقال له الطاوس من أنت ومم تكاثرك فقال له ابليس أنا ملك من الملائكة الكروبيين وانما بكيت تاسفا على ما يلحقك وتلك من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاوس أيفوتني ما أنا فيه قال بلى وانك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبيدون الا من تناول من شجرة الخلد فانهم الخالدون من تلك الخلائق فقال الطاوس وأين تلك الشجرة قال ابليس هي في الجنة قال الطاوس ومن يدلنا عليها كما قال ابليس أنا أدلك عليها ان أدخلتني الجنة قال الطاوس كيف لي بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك لان رضوان خازن الجنة لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكني سادلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلكها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو هو دون غيره فانه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر الى فان لك فيه سعادة الابد لعلها تقدر على ذلك لجاه الطاوس الى الحية وأخبرها بمكان ابليس وما سمع منه وقال لها فيما رأيت بباب الجنة الكاس الكروبيين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخليه الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فاسرعت الحية نحوه فلما رآها قال لها ابليس تنحوا من مقالته للطاوس فقالت كيف لي بادخالك الجنة وهو ان اذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها أتحولي ريحا فتحملني بين أنيابك قالت نعم فتحول ابليس اعنه الله ريحا ودخل في فم الحية فادخلته الجنة فلما دخل ابليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وحواء وقف بين يدي آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان أنه ابليس فناح عليهما نياحة أسرتهما فبكيا وكان أول نائح فقال لهما ما يبكيك فقال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما وانفعلا لذلك وقبلا ابليس ورضيا ثم ان ابليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الخلد فقال نهاني ربي عنها فقال ابليس ما نهاكما عن أكلها من هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فابى أن يقبل منه فاقسم لهما بالله انه لهما من الناصحين فاغتر ابدا لما وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت سوءاتهما الى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها (روى) * بإسناد عن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحنفية يقول سمعت أبي يقول سمعت سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم لما أكل من الشجرة ودبت في بطنه ولا يستثنى ان آدم لما أكل من الشجرة ودبت في بطنه ولكن حواء عصمة الله حتى اذا سكر قادته البهائم كل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر جمعت البهائم كلها فلما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها ولا نأكل منها ولم يسعهما غير ذلك فوالهما بعزة الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا النهي عنها * وقال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الاشعث يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول لقد أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا * (وقال) * الشبلي أول الدنيا ردي هذا أبونا آدم باع عز به بكف من حنطة فلما أكل من الشجرة النهي عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الاولى) معاتبته اياهما على ذلك بقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين (والثانية) الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فصار آدم وصار هابل في الجنة فتلقته شجرة العناب فاخذت بناصيته وناداه ربه أفرارا مني يا آدم قال بلى يا رب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالمصر حياء يوم القيامة (وروى) ان آدم لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي بها عورته فرمحته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فاعطته ورقة فغطى بها سوأته يعني آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بان سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة

الشمس تشرق من وجوههم والنور يلمع من جباههم يقدمهم شاب على بغلة وبلالة وهم يمشون خلفه وعليهم لباس الشعر وفي أرجلهم نعال الخوص فدنوا من الصخرة ودعوا الله عز وجل فامتلأ المسجد من أنوارهم نورا قال السري فقلت لهم وقلت لعل هؤلاء يكونون هم الذين دعي ربهم ورزقني صحبتهم قال السري فدخلوا القبة والشاب قائم يناجي ربه ثم صلى كل منهم ركعتين قال فدنوت من الشاب لاسمع كلامه ومناجاته فبدر وكبر وصلى صلاة حسنة فوادى فلما فرغ من صلاته جلس وجلست الاثنين بين يديه قال السري فدنوت منهم وسلمت عليهم فقال الشاب يا سري عليك السلام يا سري يا صاحب الهاتف الذي هتف بك اليوم ربك أن لا يفوتك الحج في هذه السنة قال السري فكدت أن أصعق وامتلأ قلبي فرحا وسرورا ثم قلت نعم يا سيدي هتف بي الهاتف قبل ورودكم بساعة فقال الشاب يا سري كذا قيل أن يهتف بك الهاتف في بلاد خراسان قاصدا بغداد فقضينا معه ثمانا وعزمنا

وأعطاه الله عمرتين فى كل عام (والثالثة) أوهن جلده وصيره مظلما بعد ان كان جلده كله كالنافر وأبقى عليه من ذلك قدر ما يستر عليه أنامله ليتذكر بذلك أول حاله (والرابعة) أخرجه من جواره ونودى انه لا ينبغى أن يجاورنى من عصانى فذلك قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر الآية يعنى آدم وحوّاء وابليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود وقيل وباسم وحوّاء بجدة بدا من أرض الحجاز وابليس بالابلة من أرض العراق وهى بالبصرة وقيل مشان والحية باصبهان والطاوس بارض بابل * ويقال ان الحكمة فى اخراج آدم من الجنة انه كان فى صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لخطيرة القدس فاذا أخرجهم من صلبه أعاده الله اليها مالم يأكلوا فيها ويقال ان الله تعالى أخرج آدم من الجنة قبل ان يدخله فيها وذلك قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ولم يقل فى الجنة * أخبرنى نافل بن آذفر بن أحمد باسناده من عثمان بن عليّة قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر ان آدم قال كنا اسلاما من نسل الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الارض فلا ينبغى لنا الفرح فى الدنيا ولكن الحزن والبكاء مادمنا فى دار الشقاء حتى نرد الى الدار التى سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرنو بعينى راقد * ومشاهد الايام غير مشاهد
منك نفسك وصلة فأبعتها * سبل الرجاء وهن غير قواصد
تصلى الذنوب الى الذنوب وترتجى * درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت ان الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) الفرقة فرق بينه وبين حوّاء مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمى جمعا وتعارفا بعرفة فى يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة (السادسة) العداوة التى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى بعضكم لبعض عدو فالانسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدو والحية عدوته تلدغها اذا أمكنها وابليس عدوّهم جميعا وفيه اشارة الى أن الاحباب اذا اجتمعوا تعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين (والسابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال تعالى وعصى آدم ربه فغوى (وروى) ان ابراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالى فى أمر آدم فقال يا رب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا على ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فارحمنى الله تعالى اليه يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد (والثامنة) تسليط العدوّ على أولاده وهو قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الآية (والتاسعة) جعل الدنيا مجنة له ولاولاده وابتلاءهم بهواء الدنيا ومقاساة البرد والحر فيها ولم يكن له بها عهد لتعوّدهم هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سجسج لا حر فيها ولا قر (العاشرة) التعب والمشقة وذلك قوله تعالى ان هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهو أوّل خلق عرق جبينه من التعب والنصب

(فصل) وابتلت حوّاء ببناتها بهذه الخصال وخصّ من عشرة خصلة سواهن (الاولى) الحيض يروى أنها لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى ان لك على أن أدميك أنت وبناتك فى كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحيض ان هذا شئ كتبه الله تعالى على بنات آدم (الثانية) ثقل الحمل (الثالثة) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفى الخبر لولا الزلة التى أصابت حوّاء كانت النساء لم يحضن ولكن حاضت وكن يحملن سرا ويضعن سرا (الرابعة) نقصان دينها (الخامسة) نقصان عقلها عن أبى سعيد فى حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للبّ الرجل الحازم من احداكن قلن له وما نقصان عقلنا ودينا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أوليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها (السادسة)

على التوجه الى بيت الله الحرام فاحببنا زيارة قبور الانبياء بالشام ثم بعد ذلك نقصد مكة شرفها الله تعالى وعظمها وقد قضينا حقوقهم وزرناهم وأتينا الى هنا نزور بيت المقدس قال السرى فقلت له يا سيدى وما كنت تصنع بخراسان قال لاجل الاجتماع بابراهيم بن أدهم وبمعروف الكرخى اخواننا فى جميعا نقصد مكة فجئت الى بيت المقدس وذهبا هما من طريق البادية الى مكة قال السرى فقلت يرحمك الله ان من خراسان الى بيت المقدس مسيرة سنة فقال يا سرى لو كانت الطريق ألف سنة العبد عبيده والارض أرضه والزيارة لبيته والقصد اليه والبلاغ عليه والقوة والقدرة له أما ترى الشمس كيف تسير من المشرق الى المغرب فى يوم واحد فهى تسير بقوتها أم بقوة القادر وارادته فاذا كانت الشمس وهى جماد لا حساب عليها ولا عقاب تقطع من المشرق الى المغرب فى يوم واحد فليس ببعيد ان يبلغ عبد من عبيده من خراسان الى بيت المقدس فى ليلة واحدة فان الله تعالى له القدرة فخرج

نصيبها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين (السابعة) تحيضون بالعدة (الثامنة) جعلهن تحت أيدي الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم (التاسعة) ليس لهن من الطلاق شيء ولا يملكن ذلك وانما هو للرجال (العاشرة) حرمن الجهاد (الحادية عشرة) ليس منهن نبي (الثانية عشرة) ليس منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة عشرة) لا تستلم واحدة منهن الامع ذي رحم محرم (الرابعة عشرة) لا تتقدمهن امرأة (الخامسة عشرة) لا تسلم يمين وعاتب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء (أولها) عزله من الولاية وكان له ملك الارض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة (الثانية) أخرجه من جواره وأهبطه الى الارض (الثالثة) مسخ الله صورته فصيره شيطانا بعدما كان ملكا (الرابعة) غير اسمه وكان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى (الخامسة) جعله امام الاشقياء (السادسة) لعنه الله (السابعة) نزع منه المعرفة (الثامنة) أغلق عنه باب التوبة (التاسعة) جعله مريدا أي نائما من الخير والرحمة (العاشرة) جعله خطيب أهل النار وعاتب الحية خمسة أشياء قطع يواتها وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعدان كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها عدوة لبني آدم وهم أعداؤها حيث ما رؤيتم فاقتلوها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلها في الصلاة وفي حال الاحرام * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا هن فقد حرم بناهن من تركن شيأ منهن خيفة منه فليس مني يعني الحياء أخبرنا ابن (١) قال حدثنا سعيد ابن يونس قال أخبرنا داود بن محمد بن أبي الاسين المدني عن أبي الاحوص الحنفي قال بينه ابن مسعود خطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشي على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا فقد حل دمه

* (الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه) *

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أهبط آدم الى الارض على جبل سرنديب وذكر أن ذروته أقرب جبال الارض الى السماء وكان طول آدم على الجبل ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان آدم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الى ربها فقلصت قامته الى ستين ذراعا وكان على ذلك رأسه يسمع صياح أولاده الصلم فانتقص من قامته ذلك فالعرب تكنى بالرجل ليس له ولد ولا يسمع ولا يجيب ونزلت آكلة فيما روى أنها حيث أصيب فاهبطت الى هذا الجبل وكنت أنا وأبي والملائكة نراهم كيف يتعبون بعرض وأجدوا في الجنة وطيبها ثم أهبطت الى الارض وطلبت الى ستين ذراعا فانقطع عني الصوت والنور وذهبت عني رائحة الجنة فأوحى الله تعالى اليه يا آدم فقال لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فقال أهبطتك من جواري بذنب واحد وأنت في بلدي وحرمي تعصيني فقال يا رب هذا شيء كتبته علي قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعته من تلقاء نفسي أو شيء قدرته علي قبل أن تخلقني فقال لا بل شيء قدرته

الهوائيلن يعبدوا بنتار
ثم قال ياسري حملك
بغير الدنيا والآخرة وابالة
أن تدخل الى ذل الدنيا
والآخرة فقلت له
ياسيدي أرشدني الى خير
الدنيا والآخرة برحمك
الله تعالى فقال لي من
أراد غني بلا مال وعلما
بلا تعلم وعزا بلا عشيرة
فليخرج حب الدنيا
من قلبه ولا يرى ان لها
ولا يعلمن قلبه فيها قال
السري فقلت له ياسيدي
بالذي خصك بأنواره
وأدلك على أسراره
أين تقصد قال أريد الى
بيت الله الحرام وزيارة
قبر نبي الله ابراهيم عليه
أفضل الصلاة والسلام
فقلت له والله لا أفارقك
فانه مرافقكم على أشد
من قرار الرجل للبعد
فقال بسم الله وخرج
وخرجت معه من بيت
المقدس فلم نزل نسير
حتى قال يا سري هذا
وقت الظهر فانزل
فقلت له بلى وسرعت
على الركاب فقال ان هنا
عين وقليل بنابين ماء
الطريق فاذا بين ماء
أحلى من الشهد وشربت
وشربت ثم قلت له والله
ياسيدي لقد سلكت
هذه الطريق مرارا
عديدة ولم يكن هنا ماء
فتبسم وقال الحمد لله
على لطفه بعباده قال

عليك فبسل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفرلى * وقال محمد بن كعب القرظى هى قول لااله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم لااله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفرلى انك أنت الغفور الرحيم لااله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت أرحم الراحمين * وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هى قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ثم أنزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة ورفعها وضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقى وباب غربى وفيها قنادبل من نور ثم أوحى الله تعالى الى آدم ان لى حرما تحت عرشى فانه فطف به كما يطاف حول عرشى وصل عنده كما يصلى عند عرشى فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى أرض مكة ماشيا وقيض الله له ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وما تعداه مفاوز وقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء بالمنيا وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمى ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم عن قبال أتمنى المغفرة والرحمة فسمى ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى أرض الهند قال مجاهد حدثنى ابن عباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج الا كان يركب قال وأى شئ كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنؤنه بالحج وقبول التوبة فقالوا يرحمك الله يا آدم قد احسلك من ذلك شئ فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام فتقاصرت الى آدم نفسه (وقال) أبو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجر الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الاكليل وتعلق الورق فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان أصل كل طيب بالهند (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند فى أودية الهند وكان أصله من الجنة فامة لا ماهنالك طيبا فمن ثم يؤتى بالطيب من الهند وأصله من ريح آدم عليه السلام وريحه من ريح الجنة وأنزل الله معه الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى وقيل كانت من البان (وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعى بن خراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذى كان لباسه من الجنة فيبس وتطاير بأرض الهند فنبت شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يارسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال أجل انما هى دابة تشبه الغزال ربعت من ذلك الشجر فصيره الله المسك فى مرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يارسول الله فان يقع قال لى جبريل فى ثلاث كور لا يكون فى شئ من الارض الا فيها أرض الهند وأرض السعدى وأرض التبت قالوا يارسول الله العنبر انما هى دابة فى البحر قال أجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى فى البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها وما معها فقذفها فى البحر وهى أعظم ما تكون من الدواب غنمها ألف ذواع وانما ترمى به كما ترمى البقر أنثاها فر بما يخرج من جوفها العنبرة وزنها ألف رطل وخمسمائة رطل ونحو ذلك ثم ان آدم وجد ضربانا فى رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه جبريل الشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال ان فى هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام وداء جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فانك ان تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء ان بق فى جوفك لم تخف منه وان خرج أخرج الداء كله وأبرأه فاكل آدم فبرئ (قال) أهل الاخبار ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فانزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة فى سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشا منها فاذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجا آدم فجعل منه سبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحواء أول من غزلت

السرى فصلينا صلاة الظهر وسرنا الى قريب العصر فبانت لنا أعلام الحجاز ولاحت لنا جبال مكة فقلت هذه أرض الحجاز فقال وصلت الى مكة فانحنى البكاء ثم قال يا سرى تدخل معنا قلت نعم فدخلنا من باب الندوة فرأيت رجلين أحدهما كهل والآخر شاب فلما نظراه تبسما وقاما فعانقاه وقالا الحمد لله على السلامة فقلت له يا سيدى من هؤلاء فقال اما الكهل فابراهيم من أدهم وأما الشاب فمعروف الكرخى قال السرى فسلمت عليهما ثم جلسنا الى ان صلينا صلاة العصر والمغرب والعشاء بالحرم فقام كل منهم الى صلاته وقت معهم بحسب طاقتى فغلبنى النوم فى المسجد فنمت فلما انتبهت لم أجد منهم أحدا فصرت كالمجنون الهائم وطفت عليهم فى المسجد الحرام وفى مكة فى سنين فلم أجد منهم أحدا فرجعت باكيا حزينا على التفلت عنهم رضى الله عنهم أجمعين * (وحكى عن عثمان الجرجانى رضى الله عنه) انه خرج يوما من الكوفة أريد البصرة فرأيت فى الطريق امرأة تجيز أعلى جبل من جبال الرمل وهى تمشى

دم أول من لبس الصوف (عن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه
لم فقال يا رسول الله ما تقول في حرفتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال أنا رجل سائل قال
فقال حرفة أبينا آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وان الله
وجل يحب حرفتك فانها حرفة تحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال لك تكسب النبي فأبونا آدم خصمه ومن أنف
كم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا
بشر وافان حرفتكم حرفة مباركة تكون آدم قائد كم الى الجنة (وعن) أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله
ى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلة الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وان
نار في الصوف ليورث القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجري في الجوف مجرى الدم ان
ر تفكره قل طعمه وكل من قل تفكره كثر طعمه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من
نة قريب من النار قالوا ثم ان آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال لجبريل ما الذي أصابك
ل أجد في نفسي قلقا واضطرابا لا أجد الى العبادة منه سبيلا واني أجد بين جلدي وجلدي دبيبا كدبيب النمل
له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف أهديك الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه
رين أحمرين والعلاة يعني السندان والمطرقة والملقطة والكلبتين ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع في يد آدم
ومنه شرارة فوقعت في البحر فدخل جبريل اليها وأتى بها فدفعها الى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك بسبع
ت فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم بعد ان غسلت بالماء
ع مرات فلما جاء بها الى الشامة نطقت النار فقالت يا آدم اني لا أطيعك واني منتقمة من عصاة أولادك يوم
امة فقال جبريل يا آدم انها ان تطيعك ولكني أمنعها الا ولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع
نها في الحر والحديد فذلك قوله تعالى أفرأيتم النار التي تورون أأنتم الآية ويروى ان آدم لما أتى النار
ترقت يده فقال عنها فقال جبريل ما لها تحرق يدك ولا تحرقك قال لانك عصيت الله واني لم أعصه ثم أمره
يل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بسبع قطع من حظائر الجنات من الجنة فقال يا آدم
حبتان وطوا عدة فذلك قول الله تعالى ذكر مثل هذا الذكر من الانثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وزنة الف ألف درهم
ا آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم غرسها فانهم ايأتيك منه ما لا غنى لك عنه من الجنة وبها تقوم
دنيا وبها تلقى الفتنة أنشر أولادك الى أن تقوم الساعة ثم أمره أن يدق الحبوب ويكسر من الحب
عه علم ما فعل ذلك وجعل يحرث الارض عليه ما فهو أول من حرث الارض وبذر الثور ان على ما قام ما
ساك الجنة فقلبت ثم مرها على الارض فنبت منها البلوط وسمي بالافنبت منها الحلس وراتا فنبت منه
دس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه السلام والله
ه فقال لا اصبر حتى يدرك فاستعجل وأفرك قال آكله قال لا وعلى الحصاد قال آكله قال لا وعلى
س فلما داس قال آكله قال لا وعلى التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا وعلى الطحن فلما طحنه
آكله قال لا وعلى العجن ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه أمسه جبريل أن يبعث الى الماء
من المستحدثة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال آكله قال لا فامره أن يسفر سفيرة ويتبع الخطيئة فلم يزد
نارا ففعل ذلك ثم وضع عجينه على جسه فخبزه فلما أخرجه قال آكله قال لا
يبرد فلما برد آكله فلما آكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله
وعدك ذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما آن لك أن تأكل من
بك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكا من بطنه لم يدر ما هو فشكا ذلك الى
يل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فلم أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له احفر الارض فما
ر شبرا حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ما لا أردى من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم
منه شربة فشربها فاطمأن ثم انه بعد ذلك وجد تشكيكا أشد من الاول والثاني فقال لجبريل ما هذا الذي

وتقول الهمي ما أبصد
الطريق على من لم
تكن له دليلا وما أوحش
الطريق على من لم تكن
له أنيسا قال عثمان فذهبت
منها وصلت عليها فرددت
على السلام وقالت من
أنت يرحمك الله فقلت
لها عثمان الجرجاني
فقالت حياك الله يا عثمان
أين تريد فقلت أريد
البصرة لحاجة فقالت
يا عثمان هيهات أعلمت
ما سبب الحاجة يوجه
بها الليل ولا يقعد بها
فقلت ليس بيني وبينه
تلك المعرفة فقالت وما
الذي حملك من معرفته
قلت كثرة الذنوب فقالت
والله يا عثمان ما
ياس الله وصل محبك به
الا لعلمه بقوة
وقضى مرة أبصر من
غير سبب فقال عثمان فلما
سمعت قولها تركت وعاد
ا أريد من الحاجة فقال
أعانك الله على ما عنه
وجنبك ما عنه قال فلما
عزمت على الانصراف
أخرجت من جيبي دراهم
كانت معي فتشهيت بين
وبينها وقلت تشتري هذه
النفقة استعين بها على
حالي فقالت يا عثمان
من أين لك هذه الدراهم
فقلت لها ان رجلا
أصعد الى الجبل
واستطيبه منه فعلها
واحمله على رأسي وأبيعه

أجده قال لا أدري فبعث الله اليه ملكا فشق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك سبعين سنة (قالوا) لما أنزل الله الى آدم الحديد نظر الى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر أشجارا قد عتقت ويبست فأوقد على ذلك الحديد حتى ذاب وكان أول شئ صرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذي ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي فار بالعذاب بالهند (قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة حل (وقيل) ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فاما التي هي في القشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط والنارنج والرمان والموز وأما التي لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب والقرسك والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والمقل وأما التي لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والاترج والقثاء والخيار والبطيخ (وقال) ابن جريج أهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آنية فيها بزر عريشة من عنب وريحانة فغرس آدم العريش فلما طلعت جاء ابليس فسرق ثمرها فقال له آدم ويلك أخرجني من الجنة ولا تريد أن تجعل لي رزقا فقال له ان لي فيها حقا قال وما حقك قال نشوها ولكم سائرها (وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآس وهي سيدة رياحين الدنيا وبالسنبلة وهي سيدة طعام أهل الدنيا وبالحنوة وهي سيدة عقار الدنيا (وروى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الحنوة من غراس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر العرني فكلوه فانه يمسح في شجره ويستعذر لآكله (وقال) ابن عباس لما أهبط آدم الى الارض كان أول شئ أكله من الثمار التين وقال كعب أول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصلح المعيشة الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما أهبط الى الارض ورأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال يارب أما لارضك هذه من عامر يسبحك ويحمدك ويقدسك غيري قال الله تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحني ويحمدني ويقدسني وسأجعل فيهم بيوتا ترفع بذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدني حق عبادتي وسأجعل من ذلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي فأسميه بيتي وأنطقه بعظمتي وعليه وضعت جلالي وأجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمتي حلاله وما فوقه وما تحته فمن حرمه بحرمتي استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فيه فقد أخفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويضجون بالبكاء ضجيجا ويجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الي وزارني واستضافني فحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وان يسعف كلا بحاجته يا آدم تعمره ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده وأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قرية بمكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء النار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على ذلك فهو من أهل النار (وقال) وهب بن منبه رحمه الله أوحى الله الى آدم بعد ما تاب عليه يا آدم اني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ وأما التي لك فاجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فان ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال آدم

في أسواق المسلمين وأنفق ثمنه فقال له نعم الكسب الحلال احل ما أكل المرء من كسب يمينه ولكن ياعثمان لو ضحيت معاملة ذي الجلال واتكلت عليه حق الاتكال لكفاك حمل الاحطاب من رؤس الجبال ثم قال ياعثمان أريدان أريك كيف صحبت معاملتي مع سيدي وصدق التوكل عليه فقلت بلى فبسطت يدي ولو هممت بشتمها فاذا بها مملوأة بالدنانير فقلت خذ هذه أنت ياعثمان فوالله ما طبع عليها اسم ملك ولا سلطان واعلم انك لو أحببت مولاك لاغناك عن الخلق وكفاك ثم غابت عني فلم أرها فنفعنا الله تعالى بها آمين

*(وحكى عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه انه قال) * كنت ملاحا بنيل مصر اعدي من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينما أنا يوما من الايام جالس في الزورق اذا أنا بشيخ ذي وجه مشرق قد أقبل علي وسلم علي وقال تحملني لله قلت نعم ثم قال ثانيا وتطعمني لله قلت نعم فقلع الزورق فعديته الى الجانب الغربي فبكان عليه مرقعة وسبحة وكوزة

بشغلت بطلب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست أعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا فاهبط الله
لي البديكا فاسمع أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول لابس الحديد آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع
سبيح في السماء سبح في الارض فيسبح آدم بتسبيحه (ويروى) أن الله تعالى أوحى الى آدم لما أراد أن يهبطه
الارض يا آدم اني منزلك أنت وذريتك دارا مبنية على أربع قواعد أما الاولى فاني اقطع ما تسألون وأما
انية فاني أفرق ما تجمعون وأما الثالثة فاني أخرب ما تبنون والرابعة أميت ما تلدون وانك قيل

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكم يصير الى ذهاب

(الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض ومعالجته فيها بعد اللعنة)

الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية (قال الشعبي) أنزل ابليس من السماء على سرعة ليس
ت ذقنه منها شيء أعور في اسدى رجليه نعل (وروى) ابن المبارك عن ظالم بن سعيد بن هلال انما كره أن
صر في الصلاة لان ابليس هبط متخصرا (وروى) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير أن
يس قال يارب أخرجتني من الجنة من أجل آدم واني لا أستطيعه الا بسلطانك قال فانت مسلط عليه قال يارب
ني قال لا ولده ولد الاولاد الثلاثة قال يارب زدني قال صدورهم مساكن للشر وتجري منهم مجرى الدم قال يارب
ني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال
يارب قد سلطتني على واني لا أمتنع منه الا بك قال لا ولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب
ني قال الحسنة بعشرة أمثالها وأزيدها والسيئة بمثلها واحدة وأمحوها قال يارب زدني قال قل يا عبادي الذين
رفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال يارب زدني قال التوبة لا أترنها من ولدك ما كانت الروح
م قال يارب زدني قال أغفر ولا أبالي قال حسبي (وروى) ان ابليس قال يارب لعنتني وأخرجتني من الجنة
جعلتني شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبعثت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسولي قال الكهنة
فما كتبي قال الوشم قال فما حديثي قال حديث الكذب قال فما قرآني قال مزامير الشعر قال فما مؤذني قال
ذلك المزمار قال فما مسجدك قال السوق قال فما بيتك قال الحمام قال فما طعامك قال طعام ما لم
كر اسمي عليه قال فما شرابك قال كل مسكر قال فما مصايدي قال مصايدك النساء (وروى) مقاتل
جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان ابليس لما خرج من الجنة ألقى الله على الحرورة والغلفة فتكلم نفسه فباض
بيض فنفاذريته (وروى) اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال لقيني ان ابليس تزوج الحية التي
ل في فيها حين كلم آدم عليه السلام بعد ما أخرج من الجنة فنهاذريته

(الباب الثامن في ذكر ما روي من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فرآه عيانا وكلمه اياها)

روي ان آدم النقي يا بليس في أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له يا ملعون أي شيء هذا الذي أحللت بي شر وثني
خرجتني من الجنة وفعلت بي ما فعلت قال فبكى ابليس وقال يا آدم اني لعلت بك ما تقول وأنزلت هذه المنزلة فمن
لي بما أنا فيه وأصلني هذه المنزلة (ويروى) ان ابليس تصور وتفرعون في صورة الانس يصرفي الخيام فانكره
ون فقال له ابليس ويحك أما تعرفني فقال لا قال فكيف وأنت خلقتني ألست القائل أنا ربكم الاعلى (ويروى
سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال أي الاعمال أحب اليك وأبغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك
الله تعالى ما أخبرتك اني لست أعلم شيئا أحب الي وأبغض الى الله تعالى من استخفاف الرجل بالرجل والمرأة
رأة (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من آدمي الا وقد عمل خطيئة أو هم بها الا يحيى بن زكريا
ما عمل خطيئة ولا هم بها ولقد قال رب أرني ابليس كما هو واعزم عليه ان لا يكلمني شيئا سألته عنه فاوحى الله تعالى
ابليس ان ائت عبدي يحيى بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكلمه شيئا سألك عنه فاتاه وقال يا يحيى انا ابليس
ني ربي ان آتيك كما هبطت الى الارض فنظر اليه يحيى فاذا على رأسه خطاطيف تطير وسعة وامخفوقتان
لوا زكور وهنا وكور وهنا وفي رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التي تطير على رأسك قال بها أخطف
ول بني آدم قال فما هذه الخلاخيل التي في رجليك قال أحركها لبني آدم حتى يغنى أو يغني له قال فاي ساعة أنت

فلما نزل قال أريد أن
أسألك أمانة قلت وما هي
فقال اذا كان في شهر
عذار الظاهر عندي ميتا
تحت تلك الشجرة
فغسلني وكفني في الكفن
الذي تجده تحت رأسي
وصل علي وادفني تحت
تلك الشجرة فان قبري
بها فاذا فرغت من أمري
خذ هذه المرعة والركوة
والعصا فاذا بملك من
بعالبهم فادفعهم اليه
قال فتعجبت منه ثم
تركني ومضى فبت تلك
الليلة متفكرا فلما
أصبحت انتبهت الوقت
الذي قال عليه الشيخ
فلما بلغ وقت الظاهر
نسيت فلما الهيت الا
قريب العصر فصرت
اليه مسرعا فوجدته
قد مات الشجرة ميتا
ووجدت كفنا تحت
رأسه نفوح منه رائحة
المسك قال فغسلته
وكفنته فيه وصليت عليه
وحفرت تحت الشجرة
فوجدت قبرا مهيأ سواه
فدفنته فيه ثم عدت الى
مرعاي ليلا والمرعة
والركوة والعصا معي
فلما طلع الفجر وبان
البرد اذا أنا بشاب قد
أقبل فقدت النار
اليه فعرفته وكان من
بعض صبيان الملاهي
يرقص ويغني وعليه
ثياب رقاق وهو مخضوب

على ابن آدم أقدر قال حين علي شبعا ورياقال فهل وجدت في نفسي شيأ قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم البك طعامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيته البك حتى أكلت أكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيي لاجرم لا أشبع أبدا فقال ابليس لاجرم لا أنصح آدميا أبدا * وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا في جهازه وخرج الناس وخلا الموضع قال ابن عباس قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا علي لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع في قلبي من ذلك شئ وقلت ويلك من أنت فان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف آخر يهتف ياعلي صوته غسله ياعلي فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدخل قبره مغسلا قال علي جزاك الله خيرا فقد أخبرتني أن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم (ويحكى) ان قوما من بني اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف هو قفا كنت تقف بين يدي الله تعالى حسبما كنت تقف قبل أن تعصيه قال انكم لا تطيقون رؤية ذلك فالحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه ما توا عن آخرهم (ويروى) ان رجلا كان يلعن ابليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم نائم اذ أتاه شخص فايقظه وقال قم فان الجدار هاهو يسقط فقال له من أنت الذي أشفقت على هذه الشفقة فقال له أنا ابليس فقال كيف هذا وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة فقال هذا ما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى نفشيت أن تكون منهم فتنال معهم ما ينالون

* (الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل) *

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا الى آخر القصة قال أهل العلم بقصص النبيين وأخبار الماضين ان حواء كانت تلد لآدم توأمين في كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانه ولدته منفردا وكان جميع من ولدته حواء أربعين من ذكر وأنثى في عشر بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثر الله في نسل آدم كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفا ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلاف العلماء في وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد (وقال) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن تهبط الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وجعا ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما ولم تر معهما دما ولا طهارة لبنه فلما هبطا الى الارض واطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والعلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوج أي اخواته شاء الا توأمته التي ولدت معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا أخواتهم وأمهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما في بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وكان بينهما سنتان في قول الكلبي وأذكروا أمر الله تعالى آدم أن ينكح لبودا أخت هابيل قابيل ويتكح هابيل اقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجمل النساء وأحسنهن خلقا فذكر آدم ذلك لولديه هابيل فرضي وسخط قابيل وقال هي أختي وأنت مع في بطن وهي أحسن من أخت هابيل فانا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فانا أحق بأختي فقال له أبوهما لا تحل لك فابى أن يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمره بذلك وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفرا الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أهبط آدم وحواء الى الارض وجمع بينهما وولد له بنات فسمى اها عناق فبغت وهي أول من بغى في الارض فسلط الله عليها من قتلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها عمالة في صورة انسية وخلق لها رجلا

وأوحى الله الى آدم أن زوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله الى آدم حورا في صورة أنسية وخلق الله لها رحما وكان اسمها تركة فلما نظر اليها هابيل ورمقها أوحى الله الى آدم أن زوجها من هابيل ففعل فقال قابيل يا أبت أنت أكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكنك آثرته علي بم والله فقال له ان كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه فقالوا وكانت القرابين حينئذ اذا قبلت نزلت نار من السماء فاكلتها واذا لم تقبل لم تنزل نار لا كلتها وتاكلها السباع فخرجا بالقربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردأ زرعه وأضوئه في نفسه مما يأبى أن يقبل مني أم لا يتزوج أختي أبدا وكان هابيل راعيا صاحب ماشية فقرب كبشا سمينا من خيار ماشيته ولبنا وزبدا وأضمر في نفسه الرضا بالله والتسليم لامره وقال اسمعيل بن رافع ان هابيل نتج له كبش في غنمه قلم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قربه قال فوضعه قربانه ما تم ما مل الجبل فنزلت نار من السماء فاكلت الكبش والزبد واللبن ولم تاكل من قربان قابيل سيئا لانه لم يكن بزاكي القلب وقبل قربان هابيل لانه كان زاكي القلب فما زال الكبش يرتع في الجنة حتى فدى به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل ونظروا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغي وكان يضمرهما قبل ذلك في نفسه الى ان أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء احفظيني ولدي بالامانة فابت فقال ذلك للارض والجبال فابيا فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجيع وتراه كما يسره فرجع آدم وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل أمانة أبيه ثم خانه قالوا فلما غاب آدم أتى قابيل الى هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتسكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس انك خير مني وأفضل ويفتخر ولدك على ولدي فقال له هابيل وماذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين (قال) عبد الله بن عمران المقتول كان أشد ولكنه منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية أي طاوعته وساعدته فقتله قال السدي لما قصد قابيل قتل هابيل راغ هابيل في رؤس الجبال ثم أتاه يوما من الايام وهو نائم فرضخ صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل أخاه فمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه ووضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقال بعضهم على عقبة حراء وعن محمد بن جرير الطبري قال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الاعظم لما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بني آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى نزوج وهلكت عليه الطير والسباع ينظرون أين يريح به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له في الارض ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة أخي فاصبح من النادمين يعني على حمله لا على قتله وروى عن الاوزاعي قال حدثني المطلب بن عبد الله المخزومي لما قتل ابن آدم أخاه جفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله أين أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك ينادي في من الارض فلم قتلت أخاك قال فان دمه لك كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا (ومن) الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وصر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

لما سرجت الى موقف
البناءين لانظر جمالا
لبناها الحائما فنظرت الى
شاب نحيف ذي وجه
نظيف فجئت اليه ووقفت
بين يديه ثم قلت له سيدي
أتريد الخدمة فقال نعم
فقلت سر علي بركة الله
تعالى فقال بشرط أشترطه
عليك فقلت وما هو قال
الاجرة درهم ودانق فقلت
نعم قال واذا أذن المؤذن
تدعني أصلي مع الجماعة
فقلت نعم فسار معي الى
منزلي فخدم خدمة لم أر
مثلها ولا أحسن منها
فذكرت له الغداء فقال
لا تعرفت انه صائم فلما
جاء وقت صلاة الظهر
وسمع الاذان قال الشرط
يا سيدي فقلت نعم قم
فتوضأ وتوضأ
ما رأيت أحسن منه ثم
خرج الى الصلاة مع
الجماعة في المسجد ثم عاد
الى خدمته الى أن سمع
أذان العصر فقال
الشرط يا سيدي فقلت
له نعم فرن وصلى العصر
مع الجماعة وعاد الى
خدمته فاتيت اليه
وقلت له حبيبي ان خدمة
البناءين الى العصر فما
تستريح فقال سبحان
الله انما كانت خدمتي
الى الليل قال فلما جاء
الليل أخرجت له درهمين
فلما رآهما قال ما هذا قلت
والله يا سيدي هما من
بعض أجرتك لاستحلالك

(وروى) عن ابن عباس أنه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سريانى وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته فى ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يا بنى انك وصيى فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر فى المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فازداد به ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل أذاق الموت هابيـ * ـل واجزا لقد فقد المليح
ومالى لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولها زنين * لها بلها وقابلها يصيح
لقتل ابن النبى بغير جرم * فقلبى عند قتلته جريح
وجاورنا الحين ليس يفنى * عدو لا يموت فنستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلكا جميعا * بموت ليس بالثمن الربيح
وما يغنى البكاء من البواكى * اذا ما المرء غيب فى الضريح
فأبلت النفس وانزل عن هواها * فلست مخالدا بعد الذبيح

فاجابها ابليس لعنه الله شامتا بها

تنح عن البلاد وساكنيها * فقى الجنات ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك فى رخاء * وقابيل من أذى الدنيا مستريح
فما زالت مكايدتى ومكرى * الى أن قاتل الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحى * بكفك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن أبى الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم أتى فقيل له مالك لا تضحك ولا أبكاك قال وما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره هبة الله يعنى أنه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق فى كل ساعة منها وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصى آدم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فاخذ بيد أخته اقليما وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فاتى اليها ابليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر بواحد من ولد الارماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبو لك قابيل فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه أبو لك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت أبى برميتى وقتلنى ابنى بلطمتى قال مجاهد فعلقت احدى يدى قابيل الى فخذها وساقها وعاقبت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه فى الصيف حظيرة نار وفى الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير والمكوى اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام وبقى نسل شيث عليه السلام والله أعلم

(الباب العاشر فى ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار ان آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث

كتب وديته ودفعها الى شيث وأمره أن يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل بسبب امه له بن خصه آدم بتزويج أخته فلما خاف عليها أيضا أن يقتله حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ماء دهم ن الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به (وروى) أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما أخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فاذا فوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم نور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهر وهو أضوءهم نورا فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال رب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا أن تزيده أنت من عمرك فقد سبق القلم باعمار بني آدم كان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى ن عمره تسعمائة وستون سنة جاءه اليه ملك الموت ليقبض نفسه فقال آدم عجلت على يا ملك الموت قال ما فعلت بل أنت بتوفيت أجلك قال آدم فذهب من عمري أربعون سنة قال ألم تعط ابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له بيأ فانزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله تعالى لا كمل لادم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فلهذا أمر الله بالكتاب والشهود ومن يومئذ (قال) ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه سمي الرحمن وقد فتحت الملائكة وشيث وأخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي أول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه حنوط وكفن من الجنة وولت الملائكة غسله وقد فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاثة ثياب ثم حملوه ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم * وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن اسحق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكان وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم

(باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام)

قال الاستاذ خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه في أحسن صورة وأتم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ولقد أكرمنا بني آدم على ثم قال له بر جلنر بلنفسيقتك رحمته فضيه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل وأباح له جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته في الارض وعرف الملائكة فضله عليهم ولعن ابليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتبه الملائكة بسببه وهو أول حامد وأول تائب وأول مجتبى وأول مصطفى وأول خليفة لله في الارض وهو المبرز الدراج الطيب من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم شرفه وكرمه والله أعلم

(مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا * قال أهل العلم بأنباء الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن برد وقيل يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم واسمه أخنوخ وسمي ادريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمهما شوث وكان ادريس أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر في علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الى السماء على ما قال ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشيت في الشمس يوما فاذا بت كيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فما حال الذي قضيت على فيه فقال

وأخرج ما فيها وأمسكه عندك فاذا دفنتني وفرغت من أمري فصل الرشيد وأدخل له ما أحب في الجيب وأقرئه مني السلام قال فلما كان الغد وصل الى تلك الطيبة فوجد جنازته على ما ذكر رحمة الله تعالى عليه قال فتأسفت عليه أسفا شديدا ثم اشتغلت في غسله وتجهيزه وكفنته وصليت عليه في الطيبة ودفنت قبره بها كما قال ثم فتشت جيبه فرأيته فيه ياقوتة تساوي ألف دينار قال فتعجبت من ذلك وقلت والله لقد زهد في الدنيا كل الزهد قال فلما فرغت من أمره وانصرفت من عنده انتظرت خروج هرون الرشيد فلما خرج في موكبه تعرضت له في بعض الطريق ودفعت اليه الياقوتة فلما رآها خرمشها عليه فاحتز شئ الذي معه ودار وأبى فلما أفاق قال ما اعجلك عما أمرتك به ثم أشفق بعدي وسني بي الى مجلسه وقال يا أخي ما فعل الله بصاحب هذه الياقوتة فقلت له مات الى رحمة الله تعالى ثم وصفت له كل ما كان منه قال فعل الرشيد يبكي ويقول التمع الولد وخاب الوالد ثم تأوه يا فضل انه لجاءت امر

تعالى ان عبدى ادريس سألنى أن أستخف عنك ثقلها وحرها فأجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فاذن الله له فكان ادريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت انك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لى اليه ليؤخر أجلى فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حمل الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه أتى الى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة فقال له أفعل لك كل شئ أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فينقدم فى نفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فأخبره باسمه وقال انك كنت فى انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال انى لاحد به يموت عند مطلع الشمس قال فانى أتيتك وتركته هنالك فقال له فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات والله ما بقى من أجل ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا

*وقال وهب كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم فى زمانه فعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال انا ملك الموت استأذنت ربى أن أزوره وأصاحبه فأذن لى فى ذلك فقال له ادريس ألك حاجة قال وما هى قال اقبض روحى فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد استعدادا ثم قال له ألك الى الله حاجة أخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لى أبواب النار حتى أردها ففعل ذلك ثم قال فكما أرى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكيما فخاصمهما فقال له الملك ما لك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذنى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حى هنالك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله أعلم *(قصة هاروت وماروت)*

قال الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف فى مدة زوال ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ما ملككم سليمان الا بهذه قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة انسان فأتى نفرا من بنى اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسى سليمان وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا له أدن فقال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك انه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فاما علماء بنى اسرائيل وسحارهم فقالوا معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان وأما الجهال والسفلة فاقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فأنزل الله هذه الآية اظهارا لعذر سليمان وبيانا لبراءته فهذه قصة الآية وأما قصة هاروت وماروت فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك فى زمن ادريس النبى عليه السلام عيروهم بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغى لنا أن نعصيك فقال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم قال الكلبى قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو

ماروت

ار وتعزر يائيل واتخاذ غير اسمها لما افترقا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى
فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم وأهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك
والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزر يائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه الى
السماء فاقاله ورفعه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطاطأ رأسه مستحيا من الله تعالى وأما الآخران
فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكر الاسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء قال
قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال علي رضي
الله عنه كانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها أعجبت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت
وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس
وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح
من خمر وفي نفسها من الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فابت وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة
لغير الله أمر عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ورقصا بالمرأة وزنيا بها فرآهما
انسان فقتلاه قال الربيع بن أنس ومجاهد الصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا قال علي رضي الله عنه والسدي
والكلبي انها قالت لا تدركاني حتى تعلماني الذي تصعدان به الى السماء فقالا نصعد باسم الله الاعظم فقالت فما
تتكلمان به حتى تعلماني قال أسدهما لصاحبه عليها فقال اني أخاف الله فقال الآخر فان رحمة الله تعالى فعلماها
ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا * قال الاستاذ نعلي قول هؤلاء هي الزهرة بعينها
قال الآخرون هي هذا الكوكب الاحمر واسمها بالنارسية ناهيد وبالقبطية باذخت يدل على صحة هذا القول
ما أخبرنا به يحيى بن اسمعيل باسناده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
رأى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين هاروت وماروت * وقال
مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي اوسق الكوكب يعني الزهرة فاذا طلعت فايقظني فلما طلعت أيقظته
فنظر اليها وسبها ساعة فقلت يرحمك الله تسب نجما سلمها الله فقال انها كانت بغيا فلما كانت منها
ما كان مسخت فكانت هي وأخواتها كواكب وكذلك قال ابن عباس وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي
جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بهم فقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وانما كانت التي فتنت
هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة فجعلها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الزهرة ذكر تلك المرأة فوافقت هذا الاسم فلعنها وكذلك سهيل العشار كان وبيلا فلما رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا النجم الموافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه بدل على ما روى قيس بن سعد عن ابن عباس في هذه
القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب فلما رأوها
سمى هاروت وماروت بعد ما طاوعاها الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما
فصعدا الى ادريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله تعالى فقال ما أرى ذلك يصعد
من العباد مثل ما يصعد جميع أهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال فخير الله تعالى ادريس بين ذلك فخيرهما الله بين
عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما ببابل يعذبان * واختلف العلماء في كيفية
عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من أقدامهما الى أصول
أفخاذهما وقال مجاهد يلجب نارا فيعلقهما وقال عمرو بن سعيد هما معلقان منكسان في السلاسل يضربان
بسياط أحديد وروي ان رجلا قصدهما لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة أعينهما مسودة
وجوههما ليس بين ألسنتهم وبين الماء الا أربعة أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما
قال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس قالا له ومن أي أمة أنت قال من
أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أو قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمد الله تعالى وأظهر الاستبشار فقال
الرجل ومم استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا * وروى هشام عن عائشة أنها قالت قدمت

وسألني العجبة فقلت
له يا أمير المؤمنين ان لي
قي ولدا لك عقلة وعيرة ثم
مضيت من عنده حزينا
على ذلك الشاب رحمه
الله تعالى ورضي عنه
* (وحكي عن الاصمعي
رضي الله تعالى عنه انه
قال) * حججت سنة من
السنين الى بيت الله
الحرام وزيارة النبي عليه
أفضل الصلاة والسلام
فبينما أنا في الطريق
اذا أنا برجل اعرابي بيده
سيف عريض ورمح طويل
كان يقطع بهما الطريق
لاخذ أسباب المسلمين
وأموالهم فلما دنا مني
أراد أن يأخذ أسبابي
فاسرعت نحوه وسلمت
عليه فرد علي السلام ثم
قال من أين الرجل فقلت
له فقير وعابر سبيل فقال
ما صناعتك فقلت اقرأ
القرآن وأعلمه فقال
المسلمين فقال ربما يكون
القرآن فقلت كلام الله
عز وجل فقال أوتيه
كلام فقلت نعم فقال
الاعرابي فانشدني من
كلامه شيئا قال الاصمعي
فقرأت بسم الله الرحمن
الرحيم وفي السماء رزقكم
وما توعدون فسري
الاعرابي سيفه ورمحه
وقال تبا لقاطع طريق
وخائن سبيل رزقه في
السماء وطلبه في الارض
ثم تاب الى الله تعالى
وعاهده أن لا يعود الى

امرأة من دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدمونه تسأله عن شئ فدخلت فيه من أمر السحر وما تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكي حتى رحمتها ثم قالت اني لأخاف أن أكون قد هلكت ثم قالت كان لي زوج غاب عني فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفري فأبيت فقلت لا قالا فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت لأبول ففزعت فلم أفعل فرجعت فقالا فعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيأ فقلت لم أر شيأ فقالا لم تفعلي شيأ فارجعي الى بلادك ولا تكفري فأبيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت قلت لم أر شيأ قالا كذبت لم تفعلي فارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس أمرك فقالا لا فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبدت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب حتى ما أراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني وذهب في السماء فلم أره قالا صدقت ذلك اعمالك خرج منك فاذهبي فقلت لا مرأة والله ما أعلم شيأ ولا قالا لي شيأ فقلت لا تريدين شيأ الا كان تحذي هذا القمح فابذريه فبذرته ثم قلت له اطلع فطلع فقلت له احصد فحصد فقلت انفرك فقرك ثم قلت اطحن فطحن ثم قلت اخبز فخبز فلما رأيت اني لا أريد شيأ الا كان سقط في يدي فرجعت وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيأ قط ولا أفعله أبدا * قال الاوزاعي بلغني أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابهم صب في ماء الارض جميعا لقتل من ذائقه ولو ان حلقة من السلسلة التي ذكرها الله وضعت على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا دخل النار وخرج لمات أهل الارض من نتن ريحه ونشوبه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه وقال أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وبكى جبريل فقال يا جبريل أتبكي وأنت الروح الامين أمين الله على وحيه قال أتأمنان أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت وفهذا الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نودي من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة

(مجلس في قصة نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه الآية وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن برد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل ابن بحوئيل بن أخنوخ أرسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث * قال ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذا ابليس شيأ مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه في السنة فتخرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى * قال ابن عباس كان آدم أوصى أن لا ينا كح بنو شيث بني قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليه حفاظا الثلاثة يقربه أحد من أولاد قابيل وكان الذي يأتونه ويستغفر لهم بنو شيث فقال مائة من بني شيث صباح لو نظرنا ما فعل بنو عمنا بعنوت بني قابيل

وقال يا نبي الله
يا رشيق الله أتم زأبي
لكون اعرابيا والله لولا
ما بلغه وبهذه وشاهد
قسما لشكرتك الى
حبيبي محمد صلى الله عليه
وسلم قال فتبسم النبي
صلى الله عليه وسلم وقال
أما تعرف نبيك يا أعرابي
العرب فقال الاعرابي
لا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم فما عاتبه
فقال آمنت بنبوته ولم
أره وصدقت برسالته ولم
ألقه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يا أعرابي
اعلم أني نبيك في الدنيا
وشفيعك في الآخرة
قال فاقبل الاعرابي
يقبل قدمي النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
صلى الله عليه وسلم
يا أيها العرب لا تتعلق
كما تفعل الاعاجم على ملوكها
فان الله سبحانه وتعالى
بعثني لا متكبرا ولا
جبارا بل بعثني بالحق
بشيرا ونذيرا قال فهبط
جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
يا محمد السلام يقرئك
السلام ويخصك
بالتحية والاكرام
ويقول لك قل للاعرابي
لا يفوتنه كرمنا ولا حلمنا
فقد احاسبه على
القليل والكثير والفتيل
والقطمير فقال الاعرابي
أو يعاتبني ربي
يا رسول الله قال نعم

بعثت المائة الى نساء السفهاء صباح الوجوه من بني قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ما شاء الله
قال ما أنت ترى لو نظرنا ما فعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبسهم النساء ثم هبطا بنو شيث كلهم
ظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثر بنو قابيل حتى ملؤا الارض وأكثروا الفساد فبعث الله اليهم
يهم نوحا وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويخوفهم بأسه
يعذرهم بمعاريته كما أخبر الله تعالى بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا وقال
الى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين
د وى) الضحاك عن ابن عباس انه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلقى فلا يدعه ثم يأتي فيبشره فيرون انه قد
ات ثم يخرج فيدعوهم حتى ابن من ايمان قومه فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصا فقال
يني انظر الى هذا الشيخ يا بني أن يغرك فقال يا أبت سكني من الصفا عصاه الصفا فقال ضعني في الارض فوضعه
شي اليه فضربه بالعصا فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بي عبادك فان يكن لك في عبادك حاجة فاهدهم
ان يكن غير ذلك فصبرني الى أن تحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك
لا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فآيسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق في أصلاب الرجال ولا أرحام
نساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصوني الآية الى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق
نسرا وقد أضلوا كثيرا وهي أسماء أصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذر على الارض
ن الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا
ي هلاكا ودمارا فأجابه الله دعاءه وأمره أن يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا الآية قال
نع يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء حتى أغرق أهل المعصية وأبرح أرضي منهم قال
ح يا رب أين الماء قال يا نوح اني على ما أشاء قدير قال نوح يا رب وأين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج
أنبت على ذلك أربعون سنة وكف في تلك المدة من الدعاء فلم يدعهم فاعقم الله تعالى أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد
لما أدرك الشجر أمره ربه أن يقطع الشجر فقطعه وجففه ثم قال يا رب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله أزورا
لى ثلاث صور رأسه كرأس الديك وجوفه كجوف الطير وذنبه كذنب الديك ثلاثا رابعها ما بقي واجعل
بوابه في جنبها واجعلها ثلاث طبقات واجعل طولها ثلاثين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وارفعها في السماء
لاثين ذراعا وقوله الزراع الا المنكب هذا قول أهل الكتاب ثم ان الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع
لشجر ويضرب الحديد ويمر عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون عليه وهو في عمله فيسخرون منه
يقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون الا ترون الى هذا المجنون يبتغي بزعمه على الماء
يضحكون منه وذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فقال نوح ان تسخروا
نا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وأوحى الله الى
ح ان عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبي على من عصاني فاستعن عليه بالله وتوكل عليه واذا رأيت الماء
ار من تنور بيتك فاركب أنت ومن معك في الفلك فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع
لحيوان كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليهم من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران
لتنور آية بينه وبين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور قد فار فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل
فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور أي عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل
فيها من كل زوجين اثنين الآية (واختلف) العلماء في قوله تعالى وفار التنور قال علي بن أبي طالب رضي الله
عنه يعني طلع الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الارض والعرب تسمي وجه الارض

تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع في الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور الذي يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته واختلفوا في موضعه فقال مجاهد كان ذلك في ناحية الكوفة (وروى) السدي عن الشعبي أنه كان يحلف بالله ما فار التنور الا في ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران الماء على التنور دليلا على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام في موضع يقال له عين وردة وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فعمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى (قال) ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة فأقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فحمل نوح يقول ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كما تزل بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج يا عدو الله قال ما أخرج وما كان بدلك أن تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (قال) مالك بن سلمان الهروي ان الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلايا فلا أحملكما فالا احملنا ونحن نضمن لك أن لا تضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضراه (عن) وهب بن منبه قال لما أمر الله تعالى نوحا أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالاسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال أنت يا رب قال فأنا أؤلف بينهم حتى لا يتضار وا فحمل نوح السباع والدواب في الطبقة الاولى فألقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب حموما وان طال عمره * لعمرك ما الحموم دوما سوى الاسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه في الطبقة العليا شفقة عليها لانها تلد شيئا شيئا * واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى وأهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن يرسو السفينة قال بسم الله فرست واذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية * ومن آمن وما آمن معه الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته فجاء بالسودان (قال الكلبي) أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى ما دام في السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عبرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كانوا آمنوا معه وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين ونوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجعله معترضا حاجزا بين الرجال والنساء * قالوا فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخلوها وحمل معهم من حمل تحركت ينابيع الارض والغوط الاكبر وأمارت السماء كأفواه القرب كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعني التقى ماء السماء وماء الارض فحمل الماء ينزل من السماء وينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء وبين احتمال الماء الفلك أربعين يوما وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وكان عهد

عباسك ان شاء الله تعالى
الاعرابي وعزته وجلاله
ان حاسبني لاحاسبنه
فقال صلى الله عليه وسلم
وعلى ماذا تحاسب ربك
يا أيها العرب فقال
الاعرابي ان حاسبني
ربي على ذنبي حاسبته
على مغفرته وان حاسبني
على معصيتي حاسبته على
عفوه وان حاسبني على
بخلي حاسبته على كرمه
قال فبكى النبي صلى الله
عليه وسلم حتى ابتلت
لحيته فهبط جبريل
عليه السلام على النبي
صلى الله عليه وسلم وقال
يا محمد السلام يقرئك
السلام ويقول لك
يا محمد اقلل من بكائك
فقد ألهبت حملة العرش
عن تسبيحهم قل لا تحاسبنا
الاعرابي لا يحاسبنا ولا
نحاسبه فانه رفيقك في
الجنة * (وحكي عن عبد
الرحمن بن المهتب رضي
الله عنه انه قال) صرت
يوما بسوق الرقيق
فوجدت دلالا ينادي
على عبد ويقول أبيعه
على عيبه فقلت للدلال
ما العيب الذي في هذا
العبد فقال يا مولاي
سله فدنوت من الغلام
وقلت ما العيب الذي
فيك فقال يا سيدي
عيوبي كثيرة ولا أدري
بأيها شهرتني فقلت
للدلال أخبرني ما العيب
الذي في هذا الغلام

كنعان الجبال ثم اقتص من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا (وروت) عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك انها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فرببته الى ابطها حتى بلغت به قلته فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتها رفعته بيديها حتى ذهبت بهما الماء فلو رحم الله أحدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة باهلها الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شئ حتى أتت الطور فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان بحجة آدم مسبابله من العرش وهو البيت المعمور وخبأ جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل بحصين من أرض الموصل فاستقرت عليه قال مجاهد ثناخت الجبال وتطاولت لئلا يناله الماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لامر ربه الجودي فلم يغرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى واستوت على الجودي (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد بادماعلى وجه الارض من الكفار ومن كل شئ فيه الروح والاشجار فلم يبق شئ من الحيوانات الا توهم ومن معه في الفلك والاعوج بن عنق فذلك قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين أي هلاكا (قال) ابن عباس كان عوج يتجزر بالسحاب ويشرب منه من طوله ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بين الشمس يرفعها ثم يأكله فقال نوح احملني معك فقال اخرج باعدو الله فاني لم أؤمر بحملك وطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ راكبي نوح بن عنق فلما استوت السفينة على الجودي قيل يا أرض ابلعي ماءك أي اشربي ماءك وغيضي الماء أي ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الارض لانه لم يبق في الارض من ماء الطوفان وبقي في الارض أربعين سنة ثم ذهب (وروى) عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلا من يشهد السفينة نجدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب سام ابن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له بإذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا بل مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكان ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير فلما كثر روث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فاكلاه فلما كثر الفأر في السفينة وجعل يعرض حبالها وذلك أنه تولد في السفينة أو حى الله تعالى الى نوح أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج منه سنور وسنورة فاقبلا على الفأر فاكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح ان البلاد قد يبست قال بعث الغراب فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد جفت قال وطوقها الله الخضرة التي في عنقها وجعل لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله ألا نطلق به الى أهلنا فيؤنسنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا * قال أهل التاريخ أرسل الله الطوفان لثلاثة عشر يوما خلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح والتقمتا ألفي سنة وستمائة وستين سنة بين أهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء وأقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سألين صام نوح وأمر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام الغبار الى الماء فامروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة (عن) ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا فلما خرج نوح

الغلام كيف بأن يهدا الصريخ في كل سنة أم في كل شهر أم في كل يوم فقال بل هو أمر في كل يوم فقال يا مولاي اذا استولى داء المحبة على القلب سرى في الاعضاء واذا استولى على الجوارح انتشر جلو المحبة على سائر الجسد فحينئذ يزايل العقل بذكر الحبيب فحينئذ على القلب استعرافا وعلى البدن سكونا فيستغنيه الجاهل بجنون فقال عبد الرحمن فعلمت ان الغلام من أولياء الله تعالى فقلت للدلال كم تمن هذا الغلام فقال مائتا درهم فقلت وثلاثمائة فوزنت له الثمن وأخذت الغلام وأتيت به الى الدار ثم أمرته بالدخول فابى وقال يا سيدي ألك أهل فقلت نعم فقال ومن يستطيع الفرار الى غير مولاه فقلت له قد أبحت لك ذلك فقال معاذ الله ولكن مهما كان لك من الخير واثر منه فيها وأنا دون الباب قال عبد الرحمن فشكرت صنيعه وخرجت ثم أخرجت له الغد ما يصلح فاتى بما فاقام عندي في دهليز الدار فرجعت اليه نصف الليل فوجدته قائما يصلي ولم يشعر بي فلما فرغ من صلاته

ومن معهمن السفينة اتخذ فى ناحية من أرض الجزيرة موضعا وابتنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها ان آمن معه وهم ثمانون فهى اليوم تسمى سوق ثمانين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك الثمانمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره ألف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاويل العلماء وكذلك هو فى التوراة وقال عون بن أبى شداد عاش نوح بعد الطوفان ألف سنة الا خمسين عاما وقبله ثلثمائة وخمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح ألفا وثلثمائة سنة (ويروى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه سام وجعله ولى عهده وكان ولده سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقبل لما حضرته الوفاة دعا ابنه سام وهو بكره فقال يا بنى أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين فأما اللذان أنهاك عنهما فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللذان أوصيك بهما فانى رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جعلت السموات السبع والارضون السبع حلقة حلقة حتى تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله فى كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع وما فيهما وأوصيك بسبحان الله فانها صلاة الخلق وبها يرزقون

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهى خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمى بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان أول نبى من أنبياء الشريعة وأول داع الى الله تعالى وأول نذير من الشرك وأول من عذبت أمته لرد هم دعوته وأهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى أوحى اليه بعد الطوفان انى خلقت خلقى وأمرتهم بطاعتى فانتهكوا معصيتى فاشتد ذلك غضبى فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصنى وعذبت بذنوب بنى آدم جميع خلقى فبى حلفت الى لا أعذب بمثل هذا العذاب أحدا من خلقى بعدها ولكن اجعل الدنيا دولا بين عبادى ثم أجزيهم بأعمالهم اذا اجتمعوا عندى وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل له أكبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته فى نفسه لانه عمر ألف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبالغ أحد من الرسل فى الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق نبى من أمته من الضرب والشتم وأنواع الاذى والبلاء ما لقى ولذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثانى المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الميثاق والوحى قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وفى البعث هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظه بما فيه وأجراه فوق الماء وسماه شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وأكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية (قال) محمد بن كعب القرظى دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل (وروى) عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام أن لا يولد لولده أذناهم وحيثما كان ولده يكونون عبيد الولد سام ويافث فلما هبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده أثلاثا فجعل لسام وسط الارض فله بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك ما بين قيسون الى شرقى النيل وما بين مجرى الجنوب الى مجرى الشمال وجعل لحام قسمه غربى النيل وما بين مجرى ريح الجنوب وما وراء ذلك الى سيحون الى بحر هريح البربر وجعل قسم يافث من قيسون فما وراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وترك كلمة فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

(مجلس فى قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الى قوله ويزدكم قوة الى قوتكم وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانوا

فسمعته يقول فى مناجاته الهى أغلقت المساوك أبواب ادبابك مفتوح للسائلين * الهى غارت النجوم ونامت العيون وأنت الحى القيوم الذى لا تأخذك سنة ولا نوم * الهى فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه وأنت حبيب المتهجدين وأنيس المتوحشين * الهى ان طردتنى عن بابك فبمن ألتجئ الهى ان قطعتنى عن جنابك فبمن ألتجئ * الهى ان عذبتنى فانى مستحق للعذاب والنقم وان عفوت عنى فانت أهل الجود والكرم ثم جلس ورفع يديه وبكى وقال يا سيدى لك تخلص العارفون وبفنائك تعلق الصالحون وبرحمتك أناب المقصرون يا جبل العفو أدفنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك فان لم أكن أهلا لذلك فانت أهل لذلك يا من هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال عبد الرحمن فدخلت موضعى ولم أنشوش عليه فلما أصبح الصباح خرجت اليه وسلمت عليه وقلت له كيف نمت البارحة فقال يا سيدى أرى نيرانا من خلفه النار والعرض على الملائكة الجبارة والتوبيخ

ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشحر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهو رمال يقال لها رمل عالج وهو ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض وكثروا وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يعط غيرهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة أي عظما وطولا وقوة وشدة (قال) أبو حمزة اليماني كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبي كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا (وقال) وهب كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى فمنها صنم يقال له صدى وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح * وقال محمد بن اسحق بن يسار وهود ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد ان مضى من عمره ثلاثون سنة فأمرهم هود أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا بطشة الجبارين كما قال تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أجهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة عارف بحرمتها ومكانها من الله تعالى وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت الخيبري رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل وعتيل بن صد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان بن صد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي والله ما أدري كيف أصنع بهم استحيي ان آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون أنه ضيق مني بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم عيامى
وان الوحش يأتيهم جهارا * ولا يخشى لعادي سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وأنبتم الى ربكم سقيتم فأظهر اسلامه عند ذلك فقال

ثم بكى بكاء طويلا فقلت له أتبكي رحمك الله تعالى فبكى وقال يا سيدي ومن كان في [illegible] العبودية [illegible] وقد ذهب مني أحدهما أعتقك الله من نار جهنم قال عبد الرحمن فدفعت المنشفة الى [illegible] قبولها وقال انا المتكفل بالارزاق حتى لا [illegible] نوب هائما على وجهه لا أدري أين ذهب رضي الله تعالى عنه * واشوقاه الى أرباب القلوب وواحسرتاه على فوات المطلوب * يا صبوحا في سجن الغفلة لو أشرفت على وادي الانس لرأيت خيام القوم مضروبة على شاطئ بحر كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون [illegible] أغمضان [illegible] بالليل الاسحار وهم [illegible] السهر [illegible] الكدر [illegible] [illegible]

شعر

هذا المحب [illegible] المحبوب قد [illegible]
وسائح الكل [illegible] مضروب [illegible]
وقد اداروا على العشاق خمرته
صرفا [illegible] البصرا
يا سعد كرر لنا ذكر [illegible]

جهلة بن الايهم قال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد تبع دين هود عليه السلام

أباسعد فانك من قبيل * ذوى كرم وأملك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفد * ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى وتتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخا كبيرا اجلسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم أعطى سؤلى ولا تخلنى فى شئ مما يدعو به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد فدأمرهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل سؤال النامع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان ابن عاد ولم يدخل فى دعوتهم فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقى اللهم لم أجئ لمريض فادا وبه ولا لأسير فافاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فاما قد هلكنا فانك الله سحاب ثلاثة واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم نادا منادمن السحاب ألا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فنادا المنادى يقول اخترت يا قيل رمادا رمددا لم تبق من آل عاد أحدا الا والدا ترك كولدا الا جماتهم رميما همد الا بنوا الويدة الهمدا وبنوا الويد نرهط من هزال بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من وادلهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أى كل شئ مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما بينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها (أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسن أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن علوية أنبأنا اسمعيل بن عيسى أنبأنا اسحق بن بشر أخبرنى المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى الى الريح العقيم أن تفرج على قوم عاد فتنتقم لهم منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على قدر مخرقو رجت الارض رجت الارض مما يلى المشرق والمغرب قال فقال الخزان يا رب ان بطيقوها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فاوحى الله اليهما ان اخرجى فاخرجى على قدر خرمة انائهم وهى الحلقة قال فصخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين عليهم وتلذه الانفس وانها من عاد لتمر فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا (قال) محمد بن اسحق والسدى بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطيرهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فاخرجتهم منها فهلكوا فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيورا سود التقيهم فى البحر فالقتهم فيه (قال) ابن بشر لما خرجت الريح على عاد من الوادى قال قيل تعترضها منهم أحد هم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم فى ذلك الزمان تعالى واستقوم على رأس الوادى فردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمى به فى دبر منقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخلجان فمال الى الجبل فأخذ بجانب منه فهزه فاهتز فى يده ثم أنشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه * يا لك من يوم دهانى أمسه
ثبات الوطء شديدا بطشه * لو لم يجئنى جثته وحبسه

فقال

قال له هود ويحك يا خلجان أسلم تسلم فقال له مالي عند ربك اذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم في
صحابك كأنهم الجن قال هود ذلك الملائكة قال ان أسلمت أبقى في ربك نعم اترى ما الذي يحملك هل رأيت
ذكا يقيد من جنوده فقال لو ثمل ما رمت بك فباعث الريح فأخذته بأصحابه وأهلكته وأفنى الله عادا سوى من بقي
من قومهم بمكة ونواحيها (أخبرنا) الحسين بن محمد الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السني أخبرنا
أبو يعلى الموصلي أخبرنا اسحق بن أبي اسرائيل وعبيد الله بن عمر القواريري أخبرنا جعفر بن سليمان الضبعي
أخبرنا فرقد السنجي عن عاصم عن عمرو البجلي عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث
من هذه الامة على طعام وشراب وهو فيصبحون قردة وخنازير وبصيبهم خسف وقذف فيقولون لقد
خسف الليلة ببني فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عادا بشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم
القينات ولبسهم الحرير وقاماتهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه
فأقاموا عنده اذا قيل وجبل على ناقته له في ليلة مقمرة من أمصار عاد فأخبرهم بما لاقت عاد فقالوا له أن فارقت هودا
وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة
فنور بن بعفر ابن أخي معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنزتين دعوا
لنا قد أعطيتم منا كم فاختار والا نفسكم فقال مرثد اللهم أعطني برا وصدقا فأعطي ذلك وقالت لي أختار أن
يبقى ما أصاب قومي فقيل له هلاك فقال لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فاه ابا الذي أصاب عادا من
العذاب فهلك وقال لقمان بارب أعطني عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بعرات سمر من أطلب منزلا يسعها
نظر أو عمر سبعة أنسر اذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستقر بقاء الابعار واختار عمر النسور فصار عمر
كل نسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها فيربيه حتى اذا مات أخذ غيره
ولم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى الى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ
ما ان ياعم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخي هذا البد ولبد بلساننا هم الدهر فلما انقضى عمر لبد
وت النسور غدا لقمان من رأس الجبل ولم ينهض لبد فنهاها وكانت نسور لقمان لا تغيب عنه فمال فلما رأى لبد الم ينهض
النسور وقام الى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان في نفسه وهنا ولم يكن وجده قبل ذلك فلما انتهى الى الجبل
ى نسره لبدا واقطابين النسور رفادا ما نهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فمات لقمان منه وبه يرى
ل أنى أبد على لبد وقال النابغة الذبياني

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذي أخنى على لبد

ل محمد بن اسحق قال محمد بن سعد بن جميع قول الراكب الذي أتى هودا هلاك عاد شعرا

عصت عادا رسولهم فأمسوا * عطاشا ما بأيديهم الماء
وصير وقدهم شهر اليبوسا * فأردفهم مع العطش العناء
بكفرهم بربهم جهارا * على آثارهم عاد العفاء
ألا نزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم فسد هواء
من الرب المهين اذ عصوه * وما تغني النصيحة والشفاء
فنفسي وابتغائي وأم ولدي * لنفس نبينا هود فداء
أتانا والقلوب معنيات * على ظلم ومذهب السفاه
لنا صنم يقال له صمود * يقابلنا بسدي والهباء
فما بصروه الذين له أتانوا * وأدرك من يكذبه الشقاء
واني سوف أحلق آل هود * وانجوه اذا جن المساء

ه ومن آمن معه وبقي هود ما شاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة
ت علي رضي الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر يقال له بمدرة حمراء وأراك وسدر

يعجب ولا أعرفه فقلت يجيء
يعرفه بعيسى المجنون
قال فتقدم اليه فاذا
هو شاب أجمل فتى أدم
وعليه جبة من صوف
بالفرات وهو يقول يا ملك
ذا في سلاوحبته كيف
ينقطع عن حبه ثم لم
يزل يردد القول حتى
غشي عليه فقلت لصاحبي
والله ما هو بمجنون وانما
المجنون من يصل الى
هذا المقام ثم أفاق
من ثمرته قال فما بالكم
تشاورون الى فقام الى
دواء يشفي من الداء الذي
نجده قال الذي أبلى
بالله عنده الدواء ولكن
الذي به داء دوي يخفى
فلنا ما ذا يخفى قال بقرا
الطرف وتشبيب الكلام
ومراقبة اللحاظ العلام
الغيوب فما أبلى الناس
تماثم ثم يفيقا طويلا
ولكنا معشر الشاة نحن
أحبابنا قد ابتلاهم
لسنا من شهدا
البلاء فما صبرنا
فقال صدقت والله ورأيتم
المغفرين ثوبا كأنه
وجهك في الثوب
وعليك بالله فقال
فانظر فانه صوف عجبا
من استواله على عقله
فلم يزل يعظه
باهذا هذه حال المحبين
من حب ما يبيد فكيف
بك أيها العاقل اللبيب
يدعوك مولاك فلا تجيب
ويستحضرك في حضرة

كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين انك لتنعت لي نعت رجل قد رآه قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الخضر حي وما شأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام أنبأنا أبو عمر وأحمد بن أبي العرابي أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا الفضل بن يحيى الجندي أنبأنا يونس بن محمد أنبأنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن الساب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام في ثلثان البقعة (وفي رواية أخرى) كان النبي من الانبياء اذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتي مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله أعلم

(مجلس في قصة صالح عليه السلام)

قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وأراد بهما القبيلة قال أبو عمر وبن العلاء سميت ثمود لقلة ماءها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكر محمد بن اسحق بن يسار والسدي والكلبي ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم في بعض أن عادا الاولى لما أهلكهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا في الارض فلما فيها وكثروا وعمروا وسئى جعل بعضهم يبني المساكن من الحجر والمدر فتهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوا منها وبأسوها وجوفوها وكانوا في سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا في الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عمارا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فلم يقبله الا قليل مستضعفون فلما أبلغ عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أي آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شئ مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة يعني الصخرة المنفردة من الجبل في ناحية الحجر يسمونها الكاثبة فاتنا بها مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظاما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويتابعوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا أوثانهم ورباب بن صعصعة وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب ابن خليفة فأرادا أن يسلم فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال الرجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهمت أن يتبعوا الكتابا
لأصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل عمرو * تولوا بعده وشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكنت الناقة ومعها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال

قربه وأنت في المغيب الى
متى أنت في التضييع * راك
ومالك منه نصيب اللهم
تب علينا ووفقنا لطاعتك
يا مجيب
*(وحكى عن محمد بن
أبي الفرج رضي الله تعالى
عنه أنه قال)* احتجت
في شهر رمضان الى
بلوبة تصنع الطعام
فرأيت في السوق جارية
ينادي عليها بثمن يسير
وهي مصفرة اللون نحيلة
الجسم يابسة الجلد
فاشتريتها رحمة لها وأتيت
بها الى المنزل فقلت لها
خذي أوعية وامضي معي
الى السوق لنشتري
حوائج رمضان فقالت
ياسيدي أنا كنت عند
قوم كل زمانهم رمضان
فعلمت انهم من الصالحات
فكانت تقوم الليل كله
في شهر رمضان فلما كانت
ليلة العيد قلت لها امضي
بنا الى السوق لنشتري
حوائج العيد فقالت
يا مولاي أي حوائج
العيد تريد حوائج
العوام أو حوائج الخواص
فقلت لها صفي لي حوائج
العوام وحوائج الخواص
فقالت ياسيدي حوائج
العوام الطعام المعهود في
العيد وحوائج الخواص
الاعتزال من الخلق
والتفريد والتفريغ
للخدمة والتجريد
والتقريب بالطاعة
للملك المجيد والالتزام ذل
العبودية فقلت لها انما

لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها فما ترتفع رأسها الا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتنضج ثم ترويح عليهم فيحلبون من لبنها ما شاؤا فيشربون ويدخرون ويعلفون أوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه لانها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال أبو موسى الاشعري أتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ما شاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادي فتهرب منها أغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادي في سرحها وحديقته فكانت المواشي تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادي في البرد والجدة فانعكس ذلك مواشيهم للبلاء والاختبار فكان مرتعها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى سعوا على عقر الناقة فاستوالى عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مخلد وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن الهلي وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن مهرج وكانت مؤمنة جيلة ذات مواش كثيرة وكانتا بها تان المرأتان من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا محتالتين في عقر الناقة من كفرهما بصالح لما أضرت بمواشيهما وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فاسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح عليه الصلاة والسلام حتى نفد المال فاطلعت صدوق على اسلامه فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله تعالى فابت عليه وأشفقت أولادها فغيبتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها على أولادي فما أدع عليها قالت سقى أما تكل الى بني عمي وذلك ان بني عمها زوجها كانوا مسلمين فابت أن تحاكمهم اليهم فقال لها بنو عمها والله لتعلمن لينه ولله طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق وعنيزة احتالتا في عقر الناقة للشقاء الذي كتب عليهما فاقدعت صدوق غلاما من ثمود يقال له الحباب فاغرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فابى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا وأكثرهم مالا وأسمحهم كفا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف من أهل قدمي واسم أمه قديرة وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ويزعمون انه كان لزنية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له باقدار أصلبان من بناني أعماشت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا في قومه وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انبعث أشقاها رجل عزيز في قومه مثل أبي زمعة فالوا فانطلق قدار ومصدع فاستعانوا بابن استعانوا من ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون فلقيهم هديات ابن مبلغ خال قدار وكان عزيزا من أهل الحجر ودعير بن غنم بن دابرة أخي مصدع وخسلم تذكر أسماؤهم فاجتمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره أوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد لعاشر ابن قابى أن يذبح ابنه وكان بكرا لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر أزرق أصهب فابت نبأ ناسر يعا وكان اذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله قالوا نخرج فنرى الناس أنا قد خرجنا السفر فنأتي الغار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكمن فيه ثم نتصرف بعد ذلك الى رحالنا فنقول ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا ويظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام الليل معهم في القرية وكان يأوي الى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه في الليل فاذا أصبح أتاهم ووعظهم وذكرهم فاذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار وأصهر والهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الى الغار فاذا هم برضخ فرجعوا يصيحون

أريد حسوا من الطعام فقال ياسيدي أي طعام تعني طعام الاجساد أم طعام القلوب فقالت لها صفيهما لي فقالت اما طعام الاجساد فهو القوت المعتاد وأما طعام القلوب فترك الذنوب واصلاح العيوب والتشبع بمشاهدة المحبوب والرضا بحصول المأمول وهو الجمع الشروع والتقوى وترك الكبر والدعوى والرجوع الى المولى والتوكل عليه في النعم والنبوى ثم انها قامت تصلي فقرأت في الركعة الاولى سورة البقرة الى آخرها ثم شرعت في آل عمران الى آخرها فلم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت الى سورة ابراهيم الى قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن وراءه عذاب غليظ قال فلم تزل تكرر هذه الآية وتبكي الى أن أغمي عليها وسقطت الى الارض فخرجت فاذا هي ميتة رحمة الله تعالى عليها

(وحكي عن الاصمعي رضي الله تعالى عنه قال) خرجت حاجا الى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون اذ خرج

في القرية يا عباد الله ما قتل صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة قالوا لهلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلنا قتله وان كان كاذبا كان قد ألحقنا به ناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم بأن العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك (قال) السدي وغيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدار وكان يشب في كل يوم شباب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة شباب غيره في الشهر ويشب في الشهر شباب غيره في السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فاراد واما يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن لو كانا أخذ الماء الذي تشرب به هذه الناقة فنسقيها نعاما وحوشنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم (وقال) كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها طظام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان أنا كلمت الليلة قدارا ومصدعا فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح وناقته فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها أطعنا كافلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة (قال) ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم وعنيزة وأمست ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فتراءت لقدار وأبصرت له عن وجهها وعرضت على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فارداها وطعن في لبتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له صوه وقيل اسمه فارة وروى ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمر بن الخطاب قال فاتى صالح عليه السلام فقيل له أدرك ناقتك فقد عقرت فاقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رآهم أوعى الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول في السماء حتى ما تناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وهم مصدع وأخوه ذؤاب وولد مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فانزله وألحقوا الجميع لحم أمه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وبما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وفيه يقول الشاعر

أؤمل ان أعيش وان يومي * بأول أو بأهون أو جبار
أو المردي دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة أو شيار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته انكم تصبحون غدا مؤنس وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم

المنار فقطع من الركب الطريق فقال لرجل عجائبي امالي هذا الركب رجل يأخذ سيفا نرد عنا هذا الاسد فقال أما رجل فلا أعرف ولكني أعرف امرأة ترد من غير سيف فقلت وأين هي فقام وقمت معه الى هودج قريب منا فنادى يا بنية انزلي وردي عنا هذا الاسد فقالت يا أبت أبطيب قلبك أن ينظر الى الاسد وهو ذكر وأنا أنثى ولكن قل له ابنتي فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذي لا تأخذه سنة ولا نوم الا ما عدلت عن طريق القوم قال الاصمعي فوالله ما استتممت كلامها حتى رأيت الاسد ذاهبا امامنا * هذا والله دلائل الصالحين وأمارة العارفين نفعنا الله تعالى بهم آمين * (وروى عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه) * انه رأى نباريه في البادية وهي تمشي وتفرح وليس معها أسد فقال من أين أقبلت فقالت له من عند الحبيب قال والى أين تريدين قالت الى الحبيب قال فما تستوحشين وحدك في هذه البرية فرفعت صوتها ونادت

كرهم وأنثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا
هم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى أبا هدب وهو
شرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح
ال له مبدع من هرم يا نبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فأتوا أبا هدب
كلموه في ذلك فقال نعم هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله تعالى بهم
ن عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا ما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم ألا قد مضى يوم من الاجل
ا أصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع
م فلما أمسوا صاحوا باجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل ويحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا
جوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح
يه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من آمن حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفئوا
عظوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون أبصارهم
ى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة من
سماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم صغير
ولا كبير الا هلك كما قال عز وجل فاصبحوا في دارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولم
ع منهم الاخبار به مقعدة يقال لها ذريعة بنت شافي وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله لها رجليها
دما عاينت العذاب أسرعت كأسرع شئ يكون حتى أتت قرارهو وادي القرى حد ما بين الحجاز
الشام فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت تهافتت
(وروى) * أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه
يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن
يبكيكم مثل الذي أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية
عث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم رسول
ه صلى الله عليه وسلم من تحت النسيل حين ارتقى في الغار فعقروها فأهلك الله تعالى من تحت
يم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله
الى فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وأراهم
سول الله صلى الله عليه وسلم قبره فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن
ن الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه وأسرع السير حتى جاوز الوادي وقال لأهل السلم لو في صالح
يه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعد ما أهلك الله تعالى قومه وكان
بد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حسنون قال
برنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قيس بن أبي حازم
ن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال قلت
ور رسوله أعلم قال عاقر الناقة قال يا علي أتدري من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال
لك والله أعلم

* (تجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمرود) *

و ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن
ح وكان اسم أبي ابراهيم الذي سماه به أبوه تارخ فلما صار مع النمرود قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال
اهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى
وج وقيل هو بالنبطية الشيخ الهرم وولد لناحور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا
لس يشتمل على أبواب والله أعلم

* (الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام) *

وما يخرج منهما وما
ينزل من السماء وما
يعرج فيها وهو معكم
أينما كنتم والله بما
تعملون بصير ثم
قال يا بطال من استأنس
بالله استوحش مما
سواه ومن طلب رضاه
صبر على قضاه ثم غاب
عني فلم أر هارضي الله
تعالى عنها * (وحكي عن
السري السقطي رضي
الله تعالى عنه انه قال) *
أرقت ليلة من الليالي
فلم أستطع الغمض
فقلت في نفسي أخرج
الى المقابر لعلي أعتبر
برؤية القبور والتفكر
في البعث والنشور
فيزول همي وغمي
فخرجت اليها فما وجدت
قلبي متسعا لشئ منها فقلت
أدخل الاسواق لعلي
بانخلاط الناس يزول
عني الباس ففعلت ذلك
فما انشرح قلبي لذلك
فقلت أدخل المارستان
وأنظر الى المرضى
والمبتلين والى أفعالهم
لعلي أعتبر بأحوالهم
فدخلت اليه فوجدت
قلبي مقبلا عليه فقلت
الهي وسيدي الى ههنا
سيرتني ولاجله من
منازلي أيقظتني فنوديت
في سري ما أتيتنا بك الى
هذا المكان الا لنافيه
نبأ وشان قال السري
فتقدمت الى مكان
المجانين فرأيت فيه
على بقية من الدين

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كانت ولادته بالسوس من أرض الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية في حدود كسكر ثم نقله أبوه الى الموضع الذي كان به نمرود من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن أبوه نقله الى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان وكان بين الطوفان وبين مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة ونمرود الذي ولد في ملكه ابراهيم هو نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن حام بن نوح *(وفي الحديث) ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمرود بختنصر وكان نمرود أول من وضع على رأسه التاج وتجبر في الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء *(وقال السدي) *رأى نمرود في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والعافة وهم الذين يخطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فأمر نمرود بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها اذا أمن المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو ابراهيم فوجدا مرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت بابراهيم عليه السلام *(وقال) *محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها *(وقال السدي) *خرج نمرود بالرجال الى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون فمكث كذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له اني لي الملك حاجة أحب اني أوسيك بها ولم أبعثك الا لثقتي بك فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك ولا تواقعها فقال آزر أنا أتبع على ديني من ذلك فأوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الى أهلي فنظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتمالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال الكهان للنمرود ان الغلام الذي أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فأمر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ووجعت فانحدرت زوجها بأنها ولدت وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سردابا من نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه (وقال السدي) لما عظم بطن أم ابراهيم خشي آزر أن يذبح فانطلق بها الى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فأنزلها في سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من أصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام في ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت عنه طمع الذباحين ثم ذكر آزر لاصحابه أن له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلة الى مغارة وكانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حيا يمص ابهامه قال أبو زرعة كانت أم ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت ذات يوم لا تقرن الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ما هو من أصبع لبنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع سمنا (قال ابن اسحق) وكان آزر سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام في المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى أبيه آزر فأخبره انه ابنه وأخبره بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا

ومثلهم قوله تعالى إنهم إلى عنقها وهي مشغولة بذكر الله تعالى قال السري فقلت للقيم على الجاريتين ما شأن هذه الجارية فقال الجارية اشتغل عقلها بحبها مولاها فلما سمعت الجارية كلامه تنهدت وأنشدت تقول هذه الابيات شعرا

معشر الناس ما علمت ولكن
أنا سكرانة وقلبي صاحي
قد غلتم يدي ولم آت ذنبا
غير هتكي في حبه وافتضاحي
أنا مفتونة بحب حبيب
لست أبغي عن بابه من براح
فمسلاحي الذي رأيتم فسادي
وفسادي الذي رأيتم صلاحي

قال السري فلما سمعت كلامها أطلقني وأبكاني وهيج لوعتي وأشجاني فلما رأت دمعي يتحدر على وجهي قالت يا سري ما جهلت منذ عرفت ولا افترت منذ خدمت ولا قطعت منذ وصلت ولا عجبت منذ وقفت وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا قال السري فقلت لها يا جارية أراك للمعبة تذكرين وللتوحيد تفاوهين فلمن تحنين فقالت لمن تعرف علينا باكرامه وتحبب الينا بانعامه وجاد علينا

(الباب الثانى فى خروج ابراهيم عليه السلام من الشرب ورجوعه الى قومه ومحاجته اياهم فى الدين والقائهم اياه فى النار وما يتعلق بذلك)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو فى الشرب قال لامه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى يحدث أنه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال لها فاتاه أبوه آزر وقال له ابراهيم عليه السلام يا أبت من ربى قال أمك قال فمن رب أبى قال أنا قال فمن رب نمروذ قال نمروذ فلطمه لطمة وقال اسكت وذلك قوله عز وجل واقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال لابويه أخرجانى فاخرجاه من الشرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل يراح بها فسأل أباه ما هذه فقال ابل وخيل وبقر وغنم فقال ما لهذه بد من ان يكون لها رب خالق ثم نام وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى مالى اله غيره ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة فى آخر شهر فرأى الكوكبة قبل القمر فقال هذا ربى فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر لانه رأى ضوأها أعظم فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قالوا وكان أبوه يصنع الاصنام فلما علم ابراهيم انى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم عليه السلام فينادى من يشترى ما يضره ولا ينفعه فلا يشترى أحد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضربه برأسها وقال لها اشربى كيدت استهزأ بقومى بهم علمهم من الضلالة يأيها الناس فشاع بها وا استهزأوا بهم الى قومه وأهل قريته فجاء قومه فى دينه فقال لهم أتحاجونى فى الله وقد هدان الآيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا أباه آزر الى دينه فقال يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ الى آخر القصة فابى أبوه الاجابة الى ما دعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام باهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين فقالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا الذى يميتك ثم يحييك قال لا الذى خلقنى فهو يهدين الى آخر القصة فشاع ذلك فى الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاه فقال له يا ابراهيم أرأيت الهك الذى يدلنا ويأمرنا ان نعبده الى عبادته يذكر من قدرته التى تعلمهم على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربى الذى يحيى ويميت قال نمروذ وأنا أحيى وأميت قال ابراهيم كيف تحيى وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فاقتل أحدهما فاكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فاتركه فأكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ولم تقم له حجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذى كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام أراد ان يرى قومه ضعف الاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله ويحقرها الى لعلهم يرجعون فلما كان قبل عيدهم بيوم أو يومين قال فيما بلغنا انه قال فى نفسه لاكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسمعوها منه (وقال مجاهد) وقتادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا فى سر من قومه لم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى أفشاه عليه قالوا ثم جمع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الآلهة فاذا فى البيت ثم رمستقبل باب النهر صنم عظيم وبالباب أصغر منه الى باب النهر واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة وقالوا اذا كان حين يرجع عنا فرجعنا وقد بارك

يعبرنى فقالا فهو قريب الى القصور مفرع للكبر وبحايم على من عاداه يجيبان دعاه قال السرى فقلت من سبا فى هذا المكان فقالت حاسدون مبغضون تعاونوا على ورموني بالجنون وهم أحق بهذا الاسم منى وأنشدت تقول

يا من رأى وحشتى فآنسنى
بالقرب ممن وصله فأنعشنى
يا ساكنى لا تخاون من سكنى
دهرى وياعتنى على الزمن
أوحشنى ما فقدت منه فقد
عاد باحسانه يقربنى
وعاد أيضا على منعما
كذاك فاكنت حسبته
عرفنى
حسبى من الكون ان
يغضبه
أصبح موتى او يصبه
وكنت فى غفلة فنبهنى
وكنت فقيرا فقد اغتنى
قال السرى فقلت لها ما الاسم فقالت عدى الاسم يكفيك فاسمعت ينغيك فبينما نحن كذلك اذ أقبل سيدها فقال للحوكل عليها أين بدعة فقال قد دخل عليها الشيخ السرى فكلمها بكلام أعجبت اليه فدخل سيدها فرأى

الا كلهن فى طعامنا أكلنا قبلما انتار ابراهيم عليه السلام الى الاصنام والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفأس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذى نطنه صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ والجبابرة واشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدى وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما يصنع به ونعاقبه فلما أحضروه وقالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبدوا معه هذه الاصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبى صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها فى الله تعالى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى عرض لسارة هى أختى فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه الا كما قال (وقيل) انكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤسهم متحيرين فى أمره وعلموا أنهم لا ينطقون فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما التجأتم الحجة عليهم لابراهيم عليه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال عبد الله بن عمران الذى أشار عليهم بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائى اسمه هينون فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما أجمع نمروذ وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه فى بيت وبنوا له بنيانا كالخابرة ذلك قوله عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم ثم جمعوا له من أصناف الحطب وأصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافانى الله تعالى لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلب مما تحب أن تدرك لئن أصابته لتحتطبن حطبا وتجعله فى النار التى يحرق بها ابراهيم احتسابا فى دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر الحطب وجمعوا منه ما أرادوا أشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهيجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من القائه فى النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا صلوات الله عليه فضجت السموات والارض والجبال ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة وقالوا أى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره يحرق فى النار فأذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى لهم ان استعان بشئ منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت لكم فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه ملك الماء فقال ان أردت أخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدى وأتاه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لا حاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم أنت الواحد فى السماء وأنا الواحد فى الارض ليس فى الارض أحد يعبدك غيرى وروى المعتمر عن أبى بن كعب عن أرقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به بالمنجنيق الى النار فى موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا فقال جبريل فسل ربك فقال ابراهيم عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى حسبى الله ونعم الوكيل وفى الخبر أن ابراهيم عليه السلام انما أجابه قوله حسبى الله ونعم الوكيل قال الله عز وجل يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدى) كان جبريل عليه السلام هو الذى ناداها بأمر الله تعالى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وابن عباس لولم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يبق حينئذ نار فى الارض

الا طفئت فلذت انها تعني قال كعب الاحبار روى قتادة والزهري ما انتفع أحد من الارض يومئذ بنار ولا أسوقت النار يومئذ شيأ الا وناق ابراهيم عليه السلام ولم يرق يومئذ دابة الا أطفأت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فأقعدته على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قالوا فاقام ابراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمر وقال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم مني عيشا في الايام التي كنت فيها في النار (قال) ابن اسحق وغيره بعث الله ملك القطر في صورة ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الى جنب ابراهيم وهو يؤانسه فأتاه جبريل عليه السلام ثم مص من حرير وقال له يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت ان النار لا تضر أحبابي وألبسه القميص ثم أشرف غرذ من صرح له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام وما شملته فدهاك فرآه جالسا في روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا من الحطب فناداه غرذ يا ابراهيم كبيرا لهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار حتى لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان أنت فيها ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيت معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظل أرسله الي ربي ليؤانسني فيها فقال غرذ يا ابراهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزمه فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده اني ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيأ ما كنت على دينك هذا حتى تفارقه الى ديني فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشعبي) ألقي ابراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة رضي الله عنها وهي ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من ٧ بيت المقدس على ميلين ولما عملت سارة بما أراد بابنها اسحق بقيت يومين وماتت في اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ما منع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملئهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو أخو ابراهيم عليه السلام وكان لهما أخ ثالث يقال له ناسور بن تارخ فهاران أبو لوط وناسور أبو تنوئيل وتنوئيل أبو لابان ورفقايا بنتا تنوئيل امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضا به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام وقال السدي كانت سارة بنت ملك حران وذلك ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وكانت قد لعنت على قومها في دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على أن لا يضرها (قال ابن اسحق) خرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق مهاجرا الى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فخرج حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعث الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل وتجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام فبرّ ذكها أن بعث منها أكثر الانبياء وهي الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيح الدجال بباب لد وهي أرض سهلة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للغني والفقير (قال أبي بن كعب) ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله أعلم

(الباب الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه على فراق قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أيها المعبودون من دون الله

أجبت الدموت طوعا
مليا الذي دعاني
وخفت لما خفت فيه
ما يوقع الخب فالاماني
قال السري فقلت لسفيه
أطلقها وعلى دفع ثمنها
فصاح سيدها وافتقراه
من اين لك ثمن هذه
الجارية قال السري
فقلت لا تجهل وامكث
في هذا المكان حتى
آتيك بثمنها قال السري
فمضيت الى مسترلي
وعيناي تذرفان بالدموع
وقلبي بسبب حبها
موجوع وصرت أتضرع
الى الله تعالى وأتوجه
اليه وأتوكل في قضاء
حاجتي عليه فبينما
أنا كذلك اذ قارع
الباب قائل من بالباب
فقال سيد من الاسباب
فنظرت فاذا هو شاب
من أحسن الناس
وجها ومعه غلام على
رأسه خمس بدر فقلت
من أنت يرحمك الله
فقال أحمد بن المثنى قد
أعطاني الجبار جل
جلاله وما يبخل على
بعطائه وورد عليه من
الامر والنهي ما يعجز عن
حمله الرياض فبينما أنا نائم
اذ هتف بي هاتف من
قبل الله عز وجل فقال
يا أحمد هل لك في معاد لنا
فقلت وقد زال النوم
عني ومن أولى بذلك
مني فناداني أن اصعد الى
الشيخ السري خمس بدر

و بدا بيننا و بينكم العداوة والبغضاء أيها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وتزوج ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وأجملهن وكانت لا تعصى ابراهيم عليه السلام في شئ و بذلك اكرمها الله تعالى قال فاتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء ووصف له حسنها و جمالها فارسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ما هذه المرأة معك فقال هي أختي وتخوف ان قال هي امرأتي أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى حتى أنظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها ان هذا الجبار قد سألني عنك فاخبرته انك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله عز وجل وانه ليس في هذه الارض مسلم غيري وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها بيناوله يده فيبست يده الى صدره فلما رأى الجبار ذلك أعظم أمرها وقال لها سلي ربك أن يطلق يدي فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق له يده فاطلق الله تعالى يده * (وفي بعض الاخبار المسندة) انه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد أن يتناولها فتيبس له يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فاقبلت الى ابراهيم فلما أحس بها ابراهيم انفتل من صلاته قال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر وأخدمني هاجر قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلك أمكم يا بني ماء السماء * وفي بعض الاخبار ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيبة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت اني أراها امرأة وضيئة لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أيست فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام * روى محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهري ما الرحم الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر أم اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاجر ذلك الملك الذي كان بها وأشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واستغفر بها ربه وابتنى بها مسجدا وكان ما بالك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه ترده فاقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان أهلها آذوه فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايليا يقال لها قطة فلما خرج من بين أظهرهم نضب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع الى بلد أخرجت منه قالوا ان الماء الذي كنت تشرب وتشرب معك منه قد نضب وذهب فاعطاهم سبعة أعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فقال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهي على تلك الحال حتى أتتها امرأة طامث فاغترفت منها فركد ماؤها الى الذي هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلده وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه و بسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليهم رسله يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤا بابراهيم عليه السلام و يبشروه وسارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال ساء ظنه بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم مسنا وجالا فقال لا يخرج لهؤلاء القوم الا أنا فخرج فيما يجيل بصره عن سنيذ وهو المشوي بالحجارة فقربه اليهم فامسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى

أسرها من الرقو يعطين
منها بالعتق فلنابها عناية
ولطف ورعاية فعملت
ليلك هذا المال وأطاعتك
على الحال قال السري
فسجدت شكر الله تعالى
وأخذت بيده أحمد
ومضينا الى المارستان
واذا بالوكل عليها يلتفت
يمينا وشمالا فلما رآني
قال مرحبا ادخل عليها
فانها لهفانة ولها عند الله
حرمة ومكانة قال فدخلنا
عليها فسمعناها تقول
شعرا
قد تصبرت الى ان
عيل في حبك صبري
وكتمت الوجد لكن
ليس يخفى فيك أمري
ان تكن مني رماض
لا أبالي طول دهري
أنت لي خير أنيس
يا منى سؤلي ومذخوري
من يرد يعتق رقي
ويفك اليوم أسري
غيرك اللهم ربي
أنت لي كاشف ضري
قال فبينما هي تنشد اذ
أقبل مولاها وهو يبكي
ويتحسب قال السري
فقلت له لا بأس عليك
قد أتيتك بالذي وزنته
في الجارية بربح خمسة
آلاف درهم فقال لا والله
فقلت بربح عشرة آلاف
درهم فقال لا والله فقلت
بربح المثل فقال لا والله
فلو أعطيتني الدنيا بما
فيها ما قبلت منها شيئا

على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ثم قالوا له لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحق ويعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء في العلة الجالبة لضحكها ما هي فقال السدي انما ضحكت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت باعجبا لاضيافنا هؤلاء نخدمهم بانفسنا تكرمتهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيما بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هي بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدي قالت سارة لجبريل عليه السلام اما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فاخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أشد منه فقال ابراهيم هو لله اذا ذبح وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت وقال السدي وابن بسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باسمعيل فوضعتا معا وشب الغلامان فبينما هما يتنازعان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اسمعيل فاخذه وأجلسه في حجره وأجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فاجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك وقد حلفت أن لا اضر في ولا تسوءني وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت متحيرة في ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واتقي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها فاوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن ابني بهاجر وابنها مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر وبحوها من طرف مكة نازلا يومئذ العمالق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء فقال ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا أمرت أن أضعهما قال نعم فعند ذلك بوأ لهما موضع البيت وأمرهما فبنيا وأمرهما أن يتخذا عريشا ثم قال ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف فاتبعته هاجر وقالت الى من تكلنا فعل لا يريد علم شيء فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرفت راجعة الى الشام وكان معها جرة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبي فتقارب أي الجبال أدنى من الارض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسانا فلم تسمع شيئا ولم تر أحدا ثم انها سمعت أصوات سباع الوادي نحو اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة تتلوثه ثم سمعت صوتا نحو المروة فصعدت وعاينت السعي كالانسان المجهود فهي أول من سعى بين الصفا والمروة ثم عدت الى المروة سبعة صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعو سمع ان كان عندك غواث فاغثني فقد هلكت وهلك من معي فاذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سر بها ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال فالى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال اذهبا وكلكما الى كريم كاف ثم جاءهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى التهبي بهما الى موضع زمزم فضرب بقدمه فنارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر تفرغه لها وجعلت تستقي فيها تحوفه فقال لها جبريل عليه السلام انها لروي ويروي بها ولدها اسمعيل تحبسها سيبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لا تخافي الضيعة فان ههنا بيتا لله يبني هذا الغلام وأبوه وان الله تعالى لا يضيع أهله وكان البيت يومئذ أرفع من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى جاء السيل أيام جرهم فبنوا بيوتا بأسفل مكة فلما رأوا الطير عكفا على الماء قالوا ما عهدنا بهذا الوادي الا وهو ماء وما علم بالماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فاقبلوا حتى نزلوا معها وهم أول من سكن مكة فلذلك كانت العرب تقول في تلبيتها

لاهم ان جرهما عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك

الله تعالى قال السري فقلت له أخبرني بما تجد فقال يا أستاذي اني البارحة مررت في القوم فوجدني في المنام وأغلقا علي في الكلام وقال تهين ولينا يا عدو الله فانتبهت مرعوبا وقد هانت علي الدنيا وخرجت من جميع ما أملكه لله تعالى وآتاها رب اليه عسى أن يقبلني ثم بكى وخرج على وجهه هائما قال السري فالتفت الى أحمد بن المثنى فرأيته يبكي وينتحب ودموعه تجري على خديه وقد ظهرت آثار القبول عليه فقلت ما يبكيك يا أحمد فقال مارضيني مولاي الى ما نبذني اليه ولا وجدت الى قبولا بين يديه أشهدك اني قد تخرجت عنه وهو صدقة لوجه الله تعالى قال السري فما كان أعظم بركات يا معشر الجمع ثم قامت بنت ونزعت جميع ما كان عليها ولبست بجبة من صوف وخمار من شعر وخرجت هائمة على وجهها فرجعنا معها وهي تنشد وتقول شعرا

هربت منه اليه
بكيت منه عليه
وحده وهو مولى
لا زال بين يديه
حتى أنال رضاه
ما قد رجوت اليه

(قال الراوي) فازالوا

فكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم فتعرب بجرهم فهم أولاد العرب المتعربة * ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزورها جر وابنها فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدمها راكبا البراق فلما قدمها ذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان يحبها بالصيد نخص بالقنص والفروسية والرمي والصراع فقال لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي شئ وما عندي أحد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشانه قال فما قال لك قالت قال اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ما شاء الله ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو برأو شعير أو تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشقك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه فغسلت شقه رأسه الايمن ثم جعلت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم جاءني شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال) أنس بن مالك رأيت في المقام أثر أصابع ابراهيم عليه السلام وعقبيه وأخص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بايديهم (وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هدبة ابن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسيح الخزاعي قال سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول أشهد ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس الله نورهما لاضاءا ما بين المشرق والمغرب

(الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم)

(روت الرواة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم في الحجر اذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر برة قلت وما برة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال احفر المضنونة قلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان من الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست وغارماؤها فلما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئر يستقى الحجيج منها عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف انه قد صدق فغدا بمعوله ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها بئر أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا فيها فقال لما أنا بفاعل ان هذا شئ خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نحاكمك قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز نفر بحوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لاصحابه ماذا ترون قالوا ان رأيك لرأينا تبع لرأيك فامر نا بما شئت قال فاني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات منا دون صاحبه دفنه في حفرته قال فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت

نتبعها حتى نخرجك الى ظاهر المدينة وهي تنشد وتقول هذه الابيات شعرا

يا حبيب القلوب أنت حبيبي
يا سرور السرور أنت سروري
يا حياة النفوس أنت حياتي
وأنيسي وأنت نور بصري
قال السري ثم مضت عني غابت عن أعيننا ثم أتى مولاها وصحبتي وكذلك أحمد بن المثنى برهة من الزمان الى أن توفي سيدها وبقيت انا وأحمد بن المثنى فعزمنا على الحج الى بيت الله الحرام فبينما نحن نطوف بالكعبة اذا بصوت مقروح يخرج من كبد مجروح وهو ينشد ويقول هذه الابيات

قد تهتكت بحبك
كيف لي منك بقرب
فترفق بفؤاد
يشتكي شدة بعدك
تعيث بالنفس اذا لا
بضر بك ذنبك
فاسألي العفو جهارا
والرضا من عند ربك
قال السري فاتبعت الصوت فاذا بامرأة كالخيال ذاهلة العقل والبال فلما رأتني قالت السلام عليك يا سري فقلت وعليك السلام من أنت رحمك الله فقالت لا اله الا الله انه

ثم قال عبد المطلب والله لا نضرب في الارض فعسى الله تعالى أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ماهم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله تعالى وايا كم فشربوا وسقوا ثم قالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك هذا الماء في هذه الفلاة هو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما بين الليل رأى عبد المطلب في منامه كأن قائلا يقول له

يا أيها المدلج احفر زمزم * انك ان حفرتها لم تندم
وهي تراث من أبيك الاقدم * تسقي الحجيج عافلا لم ينقم

فلما سمع عبد المطلب قال وأين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر اليه فقامت قريش وقالوا والله لا نتركك أن تحفرها بيننا وبين صنمينا هذين وكانت قريش حسدوه على ذلك لانهم أخبروا ان موضعها الساكنت مكة أودعت في زمزم أموالا وأسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لما أخبرت أن الله تعالى باعث في هذه القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب نازعوه في ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فلم نر بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا انه لم يخطئ فمادى حتى بلغ الى ثمالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم ورجد فيها سيوفا ودروعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعملوا القداح التي تضربها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاساف والادرع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب الاساف والادرع بباب الكعبة وضرب في الباب الغزالين الذهب فكان أول ذهب حلت به الكعبة وكانت الرياسة التقدمة لعبد المطلب بنزل حفر زمزم فلما حفرها وأخرج منها ما أخرج ازداد بذلك في قريش عظما وجاها ومنزلة وعادت الحجيج المياه التي كانت بمكة وفرا حيها وأقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها لكونها من آبار اسمعيل عليه السلام وافتخر بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله أعلم

(الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها الى وقتنا هذا)

(أخبرنا) أبو عمرو أحمد بن أبي أحمد الفراتي أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المعدي بمكة حدثنا أبو سعيد الفضل بن محمد بن ابراهيم بن الفضل حدثنا عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو هشام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من ياقوت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة فهذا الكعبة الحرام وان الله تعالى أهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الملك من تحته حديدة وأنزل عليها الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم الصا ثم قال يا آدم تخطى فاذا هو بأرض الهند فكث هناك ما شاء الله أن يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فاقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية ومابين ذلك مطاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقالت له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام ثم قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع

التشاكر بعد المعرفة
أنت الى الآن محجوب
وقلبك مسلوب ثم قالت
أنا بعد ذا قال السري
فقلت لها ما الذي أفادك
الحق بعد انفرادك من
الناس فقالت شعرا
أفادني كل الذي
ونغص قلبي بالفنى
وقد أزال سيدي
عن باطني ثقل العنا
ان لم يداركني بما
أرجو والامن أنا
قال فلما فرغت من
كلامها بكيت وانتحبت
وهبت وانصرفت
ثم رفعت رأسها وقالت
يا سيدي وولاي
فأزاهل التقي ونجا من اتقى
وخاب من حفه البلوى
والشقا فاسألك يا سيدي
الا ما قربت الوسيلة
والقناوفد راهبت عليك
قد في البلد الحرام
لي في البقاع مرتحلة
ووقفت الى الاوطان
ذكرتها فاذا هي بيتنا
رحمة الله عليها فانظر
اليها أحمد بن الفتى فعاد
وقابله وأوليه فرحب
انتحب واهتز واضطرب
وأسعد الزفرات وانهمر
العبرات ثم صرخ وورقه
على الارض فركضه فاذا
هو قد مات قال السري
فتعجبت من حالهما وقرب
آجالهما وأخذت في
غسلهما وتجهيزهما
ودفنهما رحمة الله تعالى
عليهما ونفعنا بهما

خمسة أسابيع بالليل وبالنهار أسبوعا فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي فأوحى الله تعالى اليه اني معمره بني من ذريتك اسمه ابراهيم أتخذه خليلا أقضي على يديه عمارته وأنيط له سقايته أوريه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فاجتمع ما بين الخافقين فاقبل من يحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال يارب أسألك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيأ أن تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيأ بعثته آمنا يوم القيامة (وروت الرواة) بأسانيد مختلفة ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض كان رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسابيحهم ويأنس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسابيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما كنت تصلي عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام ان لي حرما تحت حيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم حنّ به كما رأيت الملائكة تحفون بعرشي فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي اليه فقيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة وبمكان يعجبه قال للملك انزل بي ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمارا وكل مكان تعداه مفاوز وقفارا ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع الى أرض الهند فمات على نور * قال أبو يحيى بائع اللقت قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس ان آدم نزل حين نزل بالهند ولقد ضج منها أربعين ضجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام * وقال وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره قال يارب أما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك ويقدس غيري قال الله تعالى اني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكري ويسبح فيها الخاشع ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي وأسميه بيتي أنطقه بعظمتي وعلاه وضعت جلالي ثم أجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمتي من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمتي استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فقد ضيع ديني وخفر ذمتي وأباح حرمتي أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يعجون بالتلبية ضجيجا ويعجون بالبكاء أجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن آثر بلا يد بغيره فقد وفد الي وزارني وضافني وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن ينعم ويتفضل ويسعف كلا بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهكذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم كانت على ذلك الى أيام الطوفان فلما كان أيام الطوفان رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام حتى نحبأ الحجر الاسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر اسمه فلم يدر ابراهيم في أي موضع يبنيه فسأل الله عز وجل أن يبين له ذلك (واختلف) العلماء في كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليه السكينة لتدله على موضع البيت كما حدث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة قال رجلا قام الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع للناس فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بنى ان الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام أن ابن لي بيتا في الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عز وجل السكينة وهي ريح خجوج

(وتكلم عن السري رضي الله تعالى عنه أنه قال) * حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق اذا أنا بامرأة حسناء عذاب جمال بديع فقلت لها يا جارية أين تريدين فقالت الى بيت الحبيب فقلت لها ان الطريق بعيدة فقالت بعيدة على كسلان أوذي ملالة وأما على العشاق فهي قريبة ثم قالت انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا قال فلما وصلت الى بيت الله الحرام رأيتها تطوف بالبيت فقلت ياسري أنا تالك الخادمة لمولاي جئته بضعفي فعلني بقوته هذه صفات قوم فارقوا ديار اللهو وخلعوا ثياب الزهو آثروا المحبوب بالنفوس والآثار ووفقوا بين يديه في حال الانكسار هجروا الراحة في الاوطان والاوطار فالله درهم خلعوا ثياب الاصطبار ومزقوا ستر الاستتار وافشوا وجدهم مع كتمان الاسرار نادا هم بالعناية في الاصطلاب والارحام حوام عليكم ان تنظروا الى غيري حرام ويجمع لهم مجلس مناجاته ويسقاهم كاس شراب

ولها رأسان فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهيا الى مكة فتطوقت على موضع البيت كتطوق الحفر وأمر ابراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى بيتا وقال آخرون أرسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الى أن قدم مكة فوقفت في موضع البيت ونودي يا ابراهيم ان على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذي خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية قالوا فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسمعيل عربيا فالهم الله تعالى اسمه وكان السان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هب لي كيت يعني هات لي حجارة فقوله لله اسمعيل هاك تفسيره فبنيا الكعبة من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي وحيث قواعد من حراء فال فبنى بحجر فذهب اسمعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر في مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر فقال له أتاني به من لم يكلني اليك ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علما للناس فأداه أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فهاك خذها فاخرج ابراهيم عليه السلام الحجر الاسود من جبل أبي قبيس وركبه في موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت وأعاداه عوارهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم الى قوله وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم فاجاب الله تعالى دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى أصبح فصلى بهما الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة ووقف بهما على الموضع الذي يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فصلى بهما بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة فوقفهما على قزح حتى اذا أسفر الصبح أفاض بهما الى منى فاراهما كيف يرميان الجمار ثم أمرهما النحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فطاف بالله تعالى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان وعلي البلاغ فعلا ثبير فنادى يا عباد الله ان ربكم قد بنى بيتا فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعه ما بين السماء والارض وما بين الاخرين ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فاجابه كل من آمن بالله من سبق في علم الله تعالى أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والشرق والغرب والشام فدعا الناس فهلم فأجابوا لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق الآية فلم يزل البيت على بنائه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من اهل الاخبار ان الكعبة كانت رضمة فوق القامة فاراد وا رفعها وتسقيفها وكان الجرف قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فهم ألهم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة كانوا يهابونها وذلك أنه كان لا يدنو منها احد الا كشرت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هي ذات يوم على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائرا فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا لنرجو ان الله تعالى قد رضي أردنا من عمارة بيته وان عندنا علما لا نرفعه ونخشى وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عمير بن عامر بن عمرو بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدأ لكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم نرد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين

هذا المجلس نديم هل لك في هذا الغرام غريم هل للشفي هذا الربع أنيس هل لك في هذه الروضة جليس فاذا أردت أيها العبد رضاه الرب اللطيف فتقرب اليه بقلب منكسر وجسم نحيف (ميل) انه لما نزل البلاء على أيوب عليه السلام أتاه طاوس السماء جبريل عليه السلام بامر الله عز وجل فقال له يا أيوب سينزل بك مولاك من البلاء والاهوال ما يعجز عن حمله الجبال فقال أيوب ان دعاني على مواصلة الحبيب صابرا حتى يقال كيف يحب فنودي يا أيوب اعتدلا لك وأصبر على نزول مكيس وقضائه وكان السبب في ابتلائه ان ابليس اللعين سأل ربه تعالى ان يسلطه على ماله بانواع الاسباب والمكر فلم يقدر عليه فقال الهي ألم تكرم أيوب بالمال والاولاد وطاعتك وبسببه ترجو عبادك في الاموال والاولاد والارزاق والعافية فلو سلطتني عليه وسلبته في ذلك لما أطاعك طرفة عين فقال الله جل جلاله اذهب فقد سلطتك عليه وانه لن يغيره ذلك قال فاول يوم ابتلاه بانحدار الاولاد فزاد انحدامه واجتهد تمام الاجتهاد وفي اليوم الثاني أخذ الامراض فلم يقدر

فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا انتظروا فان أصيب لم نهدم منها شيأ وردناها كما كانت وان لم يصبه شئ فقد رضي الله تعالى عما فعلنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس فافضوا الى حجارة خضر كأنها أسنمة الابل آخذ بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا في البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن تضعه في صفة دون الاخرى حتى تحالفوا وتعاقدوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا أربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة أن أبا أمية بن المغيرة كان حينئذ اسن قريش كلها فقال لهم يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما اختلفوتم فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتواثقوا عليه فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال هلموا الي ثوبا فاتوا به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه فلما فرغ كانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش الى سنة أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكوني عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق وأحدقوا

يرتجزون ويقولون حظارة مثل الفنيق المزبد * تربي بها عبدان هذا المسجد

وقال آخرهم كيف ترى صنيع أم فروة * تأخذهم من الصفا والمروة

أم فروة اسم منجنيق قالت حبيبة كنا نرمي به من حجارة المنجنيق وانهما سمع ذلك احترقت وكان السبب فيه انهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرارة هبت بها الريح فاحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت (وقال الواقدي) حدثني عبد الله بن يزيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أبي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورأيت الركن قد اسود وانصدع منه ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فاشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ فيسافي رأس رمح له فطارت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الاسود (وقاله) بعضهم كان السبب في ذلك ان امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت وكان أول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدر الله وقال قوم ليس من قدر الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يأتونهم من وراء الاساس ويصلون الى موضعها وجعل الحجر الاسود عنده في ثوب في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة في خزانة البيت ثم أعاد بناءه وقال ان أم اسماء بنت أبي بكر حدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم فان يزيد في الكعبة الحجر وان قريشا أعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فاقام به ابن الزبير فحفر فوجد حجارة عظاما كأسنمة الابل فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال اقروها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابا يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر وكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير الى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وولي الحجاز من قبل عبد الملك ابن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان بناه ابن الزبير بامر عبد الملك وأعادها الى بنائها الاول بمشهد مشايخ من قريش فهي اليوم على ما بناها الحجاج الا ما كان من قلع القرمطي صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام أوقع بالحجيج بمكة فذهب به معه من أسر من الحاج الى البحرين ثم أخذ منه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيى البرمكي النيسابوري رحمة الله عليه

* (الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده) *

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر

سنجدني ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين في الذي أمر ابراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اجماع أهل الكتاب على انه كان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب ومن التابعين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير والقاسم بن أبي برة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبي سابط وأبو الهذيل والزهري والسدي (وروى) شعبة عن أبي اسحق عن ابن الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال أنا فلان بن فلان ابن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (وروى) سفيان عن يزيد بن أسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يارب يقولون يا الله ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بي شيأ فاحتار في علمه وان اسحق بادلي بالذبح فهو بغير ذلك مجود وان يعقوب كما مازدته بلاء زادني حسن ظن (وروى) حمزة بن الزيات عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال يوسف عليه السلام للملك مصر أترغب ان تأكل معي وأنا وانت يوسف بن يعقوب بني الله ابن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله * وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول ورأيت قرني الكبش معلقين بالكعبة (وروى) عمر بن عبيد عن الحسن البصري انه كان لا يشك في أن الذي أمر بذبحه من ابني ابراهيم عليه السلام هو اسمعيل وهي رواية عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس قال المقدسي اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذي أمر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا نجد ذلك في كتاب الله تعالى في قصة اسحق عن ابراهيم عليه السلام وما أمر من ذبح ابنه انه اسمعيل وذلك ان الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة الذبيح من ابني ابراهيم وبشر بنبوة اسحق يا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول يا بن وان ابن فلم يكن وأمر بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ما وعده وما الذي أمر بذبحه الا اسمعيل قال محمد بن كعب القرظي فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشأم فقال لي عمر ان هذا الشيء ما كنت أنظر فيه وانى لارا ه اذا لت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشأم وكان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود سأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال له أي ابني ابراهيم الذي كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان أمر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذي ذكر الله كان منه بسببه على ما أمر به فهم يجحدون ذلك وتزعم انه اسحق لان اسحق أبوهم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صحيح بالاجماع لم يعزه وعبد الله الى غيره * فأما الرواية التي روت عنه ان الذبيح اسحق فانه عبد الله بن الحسين بن محمد بن العباس بن عبد الطالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أراد ابراهيم أن يذبحه اسحق وعن صلى الله عليه وسلم قال الذي فداه الله بذبح عظيم اسحق وأخبرنا أبو عبد الله أخبرنا أحمد بن يحيى بن حمدان أخبرنا يونس بن عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى بن اسمعيل أنبأنا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدي فيقول يارب سدت بيني وبين جدت بنفسي للذبح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيأ فيقول الله عز وجل لا أدخل النار من لا يشرك بي شيأ أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزني قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أنبأنا بدي أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة امام الائمة أنبأنا علي بن حجر أنبأنا عمر بن حفص عن أبان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي وبين أن أشفع شفاعتي فاخترت شفاعتي وحبوت أن يكون ذلك أعم لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتجلت منها دعوتي وذلك ان الله تعالى افرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال اما والذي نفسي بيده لا تجعلنها فعل نزغة الشيطان فهم من مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وأدخله الجنة * وأما الرواية التي روت عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح

وأما البيت الذي قهادا آكون
عاصيا لربي وربما
*(وحكي عن الامام
محمد بن ادريس
الشافعي رضي الله تعالى
عنه انه قال) * رأيت
بمكة شيخا تباين عن
الاسقف وهو يطوف
بالكعبة فقلت له ما الذي
زهدك عن دين آبائك
فقال بدأت شيء رأيته
فقلت كيف كان ذلك
فقال وقع لي سحابة
عظيمة ونكتة غريبة
وذلك اني ركبت البحر
في مركب فلما توسطنا
البحر انكسرت بنا المركب
فخرجت على لوح منها فما
زالت الامواج تدافعني
حتى رمتني في جزيرة من
جزائر البحر فرأيت فيها
أشجارا كثيرة ولها ثمار
أحلى من الشهد وألين
من الزبد ورأيت فيها
نهرا عذبا فقلت الحمد
لله على ذلك فها أنا آكل
من ثمار هذه الجزيرة وأشرب
من ذلك الماء حتى يأتي
الله بالفرج فلما ذهب
النهار وجاء الليل خفت
على نفسي من الدواب
والهوام فعلوت شجرة
وجلست على غصن من
أغصانها فنمت على
ذلك الغصن فلما كان
وسط الليل اذا دابة على
وجه الماء تسبح الله
تعالى بلسان فصيح
وتقول لا اله الا الله
العزيز الغفار ثم ...

اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابي باسناده عن الصباحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا أن الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال علي المنبر سلتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله أحد على ما أفاء الله علينا يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحان قال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه ان سهل الله عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائتين من الابل والثاني اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على انه اسحق فهو ان الله تعالى أخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشأم مع سارة ولوط وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين يعني ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن أنه بشر بولد ذكر الا باسحق وأما الدليل على أنه اسمعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبران قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة الى أن احترق البيت فاحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج وهذا أدل دليل على أن الذبيح اسمعيل * (وأما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم بابنه عليهما السلام) * قال السدي باسناده لما فارق ابراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشام هاربا بدينه كما قال تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين دعا الله أن يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لي من الصالحين فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما بشر به هو اذا الله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك الذي نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب في أمر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله تعالى وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بني اني أرى في المنام أني اذبحك أي رأيت لفظا مستقبلا ومعناه الماضي فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زارها جر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشأم فيقيل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند أهله بالشأم حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجا مثلما كان يأمل فيه من عباده قرب وتعظيم حرمانه رأى في المنام أن يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما انطلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر به وقال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك الآية فقال له ابنه الذي أراد أن يذبحه يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن وأسرع بمر السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي فان الموت شديد فاذا أتيت أمي فاقرئها مني السلام فان رأيت أن ترد قميصي اليها فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال له ابراهيم نعم العون يا بني أنت على ما أمر الله به نفعل ابراهيم ما أمره ابنه ثم انه أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي حتى استتبع الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجز ولم يعمل السكين شيأ قال السدي وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كبني على وجهي فانك ان نظرت الى وجهي رحمتني وأدركتك على رقة فتحول بيني وبين أمر الله ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبت ولوى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الآية هذه ذبحتك فداء لابنك فاذا بحمار وحشي فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أقرن فذكر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة فترعى فيها أربعين خريفا وروي عنه أيضا ان الكبش الذي فدي به عن ابن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذي قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فأرسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه فهو الذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قرناوحش يعني يبس وروى عمرو بن عبيد عن

الحسن

وسول الله النبي الصادق
أبو بكر صاحبه في الغار
عمر مفتاح الامصار
عثمان القتيل في الدار
علي سيف الله على
الكفار فعلى مبغضهم
لعنة الملك الجبار وماواه
جهنم وبئس القرار
فان قالت تقول هذه
الكلمات الى أن طلع
الفجر فاذا هي قت
بالانصراف فقال لا اله
الا الله الملك الحق محمد
رسول الله الهادي
الرشيد أبو بكر الصديق
الصادق الشديد عمر بن
الخطاب سور من حديد
عثمان بن عفان القتيل
الشهيد علي بن أبي
طالب ذو البأس الشديد
فعلى مبغضهم لعنة
الرب المجيد قال فاما
وصلت تلك الدابة الى
البراذا رأسها رأس
انسان ووجهها وجه انسان
وقوائمها قوائم بعير وذنبها
ذنب سمكة فخفت على
نفسي منها فالتفتت الي
وقالت قف فوقفت لها
فقالت لي ما دينك فقلت
لها دين النصرانية
فقالت بئس الدين
ويحك يا خاسر ارجع الى
دين الحنيفية قالت فقد
حللت بقناة قوم من
مؤمني الجن ولا يشبو
منهم الا كل مسلم قال فقلت
لها وكيف الاسلام
فقالت تشهد أن لا اله
الا الله وأن محمدا رسول

الحسن عن أبيه أنه كان يقول ما فدى اسمعيل الا بكبش من الارى أهبط عليه بثبير وهي رواية أبي صالح عن
ابن عباس قال كان وعلا * وروى أبو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأى ابراهيم في
المنام أن يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم والام أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل لهم
الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب
فقال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به مني وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم ان الله أمره
بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعة ربه وفي استسلامه لامر الله تعالى فخرج
الشيطان من عندها راجعا حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك
قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم ان الله أمره بذلك قال له فافعل
ما أمره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ
قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك يأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه
ابراهيم فقال له البث عني يا ملعون فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس اخنس الله بغيظه لم يصب من ابراهيم
ولأهله شيأ مما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده * وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب
الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع
حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام
لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي في ذلك شعرا

ولابراهيم المرفي بنذره * احتسابا وما سد الاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه * لو رآه في معشر اقتال
* أبني اني نذرت لله شحيطا فاصبر فذلك مالي
واشدد العضد جهدك السكين بجد الاسير للاغلال
وله مدية تخايل في اللحم غلاما بجيده كالهلال
بينما يخلع السرابيل عنه * فكه ربه بكبش سلال
فدن ذا فدا لابنك اني * للذي قد فعلته لمثابر قالي
وعما تجزع النفوس من الامر له فرجة لجل العقال

(الباب السادس في هلاك النمروذ بن كنعان وما أحل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح)

قال الله تعالى فدمكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون * روت الرواة بأسانيد مختلفة ان أول جبار كان في الارض النمروذ بن كنعان وكان
الناس يخرجون اليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمروذ اذا مر به
الناس قال لهم من ربكم قالوا أنت حتى مر به ابراهيم قال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي
وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ورد ابراهيم بغير طعام
فرجع ابراهيم الى أهله فر بكثيب أعفر فقال لا تحدثن من هذا فأتى به أهله فتطيب به فلوبهم من أن أدخل
عليهم فأخذ ابراهيم منه فأتى به أهله فوضع رأسه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو بأجود دقيق
رأته فأخذته وصنعت منه طعاما فلما أتاه قدمته اليه وكان عهد أهله ان ليس معهم شئ ولا عندهم طعام فقال
لهم من أين هذا فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمروذ الجبار
ساجه ابراهيم عليه السلام فيربه فقال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهي حتى أعلم من في السماء فبنى
صرحا عظيما عاليا ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم * قال ابن عباس وهب
كان طول الصرح من السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى أربعة

الله قال فقلتها فقال لا تكمل
اسلامك بالترضي عن
أبي بكر وعمر وعثمان
وعلي فقلت ذلك ثم قلت
لها لم أخبركم بذلك
فقالت قوم حضروا عند
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسمعوه يقول اذا
كان يوم القيامة نادى
الجبار بلسان
طلق اللهم انك قد
وعدتني أن تشد أركاني
فيقول له الجليل جل
جلاله قد شددت أركانك
بأبي بكر وعمر وعثمان
وعلي رضي الله تعالى
عنهم أجمعين ثم قالت لي
الدابة تريد أن تكون
عندنا أو الرجوع الى
أهلك فاخترت الرجوع
الى أهلي فقالت امكث
مكانك حتى أرسل
مركبا فقلت فكان
ونزلت الدابة الى البحر
فغابت عن عيني غير
ساعة واحدة حتى مر
علي مركب عظيم وفيها
ركاب فأشرت اليهم
فأقبلوا نحوي فلما
فاذا في المركب اثنا عشر
رجلا كلهم نصارى
فاخبرتهم بخبري وقصصت
عليهم قصتي فأسلموا
كلهم فعلمت أن هؤلاء
الاقوام سر اعظيما اذ
بركتهم حصل لنا
الاسلام ولنا أعلى مقام
ولله الحمد على التوفيق
وبلوغ المرام وأنشدت

افراخ من النسور فعلقها باللحم والخبز وربأها حتى ثبت واستقلت ثم قعد في تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا في اللحم حتى أبعدت في الهواء فقال النمروذ لغلامه افتح الباب الأعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الأعلى ونظر فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الأسفل فانظر الى الأرض كيف تراها ففتح فقال أرى الأرض مثل اللجة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الأعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الأسفل فاذا الأرض سوداء مظلمة ونودي أيها الطاغي الباغي أين تريد فقال عكرمة فامر عند ذلك غلاما فبرى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا باللحم فقال كفيت شغل الهواء السماء واختلفوا في ذلك السهم من أي شيء تلطخ فقال عكرمة من سمكة في بحر معلق في الهواء بين السماء والأرض قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم أصاب السهم طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمروذ غلامه أن يصوب العصا ينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه أمر حدث في السماء وان الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم أي جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ علي وعمر وابن مسعود وان كان مكرهم لتذل منه الجبال بالذال ثم ان الله تعالى أرسل ريحا على صرح النمروذ فألقت رأسه في البحر ففرعليهم الباقي وانقلبت بيوتهم وأخذت النمروذ رعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمروذ من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان الله تعالى بعث الى النمروذ ملكا أن آمن حتى أترك على ملكك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمروذ جموعه وجنوده فامر الله تعالى الملك أن يفتح عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمروذ كما هو لم يصبه شيء من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كمدة ملكه ثم ان البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

(الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وولده)

قال الله تعالى أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد الآية قال أهل العلم بأخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من أرض كنعان في حبرون في مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قطورا ابنة يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان ومدأ وأشبق ومشوخ وتزوج أيضا بامرأة أخرى من العرب اسمها حجون بنت أهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروح وأهيم ولوطان وتانس فكان جميع بني ابراهيم مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل أكبر ولده فانزل اسمعيل بارض الحجاز واسحق بارض الشام وفرق سائر ولده في البلاد فقد لوا بابراهيم يا أبانا أنزلت اسحق معك واسمعيل بقربك وأمرتنا أن ننزل بارض الغربة والوحشة قال بذلك أمرت ثم علمهم اسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

(الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام)

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل اليه ملك الموت في صورة شيخ هرم قال السدي باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشي في الجادة فبعث اليه بحمار فركبه فلما أتاه قدم اليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ويريد أن يدخلها

ثاه فيدخلها في عينه مرة وفي أذنه مرة ثم اذا أدخلها في فيه وعضت في جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم أنت قال كيت وكيت فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بيني وبينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم افبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وعمل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر ساره في مزرعة حبرون

(الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام)

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان (روى) في الحديث انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم يا سيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو أبو الضيفان وكان لا يتغدى ولا يتعشى الا مع ضيف ويمشي ميلين أو أكثر حتى يجد ضيفا وضيافته عامة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى توقد من شجرة مباركة الآية وصح انه دعا الله تعالى أن يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة في شعبي اسمعيل واسحق عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق في الآخرين فليس من نبي تجري ألسنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضيله وتجعله كل أمة بقضيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين وهو المبتلى بأنواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن وقال وابراهيم الذي وفى أي بما أمر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الآية ومعنى الامة انه كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يتجمع في أمة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وهو الذي أوتي رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحق في التوحيد وقد عا الخلق الى الحق بلسان الجنان صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية وأول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية وهو أول من اختتن (قال) أبو نصور الخشاري حدثنا أبو عباس العقيلي أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرئ على ابن وهب أخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (وأخبرنا) الحسين بن محمد بن فنويه أخبرنا أحمد بن خلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من أضاف الضيف وأول من نرد الثريد وأول من لبس النعلين وأول من قسم الفيء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من بلاده اختتن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك أنه كان وقع بينه وبين العساقفة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم أصحابه لبدنهم بفعل الختان علامة لاهل الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل (أخبرنا) الحسن الدينوري أخبرنا أحمد بن شداد بن عمرو بن أحمد القطان أخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك أكرم أهل الارض علي فاذا هبطت فلا تر الارض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من شاب فلما رآه قال ذلك قال يا رب ما هذا قال الوقار فقال يا رب زدني وقارا وهو أول من أقام المناسك بذلك بدعوته حيث قال وأرنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذي بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بدر وسه حتى بناه قال الله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية وهو أول من ألقي في النار في الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى الآية وهو

ملسوه معضوه الشهيق
والقمر ولو تيسمة الا أن
ما بين السماء والارض
سكا فقلت لمن أنت
فقالت لابي بكر الصديق
رضي الله عنه فقلت لها
امضي الى قصر بعلك
فمضت وقلت للثانية لمن
أنت فقالت لعمر بن
الخطاب رضي الله تعالى
عنه فقلت لها امضي
الى قصر بعلك فمضت ثم
قلت للثالثة لمن أنت
فقالت للمختضب بدمه
المقتول ظلما وعدوانا
عثمان بن عفان رضي
الله تعالى عنه فقلت لها
امضي الى قصر بعلك
فمضت وقلت للرابعة لمن
أنت فسكتت ثم قالت
يا رسول الله ان الله سبحانه
وتعالى خلقني على
حسن فاطمة وقد سماني
باسمها وزوجنيه لعلي
ابن أبي طالب رضي الله
عنه قبل أن يتزوج
بفاطمة الزهراء بألف
عام * فهم خلفاء النبي
صلى الله عليه وسلم
وأنصاره وأتباعه وهم
سائرون به يوم القيامة
الى دار الكرامة رضي
الله تعالى عنهم ورضي
الله عنا بهم آمين
*(وحكى عن رافع بن
عبد الله رضي الله عنه انه
قال) * قال لي هاشم بن
يحيى الكناني ألا أحدثك
حديثا رأيته بعيني

الذى كان اذا سافر وتمنى سار وا شتاق اليها رفع الله له الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذى يكسى حلة بيضاء يوم القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبى عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وأول من يكسى ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء وأول من هاجر لله قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس قال الله تعالى انى جاعلك للناس اماما وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم وأمر محمدا خير الانبياء وأمته خير الامم باتباع ملته قال تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما منيبا أواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب الحليم السيد الذى يملك نفسه عند الغضب والاواه الذى يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ستة وأربعون خصلة من خصاله التى أكرمه الله بها (وروى) ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا (وروى) ابو ادريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى قال قلت يا رسول الله كم كتابا أنزله الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المسلط المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام فى المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاده ومؤونة لمعاشه ولذة فى غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه راقتله عن كل محذور يخشيه

(مجلس فى ذكر بعض أخبار اسمعيل واسحق ابنى ابراهيم عليهم السلام)

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسمعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قد علمت اذ كره ثم طلقها بأمر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى وهى التى قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثنى عشر رجلا نابتا وقيذارا وادبيل وبسام ومسمع وذوما ومساوحراء وفيما وبطور وناقس وقيدما ومن نابت وقيذار ابنى اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر (وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكا اسمعيل الى ربه تعالى حر مكة فأوحى الله تعالى اليه أنى فاتح لك بابا من الجنة يجرى عليك روحها الى يوم القيامة وفى ذلك المكان دفن *وأما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ما ذكره السدى قال حملت رفقا فى بطن واحد بغلامين فلما أرادت ان تضع اقتتل الغلامان فى بطنها فاراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلى لاعترضن فى بطن أمى فاقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمى عيصا لانه عصى فخرج قبل يعقوب وسمى الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص وكان يعقوب أكبرهما فى البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمى قال لعيص يا بنى أطعمنى لحم صيد وافترب منى ادع لك بدعاء عاد عنى

بنفسى ونفسى انه به
فعسى أن ينفعنى فقلت
حدثنى يا أبا الوليد فقال
غزونا أرض الروم فى
سنة ثمان وثمانين وكان
معنا رجل يقال له سعيد
ابن الحرث وكان ذا حظ
من العبادة يصوم النهار
ويقوم الليل فان سر نادرس
القرآن وان أقنا ذكر
الله تعالى فجاءت ليلة
نحطنا فيها فرجعت أنا
وأياه نتعرس القوم وكنا
محاصرين العدو وعند
حصن من الحصون صعب
علينا أمره فرأيت من
سعيد من العبادة فى تلك
الليلة وصبره على التعب
ما تعجبت منه فلما طلع
الفجر قلت له رحمك الله
ان لنفسك عليك حقا
ولو رحمتها كان خيرا
لك فبكى وقال يا أخى انما
هى أنفاس تعد وعمر
يفنى وأيام تنقضى وأنا
رجل أرتقب الموت فقال
فابكانى ذلك فقلت له
أقسمت عليك بالله ما دخلت
الخيام واستترحت فدخل
ونام قليلا وأنا جالس
ظاهر الخيمة فسمعت
كلاما فى الخيمة ولم يكن فى
الخيمة سواه فتقدمت اليه
فاذا هو يتكلم فى نومه
ويتكلم بكلام فحفظت
من كلامه ان قال لا أحب
ان أرجع ثم مد يده
اليمنى كأنه يلتمس شيأ
ثم ردها ردا رفيقا وهو
يبكى ثم قال والليلة ثم

به أبي وكان عيص رجلا أشعر ويعقوب رجلا أجرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يابني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاتين واشوهما والبس جلدهما ثم قدمهما الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك وأتى الى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من أنت قال أنا عيص فمسه وقال الامس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فاكل منه ثم قال له أدن مني فقبله فوجد ريح ثيابه فدعا له أن يجعل في ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئتك بالصيد الذي أردته فقال يابني قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لاقتلنه فقال يابني قد بقيت لك دعوة فلم أدع لك بها فتقدم اليه فدعا له فقال ان تكون ذريتك عدد التراب ولا علمكهم أحد غيرهم ثم ان أم يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه أن يقتله عيص فانطلق يعقوب الى خاله وكان يسير في الليل ويكمن في النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو أول من سرى بالليل فاتى يعقوب الى خاله وكان احق أمره أن لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهور وأن يعقوب لما مكث عند خاله خطب ابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال له هل لك من مال فأزوجك عليه فقال لا لكن أخدمك أجيرا حتى تستوفي صداق ابنتك فقال له ان صداقها أن تخدمني سبع حجج فقال يعقوب تزوجني راحيل لانها أصغر ولاجلها أخدمك فقال له خالك ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبرى ليا وأدخلها عليه ليلا فلما أصبح وجد غير ما شرط له فجاء يعقوب وهو في نادي قومه فقال له غررتني وخدعتني واصطلت علي سبع سنين ودلست علي غير امرأتي فقال له خاله يا ابن أختي أردت أن لا يدخل على في ذلك العار وأنا وأنت والدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمني سبع سنين أخرى حتى أزوجك الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى أن بعث موسى وأنزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا أربعة أسباط روبيل وكان اكبرهم وهو ذا شمعون ولاوي وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد يا غلامي بنيامين لان أمه راحيل ماتت في نفاسها وهو بنيامين بالعبرية الشكل وكان لبان دفع الى ابنتيه حين وهزهما الى يعقوب أمتين يقال لاحداهما مازلفة وللاخرى بالهة وطئ الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان ونفتالي وجرو بالون وولدت لهة جاد وشجر وآشر فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا اثنان من راحيل وأربعة من ليا واثنان من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى لاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط في كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان الاسباط من بني اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق خاله لبان وانصرف بولده وامرأتيه وجاريتيه الذكور والى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص لم يرمنه الا خيرا مازال أشاوثا الله وتالفه حتى تول له البلاد وتنقل في الشام وصار الى السواحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها صار ذلك له ولولده من بعده * وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه اسمعيل بن ابراهيم ولدت له الروم بن عيص فكل بني الاصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لادمته سمي ولده بني الاصفر قالوا وعاش اسحق بعد ما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه أبناؤه عند أبيه ابراهيم عليهما السلام في مزرعة حبرون والله أعلم

(مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام)

هو لوط بن هاران بن تارح بن أخي ابراهيم عليه السلام وانما سمي لوطا لان عمه لاط بقلب ابراهيم عليه السلام ي تعلق به ولصق ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا لوطا ذاك لوط أي ألصق بالقلب كان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الانبياء وذكر وهب في المبتدأ أنه خرج من أرض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة بنت تارح زوج ابراهيم فخرج معه تارح أبو ابراهيم فخالفا ابراهيم في دينه ومقيما على كفره الى أن وصلوا الى حران ومكثوا بها أياما

وتابين نوم وهو واضع
فاه فنفخها الى صدري عاد
وهو ينفخ فيها وشم الا
حتى سكن وعاد النبي
فهمه فعل بم ال وبكم
فقلت ما الخبر حدثني
فقال نعم فقلت سمعتك
يا أخي تقول لا أحب أن
أرجع وأيتك مددت
يدك ثم رددتها برفق
فقال لا أخبرك فاقسمت
عليه فقال وتكتم ذلك
فقلت نعم يا سيدي فقال
رأيت القيامة قد قامت
وخرج الناس من
قبورهم شاخصين
منتظرين أمر ربهم
فبينما أنا كذلك اذ
أتاني رجلان لم أر
أحسن منهما فسلما
علي فرددت عليهما
السلام فقالا يا محمد
أبشر فقد غفر ذنبك
وشكر سعيك وقبل
عملك واستجيب دعاؤك
وعلمت لك البشرى
فانطلق معنا حتى نريك
ما أعد الله للنبيين المنعم
فانطلقت معهما حتى
أخرجاني من الوعث
واذا أنا بخيل لا قبل لها
خيل كأن بها السرعة
الخاطفة أو هبوب
الريح العاصف فركبنا
وسرنا معها حتى انتهينا الى
قصر شاهق لا يبلغ
الطرف منتهاه كأنه منسج
من فضة وله نور يتلألأ
فلما وصلنا الباب افتتح
بابه من قبل أن نستفتح
فدخلنا فرأينا شيئا

تارح وهو آزر أبو ابراهيم بحران على كفره وتخلص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها نمرود بن فرعونا من فراعنتها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا عودا الى أرض الشام فنزل ابراهيم فلسطين وأنزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى أرض سدوم وما يليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن اتيانهم الفاحشة منع من ورود بلادهم واتيانهم المنكر في ناديهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم ويتضارطون في مجالسهم وينكح بعضهم بعضا في الطريق وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم على الطريق وروى أبو صالح عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذي كانوا يأتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك ويدعوهم الى عبادة الله تعالى ويتوعدهم على اصرارهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة منه ويخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا تمادا وعتوا واستعجالا بعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين فاجاب الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا ماشاة في صورة رجال ردحسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام فتضيفوه وبشروه باسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا ابراهيم أن الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وجادلهم في ذلك كما قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط وكان جداله اياهم على ما ذكر ابن عباس وغيره أنهم لما قالوا له انا مهلكو أهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته (قال) قتادة في هذه الآية لا ترى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا اليها القوا لوطا في أرض له يعمل فيها قال قتادة وراعن حذيفة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فانوه فقالوا انا مضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال أوما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انها لشر قرية في الارض وما أعلم على وجه الارض أنا ساأخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أي شديد (قال السدي) باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فانوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا ابنة لوط تستسقي الماء لاهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى غيثا فقالوا لها يا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففزعت عليهم من قومها ثم أتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا يأخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا وقالوا له نحل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ينهك عن العالمين فجاءهم لوط الى منزله ما يعلم بهم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فاخبرت قومها بذلك وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسنا قط (قال أبو حمزة الثمالي) بلغنا أن العلم الذي كان بين امرأة لوط وقومها اذا أتتهم الضيفان يقول

سولها هيؤا الناس لما دعوهم بذلك الى الفاحشة باضيافي لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخهم لما قالوا فلما أخبرت
ر أقلوط قومها باضيافي وجها جامه قومه يهرعون اليه أي يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط يا قوم
قوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد فقال لهم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن
عالمين أن تضيف الرجال قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرض عليهم
ل لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد قالوا يا بعث الله نبيا بعده الا في شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال
لى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد قال ابن عباس وغيره وغلق
ط بابه والائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت
لائكة ما لقي لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا له يا لوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير
ردود انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا وإياهم
تح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فانتشر
ناحيه وله جناحان وعلى رأسه تاج من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه مجلل مثل المرجان كأنه
ج بياضا وقدماه الى الخضرة تضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد راودوه
ن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون
جاء النجاءان في بيت لوط أسحر قوم في الارض وقالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحروا بأعيننا كما كنت حتى نصبح
وعدونه فلما علم لوط أن أضيافه رسل ربه وأنهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم اهلكوهم الساعة فقال له
بريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم أمره أن يسري بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد الا
أته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعهما مر أته فذلك قوله تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من
دنا كذلك نجزي من شكر فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضهم فاقتلع قريات قوم لوط الاربع
ن في كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى سمع أهل سمائهم نباح كلابهم
اح كلابهم ثم كفأها وقلبها بفعل عالية ساقلها كما قال الله تعالى فجعلنا عاليها ساقلها ثم أتبع شارديهم
سافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين
بعد أي ممن يفعل كفعلهم أخبرنا الحسين بن محمد بن نحويه أخبرنا خلد بن جعفر الباقري أخبرنا الحسين بن
ية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر أخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن
بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا سمع العواصف والقواصف من الريح
شي أم الحجارة التي أعدت لقوم لوط أو من يفعل بفعلهم وأخبرنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عقيل الفقيه
برنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازي أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع البهراني
صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان الى أن أتى شعيب قاضي حمص وكان رجلا عالما فسأله كم
ر بة اللوطي قال ان يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين
ل تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه فقالوا وكان الرجل منهم يتحدث في
يته التي يكون فيها فأتيه الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهبدة فالتعنت وقالت وا قوماه فأدركها الحجر
لها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين في العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما أصابهم
ية وأخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا الحسين بن عاوية أخبرنا اسمعيل
عيسى قال أخبرنا المسيب قال سمعت أبا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين أي خلفت فمسخت حجرا
نث تسمى هلسع وقال غيره اسمها راعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومة وساعورا
سدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية أربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فذلك
ت المؤتفكات أي المنقلبات وأما القرية التي انذا مسة فانها تسمى صفرة ونجت من العذاب لان أهلها آمنوا
ط وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سماك باسماء فسرها لي قال

اليوم عندك وأتحول
في غد الى الاخرى ثم
مددت يدي اليها فردتها
ردا رفيقا ثم قالت أما
اليوم فلا فانك راجع
الى الدنيا وستقيم ثلاثا
فقلت لا أحب أن
أرجع فقالت لابد من
ذلك وستفطر عندنا
بعد الثلاثة أيام ان شاء
الله تعالى ثم نهضت من
مجلسها فنهضت أودعها
فاستيقظت يا أخي ولا
صبر لي عنها قال هشام
فبلغني البكاء وقلت
هذا لك يا سعيد جدد
فله شكرا فقد كشف
الله لك عن ثواب عملك
فقال هل رأى أحد
غيري ما رأيت فقلت
لا فقال بالله عليك
يا أخي اكتم ما سمعت
مني ما دمت في الحياة ثم
قام فتطهر وتطيب
وأخذ سلاحه وتوجه الى
موضع القتال وهو صائم
فقاتل الى الليل ثم
انصرف فحدث الناس
بقتاله وقالوا ما رأينا
مثل ما فعل سعيد اليوم
سبحان الله كان يدارح
نفسه تتخطف سهام العدو
وجراحهم فكلهم يشهدون
عليه قال فقلت في نفسي
لو يعلمون شأنه لتنافسوا
في مثل عمله ثم مكث
قائما يصلي الى آخر الليل
ثم أصبح صائما يقاتل
أبلغ مما فعل بالامس
قال أبو الوليد فانطلقت

وصفك في قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فأخبرني عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فأخبرني عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالكا خازن النيران متى قلت لهما أو كلفتما مافتح أبواب الجنان أو النيران فعلاها قال فأخبرني عن قوله تعالى أمين قال ان الله أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتمن عليها غيري * أخبرنا عبد الله بن الحسين بن محمد المقرئ أخبرنا أبو عثمان بن أحمد بن سمعان البزاز أخبرنا عبد الله بن قطبة أخبرنا ياسر بن نوبة أخبرنا محمد بن رامو ز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا * أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا خلد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقي من قوم لوط أحد قال لا الا رجل بقي أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا له ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج أصابه الحجر خارج الحرم فقتله * عن مقاتل عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط الا كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الاربعين فأهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعا

* (مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم السلام) *

قال الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الآية قال سعد بن أبي وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا قال فانزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن الآية فدلهم الله تعالى في هذه الآية على أحسن القصص واختلف العلماء في سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين القاصيص أحسن القصص فقال بعض أهل المعاني معنى الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو أهون عليه قال الشاعر

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

أراد عزيزة طويلة واجراه الباقون على الظاهر فقالوا هي أحسن القصص ثم اختلفوا في وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة فأحسن ما فيها فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص يعني أن قصص القرآن أحسن معاني التوراة وقيل سمي الله هذه القصة أحسن القصص لانها ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجاز اة يوسف اخوته وصبره على أذاهم واغضائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه في العفو عنهم حيث قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خيري الدنيا والعقبى قال أهل الاشارة سماها الله أحسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

* (الباب الاول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام) *

هو يوسف الصديق بن يعقوب الصفي بن اسحق الذبيح بن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كراما * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

كريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم
اختلفوا في معنى اسم يوسف فقال أكثر الفقهاء هو اسم عبري فلذلك لا ينصرف وقال بعضهم هو اسم عربي سمعت
استاذ أبا القاسم الحبابي يقول سمعت أبا الحسن الاقطع وكان حكيما سئل عن يوسف فقال
سف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فيه فلذلك سمي يوسف

(الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته)

ل الله تعالى فلما رأينه أكبرنه الآية * أخبرنا أبو عبد الله الثقفي أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد
ن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازي أخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم
ل حدثني عمارة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي الى السماء
أيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا قال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله قال كالقمر ليلة البدر
أخبرني الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا محمد بن سعدان أخبرنا أبي أخبرنا يعقوب
خبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي وأمه شطر الحسن وعن
ب اسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى ثلاثة وجوهه على الجدران كما
ي نور الشمس والقمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الزرع فاراه
نبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف مرتديا
داء الكرامة مقمصا بقميص البهاء وفي يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون ألف ملك يحرسونه وعن يساره سبعون
ف ملك ومن خلفه أمم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه نجوم السعادة تزول معه حيثما زال
تحول معه حيثما مال فلما رآه آدم قال الهي من هذا الكريم الذي أبهجته بحبوحة الكرامة وزفته الدرجة
عالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدم أتحبه قال آدم قد أحببته ثلثي حسن ذريتي ثم ان آدم
م يوسف الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا بني لا تأسف فأنت يوسف فأول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى
وسف من الجمال الاثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره
نفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية وقد كان الله أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى
ع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذي كان انتزعه منه وذلك ان الله تعالى
حب أن يرى العباد أنه قادر على ما يشاء فاعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه أحدا من الناس ثم أعطاه
علم تأويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذي يرى في المنام انه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الامر عليه
نعذلك كما علم الاسماء كلها آدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف أبيض اللون بعيد الوجه
شعر ضخم العينين مستوي الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين حسن البدن أفنى الانف صعير السره
كان بخده الايمن خال اسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه سلمة بيضاء كأنها القمر ليلة البدر
كانت أهداب عينيه تشبه فواحم السور وكان اذا تبسم رؤي النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع
نور يشرق من بين ثنايا ولا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام وقال انه ورث الحسن
ن جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الواسطة بالعبرانية وهو ورث الحسن من أسارة
ن الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها ما هن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء
لون ونقاء البشرة ما لم يعطه أحدا من العالمين وانه كان لياكل كل البقول والفواكه فترى حسنه يزداد في حلقه
ن صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها حواء (وقال وهب) الحسن عشرة أجزاء ليوسف
سعة وواحد بين سائر الناس (وعن) عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام
ال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشي وقيل
عض الحكماء ليوسف أحسن أم محمد فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس
دل عليه حديث جابر بن عبد الله قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر

وصاح المسلمون ضجة
واحدة وحملوا على
المشركين وفتح الله تعالى
ذلك الحصن في ذلك
اليوم ببركته ورحمته الله
تعالى عليه ونفعنا به
في الدارين آمين
*(وحكي عن أبي يعقوب
الطبري رضي الله تعالى
عنه انه قال) *خرجت
في سفر أريد الشام
فوقعت في التيه أياما
حتى أشرفت على
الهلاك فبينما أنا
كذلك اذ رأيت راهبين
سائرين كأنهما قد
خرجا من مكان واحد
يريدان ديرا لهما
بالقرب فملت اليهما
وقلت لهما أين تريدان
فقالا لا ندري فقلت لهما
من أين أقبلتما فقالا
لا ندري الا أننا في ملكه
ورهن يديه قال فتعجبت
من ذلك وقلت في نفسي
ان هذين الراهبين
متحققان التوكل دوني
فقلت لهما أنا ذا لي في
الصحبة معكما فقالا ذلك
البلد قسرنا حتى أسينا
فأما الى صلاة المغرب فمضت
وصلت فلما نظرت الى عين
تحتي وصليت تعجبا من
ذلك فلما فرغا من صلاتهما
بعث أحدهما في الارض
فانفجرت عين ماء والى
جانبها طعام موضوع
فزدت تعجبا من ذلك فقال
لي أنت وكل واشرب قال
فاكلنا وشربنا ثم أن

ليلة البدر فهو أحسن فى عينى من القمر

(القول فى القصة)

قال أهل العلم بقصص الانبياء وأخبار الماضين كان ابتداء أمر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده ان الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة فى صحن داره فكان كما ولد له ولد أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فاخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيأ فلما كبر وشب قال لابيه يا بنى الله انه ليس أحد من اخوتى الا وله غصن الا أنا فادع الله تعالى أن يخصنى بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم انى أسألك أن تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخوته فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذ ذاك صبى كأن قضيبه غرس فى الارض فعلق وتدلت أغصانه وأثمرت من كل ثمرة ثم أتى باغصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر واذا بغصن يوسف أقصرها وأصغرها فلم يزل يتعالى فى السماء ويطول حتى طال على أغصان اخوته ثم هبت الريح فاقتلعت أغصان اخوته من اصولها وألقتها فى البحر وثبت غصن يوسف فى الارض فانتبه فزعا مرعوبا فقال له أبوه ما الذى دهاك يا بنى فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته فقالوا يا ابن راعيل لقد رأيت عجبا فوالله أن تدعى انك ولانا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسدوه بعض الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعنى الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأى وهو ابن اثنتى عشرة سنة الرؤيا التى قصها الله علينا فى كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان يتوهمه الى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالى اذ رأى الرؤيا التى ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا حبيب أبيه ما الذى أصابك فقال يا أبت رأيت رؤيا أفزعتنى فقال يا بنى خيرا رأيت ما الذى رأيت قال يوسف رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسمعت الحيتان بانواع اللغات ورأيت كأنى ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدى فبينما أنا كذلك اذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا الى ساجدين فقال يعقوب يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث الآية قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقالت لها يعقوب اكتمى ما قال يوسف ولا تخبرى أولادى بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التى أمرها يعقوب بكتمها فانتفخت أوداجهم واقشعرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ما عنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ثم قالوا ان ابن راعيل يريد أن يتملك علينا فيقول أنا سيدكم وأنتم عبيدى فحسدوه على ذلك فلذلك قيل فى الحكمة لا تأمن قارئا على صحيفة ولا شابا على امرأة ولا امرأة على سر (وروى) الحكم بن ظهير عن اسمعيل السدى عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له نستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له أسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشئ حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره باسمائها فارسل الى اليهودى ودعاه وقال له ان أخبرتك باسمائها أتسلم قال نعم فقال له جريان والطارق والذيال وذو الكنفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح وأهاوسف فى أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال أرى شبابا مشتاقا يجمعه الله لك فقال اليهودى هذه والله أسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف فى الغصن ورؤياه فى الكواكب سبع سنين فلما كان من أمر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على أن تآمروا بينهم فى أن يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال وهم الذى وقع فيما بينهم كما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب

الصلاة ثم غار الماء وذهب الطعام فلما كانت الليلة الثانية فعل الثانى كما فعل الاول فلما كانت الليلة الثالثة قالالى يا مسلم الليلة نوبتك قال محمد بن يعقوب فاستحييت من قولهما ودانى هم شديد وأمر غريب وقلت فى نفسى اللهم انى أعلم ان ذنوبى لم تدع على عندك بناها ولكن أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أن لا تفضحنى عندهما ولا تشمتهما بدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فاذا بعين ماء قد انفجرت وبطعام كثير الى جانبها فاكلنا وشربنا ثم حمدنا الله تعالى على ذلك قال فلم نزل على تلك الحالة حتى بلغت النوبة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلبنى البكاء فلم أستطع رده فاصابهما مثل ما أصابنى واشتد بكاؤنا بالبكاء فلما فرغنا قالالى ما يبكيك فقلت انى رجل مسرف على نفسى وليس لى عند الله من الجاه والمنزلة ما يبلغنى هذه الكرامة فقالالى وكيف ظهر لك فقلت اغاثونى الله يحياه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يفضحنى معكما فاستحاب لى فقالا قد عرفنا ان دينه الحق وهو عند الله عظيم فاشهد يديك فانا نشهد أن لا اله

ى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين أى شيطانين فى ايثاره يوسف واحبه علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه
رضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين أى تائبين فاستعدوا للتوبة فبسبب وقوع الذنب قال
ائل منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه فى غيابة الجب وهو
بئر غير المعلوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسن أتجد المؤمن فقال للسائل ما أنت لشبئ
يعقوب ولهذا قبل الاب جلاب والاخ سلاب مع ذلك أجمعوا رأيهم أن يحتالوا على يعقوب ويكلموه فى ارسال
يوسف معهم الى البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب ان أباكم لا يأمنكم على يوسف وإنه من
ما القوا بنا الى يوسف حتى نلعب بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق الى ذلك فاقبلوا على يوسف
عوفاعد يسيح فجعلوا يتلاعبون ويتضاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فاقبل
ليهم وقال يا اخوتاه أهكذا تلعبون فى مراعيكم فقالوا نعم يا يوسف آنك لو رأيتنا ونحن نلعب فى مراعينا لتمنيت
ن تكون معنا فشوقوه الى ذلك حتى كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه انا القوا الى أبى واسألوه أن
يسلني معكم فأقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون هكذا اذا أرادوا أن يسألوه حاجة فلما رآهم
ين يديه وقوفا صفوفا قال لهم ما حاجتكم قالوا يا أبانا مالك لا تأمننا على يوسف وانا له لناصحون نحوطه ونحفظه
ى نرده اليك أرسله معنا غدا نرتع ونلعب فى الصحراء وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انى ليحزننى أن تذهبوا
وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب لانه
أى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه واذا ذئب منهم انحنى
نه وكأن الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا
اف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم وأخاف أن يأكله الذئب * أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا
بد الله بن شبة أخبرنا أبو نعيم عبد الرحمن بن قريش أخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروى أخبرنا مالك بن
أميمان القروى أخبرنا عبد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقنوا الناس الكذب فيكذبوا فان بنى يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الانسان حتى لقنهم أبوهم فلما القوم
قال انى أخاف أن يأكله الذئب قالوا أكله الذئب فقال نوفل أكله الذئب ونحن عصبة أى عشرة رجال انا اذا
خاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبى الله كنت يأكله الذئب ونحن نشعر ان اذا غضب لا يمكن غضبه حتى يصيح
ذا صاح لا تسمع حامل الا وضعت ما فى بطنها وذا بها وذا اذا غضب يشق السبع تمشين فلما سمع يعقوب قولهم
ال اطمأن اليهم وأقبل يوسف حتى وقف بين يدى أبيه ثم قال له يا أبت أرسلنى معهم قال أوتحب ذلك يا بنى قال
م قال اذا كان غدا أذنت لك فى ذلك فلما أصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وأخذ قضيبه وخرج مع
خوته ثم عمد يعقوب الى السلة التى جعل فيها ابراهيم زاد اسحق فجعل فى جوفها زاد يوسف وخرج ليشيعهم فقالوا
ى الله ارجع فقال يعقوب يا بنى أوصيكم بتقوى الله وبحبى يوسف أسألكم بالله ان بايع أطعموه وان عطش
سقوه وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تفضلوه وكونوا متواصلين متراحمين قالوا نعم يا أبانا كلنا لك ولد وهو أخونا
أحدنا بل له الفضل علينا لحبك اياه فقال نعم يا بنى أنه خليفتى عليكم معى انى خائف أن أكون قد ضيعت ثم انه
بل على يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعك الله رب العالمين وانصرف راجعا
(روى) السدى ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم واسحق بن
شر بن جوبير عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كلب الاحبار عن سعيد بن أبى عروبة
ن الحسن دخل كلام بعضهم فى بعض قالوا أرسل يعقوب يوسف مع اخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة
سايرز وابه الى البرية أظهر والله العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا
ى منهم رحيما وأخذوا ما كان زوده يعقوب وأطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعاش عاشا
ريدا فقال لهم اسقونى جرعة من ماء قبل ان تقتلونى فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف فلما رأى
سف ان ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو علم ما تصنع بابنك بنو الاماء فلما

الا الله وأنت يا خير مسؤل
الله قال فلما وخرجنا
بجميعا الى مكة شرفها الله
تعالى فاقمنا بها مدة
وخرجنا الى الشام
فتفرقنا فوالله ما ذكرتهما
الا وهانت على الدنيا
وصغرت فى عينى
(وأنشدت شعرا فى المعنى)
لما رأيتك ماضيا
فى القلب زادى الخاطر
وبقيت فيك متحيرا
والقلب ليس له قرار
فامنح كؤسى بالرضا
جهرا فداعيها اصطبار
دارت على موسى الكليم
م فلاح نحو الطور نار
لما لمحت فلما أتاها
جاب نحوا لجب طاروا
بذلوا اليمنى نفوسهم
وعلى خيول القوم غاروا
والبعض فى بحر الهوى
ركبوا وبالارواح حاروا
طلبوا سقيا بالقلو
ب وعند ما نالوه صاروا
عاموا به حتى لقد
أنست بقربهم الديار
ورأوا اشارات الهوى
لاحت لهم فاستبشروا
هذا زمان لاح لهما
قد رحم الرحمن الاحسان
فرأوا الطريق وسلكوا
منهج التصديق وأنت
يا مسكين عمرك قد انقضى
ومضى فى العصيان
وزمانك قد ذهب فى
الخسران وأنت فى بحر
الغفلة تغرق وقد هبت
نسمات القبول والتوفيق
وأنت ساكن تحت

هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا ألم تكم قد أعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على القائه في الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فالطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الاردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والمقدس على قارعة الطريق في وادمن أودية من أعلى ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشة مظلمة أسفلها واسع وأعلاها ضيق يهال من طرح فيها من سعة أسفلها لا يمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من حفر رسام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما أرادوا أن يلقوه فيه جعلوا يدلونه في البئر فيتعلق على شفير البئر فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي أستتر به عورتي ويكون لي كفنا بعد مماتي وأطلقوا يدي أطرد بهما عني هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة ملساء فوقف عليها وجعل يوسف يبكي فنادوه فظن انهم ارسعة لحقتهم فأجابهم فهموا أن يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال لقد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فالوا فلما ألقى يوسف في الجب أضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى اليه ملكا فغسل عنه قيده وكان ابراهيم حين ألقي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه وكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي في الجب عريانا جاءه الملك وكان يعلمه التعويذ فأخرج القميص وألبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (ويروى) ان الملك أتاه بسفرجل من الجنة فاطعمه اياها فلما أمسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك ان اذا خرجت عني أستوحش فقال له الملك قل اذا هبت شيأ يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شئ من أمري فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا فحفوا به وآنسوه في البئر ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك ههنا في هذا الجب قال اخوتي لابي قال ولم قال حسدوني على منزلتي من أبي قال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال نعم قال قل يا سامع كل مصنوع ويا باعث كل مكسور ويا حاضر كل ملا ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالبا غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا محيي الاموات ويا محيي الموتى لا اله الا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد بديع السموات والارض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لي من أمري ومن ضيق فرجا ومخرجا وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب فقالها يوسف فعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد اخوته فرجا وآتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب وأوحى الله اليه وهو في البئر لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يتغير وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة (أخبرنا) أبو عبد الله الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصيرفي أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة * ورجعنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما ألقي في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشووها وأكلوا لحمها ثم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه أصاروا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال ما لكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي نتفاضل وكذلك هو في قراءة عبد الله وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه

ملطخ بدمه فذلك قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون وانما عشوا ذلك ليكونوا في الظلمة أجرأ على الاعتذار ويتزوروا مما مكروا فقد قالوا الاتطلب الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من قبيح تعمله وتتبالغ في الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبي قال جاء اعرابي الى شريح فجعلت تبكي فقال رجل ألا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء اخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أنشد في معناه

أغرك من شيخ بكاء وعلقه * أم اللحية البيضاء لاتنفد ساعته

فان بني يعقوب جاؤا أباهم * عشاء وهم يبكون زورا وخرقه

قال فلما قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي نتفاضل ونترامى كما يفعله الذئب الآية الى قوله بدم كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذب بدال غير معجمة أي طري فلما قالوا ذلك ليعقوب بكى بكاء شديدا وقال لهم أرونى قميصه فأروه فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له قميصا ولا خرق له شقا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم أخذ القميص وجعل يشمه تارة ويضعه على وجهه وعينيه (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن شاذان أخبرنا عبيد الله بن بنات أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا أسامة حدثني زكريا بن سماك عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوه ان أكله الذئب لشق القميص وجعل يشمه تارة بعد تارة ويضعه على وجهه وعينيه فارتد بصيرا * قالوا فلما أصبح اخوة يوسف من الغد رجعوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فان أردتم أن يصدقكم ويخبركم بالملامة فقروا بابنا على جلية فتخرج يوسف منه ونفرق بين أضلاعه ولحمه حتى يعلم يعقوب أنه الذئب فلما أن ذهبوا ليأخذوا يوسف من الجب قال لهم يهوذا اخوتنا أن العهد الذي بيني وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لا أخبرن يعقوب بما كان منكم البتة لا أكون لكم عدوا ما ثبت في قعر الجب فلما رجعوا الى أبيهم عشاء قالوا لهم يعقوب ان كنتم صادقين أن الذئب أكله فأين الذئب الذي ائتوني به فعمدوا الى جديهم فأخذوهما وصاروا الى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه وأوثقوه كتافا ثم جاؤا به الى يعقوب أوقفوه بين يديه فقال علموا عقاله فعلوه فقال له يعقوب أبعد الله فاقبل الذئب يتخطى القوم حتى وقف بين يدي يعقوب منكسا رأسه فقال له يعقوب أنت الذئب أكلت ولدي وقرة عيني وحبيب قلبي وثمرة فؤادي لقد أردت شيئا عظيما وأمرا فظيعا فقال الذئب وقال لا وحق شيئتك يا نبي الله ما أكلت ولدك ان لك ولدا وان لحومكم ودماءكم معشر الانبياء لمحرمة علينا وانى لظلوم مكذوب على ولكني الذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك أرض كنعان قال جئت لاجل مرابة لي من الذئاب أزورهم وأسلم عليهم فعند ذلك قال يعقوب لا ولا لده بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان على ما تصفون * قال ابن عباس لما كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جاره ولم يطعمه فابتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال فمكث يوسف في الجب ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذي دعا به جبريل عليه السلام ياعت سيارة أي رفقة سارة من قبل مدين تريد مصر فأخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الجب قال وكان الجب في قفر بعيد من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه ملحا فلما ذب حين ألقي فيه يوسف فلما نزلت السيارة وساروا رجلا من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قالوا والوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء فهي الا ورشبه والدلاء فوصل الوارد الى البئر فأدلى دلوه ي أرسلها فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان قال مالك يا بشراي هذا غلام يبشر أصحابه أنه أصاب عبدا وأسر وبضاعة قال المفسرون أسر مالك بن دعر أصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها من بعض الناس الى مصر خيفة أن طلبوا منهم فبعث الشركة ان معوا له قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرا من اخوته فلما فقد ذلك اليوم مما كان يفعل فلم يجده في البئر فنظر فاذا هو بمالك وأصحابه نزولا ليوسف معهم فرجع يهوذا وأخبر اخوته

الرجوع الى الاصل
والله قريب المرتجى
وخفنا من العروه
فصاحوا الناس وبكوا
وضجوا فقال الرجل ياقوم
معنا في السفينة رجل
صالح كان من أمره كذا
وكذا فاسألوه ان يدعو
لكم فأتوا اليه وهو نائم في
ناحية المركب فلفوفه
رأسه في الكساء قال
فأيقظناه وقلنا له يا سيدي
ما ترى من حالنا وما نحن
فيه من الشدة والغرق
فرفع رأسه الى السماء
وقال اللهم أنت تعلم
قصدنا فارنا حالك
وعفوك قال فما استتم
كلامه حتى سكن الريح
وهدأ الموج وسار
السفينة قال عبد الرحمن
فلما نزلنا من السفينة
سرنا أياما فهلكنا من
الجوع وشكونا الجوع
فانتهينا الى
شجرة البلوط ملأى
الثمر ودون أوراقها
ثم أتيناه وقال كل
فاذا هو رطب حسن
ما أكلت الذ منه ولا
أطيب قال وحملنا
معنا في بعض السلات
ليلا فتكون اليه ذلك
فقال لي اشرب فنظرت
الى دلوتدلى في الهواء
وفيه ما لم أذق أطيب منه
طعاما ولا أحسن منه
ريحا فشربت منه حتى
رويت فمكثت بعد ذلك
أربعة أيام لا

بذلك فاتوا الى مالك وقالوا له هذا عبدنا أبق منا وكتم يوسف حاله مخافة أن يقتلوه فقال مالك أنا أشتريه منكم فباعوه منه بذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين أى باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لان ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وانما قال ذلك لانهم كانوا فى ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أو بعين درهما انما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغ أوقية وزنوه لان أقل أوزانهم وأصغرها يومئذ أوقية أو بعون درهما (واختلف) العلماء فى عدد الدراهم التى باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدى عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة أربعون درهما وانما باعوه بهذا القدر لانهم كانوا فيمن الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله و يقال ان السبب فى استرقاق يوسف وبيعهم اياه ان ابراهيم دخل مصر فى بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم خمسة امشاة الى أربعة فرسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم فاوحى الله اليه انك لم تترجل لعبادى وهم يمشون معك حفاة لاعاقبنك بان يباع ولدك من أولادك فى هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو وأصحابه بيوسف ومعهم اخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد رثنا اليكم من هيوبه فحمله مالك على ناقته وسار وابه الى مصر وكان طريقهم على قبر أمه فلما رأى قبر أمه لم يتمالك ان رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول يا أمى يا راحيل حلى عنك عقدة الردى وارفعى رأسك من الثرى وانظرى الى ولدك يوسف وما لقى بعدك من البلايا أما لو رأيت ضعفى وذلى لرحمتنى يا أماه لو رأيتنى وقد نزعوا قميصى وشدونى وفى الجب ألقونى وعلى حر وجهى لطمونى و بالجفا قد رجمونى ولم يرحمونى وكاتباع العبيد باعونى وكايحمل الاسير حملونى (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله فال فافتقده مالك على الناقة التى كان عليها فلم يجده فصاح فى القافلة ألا ان الغلام قد رجع الى أهله فطلب القوم يوسف فراوه فاقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد خبرنا مولاك بانك آبق سارق فلم نصدق حتى رأينا تفعل ذلك فقال والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر أمى فلم أتمالك أن رمت نفسى على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده ولطم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته و يروى انهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما زلت منزلا ولا ارتحلت الا استبان لى بركة يوسف وكنت أسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت أنظر الى ثمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر أمر مالك بن دعر أن يغتسل فاغتسل وألبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر وتوافيها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر وتوافيها الريان بن الوليد بن نروان بن اراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام و يروى أن هذا الملك مات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات و يوسف حى ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن نمر و بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فابى أن يسلم (قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تلقى قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج نعالا وثوبين أبيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا و رقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه أتى به منزله وقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعاييل فقالت ابن اسحق بن بشار وأخبرنى ابن فتحويه أخبرنا ابن أبى شيبة أخبرنا أبو حامد المسيلى أخبرنا أبو هاشم الرفاعى قال اسم امرأة العزيز بكا بنت فيوش قالوا فقال لها أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا انتبنا ه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل حسناء تاعمة فى ملك ودنيا (أخبرنا) أبو بكر الجوزقى أخبرنا أبو العباس الدعولى بسر حين أخبرنا على بن الحسين الهلالى أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس فى يوسف وقال لامرأته أكرمى مثواه والمرأة التى أتت موسى فقالت لابيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر قال

أبعون ولا أعطاش فهذا
كله بيركته قد در رجال
ماتركوا فى فلوجهم لغير
محبوبهم مجال قد أسبلوا
العبرات على الوجنات
(شعر)
قد در رجال واسبلوا
السهرا
واستعذبوا الوجد والتبريح
والفكرا
فهم نجوم الهدى والليل
يعرفهم
اذا تفارقهم هم سادة بررا
كل غدا قلبه بالله مشتغلا
عمن سواه وللذات قد
هجرا
يمسى ويصبح فى وجد وفى
قلق
مما جناه من العصيان
منذعرا
يقول يا سيدى قد بت
معترفا
بالذنب فاغفره لى يا خير
من غفرا
سولت ذنبا على عليه ما لا
أطيق له
ولم أطع سيدى فى كل
ما أمرا
عسيته وهو برنى من سخطه
كرما
يا طالما قد عفا عمن وقد
ستر
يا طالما كان لى فى كل نائبة
اذا استغثت به فى كربة
نصرا
وانى تائب مما جنيت وقد
وافيت بابك يا مولاى
معتذرا
ليعسل تقبل عذرى ثم

أهل الكتاب لما تم ليوسف فى الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث الآية قالوا فلما أتى العزيز بيوسف الى منزله وقال لامرأته أكرمى مثواه فتأملته امرأة العزيز وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك أى هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربى أحسن مثواى يعنى زوجك قطفير سيدى انه أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون يعنى ان فعلت هذا خفته فى أهله بعد ما أكرمنى واتمننى فأكون ظالما له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها ولولا أن رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشئ ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

همت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم فى ذلك قال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكره محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ ينتثر من جسدى قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل فى الارض من جسدى قالت ما أحسن وجهك قال التراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتنهاه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل بجدة الشباب وهى حسناء جميلة حتى لان لها الماء من كفها به ولم يخطر منها حتى خلوا فى بعض البيوت وهم بها (وروى) اسحق بن بشار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ يبلى اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال وربى تعالى صورنى فى الرحم قالت يا يوسف قد أنحلت جسمى بصورة وجهك قال الشيطان يعنيك على ذلك قالت يا يوسف الجنة قد التهبت نارا لقم فاطفئها فقال ان أطفأتها فقها احترافى قالت يا يوسف الجنة قد عطشت فم فاسقنيها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق أن يسقيها منى قالت يا يوسف بساط الحرير قد بسط لك قم فاقض حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة قالت يا يوسف ادخل معى تحت الستر فاستتر به قال ليس شئ يستترنى من ربى تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدرى تشفنى بذلك قال سيدى أعوق بذلك منى قالت أما ستبدك فاسقيه كأسا فيذهب ثوب الذهب فيتنا نرجع ويتساقط عظامه ثم ألقيه فى الاستبرق وألقيه فى التيعلون يعنى الخدع لا يعلم به أحد من الناس وأوابل ملكه قليله وكثيره قال فان البراء يوم البراء قالت يا يوسف انى حسنة كثيرة الدر الياقوت والزمرذ فاعمل ذلك كله حتى تنفقه فى مرضاة سيدك الذى فى السماء فابى يوسف (قال ابن عباس) فجرى الشيطان فيما بينهما فضرب بأحدى يديه الى جنب يوسف وبالاخرى الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى ان حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وروى) جابر عن الضحاك عن ابن عباس همت بيوسف أن يفترشها وهم بها يعنى تمناها أن تكون له زوجة * وأما البرهان الذى رآه يوسف وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه (أخبرنا) أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبرانى أخبرنا حسين بن عطية عن اسرائيل عن أبى حصين عن أبى سعيد قال ابن عباس فى قوله تعالى ولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله (وقال الحسن) وجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فنكل بنى يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه (وقال قتادة) رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الانبياء (وقال السدى) نودى يا يوسف لا توافعها اعلم ان مالم توافعها مثل الطير فى جو السماء لا يلحق ومثلك ان توافعها له اذا مات ووقع فى الارض لا يقدر أن يدفع عن نفسه ومثلك مالم توافعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور الذى يدرث فيدخل النمل فى أصل قرنه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهانى أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد السكونى أخبرنا محمد بن ابراهيم بن

يوم الحساب اذا قومت منكسرا
وقد أتيت بذل راجيا كرم
اليك يا سيد السادات معتذرا
هاقد نشفعت بالهادى النبى ومن
فاق النبيين والاملاك والوزرا
تالله لو لم يكن فى الارض ما نبتت
زرعا ولا أنزل البارى لها مطرا
متى أسير الى ذاك الجناب متى
أحظى برؤيته أقضى بها وطرا
صلى عليه الله العرش ما ركضت
فوق وما زمزم الحادى لها وسرى

* (وبه) عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى وتفعنا به) * أنه كان يقول فى بعض مناجاته سيدى لئن طالبتنى بذنبى لاطالبنك بعفوك ولئن طالبتنى بخجلى لاطالبنك بجودك وكرمك ولئن طالبتنى بأساءتى لاطالبنك بأحسانك ولئن أدخلتنى النار لاخبرن أهلها بحبى لك فنودى يا أبا سليمان لا تدخلك النار ولا تعذبن بها أبدا بل تدخلك الجنة لتخبر أهلها بحبك لنا ولا تخبر أهل النار

خالد بن عمرو بن حفص البصري ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد البصري أخبرنا ابن لهيعة عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها فقد حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فاذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا وفارا فلما ذهب عنهما الروع والرعب عاد وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين (أخبرنا) يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي حدثني أبي قال حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه علي بن الحسين في قوله تعالى ولولا أن رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فغطت وجهه بثوب قال فقال لها يوسف ما هذا قالت استحي أن يرانا فقال لها يوسف أتستحين من لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا أستحيي انا من خالق الاشياء كلها وعالمها * قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا مما أرادته فاتبعته المرأة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب يعني تبادر يوسف وراعيل الى الباب أما يوسف ففر اراما من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطالبا ليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عنها فادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها ما نعة له من الخروج فقدت أي خرقت وشقت قميصه من دبر أي من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا ألفيا سيدها لدى الباب أي وجدا زوجها قطفير عند الباب بالسين مع ابن عم راعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد بأهلك سوأ يعني الزنا الا أن يسجن أو عذاب أليم يعني الضرب بالسياط (عن ابن عباس) وهذا كالمثل السائر يحذا لص قبل أن ياخذ لك تقول يوسف بل هي راودتني عن نفسي فابيت وفررت منها فادركتني وشقت ثوبي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو (قال) سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد أنطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا حكيما وله رأي وكان من حاشية الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم أقبل على يوسف فقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث لا تذكره لاحد ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين أي من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وبحث زوجك فلما استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في المدينة وهن امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه أي عبدها الكنعاني قد شغفها حبا أي دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا لنراها في ضلال مبين أي خطا بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن وحديثهن وقال ابن اسحق يعني بكيدهن وذلك انهن قلن انما قلنه مكرا بها لتري يوسف لما بلغهن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل مائدة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتي عيرنها ذلك قوله تعالى أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ أعتدت أي هيأت لهن مجلسا للطعام وما يتكئن عليه

من الغارف والوسائد (عن ابن عباس) وسعيد بن جبير وقتادة يعني هيأن طعاما وقرأ ابن عباس متكأ بضم التاء مهموز وهو كل طعام تحز بالسكين وقال وهب اعتدت لهن أترجا وبطيخا موزا ورمانا وردا وآتت كل واحدة منهن سكينا قالت ليوسف اخرج عليهن وكانت قد أجلسته في مجلس خبر المجالس الذي هن فيه بلوس نظرن عليه يوسف فلما رأينه أكبرنه وهبلهن أسرعن في قطع أيديهن بالسكاكين اللاتي معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها فما أحسن الا بالدم ولم يجدن من حز الايدي ألم الشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام (وقال وهب) بلغني ان سبعا من الاربعين امرأة ممن في ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أي معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت امرأة العزيز عند ذلك للنسوة فذلكن الذي لمتنني فيه أي في حبه وشغفي به ثم انها أبدت لهن الميل الذي عندها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت والله لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاختار يوسف حبس عين عاودته المرأة في المراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة فقال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أميل اليهن أي أصل وأتابعهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم أي العزيز وأصحابه من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وشق الوجه وطلع النسوة أيديهن ليسجننه حتى حين (قال السدي) وذلك أن المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يتحدثون بحبي اياه وبخبرهم انه راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذر فاما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر واما أن تحبسه فحبسته فلما حبسته بعد علم بالبراءة دفعا للتهمة عن امرأته وذلك ان الله تعالى جعل ذلك للملك ليس تبلهم ليوسف من همه وتكفير الزلته قال ابن عباس فلبث يوسف ثلاث عبرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال للذين ظنوا انكم سارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل * وذلك ان يوسف دخل معه السجن فتيان وهما علامان كانا للوليد بن الريان لا مصر الا أحدهما الخباز وصاحب طعامه واسمه حجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه يوصر فغضب الملك عليهما فسجنهما وذلك انه بلغه عنهما ان خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه واقفه على ذلك وكان الذي بلغه ذلك عنهما من هم رأوا الوا الكر بالملك واغتياله فدسوا الى هذين العلامين وضمنوا لهما مالا عظيما على الطعام المسموم والشراب فلما بابا هم الى ذلك ثم ان الساقي تنكل عنه والخباز عزم الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضره أتى صاحب الطعام قال الساقي أيها الملك لا تأكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فدعا الملك الساقي فشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فابى فرمى ذلك الطعام في دابة من الدواب فاكلته فهلكت فلما رأى الملك ذلك حبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله اني أعبر الاحلام فهل أحد من الفتيين لصاحبه علم تجربة علم هذا العبد العبراني فتراءى له فسأله من غير أن يكون رأى شيأ قال عبد الله بن مسعود ما رأيا شيأ وما كنا نعالج العبر باعلم وقال القوم بل كانت رؤياه حقيقة فلما أعضله البلاء قال لصاحبه هذا رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أشد كما الله تعالى لا تذبان فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما قال فأبى الا حبه والناس حينئذ كان يجعل يجمعهما ما يريد من فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين دخلا السجن رؤيا فاتيا يوسف فقال الساقي أيها العالم اني رأيت كأني في بستان فاذا أنا باصل كرمة علم ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا يعني عنبا باغتهما ان لا عليه فراعتا بن مسعود أعصر خمرا أي عنبا وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبز وكل الطير منه تشتا بتأويله انا نراك من المحسنين أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قالويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمي أخبرنا أبو الربيع الزهراني أخبرنا خلف بن خليفة أخبرنا سليم

مخمورة قال ذو النون فقلت لها يا بارية بعمى قائمة نسلك أو بعمى أحسنها عنك فقالت يا ذا النون علمك بالسكون حتى تموت لك الملك موت وارتض من الله باليسير من القوت يبني لك بيت في الجنة من الياقوت فاوحى الله تعالى الى نبيه داود عليه السلام يا داود أحبني وأحبب من يحبني وحببني الى عبادي فقال داود يا رب كيف أحبك وأحبب من يحبك وأحببك الى عبادك فقال تذكرني لهم وتذكرهم آلائي ونعمائي فانهم لم يعرفوا من الا الجميل ولا الاحسان * قيل اوحى الله تعالى الى نبيها ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم اتخذتك خليلا وأنا الله لا خليل لي فاهتم ابراهيم أن أداخل قلبه شيأ دون الله فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم ان الخليل لا يتم خلته الا بالايثار فاستعد لجيشك فاتاه جبريل فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك ان كنت تحبني فاذا أنا الجيش فان الحب لا يشتاق الا الى محبوبه وان كنت تحب المال فهذا مال فخذ منه ما شئت فان الله أغنى أن يكون خليله فقيرا وان كنت تحب الجنة فهذه الجنة فتوضأ وصل ركعتين ثم سل ربك ما شئت فانه يعطيك ولو أوقدت النار لم يلتفت قلبه اليها ولم يشتغل بغيرى فاذا كان كذلك أسكنته جنتي وجعلته في قلبي وآثرته على الملائكة المقربين منى ووهبته لعبدي فاي نعيم يعدل ذلك عندي وأي شرف أشرف منه لدي فوعزتي لاشفين صدره بالتسليم الي وذلك اني احب لسن أحبني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل في السجن قام عليه فاذا ضاق عليه وسع له وان احتاج جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوي مريضهم ويعزي حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا ان في هذا الاخوا توا بافقالوا يافتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك الا ان نحب أن تكون في غير هذا المكان منذ رأينا ك لما نخبر به من الاجر والكفارة والطهارة في ذلك فمن أنت يافتى قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يافتى لو استطعت خليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك وأحسن اينارك فكن في أي بيت شئت قال فكره يوسف أن يخبرهما ما سألا عنه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فاعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ في غيره قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فأراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام وأقبل عليهما يعلمهما على أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الآية ثم فسر رؤياهما لما ألحا عليه فقال ياصاحبي السجن أما أحدكما وهو الساقي فيسقي ربه خمرا يعني الملك ويعود الى منزلته التي كان عليها وأما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج وأما الآخر فيصلب والسلال التي رآها في المنام ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج فيصلب فتأكل الطير من رأسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب ونجرب عليك هذا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان أي فرغ الامر الذي عنه تسألان (أخبرنا) عبد الله بن محمد بن محمد بن الوزان أخبرنا أحمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبي روزين العقيلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لا تقصها الا على ذي رأي وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذي علم انه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه الآية والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة وأكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب يوسف بالسجن سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى (وقال الحسن) نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس (وقال مالك) بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك فقيل له يا يوسف اتخذت من دون وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت فويل لاخوتي (ويحكى) ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أنسا المنذرين مالك بين الخطئين فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت مني ان استشفعت بالآدميين فوعزتي لا لبثتك في السجن بضع سنين قال يوسف يا أخي يا جبريل وهو في ذلك راض عني قال نعم قال اذا لا أبالي (وقال كعب الاحبار) قال جبريل ليوسف أن الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى أبيك قال الله تعالى قال فمن أنسلك في البئر وألبسك وأنت عريان قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التي كانت قبلها وذلك انه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقي وهو قوله تعالى لبثت حتى حين فلما استشفع بالساقي وقال له اذكرني عند ربك لبث في السجن سبع سنين فلما انتهت محنته وفرحه وراحته رأى

(الثواني) اذا كانت
محبتك سبقت للعبد
بالعناية القديمة كيف
لا يسلك العبد الطريق
المستقيمة كما قيل ان الله
تعالى يقول يا جبريل
انا نحب فلانا وأريقنا فسلانا
فالحب بين يدي محبوبه
قائم وخدمته ملازم وفي
حبسها هائم فما عليه من
العاذل واللائم (شعر)
ياعاذلي القلب في صبابته
ولائم الصب في تصابيه
ترك ملامي وخل عن عذلي
فالحب معنى ولست تدريه
وفي ضميري من لا أبوح به
وفي فؤادي من لا أسميه
قد أدهش الطرف في
محاسنه

وحير القلب في معانيه
محجب والقلوب تشهده
مغيب والغرام يبديه
وروحه حيث كنت
واجهني
لا شئ يخفيه أو يواريه
ان جئته ضارعا يأملي
يقول ليبك في تعاليه
ها أنا دان ومنك مقترب
فقد من الوصل ورد صافيه
وعن ذي النون المصري
رحمه الله تعالى) انه قال
رأيت فتى ظاهره بالجنون
وباطنه الفنون فعلمت
انه محب مولاه مفتون
فسمعته يبكي ويقول في
مناجاته مولاي قربت
المحبين وطردتني فما
ذنبي وخصصتهم بالوصل
منك وهجرتني فوا كرب
وأية قلوبهم القيام بين

ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة فهالته وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم يرمنها شيأ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة ومعبريه وقصها عليهم وقال يا أيها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون اى تفسرون قالوا أضغاث أحلام مختلطة مشتبهة التأويل أباطيل وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما سما أى من الفتيين وهو الساقي وادكر بعد أمة أى وتذكر حاجة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أى بعد سنين أنا أنبئكم بتأويله فارسلون أى الى السجن (قال) ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فاتى ليوسف فقال له أيها الصديق يعني فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصدق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف الى قوله لعلهم يعلمون أى فتعلمك فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الى قوله وفيه يعصرون فرجع الساقي الى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه فكانهار دهرف الملك ان الذي قال كان فقال الملك ائتوني بالذي عبر رؤياي هذه فلما جاءه الرسول الى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته ويعرف محنة أمره من قبل النسوة فقال للرسول ارجع الى ربك أى سيدك الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم (قال ابن عباس) لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك شأنه ما زالت في نفسه منقصة يقول هو هذا الذي راودنا أمس أتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من أخي يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولو كنت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله انه كان لحليما أناة قال فرجع الرسول الى الملك فاخبره بما قال يوسف فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال ابن عباس فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين همت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي الآية فلما تبين للملك عذر يوسف عرف أمانته وكفايته وديانته وعلم ذلك فقال ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما جاءه الرسول الى يوسف قال له أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا للسجن بدعاء يعرف به الى اليوم وذلك انه قال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار الى اليوم في كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم انه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا حسانا وقد الى الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي حسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان أبي يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه يوسف بلسان آبائه بذلك اللسان فاعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال ان عندك ان هذا علم تأويل رؤياي ولم تعلمها الكهنة والسحرة ثم انه أجلسه وقال له اني أحب أن أسمع رؤياي سلني شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما أنت كذلك تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من جوفه سبع بقرات عجاف شعث غبر ما صدقت البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاقبلن السمان واخترسهن اخترام السباع وأكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد ما أكلهن اذا سبع

بد الشواة تي فوالذي
والذي نفسي في السر
بما باتك وما الذي تبغي
فوالله ثم أنه ذرفت البكاء
والنحيب قال ذو النون
فرأيت مني ما كان ساكنا
وهيج من شوقي ما كان
كامنا فقلت له ما فتى ما هذا
البكاء فقال يا ذا النون
اخبرني سواد الثوب
يزول بالماء والصابون
وسواد القلب يزول بماذا
قال ذو النون فقلت أنا
والله في طلب ما أنت في
طلبه وما رفعت منه الا في
الخرقة والذي أنشد
يقول شعرا
رأى سوادي فقلت ويل
أشد منه سواد قلبي
طلبت منه الذي تراه
فقال لي ليس ذا بسهل
كذلك قلبي به سواد
فازددت كربا على الكرب
(الحواني) مكث نادر
الصديق في القلوب فاستنارت
بانوار المحبوب قال
يوشع بن أشيا لا تتم
معرفة الرب الا بما
اشتاق من الشيء عز
وجل ويوسف في العزيزة
مع الله والصدق في الله
والشوق الى الله ومن
الفتن بالله والوقوف من
الله فهذه السبعة لا تتم
معرفة الله الا بها كما ان
المصباح لا يوقد الا
بسبعة أشياء لا بد منها
الزناد والفتيلة والخرق والدهن
والكبريت والمسرجة
والزيت والفتيلة فهذه

سنبلات خضر وسبع أخر سود يابسات فى منبت واحد مخضورقهن فى الثرى والماء فبينما أنت تقول فى نفسك ما هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن فى الماء اذ هبت ريح فردت أوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن وصرن سودا مغبرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انتبهت مذعورا فقال له الملك والله ما شأن هذه الرؤيا وان كانت عجبا باعجب مما سمعته منك فما ترى فى رؤياى أيم الصديق فقال يوسف الصديق انى أرى أيها الملك ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتبنى الاهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون أبقى له ويكون قصبه وحشيه علفا للدواب وتأمر الناس ان يرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق من جميع النواحى فيمتارون منك فتحكم فيجتمع عندك من الكنوز مالا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفينى الشغل فيه فقال له يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم أى كاتب حاسب وقيل حفيظا لما استودعتنى عليم بسنى المجاعة بلغة من يأتينى فقال له الملك ومن أصف به منك ولاه ذلك كله وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين (أخبرنى) الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى بن خلد بن على به أخبرنا اسمعيل بن جعفر الباقرى أخبرنا الحسين بن على به أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه أخرعنه ذلك سنة فأقام عند الملك فى بيته سنة وروى سفيان عن ابى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل قال قال الملك ليوسف انى أريد أن تخالطنى فى كل شئ غير أنى آنف أن تأكل معى فقال له يوسف انى أخاف ذلك منك لانى أنا ابن يعقوب واسرائيل الله وابن اسحق ذبيح الله وابن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعا الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بحلاه وأمره بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون نمرقة ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا بتاجه كالشمس ووجهه كالقمر يرى فيه سبعون بياضا ووجهه الباطر صفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك قوله وفوض اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه ووجد يوسف مكانه ثم مات قطفير من قريب فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين منى فقالت له أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما رأيت فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جبلك الله فى صورتك وهيئتك فغلبتنى نفسى فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فاصابها فولدت له ابنين افرايم ومنشا ابنى يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف الملك بمصر فاقام فيهم العدل فاحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزى المحسنين وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين والشعرى فى هذا المعنى

أما فى رسول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

ورا مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفسروج به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد انخلاص من السجن

قال فلما طمأن يوسف فى ملكه وخلت السنين المخصبة ودخلت الجدبة جاعت به ولم تعهد الناس مثله فاصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فيما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط والجوع فلما دخل أول سنة من سنى الجدب هلك فيها كل شئ أعدوه من السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم فى أول سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق فى

لا سبيل الى ايقاد المصباح فاذا أردت ياهذا ايقاد مصباح قلبك بمشاهدة ربك فلا بد من زناد المجاهدة وبحر المكابدة وحراق الاشواق وكبريت المحبة ومسرجة التوكل وزيت الشكر وفتيلة الصبر ثم تعلق المصباح فى سلاسل التضرع الى ربك فعند ذلك يتوقد نوره فى قلبك * (وحكى عن محمد بن أحمد المقيد رحمه الله تعالى) * انه قال سمعت الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول كنت نائما عند السرى السقطى رضى الله تعالى عنه ليلة من الليالى فايقظنى وقال يا جنيد رأيت كأنى وقفت بين يدى الله تعالى فقال يا سرى خلقت الخلق فادى كلهم بحبستى وخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى العشر وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر وبقى عشر عشر العشر فقلت للباقين لا الى الدنيا أردتم ولا الى الجنة طلبتم ولا من البلاء هربتم فالذى تريدون وبالذى تطلبون فقبلوا أنت.

مصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منه شيء
وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى استوعبها أجمع وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى
لم يبق عبد ولا أمة الا أخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى استوعبها أجمع ولم يبق لاحد
مال وباعهم في السنة السادسة بأولادهم فان الرجل كان يشتري بولده طعاما أو الشعير من شدة السنة فلم يبق
لاحد ولد ذكر ولا أنثى الا في ملكه وباعهم في السنة السابعة برقابهم وأحرارهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا
أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكا أجل منه هذا وأعظم ثم قال يوسف
للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في هذا فقال له الملك الرأي رأيك ونحن لك تبع فقال
يوسف فاني أشهد الله وأشهدك اني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم
(وروى) ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اني
أخاف ان شبعت ان أنسى الجائع (وروى) ان يوسف أمر طباخ الملك ان يجعل غداءه نصف النهار مرة واحدة
في اليوم والليلة وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين المحتاجين فجعل الطباخ ذلك
فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون من عند يوسف لا يمكن أحدا منهم
وان كان عظيما من أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسعا عليهم فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض
كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه
الى مصر لطلب الميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لامه فجاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة
وكان منزلهم بالقريات من أرض فلسطين من ثغور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشاء فدخلوا على يوسف فعرفهم يوسف
وأنكروه ولما أراد الله تعالى أن يبلغ يوسف ما أراده قال ابن عباس وكان بين أن قذفوه في الجب وبين أن دخلوا
عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك أنكروه وقيل انه كان متزيا بزي فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير
جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل لم يكن بينهم وبينه معرفة
فلذلك أنكروه وقال بعض [illegible] فعرفهم وهم له منكرون قالوا فلما
نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فاني
أنكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم تنظرون
عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق نبي من أنبياء
الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا الى البرية فهلك وكان أحبنا
الى أبينا قال كم أنتم هاهنا قالوا عشرة قال فأين الآخر قالوا عند أبينا لانه أخو الذي هلك من أمه فأبونا يتسلى به
قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق فقالوا أيها الملك انا ببلاد لا يعرفنا أحد فيها قال يوسف فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم
ان كنتم صادقين فاني أرضى بذلك فقالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة
حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى
ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا لفاعلون فقال عند ذلك يوسف لفتيانه
أي لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم (قال ابن عباس) كانت بضاعتهم النعال
والادم (وقال قتادة) كانت ورقا في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون واختلف
العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف من أجله فقال الكلبي تخوف يوسف ان لا يكون عند أبيه من الورق
ما يرجعون به مرة أخرى وقيل خشي أن يشق أخذ ذلك منهم على أبيه اذ كانت السنة سنة جدب وقيل رأى
لؤما أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل فعل
ذلك لانه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها فلما
رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من ولد يعقوب ما أكرمنا
كرامته فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام وقولوا له ان أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما

المراد ولي قطعنا بالبلاء
لم نعدل عن المحبة والوداد
وقال [illegible] الى [illegible]
[illegible] من البلاء
والاهوال [illegible]
[illegible] أتعمل وت
على البلاء قالوا بلى اذا
كنت أنت المبتلى لنا
فاعمل ما شئت بنا فهؤلاء
عبادي حقا وأحبائي
صدقا (انموذج) البلاء
وكل بالمحبة قد آذى
منهم الاجساد ونكل
من القلوب فلا يزالون
كذلك حتى يصلوا الى
المحبوب وأنشد بعض
العارفين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الضر
[illegible]
[illegible]
[illegible]
العدد
وأدخلهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
أنه قال [illegible]
[illegible] المعروفين
بالاخلاص وكان [illegible]
في بعض الايام [illegible]
وكان [illegible] الدهر [illegible]
الليل [illegible] عندي ليل
[illegible]
[illegible] فلم [illegible]
[illegible] الا [illegible]
صلى العشاء الاخير
[illegible] وقام يصلي الى

أوليتنا ثم انه قال لهم أين سمعون فقالوا ان الملك ارتهنه لما أتيه ببنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك فقالوا له انه أخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا يا أبانا منع منا الكيل فارسل معنا أخانا نكتل يعني بنيامين وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية (قال كعب) لما قال يعقوب فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قال الله وعزتي وجلالي لاردن عليك كلاهما بعد ما تو كانت على قالوا ولما فتحوا متاعهم الذي جاؤا به من مصر وجدوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمتار أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم أي تهلكوا جميعا (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى لتأتنني به الا أن يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يعني حتى تحلفوا لي بعهد خاتم النبيين وسيد المرسلين أن لا تغدروا بأخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل أي شاهد بالوفاء فلما أرادوا النظر وج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي جمال وهيبة وصور حسان وقامات عتدة وكانوا أولاد رجل واحد فامرهم أن يتفرقوا في دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما أغني عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شئ صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال الى قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف في الكرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا الخوننا الذي أمرتنا ان نأتيك به قد جئناك به قال لهم أحسنتم وأصبتم وستحمدون على ذلك عندي ثم انه أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين على مائدة وحده وجعل يبكي وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي أشوكم هذا وحيدا فريدا ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف يضمه اليه وينعم به حتى أصبح فجعل روبيل يقول لمن رأيناه مثل هذا فلما أصبح قال لهم اني لارى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يؤنسه فان تشاؤا أضمه الي ليكون منزله معي ثم ان يوسف انزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب وأنزل أخاه لامه معه كذلك قوله تعالى آوى اليه أخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين قال له ما بنيامين قال المشكل وذلك انه لما ولد فقد أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت ليان بن ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد اشتقت اسماءهم من اسم أخي هالك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اعظم علي ذلك الى حزن شديد فما أسماؤهم قال بالعا وأخير وأشكل واحيا وشمير ونعمان وورد ورأس وسيم وعيتم قال فما هذه الاسماء قال أما بالعا فانه أتى على بالمته الارض وأما الخير فانه كان بكرا صحيحا وأما اشكل فانه كان أخا لابي وأمي ومني وأما احيا فلكونه كان حيا وأما شمير فانه كان خيرا حيث كان وأما نعمان فانه كان ناعما بين أبويه وأما ورد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن وأما رأس فانه كان مني بمنزلة الرأس من الجسد وأما سيم فاعلمني أبي انه سيم وأما عيتم فلو رأيت غربته لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف أتحب أن أكون أخا لك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشئ من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه (قال كعب) لما قال له اني أنا أخوك قال بنيامين فاني لا أفارقك قال يوسف اني قد عملت باغتمام الوالد فان حبستك زاد همه ولا يمكني حبسك الا بعد اشتهارك بامر فظيع فقال لا أبالي افعل ما تريد فقال يوسف اني ادس صاعي هذا في رحالك ثم أنادي عليكم بالسرقة لتبقى معي ولا يرد بعد شئ يحملك قال افعل فذلك فلما جهزهم جهازهم جعل السقاية في رحل أخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كاس من ذهب مكللا من صعابا بالجواهر جعلها يوسف مكيالا يكال بها

البحر فسمعته يقول في مناجاته سيدي ان تعذبني فانا لك محب وان ترحمني فانا لك محب ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قلت له يا عتيبة كيف كانت ليلتك فصرخ صرخة عظيمة ثم قال يا ابراهيم ذكر العرض على أصرع الحاسبين قطع أوصال المحبين ثم غشي عليه فلما أفاق رفع رأسه وقال ياسيدي أتراك تعذب من أحبك بالنيران أو تبتلي قلبه بالهجران فسمعها تقول حاشاه أن يعذب من أحبه واجتباه واختاره واصطفاه وأنشد يقول شعرا

في وصف حبك ما يغني عن العذل
وفي حديثك ما يأتي على العذل
ملكت كلي فكلي منك مشتمل
فالامر أمرك ليس الامر من قبل
وحق حبك ما قلبي بمنقلب
الى سواك وما حبي بمضمحل
ولو سفكت دمي عمدا بلا سبب
لكان عين الرضا حقا بلا مطل

(وعن أبي بكر رضي الله عنه) عبد الله رضي الله تعالى

ثم انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف امر بهم فادركوا وحبسوا عن المسير ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم الم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوفيكم كيلكم وفعلنا اليكم ما لم نفعل لغيركم قالوا بلى وماذاك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين وانا ضمنا قطعناها هذه الطريق لم نرد أحدا يسوءه واسألوا عنا من مر بنا يخبره هل أضررنا أحدا او افسدنا شيأ وانا قد رددنا الدراهم اليكم التي وجدناها في رحالنا فأنى كنا سارقين نارد دناها في الحديث انهم لما دخلوا مصر كموا أفواههم لئلا تتناول من عروق الناس شيأ فقال الرسول انه ضاع الملك الاكبر الذي يتكهن فيه وانه اتهمني عليه فان لم أجده متى وقت ان تسقط منزلتي عنده وافتضح فيه صرفين رده علي فله حمل بعير من طعام وانا به زعيم أي كفيل قالوا معاذ الله أن نسرق فقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أي جزاء من وجد في رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فقال الرسول عند ذلك لابد من تفتيش أمتعتكم ولستم بمارين حتى أفتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه لازالة التهمة وكان يفتش أمتعتهم واحدا واحدا (قال قتادة) ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء أحد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق الا الغلام فقال ما أظن ان هذا الغلام أخذ شيأ فقالت اخوته والله ما ترك حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك ولا نفسنا فما افتضوا تاعه استخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الملام ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا ويلك ما صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راسيل لا يزال الملك يكم بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راسيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأبي الى البرية فاهلكتموه ان الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم انهم قالوا ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو القول الثاني السائر عند وهو من حرمه واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف فقال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التي وصفوا بها يوسف انه سرق صنما لجد ابي أمه من ذهب فكسره وألقاه في الطريق وقال ابن جريج أمر به أمه وكانت مسألة أن يسرق صنمها الذهب فاتخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل ليوسف فسرق يوسف بيضة من البيت وأعطاها السائل وقال ابن عيينة بأجمعها فناولها السائل فعيروه بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره كان أول ما دخل على يوسف من البلاء ان عمته بنت اسحق كانت أكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر فكانت عند اسحق أم يوسف فلما توفيت وحضر اسحق عندها شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما تعرع وبلغ سنوان وقع حبه في قلب يعقوب فأعطاها يعقوب فالتحفها على يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ما أنا بتاركته فلما لم تطعه قالت له لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحق فربطتها تحت ثياب يوسف ثم انها قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فالتمست فلم توجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقالت والله انه ليلم لي اصنع فيما شئت وكان ذلك حكما آل ابراهيم في السارق فأخذها يعقوب فربطها على يوسف بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك لا أستطيع غير ذلك فلم تكتحل بعد المنطقة فلم تزل عليها يعقوب بأكد ما قدر عليها حتى ماتت فهو الذي قال اخوته ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون (قال الراوي) لما دخلوا على يوسف واستخرجوا الصاع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال ان صاحبي هذا الصاع يخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم انطلقتم باخ لكم فبعتموه فلما سمع بنيامين قام فسجد ليوسف وقال ايها الملك سل صواعك هذا عن أخي أحي هو فنقره ثم قال له حي وسوف تراه فقال بنيامين اصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضأ فقال بنيامين أيها الملك اني أريد ان تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقه فجعله في رجلي فنقره ثم انه قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذي سرقني وقد رأيت معي من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضب ولم يطاقوا فغضب ويل وقال أيها الملك والله لئن لم تترك أخانا لاسيئن

بادية الفرات أبا ما قال
أجد أحدا أرافقه
فبينما أنا سائر ذات يوم
اذ رأيت شيخة من شيوخ
لبعض العرب فقصدتها
فاذا على باب تلك الخيمة
ستر مسبل فسلمت على
من في الخيمة فرد علي
السلام يعوز من داخل
الخيمة ثم قالت من أين
الرجل قلت من مكة
قالت وأين تريد قلت
الشام فقالت أرى معك
سيح البطالين هلا لزمت
زاوية تعبد الله فيها ثم
قالت هل تحسن شيأ من
القرآن قلت نعم فقالت
اقرأ علي آخر سورة
الفرقان قال فقرأتها
فصرخت صرخة عظيمة
وغشي عليها فلما أفاقت
قرأت على آياتا فاشعر
جسدي لقراءتهم ثم
قالت اقرأ على ثانيا
ما رأته قال فكررتها
فلم تفهم أول ما لفظتها في
المرة الاولى ثم كانت
تطلب بلا فظة في تفهم
أعرضت عما شغلها
ذاهبا وتركتها مغشيا
تصفح بل فاشرت على
واذا هو صبيان فأيقنت في
غلامان وهما يلعبان به
فقال لي أحدهما أيش
على الجبة الشعر التي
في الفلاة قلت ثم قال
أيهما يحس يسمع قلت لا
فقال ماتت ورب الكعبة
فمضيت مع الغلامين
حتى انتهيا الى الجبة
ودخلا البادية فكشفت

سجية لا يبقى في صدر امرأة حامل الا ألقت ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده فنفرت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا ومس احدهم الارض ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه وقل ومسه فقام الغلام الى جنبه فمسكن غضبه فقال ويل انى في هذا البيت لشأمة ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب ويل وقال انا بالملك لا تذكر يعقوب فانه اسر اثيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله قال يوسف أنت اذا ان كنت صادقا فما أراد يوسف أن يحابس أخاه عنده ويصير بحكمه وانه أولى به منهم واحتبسه وراوان لا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه أن يجعل عليهم ويعملونه واحدا منهم بدله فقالوا يا أيها العزيز انه أبا شيخا كبيرا كما نجبه فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب انا اذا لظالمون ان أخذنا بريئا بسقيم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أى خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعني في العقل وهو شمعون عن مجاهد وقال قتادة والسدى كبيرهم في السن وهو روبيل ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله في هذا الغلام لترد نه ومن قبل ما فرطتم في يوسف أى من قبل هذا قصرتم في شأن يوسف فان أبرح الارض يعني أرض مصر حتى يأذن لي أبي فارجع الى الملك فانا جزء القتال أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أى نحن رأينا سرقته وما كنا للغيب حافظين حين سألنا ان نرسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا واسئل القرية يعني واسئل أهل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها يعني قوما صحبوهم من أهل كنعان وانا لصادقون الثانى في قولنا فرجعوا الى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه عسى الله أن يأتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال يا أسفا على يوسف والاسف أشد الحزن (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا أسفا على يوسف (وقال الحسن) كان بين خروج يوسف من عند أبيه الى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الارض أكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكا وتكى قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أى مريضا ذاهب العقل من الهم أو تكون من الهالكين فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم انما أشكو بثي وحزني الى الله لا اليكم وفي الحديث ان يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بعصابة فقال له بعض بنيه انك قد أتيت على يوسف وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى الى يعقوب بما أشكوني الى خلقي فقال يا رب بخطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرت لك فمكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثي وحزني الى الله (أخبرني) الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا أحمد ابن الحسن بن حامد أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبي زياد أخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السمط قال سمعت أبي يقول بلغنا أن رجلا قال ليعقوب بما الذي أذهب بصرك قال حزني على يوسف قال فما الذي قوس ظهرك قال حزني على أخيه فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكوني وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فقال عند ذلك انما أشكو بثي وحزني الى الله فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لو كانا ميتين لاخرجتهما الي حتى تنظر اليهما واغا وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام بابكم مسكين يستطعم فلم تطعموه منها شيأ وان أحب الناس الى من خلقي الاضياف ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وقال) وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهي قال لانك ذبحت شاة فقام بابك مسكين يستطعم فلم تطعمه منها وأكلت ولم تطعمه (ويقال) ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقرة ولد لها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فاحشه الله بذلك ابتلاه بفقد أعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لبنيه يا بني اذهبوا فتحسسوا من

من وجه الجور فاذا هي
مية فتعجبت من ذلك
ثم قلت للجارية من
هذان الغلامان فقالت
هما شريمان جعفريان
وهذه أختهما ولهما منذ
ثلاثين سنة لم تستأنس
بكلام أحد من الناس
واذا نزلوا بواد اعتزلت
عنهم بعيدا وضربت
خيمتها في الفلاة فكانت
تأكل في كل ثلاثة أيام
مرة واحدة رضي الله
عنها (الخوافي) الى متى
تشتغلون بالاسنات
الفانيات عن الباقيات
الصالحات تبادروا الى
الاوقات واستدركوا
الهفوات وكفوا عن
الشهوات أما أيقظكم
منادي الشتات أما هزكم
حديث الصالحين
والصالحات اذا ساد النهار
قطعوه بقاطعة الاذات
واذا أقبل الليل ضحوا
بحنين الاصوات ليس
لهم الى غير محبوبهم
التفات (شعر)
سباتنا باطل نمر ور
وعمرنا ذاهب قصير
والناس في غفلة نيام
وقد دعتهم لها القبور
والعمر مضى وليس يدرى
مثل سنين بنا تمور
يا نفس ما سر فهو حزن
لا تحسبي انه سرور
فاذكري الموت واستعدى
له فقد جاءك النذير
(وعن السري السقطي
رضي الله تعالى عنه)

يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله الآية قال السدي لما أخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله أحست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف (وروى) أنه كان رأى ملك الموت في المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانه والله حي يرزق وروى أنه رأى ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك أيها الكاظم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن أدخل هذا البيت وقد أغلقت على نفسي باب كيلا يدخل علي أحد وأشكو بثي وحزني الى الله فقال له يا نبي الله أنا الذي أيتم الاولاد وأرمل الازواج وأفرق بين الجماعات قال فأنت اذا ملك الموت قال نعم فقال له يا ملك الموت أنشدك الله الا أخبرتني هل تقبضت روح من تاكله السباع قال نعم قال فأخبرني عن الارواح أتقبضها مجموعة أو متفرقة قال وحارحا قال أتقبضها وحارحا قال فهل مرت بك روح يوسف في الارواح قال لا قال فبقي يرتاد أمر داعيا فقال يا نبي الله ما جئتك الا مسلما فان الله تعالى لا يمتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان في الصخرة التي على قرار الارضين وما أذن الله لي في زيارتك الا لبشرك وأجيلك عما تسألني عنه وان شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمني يا عزرائيل فقال يا اسرائيل الله هل تذكرت الجارية التي اشتريتها عام كذا في شهر كذا ثم فرقت بينها وبين أبويها قال نعم يا ملك الموت كأنه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد ولدك وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال أمرت يوما بذبح جدي فذبحتها وشويتها في يوم كذا في شهر كذا فرحم العبد الصالح بك وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتم فتار الشوى فلم تطعمه شيأ بعد ذلك أعتق يعقوب من كان بحضرته من العبيد والاماء وأمر ان يذبح كل يوم من أغنامه كبشان ويفرق لحمها على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك منه وشكر عليه وأتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى الا القوم الكافرون (قال قتادة) ذكر لنا ان نبي الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى في طول بلائه ساعة قط من ليل أو نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز أي الملك بلغة مصر مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أي قليلة رديئة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها * واختلف المفسرون في هذه البضاعة ما هي فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق الا برضيعة وقال ابن أبي مليكة رضي الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال وثنا المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت أمتعة الاعراب الصوف والسمن والاقط وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلي فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا لانهم لم يعلموا انه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلاء سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الانبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين فقد كانت الصدقة حلالا لنا فحرمت على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف حينئذ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون * واختلف العلماء في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول الذي كان بابه فرج يعقوب وراحته وآخر بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق ذكر لنا أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبت نفسه وأدركته الرقة فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذي كان يكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبي انما قال ذلك حين حتى لا خوته ان مالك بن دعر قال اني وجدت غلاما في بئر من حاله كيت وكيت فابتعته من قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعناه هذا الغلام فاغتاظ يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهب ابراهيم ليقتلهم فولى منهزما وهو يقول كان يعقوب يبكي ويحزن انفرد واحدا حتى كف بصره فكيف اذا أنا أخبره فقتل بنيه كلهم ثم انهم قالوا له ان أنت فعلت بنا ذلك فابعث بإمتعتنا الى أبينا فانه يكون كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم وتبكى وقال لهم ذلك القول * وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه اليه وذلك ان يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر الطاهر العدل الوفي الكيل أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء فاما جدي فابتلي بالنمرود فشد وثاقه ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي فشد يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم وأما انا فكان

أنه قال مررت بسكران وهو ملقى على الارض والناس يطئون من فيه وهو يقول الله الله قال فتعجبت من ذلك ورفعت بصري الى السماء وقلت الهي لسان يذكرك لا يكون هكذا ثم طلبت ماء فغسلت فمه وانصرفت فلما أفاق أخبره جماعة من الناس ان السري السقطي فعل معنا كذا وكذا فغسل الرجل واستحى ولام نفسه وربخها وقال ويحك يا نفسي اذا لم تستحي من الله ومن أولياء الله فمن تستحين ثم تاب وناب مما كان فيه وأقسم على نفسه أن لا يعود قال السري فبت تلك الليلة متفكرا في أمر ذلك الرجل فرأيت رب العزة في المنام وهو يقول يا سري أنت طهرت نفسه من أجلنا ونحن طهرنا قلبه من أجلك قال السري فلما أصبحت فرحت بذلك فرحا شديدا ثم سألت عن ذلك الرجل فوجدته في بعض المساجد وهو قائم يصلي فلما فرغ من صلاته سلم علي وقال جزاك الله عني خيرا قال السري فقلت يا سيدي وكيف تسأل عن حالي وقد أخبرك به المولى الكريم حين قال وقد طهرنا قلبه من أجلك قال السري فعجبت

لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وأنت حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال ذلك حين سأل أخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم ثلاثة بنين قال فاسمى بهم قال سميت الاكبر منهم يوسف قال ولم قال محبة لذلك ولذكرك قال فاسميت الثانى قال ذئبا قال ولم والذئب سبع عاقر قال لاذكرك به قال فاسميت الثالث قال دما قال ولم قال لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك ان قال لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا له أئنك لانت يوسف قال ابن اسحق لما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف هل علمتم ما فعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كان ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوها بثنايا يوسف فقالوا له مستفهمين أئنك لانت يوسف (وروى) عطاء عن ابن عباس انه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا بان جمعنا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم انهم آثروا بفضل يوسف عليهم وجرعتهم اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما كريما موفقا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (قال) السدى وغيره فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبى من بعدى قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه (قال الضحاك) كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا صح وعوفى فاعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذى كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبى يأت بصيرا وائتونى باهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان قال أبوهم يعقوب انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون أى تسفهون (وروى) أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فاذن لها فاتتهما قال ابن عباس وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمانى ليال (وقال مجاهد) وذلك انه هبت ريح فصفقت القميص فاحملت الصبا ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس فى الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون فقال له بنو بنيه تالله انك لفى ضلالك القديم فلما أن جاء البشير وهو يهوذا بن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدى العير وقال السدى قال يهوذا ليوسف أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فاخبرته ان يوسف أكله الذئب فاعطنى اليوم قميصك لاشبره انك حى ففرحه كما أحزنته (قال) ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشيا حاسرا حافيا وجعل يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن (عن) أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه فى أن يأتى يعقوب فاذن له فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذى خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب الا أعلمك كلمات قال بلى قال قل يا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب فى تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى الآية (قال) أكثر المفسرين أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان الدعاء فى الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى

من ذلك وقلت من أخبرك بذلك فقال الذى طهر قلبى من سواه وجاد على بعفوه ورضاه (وعن السرى أيضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال دخلت الجبانة فرأيت جهلولا المجنون على قبر متمرغا على التراب فقلت له ما جاء بك ههنا فقال عند قوم اذا حضرت عندهم لا يؤذونى وان غبت عنهم لا يغتابونى فقلت له ياهذا ان الخبز قد غلا فقال والله ما أبالى ولو صارت كل حبة بدينار علينا أن نعبده كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعدنا (وقيل) ان رابعة العدوية رضى الله عنها مرت برجل وهو يذكر الجنة وما أعد الله فيها لاهلها فقالت له ياهذا الى متى تشتغل بالاغيار عن الواحد القهار ويحك علمك بالجار ثم الدار فقال لها الذهبى يا مجنونة فقالت لست بمجنونة وانما المجنون من لم يفهم ما أقول ثم قالت يا مسكين الجنة سجن من لم يكن الله أنيسه وجليسه ألا ترى الى آدم عليه السلام لما كان فى الجنة برتع فلما تعرض له ابليس للاكل من الشجرة صارت عليه سجنا وابراهيم الخليل لما سلما سر مولاه قربه واجتباه ولما طرح فى النار صارت عليه بردا

الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه وانفرلولدي ما جنوا على أخيهم يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنحويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا أحمد بن السفر بن تويان البصري أخبرنا اسحق ابن زياد الارملي أخبرنا الفضل بن حميد البغدادي أخبرنا اسحق بن زياد وابن ضمرة عن ربا بن أبي سلمة عن عطاء الخراساني قال طلب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ الا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي *(وروى)* ان يعقوب قال للبشير ائت أخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال له انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثوري) لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت أن تسلب دينك فحال بيني وبينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه بأهله ووالده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذي فوقه فخرج مع يوسف في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم سماية تلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب أفضل وأحق بذلك منه فابتدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما سلما أخذ يوسف بيد أبيه ورفعهما على العرش وأبواه يعقوب وسارة ليا فسمي الخالة أما كما سمي العم أبا في قوله تعالى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا لرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأى يوسف أبويه واخوته قد خروا له سجدا اقشعر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى وعدتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون وجلا سوى الذرية والهرمى والزمنى وكانت الذرية ألف ألف سوى المقاتلة * وقال الفضيل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف وملكه فكان يطوف يوما من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضاء فقال له يا بني لقد تغيرت بعدي الى كل هذه القراطيس وما حملت بيدك منها تكتب الى كتابا فقال ليوسف هذه القراطيس كلها الملك كنت كلما زاد شوقي وكثر حنيني آخذ ورقة حتى أكتب اليك يا أبت فيعنيني جبريل ان أكتب اليك فأترك ذلك في هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال صدق ربي فسأل الله عن ذلك فأوحى الله اليه لانك قلت أخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني هذه العقوبة لاجل تخوفك من غيري *(وروى)* صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله بولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب ويوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام أمرهم على أن باتوا الشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد فقالوا يا أبانا أبانا ابنك عسى أن يرحمنا ثالث بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بناطله قط والانبياء أرحم البرية فقال مالكم يا بني فقالوا ألست تعلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فاستغفر لنا عسى الله أن يغفر لنا قال بلى قالوا فان عفو كلا يغني عنا شيأ اذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال فما تريدون يا بني قالوا نريد أن تدعو الله لنا فاذا جاءك الوحي من عند الله سله هل عفا الله عنا فان أجابك بانه قد عفا عنا جميعا فرت أعيننا وطابت قلوبنا والا فلا فرت لنا عين في الدنيا أبدا فقام الشيخ يستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من عشرين سنة قال صالح المري ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويبشرك بانه قد أجاب دعوتك في ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانهم قد استحقت موالاتهم بعدك على

وسلاما وأنشدني قول شعرا

فسر وحي وريحاني اذا كنت حاضرا
وان غبت فالدنيا على محابس
اذا لم أنافس في هوالك ولم أغر
عليك ففي من ليت شعري أنافس

(وقيل) كان حبيب النجار رحمه الله تعالى من الاولياء الاخيار وكان يقوم الليل ويصوم النهار ويؤثر بطعامه عند الافطار وبيت طاهريا في خدمة الملك الغفار فاذا كان وقت الاسحار ناجى ربه بلسان الذل والانكسار وقال الهي غرقت في بحار غفلتي وركنت الى في ميدان سيوتي وعثرت في أذيال زلتي في برية شهوتي ومالي غيرك أعتمد عليه ولا أعرف بابا غيره يا بابا الفتح البه وها أنا عبدك الذليل المذنب قد وقفت ببابك وأنت بجنابك فان لم تغفر لي فواذلي وحسرتي وان لم تعف عني فواطول عبرتي ثم يسجد فلا يرفع رأسه حتى يطلع الفجر فاذا صلى وفرغ من صلاته شرع في قراءة القرآن من أول الختمة الى آخرها بقية اليوم كله فلما مات كان آخر آية تلاها في سورة يس قوله تعالى اني اذا لفي ضلال

النبوة قالوا فاقام يعقوب بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعة وعشرين سنة باغبط حال وأهنأ عيش وأتم راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بنيه وقال ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم انه أوصى الى يوسف أن يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه اسحق وجده ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس فى تابوت من ساج وخرج معه يوسف فى عسكره واخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيص فدفنا فى يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعا وأربعين سنة لانهما ولدا فى بطن واحد وقبرا فى قبر واحد (قال) فلما جمع الله ليوسف شمله واقر عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان موسعا عليه فى ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وانه لا بد من فراقه فاراد نعيم الجنة الذى هو أفضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن نبى قبله ولا بعده الموت فقال ربى قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث الآية * (وروى) * ان يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بنى اسرائيل وهم ثمانون رجلا وأعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به فقالوا يا نبى الله نحب أن تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا بعدك وبمن من بين أظهرنا والى ما يؤول اليه أمرنا ودينا وملتنا فقال لهم ان أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم الى أن يبعث رجل جبار عات من القبط يدعى الريويل فيقهركم ويذبح أبناءكم ويستحيى نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمتد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بنى اسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدى القبط على يده قال فجعل كل من بنى اسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمى عمران ابنه موسى قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم أمركم مادام يصرخ فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولا يبعث حتى اذا انقضت مدته ولايته وأذن الله تعالى بمولد هذا النبى فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبى الله فى الارض فما زالوا يراعون الحال الى أن سكن صراخ الديك فوجوله واكتأبوا وأيقنوا بهوى أركان دينهم وانطلال ما آذنهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا ذلك واجمعين الى أن صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدفوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان قد أوصى الى أخيه يهوذا استخلفه على بنى اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن فى النيل فى صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن فى محلتهم لما يرجون من بركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يدفن فى النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره فى النيل الى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر بنى اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروى) يونس بن عمران عن أبى موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابى فاكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرمته فاحسنت سل حاجتك فقال ناقة ترحلها وعنز تحلبها أهلى فقال صلى الله عليه وسلم أعجزهذا أن يكون مثل عجوز بنى اسرائيل فقالوا يا رسول الله وما عجوز بنى اسرائيل فقال ان بنى اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبنى اسرائيل فبعث اليها موسى فاتته فقال دلينى على قبر يوسف فقالت له وتعطينى سكمى قال وما سكمك قالت ان أكون معك فى الجنة فكره أن يعطيها حكمها فأوحى الله اليه أن أعطها سكمها ففعل (وروى) من طريق آخر ان هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا أخبرك حتى تعطينى أربع خصال تطلق رجلى وتعيد الى بصرى وشبابى وتجعلنى معك فى الجنة قال فكبر ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه ان أعطها ما سألت فانك انما تعطى على فضل فانطلقت بهم الى موضع عين فى مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل فى صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (وقال) أهل التاريخ عاش يوسف بعد موت

بين الحاد فى قبره
مسخر اليه الملك فقالا
له مارب ومادينك فقال
انى آمنت بربكم فاسمعون
قيل ادخل الجنة قال
ياليت قومى يعلمون بما
غفرلى ربى وجعلنى من
المكرمين * فتلدرهم من
أفواهم قاموا يناجون
الحبيب والناس فى
غفلاتهم نائمون ويتململون
أثقال الوجد والغرام
ويفرحون بالليل اذا
جن الظلام فهم فى
جنات الخلد يتنعمون
والى وجه الحبيب
ينظرون الا ان أولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون شعر
لله قوم بذكرها شغلوا
وفى حمى قربه لقد نزلوا
ليس لهم غير ذكره فرحا
فهم حقيقا مرادهم حصلوا
من ذاق وصل الحبيب
هام ولم
يكنه منزل ولا ملل
بروحهم فى وصاله سمحوا
وحققوا ربحهم وما جهلوا
قاموا يناجونه وقد علموا
أنهم للمعاد قد عملوا
فاستعذبوا الصعب فى
هواه وقد
لذلهم فى رضاه ما حملوا
(قيل) كان أبو يزيد
البسطامى رحمه الله تعالى
يقول فى مناجاته الهى
استحيت من حبى لك
وأنا عبد حقير وانما
أتحبب من حبك لى

يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

(مجلس فى قصة موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام)

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له افرايم والآخر منشا وابنة يقال لها رحمة وهى امرأة النبى أيوب عليه السلام فولد لافرايم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى ابن عمران وخليفته على بنى اسرائيل وأما منشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر والعامة من العلماء ان صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط كثروا وغلوا وظهر فيهم ملوك غير واسبرتهم وأفسدوا فى الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن منشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره واقامة سننه وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتى سنة فأطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال وهب بن منبه وغيره) كان مما أوحى الله اليه ان قل لقومك انى برىء من سحر أو سحرله أو تكهن أو تكهن له أو تطير أو تطير له من آمن بى صادقا وتوكل على فانى كنت له كما يحب وكفيته هم دنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بى ومن عمل على ووثق بغيرى فانا أغنى الشركاء عن الشرك أكل الى من وثق به دونى ومن وكلته الى غيرى فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد منى كنت منه أشد تباعدا ومن تقرب الى كنت اليه أشد تقربا منه الى وقل لعبادى لا تغفلوا عن ذكرى وليكثر ذكر والموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ما شاء الله أن يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

(مجلس فى ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد)

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية (روى) سفيان عن منصور عن أبى وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج فى طلب ابل له فدخلت أبى شردت فبينما هو فى بعض صحارى عدن فى تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن طول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها من يسأله عن ابله فلم ير فيها أحدا ولا نهارجا فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير فى الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا شبههما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت أحمر وياقوت أصفر وهما مملوآن المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها فاطف واذا هو بقصور ومعلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور ومصاريع مثل مصاريع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه الياقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وينادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحدا أعجله الفزع ثم انه نظر الى الازقة فاذا فى كل زقاق منها أشجار قد أثمرت ونحتها أنهار تجرى فى قنوات من فضة أشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التى وصفها الله لعباده فى الدنيا والحمد لله الذى أدخلنى الجنة ثم انه حمل من لؤلؤها وينادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيأ ولا من ياقوتها لانها كانت مثبتة فى أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وينادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل فى تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم انه سار يقفو أثر ناقته حتى وجمع الى اليمن وأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير لونه من طول الزمان الذى مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاوية بن أبى سفيان فأرسل رسولا الى صاحب صنعاء وكتب اليه بأن يخلصه فأخلص حتى قدم على معاوية فقابله ثم سأله عما رأى فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وأنكر ما حدثه به وقال له ما أظن ما تقوله حقا فقال له يا أمير المؤمنين ان معى من متاعها الذى هو مفروش فى قصورها وغرفها فقال له وما هو فقال اللؤلؤ وينادق المسك والزعفران فقال له أرنى اياه فعرض عليه ما حمله من تلك المدينة

(وكان) يحيى بن معاذ الرازى يقول فى مناجاته الهى ليس العجب من عبد ذليل يحب ربا جليل بل العجب من رب جليل يحب عبدا ذليل (قال) بعض العارفين رضى الله تعالى عنا اطلب محبة من يزرع فى أرض القلوب ويسقى بماء العقول فهو على قدر طيب الارض وصفو الماء والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا (وعن) أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى وأن يكره أن يعود الى الكفر بعد أن أنقذه الله تعالى منه كما يكره أحدكم أن يقذف فى النار (وعن) أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون فى جلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى (وقيل) كان لعبد الله بن الحسين جارية أعجمية وكانت من أولياء الله تعالى قال فرأيتها فى بعض الليالى وقد قامت حتى مناديها فاحسنت الوضوء

من اللؤلؤ وبنادق المسك فشم البنادق فلم يجدلها ريحا فأمر ببندقة منها فدقت فسطع ريحها مسكا وزعفرانا فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف أصنع حتى أعرف اسم هذه المدينة ولمن هي ومن بناها والله ما أعطى أحد مثل ما أعطى سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد خبر هذه المدينة في زماننا هذا الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين ان يبعث اليه ويأمر باشخاصه ويغيب عنه هذا الرجل في موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخلها الان مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا أن يكون قد سبق له في الكتاب دخولها ما يعرف ذلك فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما حضر قال له يا أبا اسحق اني دعوتك لامر وجوب أن يكون علمه عندك فقال له يا أمير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعدد هاس زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في الارفة تجري تحت الاشجار فقال كعب والذي نفس كعب بيده لقد ظننت اني سأسأل قبل ان يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أتخبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هي ومن بناها أما تلك المدينة فهي حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له وأما الذي بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهي ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فقال له معاوية يا أبا اسحق حدثنا بحديثها من جعل الله فقال كعب يا أمير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمي أحدهما شديدا والآخر شداد فهلك عاد وبقي ولداه بعده فلما كبروا وقهروا كل البلاد وأخذوها عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد في زمانهما الا دخل في طاعتهما لا في شرق الارض ولا في غربها وأنهما لما صفا لهما ذلك وقر قرارهما ملكا شديد بن عاد وبقي شداد ذلك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه في الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك في نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التي هي ارم ذات العماد وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى أطيب بقعة في الارض وأوسعها واعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف وانهار سواقيها تحت القصور وغرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الانهار تحت الاشجار فاني أرى في الكتب صفة الجنة وانى أحب أن أتخذ مثلها في الدنيا وأتعجل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فابنى منها مدينة كما وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون ان ملك الدنيا كلها بيدي قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأي بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم وجالا تخرجوا لكم ما في كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى ما في أيدي الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها أكثر من ذلك وما فيها مما لا تعاون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك في الدنيا كتابا يأمره أن يجمع لهم ما في بلاده من الجواهر وان يحفر معادنها فانطلق تلك القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتابا يأخذ ما يوجد في مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجون الى ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما أراد ووصف لهم فقال معاوية يا أبا اسحق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك القهارمة والقهارمة متفرجون في الصحارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا في أرض أبين من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عفيفة نقية من التلال والجبال واذا هي بحبوبة مطردة فلما رأوا هذه صفة الارض التي أمرتهم بها فاتخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محدودة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التي فيها الماء فاجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من صخور الجزع اليماني وجعلوا تلين ذلك الاساس من دهن البان والصاب فلما فرغوا من وضع الاساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك

اليهم الجواهر والذهب والفضة فنهم من بعث بالعمد ضربه ومنهم من بعث بالذهب والفضة مسنوعة مفروغا منها فدفعوا كل ذلك الى أوائل القهارمة والوزراء فقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا اسحق انى لاحسبهم أقاموا فى بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين انى لاجد فى التوراة انهم أقاموا فى بنائم اثنمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له معاوية يا أبا اسحق لقد أخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد من أجل العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت ولبس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال الذى لم يخلق مثلها فى البلاد (قال كعب) انهم لما أتوا وأخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزيران وبكون كل علم منها على ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم أتوه فاخبروه بالفراغ مما أمرهم به قال فامر ألف وزير من خاصته أن يهيؤا أسبابهم ويعملوا على العمله الى ارم ذات العماد وأمر رجالا أن يسكنوا تلك الاعلام وان يقيموا فيها لهلهم ونهارهم وأمر لهم بالعطاء والارزاق وأمر الملك من أراد من نسائه وخدمه ان يتجهزوا الى ارم ذات العماد فقاموا فى جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد الى أرض أبين وخلف من قومه أكثر مما سار به فلما استقل وسار اليها ليسكنها بلغ منها ومنعا وبقى بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهى منذ عدمت ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين فى زماننا هذا ويرى ما فيها فحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يا أبا اسحق هل نصفه لنا قال نعم هو رجل أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه مثال يخرج فى طلب ابل له فى تلك العمارى فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل مما فيها وكان الرجل جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال هو ذا الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها فاسأله عما حدثت به فقال معاوية يا أبا اسحق ان هذا من خدمى ولم يفارقنى قال قد دخلها والا سوف يدخلها أهل هذا الدين فى آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق قد فضل الله على غيرك من العلماء ولقد أعطيت من علم الاولين والآخرين ما لم يعلمه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله فى الارض شيئا الا وقد فسره فى التوراة لعبده موسى عليه السلام فسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا وكيلا (قال الشعبى) أخبرنا دغفل الشيبانى عن رجل من حضرموت يقال له بسطام انه وقع على حضيرة شداد بن عاد فى جبل من جبال حضرموت يسال على البحر قال كنت أسمع فى صباى الى ان اكتهلت بمغارة فى جبل من جبالها وان الناس ينسبونها لم أحفل بما كنت أسمع من ذلك فبينما أنا فى نادى قومى اذ أنشد رجل من تلك المغارة وأطنبوا فى ذكرها وصفوا موضعها فقلت قومى انى غير منته عن هذه المغارة حتى أدخلها فهل فيكم من يساعدنى فقال فتى منهم حديث السن أنا أصاحبك قلت يا ابن أخى أتجسر على ذلك قال عندى ما عند رجل من شدة الباس وقوة القلب فهيأنا شمعة وسلما ودوات عظيمة مملوءة طعاما مقدارما يقوم بنا ونقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة وكان شرفا على البحر فى المكان الذى يركب منه أهل حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب تلك المغارة خرجنا علينا ثلاثة أشبال الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الادوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا وطولها على نحو خمسين ذراعا فمشينا فيها وهو بنا فى طريق أملس مستو ثم أفضينا الى درج عادية عرض الدرجة عشرون ذراعا فى سمك عشرة أذرع فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرج فقلت لصاحبى هلم الى يدك لكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام فى الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وثبت حتى يتناول رجلى على كتفه فلم نزل كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدارها مائة درجة فافضينا الى أربع عظيم محفور فى الجبل فى طول مائة ذراع وعرض أربعين ذراعا وسمكه فى السماء قدر مائة ذراع وفى صدره سرير من ذهب منضد بفنون الجواهر وفوقه رجل عادى عظيم الجسم قد أشعر ذلك الاربع وعرضه وهو مضطجع على ظهره

وانا ليس له آخر وقريبا
منى قاربنا من تقربه
منى شبرا تقربت منه
ذراعا فان تقرب منى
واتبانى فليست الروح
من دعاها بسم الله
فلما وسعت اللجة
زلت حتى جمعى فى بحر
بحر يعبونه فانا
بين البقاء والفناء حتى
وصلت الى ذلك الفناء
والهناء (شعر)
حروف المحبة معروفة
تبشرنا بابلوغ المنا
فهم الممات وماها الحياة
وباء البلاء وهاء الهوى
فلا تلتمس بلبيب اللقا
وطول البقاء بدون الفنا
جميعا الوصال بعد النصال
فان تلق سمر القنا تلقنا
فلا تجزعن من نار النكال
وحر الوبال فطعم الهنا
ومن مثل ما ما تأصل
الهوى
فقالوا اثبت فقالوا الملى
وحاضرهم حين نادتهم
على طور سيناء انى أنا
(وتحكى عن أبى يزيد
البسطامى رضى الله تعالى
عنه) انه قال كنت يوما فى
سماعى متاذذا تحلونى
وراحتى مستغرقا فى
فكرى مستأنسا بذكرى
اذ نوديت فى سرى يا أبا
يزيد امض الى دير مكان
واحضر مع الرهبان فى
يوم عيدهم القربان
قلت فى ذلك نبأ وشان قال

كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه مسوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج بضيء من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع خارجا الى فضاء لم ير مثله واذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة مثل الهامنا وهي كتابة كاتب عاد كتبها في زمانه محفورة تلك الكتابة في اللوح حفرا فطالعناه ودونا من ذلك الرجل ومسسنا تلك الحلل فصارت رميما وبقيت قضبان الذهب قائمة فمعناها فكانت مقدار مائة رطل فحملناها في أزرنا وأردنا ننادر فلم نر شيئا من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر عليها لوناقتها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذي كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا الليلة في ذلك الازج وطفئت الشمعة التي كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبي ماترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذه الدرج وانا لا نستطيع صعودها لا سيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا نلزم هذا الضوء الذي نراه في هذا الثقب فاني أرجو ان نخرج منه الى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمري ان هذا هو الرأي فنهضنا عامدين من تلك القضبان التي من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذي كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشي في طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام نليها ليالها نتقوت ببقية الماء والطعام الذي كان معنا فلما كان اليوم الرابع ننظر الى مركب قد أقبل في البحر فلوحنا اليه فنظر الينا أهله فارسلوا الينا القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شافا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من الجزيرة قسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الى بعضنا ثم ان أنفسنا دعتنا الى العود الى ذلك السرب فعدنا الى الثقب فركبنا قاربا وسرنا الى البحر نحو المكان الذي خرجنا منه فخفي علينا مكانه فعلمنا أنا لم نرزق منه الا ما أخذنا فرجعنا وان اللوح ممسك عندي مولا أجد أحدا يقرؤه لي حتى أتانا رجل من أهل صنعاء حميري كان يحسن قراءة تلك الكتابة فاخرجنا اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات

اعتبروا أيها الغرور بالعمر المديد ... أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأ ... ساء والملك الحشيد ... دان أهل الارض طرا ... لي من خوف وعيد
وملكت الشرق والغر ... ب بسلطان شديد ... وبفضل الملك والعد ... ة فيه والعديد
جاءنا هود وحكنا ... في ضلال قبل هود ... فدعانا لو قبلنا ... كان بالامر الرشيد
فعصيناه وناديـ ... ـنا ألا هل من مجيد ... فاتتنا صيحة تهـ ... ـوي من الافق البعيد
فتوافينا كزرع ... وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سألت علماء حمير عن شداد وقلت انه أصيب وقد كان دنا من ارم ذات العماد فكيف وجد في تلك المغارة وهي بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة هلك من بعده من ابن شداد وقد كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فامر بحمل أبيه الى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذي من الذهب والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس)

قال الله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس اختلف العلماء أهل التفسير وأصحاب الاقاصيص فيهم فقال سعيد ابن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهي رس وكان لهم نبي يقال له حنظلة ابن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له فتح مصعد في السماء ميلا وكانت العنقاء تبيت به وهي كأعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت في ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكلها فباعت ذات يوم وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب بما تأخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فاخذتها فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم

فقال

فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آية تذهبهم فاصابتها صاعقة فاحترقت فلم يرها أحد بعد ذلك
فضربتهم العرب بها الامثال وأنشدوا أشعارها وحكمها وأما الهاشم ان أصحاب الرسية لما انهزموا فاهلكهم الله تعالى (وقال
بعض العلماء) بلغني انه كان رسان أنا أسعد هما فكان أهل أحد يقولون انهم ولد عاد وأصحاب الرس هم ثمود فبعث الله اليهم
نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضدوه بوليّ فقتلوا الرسول وباهدهم الولي حتى أفنوهم وكانوا يقولون الهنا
في البر وكانوا على شفير وكان يخرج اليهم من البحر شيطان في كل شهر خرجة فيجرون عنده ويعبدونه يوما
فقال لهم الولي أرأيتم ان خرج اليكم الذي تدعونه وتعبدونه الى وأنا ملعون أتعبدونني أم تعبدونكم اليه قالوا بل
فاعلموه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على عير وهو ثور أكحل أربع أحواله
عنق مستطيلة على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له سجدا فخرج الولي اليهم وقال له انني طوعا أو كرها باسم
الله الكريم فنزل عند ذلك من على اتانه فقال له الولي اثنوا ركابا حتى لا تكون القوم في أسرهم على ثلث فانت
الحلوب وأتت به الجبال حتى أفضوا به الى البرية بحيرتهم ويحيرهن فلما رأى ذلك سعر رأيه ونكثوا ونقضوا العهود
فبعث الله اليهم ريحا فألقتهم في البحر وحواشيهم جميعا وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآبقات الولي الى
البحر وأخذ الذهب والفضة الاواني فقسمها على أصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك النسل
(وأما الآخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم أنبياء كثيرة لا يدوم فيهم نبي الا قتلوه
وذلك النهر ينقسم أخدود بين أرمينية فاذا انطلق سيره اختلف في سبعة أنهار ينبع واذا اجتمعت سبلا
دخلت في حد أذربيجان وكان من حولهم من أهل أرمينية يعبدون الاوثان ومن حولهم من أهل أذربيجان
يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجواري العذارى فاذا تقدن الاحداهن ثلاثون سنة فتلوها واستحيوا لها تابوتا
وكان معرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع في كل يوم وليلة حتى يبلغ أنصاف الابيار التي حوله وكان لا ينضب
في صيف ولا يزداد في شتاء فاذا خرج من حدهم يغيض ويدور ثم يرجع اليهم فبعث الله تعالى اليهم ثلاثين نبيا في اشهر واحد
فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا يأيده بنصره ويعصمه وليا فاهدهم في الله تعالى وجاهدهم بعد الياس
منهم كما يسأل عن ناقته وكان في أوان دعوته في الارض وكانوا من بعد ذلك أشد كفرا وأيكونون الى الاعتذار
ثم رهم في الحين وانتسف أهله وأثاثه الى السماء ثم قذفه على رؤوسهم فوقع عليهم فاهلكهم الله تعالى فلم يفلت منهم
له تغرقوا وأبقى في وسطهم ثم أمر الله جبريل فنزل فلم يدع في أرضهم عينا ولا أثرا الا أتى عليه واذن الله تعالى
وأمر ملك الموت فانطلق الى الواشي فاماتهم جميعا والرياح الاربع الجنوب والشمال والدبور
والصبا فجمعت ما كان لهم من مال أو متاع الى الله تعالى عليهم السباع ثم حشر الرياح الاربع فاجتمع بالله تعالى أربع
فرسخ في رؤس الجبال في بطون الاودية وأما كان من علي تبوأ نبي فان الله تعالى أمر الارض فابتلعته
فاصبحوا لا شاهد بهم ولا يتبرقوا لا مال يعود الى الرسلا ما يشربون ولا علما باقيا كانوا فاتين بالله عند ذلك قال
منهم ومحاهم الله الى غار في جبل له طريق من ثلاثة فتحوا وكانوا أهل عشر سر سبلا وأربع فرسخ وقصبين من
وكان عدة الباقين من الرسل والنساء والذراري سبعة آلاف فعلموا علما شاهدوا عليهم بما هم فيه من
الى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فعند ذلك علموا القوم عند ذلك أن حيثهم بما وعدوا به
ويعجله قليلا لا يبلغوا فاجابهم الله تعالى الى ذلك فعلم من صدق نياتهم وانخلاصهم وقالوا انا لا نبعث الله
رسولا الى من يليهم ويقاربهم الا أعانوه وصدقوه وعندوه فعلم الله منهم الصدق فاطاق لهم نهرهم وزادهم على
ما سألوه فاقاموا أوائل القوم في طاعة الله ظاهرا وباطنا حتى ماتوا وانقرضوا فمن بعدهم من نسلهم قوم
أطاعوا الله في الظاهر وتافقوا في الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم فادرا وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم
وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقهم وخالفهم فاسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم
الملاعون فلم يبق منهم أحد ولق نهرهم ومنازلهم وما حولها مائتي عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها
وكانوا صالحين فاقاموا فيها ستين سنة ثم أحدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو ابنته وأخته وزوجته فيبيت معها جاره
وأخاه وصديقه ليمس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبق

واستغنى الرجال بالرجال فاتخذت النساء شيطانة في صورة امرأة وهي الدلهان بنت ابليس وهي أخت الشيطان وكانا في بيضة واحدة فنتجت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يصنعن فاصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهان فسلط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة في أول ليلهم وخسف بها في آخره وسحق الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا أحسن منازلهم اليوم مسكونة (وروى) علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من أشراف بني تميم يقال له عمر اتاه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس في أي عصر كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا وبماذا أهلكوا فاني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدي كان من قصتهم يا أخا تميم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاب درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت انبعث نوح عليه السلام بعد الطوفان واغاسموا أصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الارض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانا وعمرانا منها وكان أعظم منازلهم اسفنديا وهي التي كانت تنزلها ملكهم وكان يسمى ترکون بن عابور بن يوش بن سارب بن النمرود بن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها العين التي يسقون منها الصنوبرة التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت تلك الحبة وصيرت شجرة عظيمة ثم حموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منها لاهم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لاحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيدا يجتمع اليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مغنية من الحور فيها بأصناف الصور ثم يأتون بشياه ويقربونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سمع دخان تلك الذبائح وقتارها وبخارها في الهواء وحال بينهم وبين النظار للسماء خروا سجدا للشجرة ويكون ويتضرعون اليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي عبادي قد رضيت عنكم فطيبوا نفسا وقروا عينا فيرفعون عند ذلك رؤسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور وله اثنا عشر بابا كل باب لاهل قرية منهم فيعبدون الصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فبينما ابليس عند ذلك فحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما مجهوريا يسمعهم ويفهمهم باكثر مما يسمعهم الشياطين بجعافير فعون رؤسهم من السجود ولهم من الفرح والسرور ومالا يفيقون ولا يتكاءون معه فيدعون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثني عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا من بني اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ماهم فيه من الغي والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك أبوا تصديقي ودعوتي اليهم وما أرادوا الا تكذيبي والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كلهم فلما رأوه اغتموا غما شديدا وافترقتهم فرقة قالوا لعمر هذا الرجل الذي زعم انه رسول رب السماء آلهتكم لتصرفن وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت عليكم آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويريده وكم الى عبادة غيرها فحبست حسنها وبهاءها وجمالها التي تفتتنون بها فانتصروا منه فاجمعوا أمرهم على قتله فاتخذوا اثنا عشر بيتا واتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قعرها بئرا ضيقة العين عميقة قدر قامة

فيها نبيهم وألقوا على فيها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجو أن نرضى عنا آلهتنا اذا رأت انا قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها وأنا دفناه تحت كبيرها يشفي فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم وهو يسمعون أنين نبيهم وهو يقول سيدي ومولاي ترى ضيقي وكاني وشدة كربي وارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل قبض روحي ولا تؤخر اجابة دعوتي حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انار عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي وانى حلفت بعزتي لاجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبينما هم في عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتحير وا فيها وذعروا منها فانضم بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كالتنور يتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فالقت عليهم جمرا كالقبة يلتهب فاذا بأبدانهم كالذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله من غضبه ونسأله نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة نبي الله أيوب بن ازاعة عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقال تعالى وأيوب اذ نادى ربه انى مسني الضر وأنت أرحم الراحمين قال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلا من الروم وكان رجلا ورعا يلا عظيم الرأس بعيد الشعر حسن العينين واطلق قصير العنق غليظ الساعدين والساعدين وكان مكثرا باعلى جهينة الصابر هو أيوب بن أموص بن تارخ بن رعوم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكان له الثلثان من أرض الشأم كلها سهلها وجبلها وما كان بها وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة الكثيرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وبيوت آلة كل فدان اثنان لكل اثنان وولد من الاثنين الى فوق الخمسين وكان الله أعطاه أهلا وولدا ومالا وماشية وكان امرأ ناضرا جميلا ناسكا يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى موحدا لله قد منع من عدو الله ابليس أن يسبب منه ما أصاب من أهل الغنى من الفرقة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة أنبياء وسبعة وعشرون رجلا من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما مالك والآخر ناكور وكانوا كهولا (قال وهب) ان جبريل عليه السلام جاء يوما الى الله تعالى ليلا من الملائكة المقربة والقبيلة وان جبريل هو الذي يأتي الى الله تعالى فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم يكاتيل ثم من دونه من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش فاذا شاع ذلك في الملائكة المقربين صار الى السماء الذين يلون ذلك السماء الذين يلونهم فاذا استعلاه ملائكة السموات هبط عليه ملائكة الملائكة الارض وكانوا بالذي لا يحيط به من شيء من السموات وكان يتفجر من حيثما أرادوه من هناك وصل الى آدم حين أخرج من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله تعالى يحيى عليه السلام فحبس من أربع وكان يصعد في ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حبس من الاثنة باقيه فهو وجنوده محجوب من جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين قال فسمع ليس يتجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فاذن له البقي والصعود وصعد بها حتى صعد في السماء موقفا كان يقفه فقال يا الهي تقارب في أمر عبدك أيوب فوعزتك ما أنعمت عليه شكر لك وعافيته فصبر ثم لم تختبره لا بشدة ولا بلاء وانا لك زعيم لئن ضربته بلاء ليكفرن بك وليسبنك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانتقص عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعفاريتهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولت اعصارا من نار فاحرقت

من قوم أو على الله
اللهم لا من الجن ولا من
الانس ولا من الملائكة
وأخبرنا أين يكون
الليل اذا جاء النهار
وأين يكون النهار اذا
جاء الليل فقال أبو يزيد
هل بقي مسائل غير
هذه المسائل فقال لا
فقال ان قد رضيتكم
وأجبتموها تؤمنوا
بالله ورسوله محمد صلى
الله عليه وسلم فقالوا نعم
فقال اللهم أنت الشاهد
على ما يقولون (أما)
سؤالكم عن واحد
لا ثاني له فهو الله
عز وجل (وأما)
سؤالكم عن اثنين
لا ثالث لهما فهما الليل
والنهار لقوله تعالى
وجعلنا الليل والنهار
آيتين (وأما) سؤالكم
عن ثلاثة لا رابع لها
فهي العرش والكرسي
والقلم (وأما) سؤالكم
عن أربعة لا خامس لها
فهي الكتب المنزلة
وهي التوراة والانجيل
والزبور والفرقان
(وأما) سؤالكم عن
خمسة لا سادس لها
فهي الصلوات الخمس
المفروضات على كل مسلم
ومسلمة (وأما) سؤالكم
عن ستة لا سابع لها
فهي الستة أيام التي
ذكرها الله في كتابه
العزيز بقوله ولقد
خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة أيام ||

كل شئ آتى عليه فقال له ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت
فى مراعيها فما تشعر الناس حتى ثارت من تحت الارض اعصار من نار تنطح فيه رياح السموم لا يدنو منها أحد الا
احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها فى مستنقع مائها
انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلى فقال له يا أيوب قال لبيك فقال هل تدرى ما الذى صنع ربك الذى اخترته
وعبدته بالك ورعاتك فقال أيوب انهم اله أعارنيهم وهو أولى بهم ان شاء تركهاوان شاء أخذها وقد تحققت
وطيبت النفس انى ومالى للفناء والزوال فقال له ابليس فان ربك أرسل اليها نارا من السماء فاحترقت كلها
ولم يبق الناس مبهوتين وقوفا عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور
ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع ولييه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو الذى
فعل ما فعل فشمت به عدوه وفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وحين شاء نزع منى عريانا خرجت
من بطن أمى وعريانا أعود الى القبر وعريانا أحشر الى ربى ليس ينبغى لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين
قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خير النقل رحلك مع تلك الارواح وصيرك
شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فاخرك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص
فرجع ابليس الى أصحابه خائبا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة انى لم أكلم قلب أيوب قال عفريت من عظمائهم
عندى من القوة ما لو شئت تحولت بحارها فنشفت كل شئ تأتى عليه حتى لا يبقى منه شئ فقال له
ابليس فأنت الفرادين والطرث فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين واستوى فى الطرث وأولادهم رتوع فلم
يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنشفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج ممثلا بقهرمان
الطرث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فأجابه أيوب بمثل جوابه الاول فعمل ابليس بصنيعه
ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال) وأيوب كلما انتهى اليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء
عليه ورضى بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقى له مال فلما رأى ابليس أنه قد أفنى ماله ولم ينل منه
شيأ ولا نجح فى شئ من أفعاله شق عليه ذلك وصعد مسرعا وقف الموقف الذى كان يقفه وقال الهى ان أيوب
يرى انك مهما متعته من نفسه وولده فانت مسلطى على المال فهل أنت مسلطى على ولده فانه الفتنة العظيمة والمصيبة
التى لا تقوم لها القلوب الرجال ولا يقوى عليها سريهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانتفض عدو
الله حتى جاء بنى نبى الله أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح بجدرانه
بعضها بعضا فرماهم بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ثم ان
ابليس انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من
دماغه فأخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على
رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم لتقطع
قلبك فلم يزل يقول هذا ويردد حتى رق أيوب عليهم وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس
الفرصة منه لذلك فصعد مسرعا بما لذى كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبث أيوب أن ابصر فاستغفر وشكر فصعد
قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئا ذليلا
فقال يا الهى انما هون على أيوب خطر المال والولد انه يرى انك مهما متعته بنفسه فانت تعدله المال والولد
فهل أنت مسلطى على نفسه وبدنه فانى لك زعيم لئن ابتليته فى جسده لينسينك ولتكفرن بك ولتجحدن نعمتك
فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان

(وأما) سؤالكم عن سبعة لا ثامن لها فهى السموات السبع لقوله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا (وأما) سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (وأما) سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم التسعة رهط الذين يفسدون فى الارض لقوله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون (وأما) سؤالكم عن عشرة كاملة فهى عشر ركوض مكة التى وجبت على الحاج وهو محرم لقوله تعالى فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة (وأما) سؤالكم عن احد عشر فهم اخوة يوسف عليه السلام (وأما) سؤالكم عن اثنى عشر فهى عدة الشهور (وأما) سؤالكم عن ثلاثة عشر فهى رؤيا يوسف عليه السلام لقوله تعالى انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر (وأما) سؤالكم عن قوم كذبوا وادخلوا الجنة فهم اخوة يوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب (وأما) سؤالكم عن قوم صدقوا وادخلوا النار فهم

واللہ أعلم به انه لم يسلط عليه الا رحمة لعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل
م ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانتش عدو الله سريعا فوجد أيوب ساجدا فقبل أن يرفع رأسه أتاه
ن قبل الارض في موضع وجهه ونفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فلما شعل وخرج به من فرقه الى قدمه
ا ليلي مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتمالك عن حكها حتى بالظفار حتى سقطت كلها ثم
حكها بالمسوح الخشنة حتى فعلها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وأنتن
ما حوله فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فمكث مطروحا لله كما هم يرى أنه رحمة بث افرايم
بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه عيادا صالحا وتذكره فلما رأى أصحابه الثلاثة ما بلاه الله
ما هو فيه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه وهو في بلائه فبكته وعذلوه وقالوا له تب
لى الله من الذنب الذي عوقبت به (قال) وكان حاضرهم فتى حديث السن وقد آمن به وصدقه فقال انكم
كلمتم أيها الكهول وكنتم أسق بالكلام لأسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم
من الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لا يوب عليكم من الحق والتعلم أفضل
ن الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وجرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم وانتهرتم
لم تعلموا أن أيوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الارض في يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا طلعكم الله
عالى على الله سخط شيء من أمره منذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا علم انه نزع منه شيء من الكرامة التي
كرمه الله بها ولا ان أيوب غير خالق في طول ما حبسه عنه والى يومكم هذا فان كان البلاء الذي أزري به عندكم
وضعف أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم لم يبلائهم ليس دليلا
على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخير لهم ولو كان أيوب ليس هو من الذين هو من الذين فضلهم الله
تحيتون على وجه الحبة لكان لا يحمل بكم أن يسأل أحاه عند البلاء ولا يعيره بالمعصية ولا يعيب بما يعلم
هو مكروب حزين ولكنه يرحم يبكي معه ويستغفر الله ويحزن لحزنه ويبكي على ما نزل به أما سمعتم ما قيل
شيء من سهل هذا فانه الله أيها الكهول فقد كان لكم في عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يشغلكم أن تنتقصوا
يكم رفاقكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء الجهلاء
باعلاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكر واعظمة الله تقطعت ألسنتهم وانقشعرت جلودهم
انكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله تعالى واجلالا له أفلا ان تستحيوا أن تنتقصوا الصديقين الله
عالى بالاعمال الزاكية الصالحة تعيبون أنفسهم مع ان الله تعالى قد زكاهم وهم يعيبون أنفسهم
فرطين المقصرين وانهم لا كما تقولون ولكنهم لا يستكثرون ربهم الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون
بسبب الاعمال فهم مرعوبون مفزعون خاشعون مستكينون فقال أيوب ان الله تعالى يزري الحكمة
قلب المؤمن الكبير والصغير فتى نبت في الغاب أنابها الله تعالى على اللسان وليست تكون الحكمة
ن قبل السن والشيب ولا طول التجربة فاذا يعمل الله العبد مكنه على الدين والرفق فثبت عند الحكام
هم يرون من الله تعالى ما علموا نور الكرامة ثم ان أيوب أقبل على الثلاثة وقال أتيتموني فجاريتم قبل أن
ستعرفوا وبكيتم قبل أن تتبروا كيف بكم لو قد لقيتم ربكم فسألكم عن أموالكم أين أنفقتموها وفيم
يانا العمل الله يتقبلها وبرضى عنكم وقد أجبتم أنفسكم وظننتم انكم قد صنعتم فيما بينكم وبين ربكم
يتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم لوجدتم لكم عيوبا ستركها الله عليكم بالعافية التي
بكم اياها وقد كنت فيما خلا الرجال توقرني وأنا اسمع كلاما يصرف وجهي منتقصني من خصمي فأصبحت اليوم
يس لي رأي ولا كلام معكم فأنتم اليوم أشد علي من مصيبتي ثم انه أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثا
ضرعا اليه فقال يا رب لاي شيء خلقتني لينبغي اذ كرهتني ولماذا ابتليتني بالبتي كنت عنه غافلا فتى أي أولي قد
رفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني وأخلقتني يا بقي
لوت كان أجل لي يا الهي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللأرملة قيما الهي أنا عبدك

اليهود والنصارى لقولها
تعالى وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء فهم
صدقوا واحدا وكذبوا الثاني
(وأما) سؤالكم عن
مستقر الروح في الجسد
فانهم اختلفوا بين أن لها
شبها وقالوا وجها (وأما)
سؤالكم عن الثاريات
ذروا فانها الرياح الاربع
(وأما) الطلاحات وقرا
فهي السحب (وأما)
سؤالكم عن الجاريات
يسرا فهي السفن
الجارية في البحار
(وأما) سؤالكم عن
المقسمات أمرا فهم
الملائكة الذين يقسمون
على الناس أرزاقهم في
ليلة النصف من شعبان
(وأما) سؤالكم عن أربعة
عشر كلمة وامع ربه
العالمين فهي السموات
السبع والارضون
السبع فقوله تعالى فقال
لها وللارض ائتيا طوعا
أو كرها قالتا أتينا
طائعين (وأما) سؤالكم
عن رجل مشى على
فهو حوت يونس عليه
السلام (وأما) سؤالكم
عن شيء تنفس فيغير ريح
فهو البحر (وأما) سؤالكم
عن ماء لا تراه من السماء
ولا ينزل من الارض فهو
الذي بعثه بلقيس الى
سليمان عليه السلام
في قارورة وكان من ورقه

ذليل ان أحسنت فالمنة لك وان أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا قد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي الهي تقطعت أسبابي فاني لا أرفع الا كلتا من العطاء الا بيدي جبرا نا يبلغان في الاعلى الجهد مني الهي تساقطت لهواتي ولطم رأسي فما بين أذني من سداد بل احداهما نزي من الاخرى وان دماغي ليسيل من في الهي تساقط شعر عيني كأنما أحرق بالنار وجهي وحدة اي صندليتان على خدي وورم لساني حتى ملأ في فما أدخل فيه طعاما الا غصني وورمت شفتاي حتى غطتا العليا أنفي والسفلى ذقني وتقلصت امعائي في بطني واني لا دخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعني وذهبت قوتي فكأنها ما قد يبستا ولا أطيق حملهما وذهب المال فصرت أسأل بكفي ويطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فمن بها على أولادي ولو بقي واحد منهم أعانني على بلائي ونفعني قد مالي أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وبعدت حقوقي ونسيت صنائعي أصرخ فلا يصرخ لي واعتذر فلا يعذرني وتنوبني نائبة فلم يجبني وتضرعت لامتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي أذلني وأدناني وأهانني وأقامني وان سلطانك هو الذي أمتهني وأنعلني جسمي ولو أن لي بقدر الهيبة التي في صدري فأطاق لساني لا تكلم بعلمي ولو كان ينبغي للعبد أن يعاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك عمائي ولكنه ألقاني وتخلى مني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه ولا تقر الي فترحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلتهم غمامة حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم نودي يا أيوب ان الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل منك قريبا فقم فاذكرني بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد علينا ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي أن يخاصمني الا جبار مثلي ولا ينبغي أن يخاصمني الا من يحمل الزمام في فم الاسد والسخال في فم العنقاء واللعم في فم التنين ويكيل مكاتلا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس اقدمتك نفسك أمر اما يبلغ غسل قوتك ولو كنت اذ مقتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت أي مرام رامت بك أردت أن تكابرني بقدمك أم أردت أن تخاصمني بغلبك أم أردت أن تحاجني بخلقك أين كنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل علمت بأي مقدار قدرتها أم كنت معي تمر باطرافها أم تعلم ما بعدوا يأها أم على أي شيء وضعت أكنافها بل من حمل الماء الاوفى أم بحكمتك كانت الارض على الماء غثاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا معالق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري وتسير نجومها أم هل بأمرك يختلف ليلها ونهارها أين كنت مني يوم حجرت البحار وأتبعت الامم أمواج البحار على سدودها أم قد رتك فغمت الارحام حين باغت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونسبت شواهق الجبال هل لك أن تطبق حملها أم كنت تدري كم مثقالا فيها أين الماء الذي أنزلته من السماء هل تدري كم بلدة أهلكتها وكم من قطرة أحصيتها وقسمت الارزاق أم قد رتك تثير السحاب وتنثر الماء هل تدري ما أصوات الرعد أم من أي شيء لهب البرق وهل رأيت عمق البحر أم هل تدري ما بعد الهواء أم هل تدري أين خزانة النهار بالليل وأين طريق النور وبأي لغة تتكلم الاشجار أين خزانة الريح وأين جبال البرد أم هل تدري من جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلك الملائكة الملك ومن فهر الجبابرة بجبروته وقسم أرزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للاسد أرزاقها وعرفه مطاعمها وعطفها على أفراشها ومن أعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تأنس بالاصوات ولا تهاب السلاطين أبحكمتك علقت عليها أمهاتها حتى أخرجت لها طعاما من أجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها أم بحكمتك يبصر العقاب الصيد البعيد وأخافي أما كن الفلا أين أنت يوم خلقت البهموت مكانه في منقطع التراب واللوتيا حملان الجبال والقرى والعصران أثباجهما كأنها شجر الصنوبر الطوال ورؤسهما كأنها الجبال وعرقا أفخاذهما كأنهم بعد النحاس أنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا هل لك في خلقهما من شركة أم لك بالقوة التي غلبتهما يدان أم هل يبلغ من قوتك ان تضع يديك على رؤسهما أم تقعد على طريق فتحبسهما أو تصدهما عن قوتهما أين أنت

انجيل (وأما) سؤالكم
عن أربعة لا من ابن
ولا من الانس ولا من
الملائكة ولا من ظهر آب
لا من بطن أم فهي كبش
اسمعيل وناقة صالح وآدم
وحواء (وأما) سؤالكم
عن شيء خلقه الله ثم
نكره فهو صوت الحمار
كما قال الله تعالى ان انكر
الاصوات لصوت الحمير
(وأما) سؤالكم عن أول
دم اهريق على وجه
الارض فهو دم هابيل
لما قتله قابيل (وأما)
سؤالكم عن شيء خلقه
الله واستعظمه فهو كيد
الانسان قوله تعالى ان
كيدكن عظيم (وأما)
سؤالكم عن شيء أوله
يهود وآخره نور وهو فهي
عصا موسى عليه السلام
قوله تعالى وما تلك بيمينك
يا موسى الآية (وأما)
سؤالكم عن أفضل
النساء حواء أم البشر
يحيى يجتمعوا عائشة وآسية
ومريم ابنة عمران
وأما) سؤالكم عن أفضل
البحار فسيحون وجيحون
والفرات ونيل مصر
(وأما) سؤالكم عن
أفضل الجبال فهو الطور
وأما) سؤالكم عن أفضل
الدواب فهي الجمل
(وأما) سؤالكم عن
أفضل الشهور فشهر
رمضان (وأما) سؤالكم
عن أفضل الليالي فليلة
القدر (وأما) سؤالكم

يم خلقت التنين ورزقه في البحر وسكنك السماء وسماه تتوقدان نارا ومخراميثوران دخانا أذناه مثل
وس السحاب يثور منهما اللهب كأنه اعصار العجاج جوفه بحر ونفسه سيل يسوخ به بحر كأن مثال الطور و
كأن مخرب أسنانه أو دال الصواعق وكأن نظر عينيه مصابيح البيعة تعرق به ابليس وهو يستكثر لا يفزعه حتى اليس
به مفصل رز براطيله عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يخشى وضع الحديد و
لى بجسده ويطير في الهواء كأنه عصفور فيقال له كل شيء مر به هل أنت أخذته باحد واثقل وواضع اللجام في شدقه
ل تحصى عمره أم هل تعرف أجله أم تعرف رزقه أم هل تدري ماذا يخرب من الارض وماذا يخرب فيما بقي من
مره أم هل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيما ملكت يداك تبارك الله أحسن الخالقين فقال أيوب عليه السلام
معرت عن هذا الامر الذي وردعلي ليت الارض انشقت لي فذهبت ولم أتكلم بشيء أبدا وربي لو جمع علي
بلاء الهي قد جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تعرفني وتعرف نصحي وقد علمت ان كل الذي ذكرت صنع يديك
ند بيرحكمتك وأعظم من هذا لو شئت علمت أن لا يعزب شيء ولا تخفى عليك خافية ولا تشتبه عليك قائبة من هذا
زي بفان أن يسرعنك سرا وأنت تعلم ما يضمر على القلوب وقد علمت في بلائي هذا مالم أكن أعلم وخفت أن
كون أمر أكثر مما كنت أخاف انما كنت أسمع بصوتك فاما الآن فهو نظر العين انك كلمتني حين تكلمت
عني وسكت حين سكتت لم تعني كلمة تزلت عن لساني فلم أعد وقد وضعت يدي على فمي ووضعت على
ماقن والصقت بالتراب خدي وبسطت فيه وجهي لصغاري وسكت حين أسكتني خطيئتي فاغفر لي ما قلت
ن أعود لشيء تكرهه مني فقال الله تعالى يا أيوب نفسك فاسكني وسيدك حتى يشتري إذا خطأ فقد
نرت لك سألت وحتك وردد عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون بصبرك لامر الله
لاه وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقربي من أصحابك قربانا واستغفر
سم فانهم قد عصوني فيك فتركض برجله فانفجرت له عين فاغتسل فيها فاذهب الله عنه ما كان فيه من
لاء ثم انه خرج ويجلس فأقبلت امرأته فقالت تلمس في مضجعه فلم تجده فقامت عند رأسه وكان الله قد رد
الينه بدنه فلما رأته هل لله علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيته فقالت نعم وهل
عرفه فتبسم وقال لها أنا هو فعرفت لما تحمل فاعتنقته (قال) ابن عباس والذي نفسي بيده ما فارقت من عنقه
ى مجتمعا حتى ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى لأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر الآية
ختلف العلماء في وقت نداء امرأته وسبب الذي نال لاجله مسني الضر (حدثنا) الامام أبو الحسن
بن علي بن سهل املاء في شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين ومائتين أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن
سليمان الخشاب بمصر أخبرنا يحيى بن أيوب العلاف أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل
ابن شهاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبي الله أيوب لبث في بلائه ثمان عشرة
ة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه والله لقد
أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له وما ذاك قال منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله في البلاء فلم
حمانه ويكشف ما به فلما راحا الى أيوب لم يصبرا الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب ما أدري ما تقولان غير ان الله
ي يعلم اني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فارجع الى بيتي وأكفر عنهما كراهة أن
كر الله تعالى الا في حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان
يوم أبطأ عليها وذلك ان الله تعالى أوحى الى أيوب في مكانه أن اركض برجلك الآية فانبعث أنه فذهب
لمرماشاء أن فاقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما أصابه من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت له هل
ت نبي الله المبتلى فقال اني أنا هو وكان له أندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت
احداهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض
ردى) ان الله تعالى امطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثو منها في ثوبه فناداه يا أيوب ألم أغنك عما ترى قال
أيوب ولكن لا غنى لي عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان أيوب عليه

من الثالثة فهي يوم
القيامة (وأما) سؤالكم
عن شجر له اثنا عشر
ة غلف كل غلف من ثلاثين
ورقة فكل ورقة تحوي
زهر اثنان في الشهر
وثلاثة في الفلل فهي
السنة والاغصان هي
الشهور والاوراق هي
الايام والخمس زهرات
هي الخمس صلوات في اليوم
والليلة (وأما) سؤالكم
عن شيخ مع الى البيت
الحرام وطاف وليس له
رع ولا وجب عليه
فريضة فهو سفينة
نوح عليه السلام
(وأما) سؤالكم عن
أربع خلقن معها
ولونها والاصل واحد
فهي العينان والاذنان
والانف والفم فاما
العين فالماء والاذنين
سريعاه الانف ماءان
وماء الفم حلو (وأما)
سؤالكم عن النسمة
والقتيل والعامر والقفر
القفر الذي لا ظهر النواة
والقتيل هو الذي في
باطنها والقتلة هو
التمر الذي تسود
(وأما) سؤالكم عن
السيد والابد فهو نعم
الزمان والعز (وأما)
سؤالكم عن الطم والرم
فهي الامم الماضية قبل
آدم عليه السلام (وأما)
سؤالكم عما يقول الجاهل
في نميمته فانه يرى
الشيطان ويقول لعين

السلام مطر وعاصل كناسة في مزبلة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بأيوب أكلة وانما كان يخرج منه مثل ندى النساء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يمر به غير رجلين أو ثلاثة من معارفه كانوا يختلفون اليه فبلغهم موته فأتوه ليعلموا وتحمد الله معه اذا جده وأيوب على مابه لا يفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الارض يزعم أن صبر أيوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك قال لهم أعياني هذا العبد سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه الا امرأته وقد افتضحت من ربي فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له ابن مكرك ابن علمك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجت من الجنة من ابته قال من قبل امرأته قالوا فأنت بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهي تطلب الصدقة فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه وتنهد الدواب في جسده فلما سمع منها طمع أن تسكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لها اذبحي أيوب هذه لي وصبر أقال فحامت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد أين الصديق أين ثوبك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن قد بلي وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فأجبته ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أنعم به علينا فالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت بل الأصح في هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة كما أمرني أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذي تأتيني به على حرام لا أذوق مما تأتيني به شيأ بعد أن قلت هذا فاعتزلني عني لا أراك فطردها فذهبت فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق تولته ساجدا وقال ربي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك الآن فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من داء في ظاهر الا سقط أثره وأذهب الله عنه كل ألم وداء وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وأفضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا كما خلق فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيأ مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد متعه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان قد طردني الى من أكلها أدعه حتى يموت جوعا وعطشا وينبع فتأكله السباع فوالله لا رجعن اليه فربما نعت فهو أكناسة ولا المال الذي كانت تعهده اوقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وأيوب ينظر اليها قال وهاب صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله فأرسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدري أضاع أم ماذا فعل به فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلي فهل رأيته فقال وهل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على ثم انها جعلت تنظر اليه وهي تهابه وقالت أما انه كان أشبه خلق الله بك اذا كان صحيحا قال فأنا أيوب أمرتني أن أذبح لابليس فاني أطعت الله وعصيت الشيطان فرد علي ما ترين (وقال كعب) كان أيوب في بلائه سبع سنين وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلب أيوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئتي آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها أنت صاحبة أيوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال أنا الله الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك انه عبدالله السماء وتركني وأعضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليكما

العشار (وأما) سؤالكم عما يقول الكلب في نبحه فانه يقول ويل لاهل النار من غضب الجبار (وأما) سؤالكم عما يقول الفرس في صهيله فانه يقول سبحان حافظي اذا التقت الابطال واشتعلت الرجال بالرجال (وأما) سؤالكم عما يقول البعير في رغائه فانه يقول حسبي الله وكفى بالله وكيلا (وأما) سؤالكم عما يقول البليل في تغريده فانه يقول سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (وأما) سؤالكم عما يقول الضفدع في نبيحه فانه يقول سبحان المعبود في البراري والقفار سبحان الملك الجبار (وأما) سؤالكم عما يقول الناقوس في نفيره فانه يقول سبحان الله حقا حقا انظر يا ابن آدم في هذه الدنيا غربا وشرقا ما ترى فيها أحدا يبقى (وأما) سؤالكم عن قوم أوحى الله اليهم لا مس الجن ولا من الانس ولا من الملائكة فهو النحل لقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل الآية (وأما) سؤالكم عن الليل أين يكون اذا جاء النهار وعن النهار أين يكون اذا جاء الليل فانهما يكونان في غامض علم الله تعالى ثم قال أبو

ما كان لك من مال وولد فانهم عندي ثم أراها إياهم في بطن الوادي الذي انتهى إليه (قال وهب) وقد سمعت أنه قال لها الويل لك ما عجلت أكل طعاما لم يسم عليه لعون فيه من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيها من قبلها ورأيت في بعض الكتب أن إبليس قال لربه تعالى شئت اسحري لي عبدك حتى أرد عليك الاولاد والمال وأعافي زوجه فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراد فقال لقد أراد عدو الله أن يفتنك عن دينك ثم ان أيوب أقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك مسني الضر من طمع إبليس في صبر أيوب وجزعه فرحمه الله ودعا له إياها وإيانا إلى الكفر قالوا ثم ان الله تعالى رحم جزعة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره ان يأخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا فاضربها ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقد كانت امرأة أيوب تتكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمست يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها أنى لك هذا فأخبرته فقال عند ذلك مسني الضر وقيل انما قال ذلك حين وصلت الدودة لثيابه وإنما نخشى أن يعيا عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك حين وصلت الدودة من نفذه فأخذها ورده الى موضعها وقال لها كلي فقد جعلني الله طعاما لك فعوضه الله زاد أله على جميع ما فاته من عرض الدنيا وقال عبد الله بن عمر كان لايوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما نرى قال فسامع أيوب شيأ كان أشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شئ أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة شبعانا قط وأنا أعلم بمكان جائعا فصدقني فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم أتخلف عن جنازة قط وأنا أعلم بمكان عريانا فصدقني فصدقه وهما يسمعان فغفر له ساجدا وقيل معناه مسني الضر من شماتة الاعداء يدل عليه ما روي انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك فقال شماتة الاعداء وأنشد بعضهم في معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضي أيامها * وشماتة الاعداء إحدى الراصد

(وقال المجنيد) في هذه الآية عرفه عافاة السؤال لمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله الآية (واختلف العلماء) في كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى الله أيوب في الدنيا سئل له أهلا فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وانما وعد الله أيوب أن يؤتيها إياهم في الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى اليه بأعيانهم وأحياهم أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وحسبك بهؤلاء أسباهم الله تعالى وآتاهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية (وذكر) ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وان الله أوحى عند موته الى ابنه موصل وان الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا وعاش هذا الكفل وأمره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشام طول عمره حتى مات وكان بين عمر موسى وعمر أيوب خمسمائة وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام والله أعلم

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

هذا المجلس باقي بعد في آخر الكتاب بعد فصة التسع وما كتبته ههنا زيادة في المجلس المذكور (روى) الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث ان نبيا من الانبياء قال من يتكفل لي أن يصوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد مثل قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد قوله ثالثة فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فسمي ذلك النبي ذلك الشاب ذا الكفل يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان في صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فأرسل اليه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج اليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان في السوق خلا وذهب فسمي ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه

سائل غير ذلك فقالوا لا نقال أخبروني عن مفتاح الجنة ومفتاح السموات ما هو قال فسكتوا ولم يتكلموا فقال أبو يزيد سألوني عن مسائل كثيرة فأجبت عنها وقد سألتكم عن مسئلة واحدة فلم تجيبوا عنها أعجزتم عنها فقالوا نعم ثم لم تفتوا الى كبيرهم وقالوا أوعجزت عن ذلك فقال ما عجزت ولكن أخاف ان لا أوافق قولي فقولوا بل نوافق فقال كبيرنا ومهما قلت لنا سمعنا وأطعنا فقال علي فقال مفتاح الجنة لا اله الا الله والسموات لا اله الا الله محمد رسول الله فقالوها وأسلموا عن آخرهم وحسن اسلامهم وتركوا من الامر وآخر ويونوا مسجدا وقطعوا زنانيرهم فهنالك نودي أبو يزيد شددت من أحجارنا وزنارا نقلعنا من أبي لك خمسمائة زنار (انتهى) انظروا الى هؤلاء كانوا كفارا في ظلمات العمى فانقذهم الله تعالى من الردى بنور الهدى فكل ذلك ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانظروا الى كلمة الاخلاص ما أعظم بركاتها وما أنجع مرجعها كلمتكم بها فطهروا أنفسكم بها تطاولا بركة أصنامها وتفاخرا

واتبعوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره أن نعصي الله تعالى ورسوله فلو سأل الله أن يطيل أعمارنا ولا يمتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتموني عظيما وكافتموني شاملا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم اني لا أملك الا نفسي وان قوي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم به مني فلا تؤاخذني بجريرة غيري فانا أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فاوحى الله تعالى اليه يا بشر اني سمعت مقالة قومك واني قد أعطيتهم ما سألوني طوّلت أعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمي ذا الكفل ثم انهم تواثبوا وكثروا وغواحتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم الى آجالهم فاوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك ان اختياري لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا دارهم خمسة أسداسها الروم وسموا رومالانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى والى مدين أخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء في نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن مابث بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يثرون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فذلك قوله تعالى اخبارا عن قومه انا لنراك فينا ضعيفا أي ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف (وقال قتادة) بعثه الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطفيف في المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش اتساعا لم يبسطه لاحد غيرهم فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظير هذا في الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا بأنه كذاب فلا يفتنك عن دينك وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم (قال السدي) وأبو روق كانوا عشارين (وقال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد الا شقته ولا شيء الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ما ذكره الله تعالى في سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان عما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أي السفيه الغاوي وهو على الضد كما يقال للهيثي أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قال ابن عباس) رضي الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاجاب الله تعالى دعاءه فيهم فاهلكهم بالرجفة وهي الزلزلة عن الكلبي ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهي ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فارسل عليهم بردا وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا في أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم ووجدوا لها بردا وباتت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا وخرجت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في القلي فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها وقال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم (قال ابن عباس) بلغني أن رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة قال فيها العذاب

اقتضى

فشعر جاده وقال ياقوم ان شعيبا مرسل فاذروا * عنكم شعيبا وعمران بن شداد
اني أرى غيم ياقوم قد طلعت * تدعو بصوت على حنانة الوادي
فانه لن يرى فيها غداة غد * الا الرقيم عشي بين انعاد

شعيب وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلي أبو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت
أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم القالة في زمن شعيب كامن وقالت أخت كامن تبكيه حين هلك

كامن أهدى لي * هلكه وسط المحله سيد القوم أتاه الـ ـحتف بارا وسط أهله
جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أي لهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة *(يجلس في ذكر صفي الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على أبواب)*

(الباب الاول في ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم بأخبار الاولين وسير الماضين ولد لعقوب لاوى وقد مضى من عمره سبع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح نابتة بنت لاوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزي ومردي وقاهث ثم ان قاهث بعد ان مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح فاهي بنت مبين بن نتويل بن الياس فولدت له يصهر بن قاهث فنكح يصهر بن قاهث عميت بنت بنادم بن بركان بن دعان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره مئتون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة فنكح عمران بن يصهر نحيب بنت نتويل بن بركيا بن شعمان بن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف في اسم اسهما فقال ابن اسحق نحيب وقيل ناجية وقيل يخابيل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره مئة وسبعون سنة والله أعلم *(الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام)*

(قال أهل التاريخ) لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذي ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثاني فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف في ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أشوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن ارا شتم بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان أعتى من قابوس وأكبر وأجبر واشتدت أيام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد تفشروا وكثروا وهم تحت القهر لهم على بقايا من دينهم كما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا به من الاسلام فيسكون به بنو كان فرعون موسى الذي بعثه الله اليهم وقد ذكرنا اسمه وانسابه ولم يكن فيهم فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا في ملكه ولا أسوأ ملكا من ابراهيل منه وكان يذبح منهم ويستعبدهم فجعلهم خدما وخولا ويستخدمهم في أعماله فصنفهم يبنون ويستخرجون ويحرثون ويحفرون ويعملون الاعمال القذرة ومن لم يكن أهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب ويستحيون نساءكم وكان فرعون ينكح من بني اسرائيل ما شاء ويفعل بهم ما يريد ومن أعاظم ما أتى به أن آسية بنت مزاحم رضي الله عنها من خيار النساء المعدودات وبفال هي امرأة فرعون وكان مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فأسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يسلم من أهل مصر ثلاثة آسية وخازن فرعون ومريم بنت ناموسى التي دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قالوا فلما مر فرعون فيهم تحت يده عراطو يلا قال انه أمر بمائة سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله تعالى أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ما ذكره السدي عن رجاله أن فرعون رأى في منامه كأن نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا له في بني اسرائيل غلام يسلبك ملكك ويغلبك على وطنك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أطل زمانه الذي يولد فيه فأمر فرعون بقتل كل غلام

يا آدم هو نبي من ذريتك أبعثه آخر الزمان بالآيات والبرهان فهو خير الانبياء وأمته خير الامم قال فلما خلق الله تعالى حواء وركب فيها الشهوة فقال آدم يا ربنا وجئني بها فقال الله تعالى هان مهرها فقال يا رب وما مهرها فقال تصلي على صاحب هذا الاسم مائة مرة وأنا أزوجك بها فقال آدم يا رب ان فعلت ذلك تزوجتها فقال الله عز وجل نعم فصلى آدم عليه السلام مائة مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فزوجه الله بها *(وقال بعض العلماء رضي الله تعالى عنهم)* كان لي جار مسرف على نفسه بالمعاصي فلما مات رأيته في المنام وهو في دار السلام فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال سمعت عباس الذكر صمعن الحدث يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من صلى على صلاة ورجع ثوابها اليه وجبت له الجنة ثم رفع الحديث صوته بالصلاة ورفعنا أصواتنا بجميع القوم فغفر لنا في ذلك اليوم (قال) ورأت امرأة ولدها بعد موته بعذاب فحزنت على ذلك وبكت ثم رأته بعد ذلك في النور والراحة قال فسألته عن

ولد فى بنى اسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بنى اسرائيل الا قتلتنه ولا جارية الا تركتنها وكل حبل يفعلن ذلك فقال مجاهد انتهى بلغنى انه كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيوقفن عليه فتجرح أقدامهن حتى ان المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتناول تطؤه وتتقى به حد القصب عن رجليها لما باغ من بهدها وكان يقتل الغلمان الذين فى وقته ويقتل من يولد بعدهم ويعذب الحبالى حتى يضمن ما فى بطونهن وأسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع فى مشايخ بنى اسرائيل وأنت تذبح صغارهم وتميت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولد هرون فى السنة التى لا يذبح فيها أحد فترك وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها (قال) فولدت هرون أمه علانية آمنة فلما كان فى العام الذى أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فأوحى الله تعالى اليها ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته فى خفية أرضعته ثم انها اتخذت له تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان الذى صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردى فاتخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم ألقته فى النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها أتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت فى نفسها ماذا صنعت بابنى لو ذبح عندى لواريته وكفنته وكان أحب الى من أن ألقيه بيدى فى البحر وأدخله الى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الاشجار عند دار فرعون الى روضة هى مستقى جوارى فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير فى دار فرعون داخل فى بستانه فجرت جوارى فرعون يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت فاخذنه وظنن ان فيه مالا فحملنه على حالته حتى أدخلنه الى آسية فلما فتحته رأت الغلام فالقى الله تعالى عليها محبته منه فرحته آسية وأحبته حبا شديدا فلما سمع الذابحون بأمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبى فقالت آسية للذابحين انصرفوا فان هذا لا يزيد فى بنى اسرائيل فانا آتى فرعون وأستوهبه اياه فان وهبه لى كنتم قد أحسنتم وان أمركم بذبحه فلا ألومكم ثم انها أتت به فرعون وقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فاراد أن يذبحه وقال انى أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل وأن يكون هذا الذى هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما أخذت آسية أرادت أن تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موشى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط موا الماء وشى الشجر فعرب فقيل موسى (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن جعفر أخبرنا الحسن بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا ابن بشير أخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ووافق خيارهم أشرارهم ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا أبناءهم قال وقال أبو الياس قال وهب بلغنى أنه ذبح فى طلب موسى سبعون ألف ولد قال اسحق عن ابن عباس ان أم موسى لما قاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلها فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها أم موسى فقالت نزل بى ما نزل فليتنفعنى حبك اياى فقالت لها نعم فعالجت قبالها فلما وقع موسى على الارض أضاء لها النور بين عينى موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى فى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت للذى دعوتينى الا فيما أرى لقتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شئ مثله فاحتفظى بابنك فانى أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع به فحوفا على موسى تلفت موسى فى خرقة وألقته فى التنور وهو مسجور وكان ذلك الهاما من الله تعالى لها لما أراد الله بعبده موسى فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسى لم يتغير

لها

لها الرون ولم يظهر لها البن فقالوا لها ما أدخل على بيتك هذه القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فرجعوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت أخت موسى أين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما فحملته (قال اسحق) بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله في نفسها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذفه في اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت أخبأ فيه ابني وكرهت أن تكذب قال ولم قالت أخشى كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمرها فلما هموا بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يشير بيده فلم تدر الامناء ما يقول فلما عياهم أمره قال كبيرهم اضربوه واخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله تعالى بلسانه وبصره فلم ينطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه وأخرجوه فوقع في وادي موى فيه حيران فاشهد الله تعالى على ان رد له لسانه وبصره أن لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فعلم انه منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فرزقه ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فآمن به وصدقه فانطلقت أم موسى به وألقته في البحر وذلك بعد ما أرضعته ثلاثة أشهر وكان لفرعون بوابون ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء من مصر والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا له أيها الملك انا لا نرى لها الا من قبل البحر شيئ يؤخذ منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه ويطلى به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا من اشراق الشمس فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون وجواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها يتلاعبن ويتضحكن الماء على وجوههن فبينما هن على ذلك اذ أقبل التابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدر وه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا فدنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم ير مثله فعلمت ان هذا الامر الذي أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فما لبثت فتحت التابوت فاذا هي بصبي صغير في مهده والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهام يمينه فمص منها لبنا فألقى الله تعالى محبة موسى في قلبها وأحبته وعطفت عليه وأنبات بنت فرعون عليه فلما أخرجوه من التابوت بدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلعقت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الفراعنة من قوم فرعون أيتها الملكة انا نظن ان المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا الرمه في البحر أو اقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم انه قال سميه فقالت قد سميته وشيى لانه وجد بين الماء والشجر قال ثم ان أم موسى قالت لاخته وكانت تسمى مريم قصيه أي ابتغي أثره واطلبي خبره فجعلت تسمع به ذكرا أحي هو أم قد أهلكته دواب البحر ونسيت وعد الله فبصرت به عن جنب أي عن بعد وهم لا يشعرون انها أخته وكانت آسية قد أرسلت الى من حولها من كل أنثى لم الن لتختار له ظئرا تربي موسى فجعل كلما أخذته امرأة من انرضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج الى السوق ليجتمع عليه الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يقبل ثديها او يرضع منها فلم يقبل ثدي امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخت موسى حين أعياهم أمره وأعيا الملوك وقهل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا لها ما يدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفهم وانما استدللت عليه من أجل رغبتهم في طلوبة الملك وبرها منفعة فتركوها فانطلقت الى أمها فأخبرتها بالخبر فأتت فلما وضعته على ثديها في حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جنبه فانطلق البشير الى آسية يبشرها أن قد وجد لابنك ظئرا فأرسلت اليها فأتي بها فلما رأت ما يصنع بها قالت لها امكثي عندي ترضعي ابني هذا فاني لم

أحب شيأ مثل حبه فقالت لا أستطيع ان أدع بيتي وولدي فيضيعوا فان طابت نفسك ان تعطيني فاذهب به الى بيتي وولدي فيكون معي ولا أولي له الا خيرا فعلت والا فاني غير تارك بيتي وولدي وتذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت ان الله سبحانه وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها * وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز وجل فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت أمه به الى بيتها كادت تقول هو ابني فعصمها الله عز وجل وذلك قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لام موسى أحب أن تربي ابني فوعدتها وما تربيها اياه فيه فقالت آسية خواصها وقهارمتها لا يبقى منكن واحدة الا استقبلت ابني بهدية وكرامة فاني باعثة بامينة تحصي ما تصنع كل قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما أن دخل عليها اكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها انطلقي به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون أخذه ووضعه في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها وانتف منها بعض شعرات وكان فرعون طويل اللحية ويقال انه اطلم وجهه (وفي بعض الروايات) أنه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به على رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوي المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فاخبرها بما فعل موسى فقالت له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وأنا أجعل فيه بيني وبينك أمرا تعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمرة علمت انه صبي ثم انهما وضعت له طشتا فيه الذهب والياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على انه يأخذ الجوهر فيقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في فيه فجاءت على لسانه فاحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وانه صبي لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه (ويروى) انه سئل ابليس هل أحببت أحدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك فقال لان الله تعالى قال وألقيت عليك محبة مني فلم أتمالك ان أحببته

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام)

قال كعب الاحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تتؤده وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضا شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كأنه من رجال أزد شنوءة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء

(الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر وورده مدين)

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من القلم والصخر التي كانت فيهم ولا يعلم الناس ان ذلك الا من قبل الرضاعة فالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في أثره وأدركه القيل بارض يقال لها منف قد خلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشي في ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية والذي من شيعته يقال له السامري والذي من عدوه رجل من القبط كان خباز الفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى عجلا من ذهب فسحر السامري لحمه فامتنع السامري فلما مر به موسى استغاثه السامري على القبطي فقال موسى للقبطي دعه فقال الخباز لموسى

انما

رجل لم أر أحسن منه وجها ولا أنقى منه ثيابا ولا أطيب منه رائحة وهو يرفع قدما ويضع قدما حتى دنا من والدي ثم كشف الازار عن وجهه ومس بيده عليه فعاد أبيض يلوح منه نور ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه وقلت من أنت الذي من الله علي والدي بلقائك في هذه البرية قال فتبسم وقال أنا محمد رسول الله صاحب القرآن كان والدك مسرفا على نفسه وكان يكثر الصلاة علي فلما نزل به ما نزل اشتغال بي فاغتنمه وأغاثه من أكثر الصلاة علي فانتهبت فرأيت وجه أبي أبيض يلوح منه نور ساطع (الخوافي) أكثروا من الصلاة على هذا النبي الكريم فان الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم وتهدي الى صراط مستقيم وتقي قائلها من عذاب الجحيم وتحلي بالجنة داوالنعيم * (وعن عبد الرحمن بن جعفر رحمه الله تعالى) * أنه قال كنت بالبصرة أصلي الخمس في مسجد بجوار ي وكان ذلك المسجد يعرف بالخشابين وكان فيه امام مغربي يدعى بابي سعيد وكان رجلا مشهورا بالخير والصلاح وكان يتكلم في المسجد

انما آخذه في عمل أبيك وأبى أن يخلى سبيله فغضب موسى فبطش به وخلص السامرى من يده فنازعه القبطى فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم (وقال وهب) أوحى الله الى موسى بن عمران وعزتى وجلالى لو كانت النفس التى قتلت اقترفت لى طرفة عين أنى الله خالق رازق لاذقتك طعم العذاب واذ اعفوت عنك لانه لم تمر لى ساعة واحدة أنى الله خالق رازق قالوا ولما قتل موسى القبطى لم يرهما الا الله تعالى والاسرائيلى فلما قاله أصبح فى المدينة خائفا يترقب الاخبار فاتوا فرعون وقالوا له ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فدلنا عليه حتى لا نقتل به ولا ترخص لهم فى ذلك فقال فرعون ائتونى بقاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا يثبت ملك على الاحد بالظلم فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى على قتال الفرعونى فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه بالامس فكره الذى رآه فغضب موسى فدنا منهما وهو يريد أن يبطش بالفرعونى وقال للاسرائيلى انك لغوى مبين ظن الاسرائيلى من موسى وظن انه يبطش به من أجل انه أغلظ عليه فى الكلام وكان غضبان فلما أقبل لنصره ومد يده ظن انه يريد قتله فقال له يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس الآية وانما قال ذلك مخافة من موسى وظن ان يكون موسى أراده ولم يكن أراده وانما أراد الفرعونى فتنازعا فذهب الفرعونى فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلى وذكر ان موسى هو الذى قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل أحرى عليك من الصديق الاحمق وينشد فى معناه

ان الطبيب اذا تزايد بغضه * أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فانه غلام لا يهتدى الى الطريق فطلب موسى فى ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الاعظم فجاء رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به (ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم قال فلما سمع الرجل مؤمن آل فرعون فاخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقا حتى سبق الذباحين اليه فاخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج موسى ولم يدر أين يذهب فاتاه ملك على فرس بسكة فقال له اتبعنى فاتبعه فهداه الطريق الى مدين (وروى) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمانى ليال وبقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام الا ورق الشجر فما وصل اليها الا وقد وقع خف قدميه وان خضرة البقل لترى من بطنه

(الباب الخامس فى دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه)

قال العلماء لما انتهى موسى الى أرض مدين فى ثمان ليال نزل فى أصل شجرة واذا تحتها بئر وهى التى قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى تحبسان أغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا استقوا ما شيهم سقينا أغنامنا من فضول ما جتهم وما يبقى من حياضهم وأبونا شيخ كبير تعنيان شعيبا * وروى حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس قال اسم أبى امرأة موسى الذى استأجره ثيرون صاحب مدين ابن أخى شعيب النبى عليه السلام واسم احدى الجاريتين ليا ويقال صفورا والاخرى صفورا وهى امرأة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال يجتمعون اليها حتى يرفعوها عن رأسها (وحكى الاستاذ) أبو سعيد عبد الملك بن أبى عثمان الواعظ أن تلك البئر غير البئر التى تسقى منها الرعاء قال وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها وأخذ دلوا لهما

بقد صلاة الصبح كلام
لا يفهمه أحد فخرجت
فى بعض السنين حاجا
الى بيت الله الحرام
وكانت سنة شديدة
الحر فكنت أسير
الركب وأنام حتى يلحقنى
رفاقى فنمت ليلة من
الليالى على عادتى وكنت
عادلا عن الطريق فسار
الركب ولم يشعر بى
رفاقى فصرت نائما حتى
طلعت الشمس والتهبت
وأنا لا أدرى كيف
الطريق فرفعت طرفى
الى السماء وقلت الهى
وسيدى الى هنا
خدمتنى وعن بيتك
فاحبستنى فبينا أنا
وما أنا ثم سرا بحسة
عجيبة من المسير ورأيت
على حر الهجير قايست
من الحياة وانطرحت
على كثيب من رمل
انتظار الموت فبينما أنا
كذلك اذا شخص
ينادينى يا سعيد فنهضت
وتقاربت فاذا هو الشيخ
أبو سعيد قال فسلمت
عليه فرد على السلام
ثم ناولنى رغيفا سخنا
فاكلته فاعطانى كوزا
ثم ناولنى كوزا فشممته
أطيب من المسك وأبرد
من الثلج وأبيض من
اللبن فشربت منها
فحسنت وجهى فعادت
روحى ثم قال اتبعنى
يا عبد الرحمن فخرجت
بذلك فقال البث ههنا
فالركب يأتيك بعد

وقال لهما ما لكما غنمكما فسقى لهما أغنامهما حتى أرواها فرجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى الا أكلة وقال ابو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة قالوا فلما رجعتا الى أبيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع رواحكما اليوم قالتا وجد نا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الى فجاءته احداهما وهي التي تزوجها موسى وهي تمشي على استحياء فقالت له ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبت ريح فالصقت ثوب المرأة برد فها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها موسى امشي خلفي ودليني على الطريق فاذا أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتى أتبعها ثم سعا فاتيا أبا شعيب يعقوب لا ينظر الى أعجاز النساء فنعت له الطريق الى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فأخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهي التي كانت الرسول الى موسى يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين (قال) النبي صلى الله عليه وسلم أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا في موسى فأما بنت احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وانما قالت القوي الامين لانه أزال الحجر العظيم الذي لا يرفعه الا أربعون رجلا فقال لها أبوها هبلت انك عرفت قوته فما أعلمك بأمانته فاخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له اني أريد ان أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج الى قوله من الصالحين أي في حسن العشرة معك والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت الآية (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الاجلين قضى موسى قال أكملهما وأفضلهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما

(الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرها)

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم ان شعيبا أمر ابنته أن تأتيه بعصا يعطيها موسى يستعين بها في رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا ودبعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتيه بعصا أخرى فما زالت ترجع وتأتيه بها لانها كانت كلما وردتها الى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هي في يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد على العصا فابى أن يردها عليه فتنازعا الى أن شرطا على أنفسهما أن ترضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فاتاهما ملك على شكل فتحاكما اليه فقال ضعها على الارض فمن حملها فهي له فوضعها موسى على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فاخذها موسى بيده فرفعها فلما رأى شعيب ذلك تركها له وفي رواية أخرى ان موسى لبث عند شعيب ما شاء الله ثم استأذنه في الانصراف فاذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصي الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال له شعيب رد ها وخذ غيرها وذلك ان شعيبا كان قد أخبر بأمر العصا وبما يدر شعيب ان صاحبها هو موسى فردها موسى الى البيت فالقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب ألم أقل لك خذ غيرها فقال له موسى قد رددتها مرارا فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي فعلم شعيب ان ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجه ابنته وعاش له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شعيب (قالوا) لما خرج موسى من مدين وافى مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فاذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقمه بين يديه ويقول له كل (وقال مقاتل) بل كان جبريل هو الذي دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ما وضع في الارض وعن أول شجرة غرست

في الارض فسئل عنها فقال عبد الله أما الشيخ الذي رضعه الله للناس في الارض فبقر بروت باليمن بردها أرواح الكفار وأما أول شجرة وضعها الله تعالى في الارض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فاظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا في رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله وما علمهم ما هي فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس في الجواب أما الاربعة التي لم يركضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدي به اسمعيل وعصا موسى حيث ألقاها صارت ثعبانا (وقال) أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا عن كابر الى ان وصلت الى شعيب فأعطاها موسى واختلف العلماء في اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسا وقال مقاتل بن سليمان اسمها نفعة وقال ابن حبان اسمها غياث وقال آخرون اسمها عليق

(الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم بأخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان وكعب في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة لا زاد لم يكن قرتضي شعبتاها كالشعبتين من نار تضيئان له مد البصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمد على قدر عمق البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج مايا كل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرزها في الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي استنبتها موسى فاكهتها واثمرت له من ساعته وقال كانت عصا موسى من الآس وقيل من الورد وكان اذا جاع وكز بها الارض فأورقت وأغرت وأطعمت وكان يأكل منها الورد وكان اذا قابل بها عدوه يقاتله وعلى شعبتها نار تقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق وكان اذا أراد عبورهم من الانهار بلا سفن يضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق تفرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا في طريقه وكها فتحمله الى أي موضع شاء من غير ركض ولا تعريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطلب فاح منها الطيب فيتطيب به ويطيب ثوبه واذا كان في طريق فيه لصوص يخافهم الناس بانهم تكاثروا العساكر تقول له خذ يا موسى كذا وكذا ولا تأخذ حتى اذا وكذا وكان يرى شيئا على غنمه ويدفع بها السباع عنها والحشرات والهوام واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جوازه ومتاعه وثلاثة وعشرين بعيرا وطعامه وشرابه قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين رد عليه ابنته وسلم اليه أغنامه ربها اذهب بها الا الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الطريق أكثر ثمنا على اليمين وأخشى عليك الذئب على الاغنام فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذ بالاغنام ذات اليمين فابتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على مارأيه ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا الذئب قد جاء نحو الغنم فسار بعصاه فقتله وأتى فاحتمل الجانب الذي وهي فيه فلما استيقظ موسى رأى العصا قائمة والذئب مقتولا فعلم موسى انه في تلك الليلة قد نزل عرف ان لها شأنا فهذه مآرب موسى اذا كان في سفر وأما اذا ألقاها فيرى انها كانت تضيء كالعلم ما يكون من الشعبين سوداء مدلهمة تذب على أربع فوائم فتصير شعبتاها قرنين وفيما بينهما شعر نابت وتصير العصا كهيئة الرمح وتصير عيناها كالنار تلتهب وعيناها تلمعان كالبرق تهب منها رياح السموم ولا تصيب شيئا الا أحرقته مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى ان الصخور في جوفها التقمتها بانيابها وتحطمها بأنيابها وتبتلعها وجعلت تتلمظ وتتمرم كأنها تطلب شيئا تأكله كانت تكون في عظم الثعبان وفي شدقه لحيان وابن الليقة ذكر ذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع فاذا هي ثعبان مبين وفي موضع آخر كأنها جان وفي موضع آخر فاذا هي حية تسعى

(الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله الى فرعون واستعانته بأخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة)

كنت أتجر من بغداد الى بلاد اليمن وأبيع في كل سنة فبينما أنا في بعض اليمن في الطريق بين مسني وعرفات اذا بي شاب حسن الشباب نوي الاثواب كأن على وجهه خدا لا من نور وهو راكب على الرمل وتحت رأسه بعير وهو يعالج سكرات الموت قال فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له ألك حاجة أيها الشاب فقال نعم تقيم عندي ساعة حتى أقضي نحبي وألحق بربي فقلت له ما الذي تريد قال اذا أنا مت فوار في التراب وخذ هذا المنديل وامض به الى صنعاء اليمن واسأل عن الدرب الفلاني ودخل لاهلي عنا وبقرأ عليكن السلام ثم تلا بعض الكلام ساعة طويلة حتى سمعت جذبة فاضت نفسه فغسلته وكفنته ووجهته بنحوي وصليت عليه في جماعة ثم دفنته وأخذت المنديل معي فلما وصلت الى صنعاء اليمن سألت عن الدرب الفلاني فأرشدت اليه فخرجت الى بعض قرى بني قد فعت

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الآية قال العالم بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم ورد ه تسع سنين قال له شعيب انى وهبت لك كل بلقاء وأبان من نتاج أغنامى التى تضعها فى هذه السنة يعنى السنة العاشرة أراد بذلك مهر ابنته صفورا امرأة موسى قال فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء الذى فى مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الاوضعت حملها مرتين ما بين أبلق و بلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التى وهبها له وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما فلما قضى موسى الاجل وسار باهله منفصلا من أرض مدين وكان فى أيام الشتاء ومعه امرأته وأغنامه وهى فى شهر هالاندرى أتضع ليلا أو نهارا فانطلق فى برية الشام عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر همه يومئذ طلب أخيه هرون واخراجهم من مصر ان استطاع اليه سبيلا فسار موسى فى البرية غير عارف بطرقها فاجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربى فى عشية شاتية شديدة البرد وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زند فقدحه فلم يور فتحير وقام وقعد اذ لم يكن له عهد بمثل ذلك فى الزند وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيرا وضجرا ثم أخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا أو حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نارا فحسبه نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى يعنى من يدلنى على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أظهر أى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هناك واخضلوا فى تلك الشجرة ما كانت تقل العوسجة وقيل العناب فتعجب موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهى تأجج وتشتعل من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا نضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى فنظر فلم ير أحدا فنودى انى أنا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم انه ربه تعالى فناداه ربه أن ادن واقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كيت الا أن روح الحياة تتردد فيه من غير حوالة وأرسل الله اليه ملكا يشد ظهره ويقوى قلبه فلما ناب اليه عقله نودى فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وكان السبب فى أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الاصبهانى قال حدثنا يحيى السدى قال حدثنا أحمد بن عبدة قال حدثنا الحمانى قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفى بعض الاخبار غير مدبوغ (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع نعليك لكى تمس راحلته قدميه الارض المقدسة فتناله بركتها الا نهما قدست مرتين وقال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفوة من أمارات التواضع والاحترام فقيل له طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة فتحصل من بركة الوادى وقال أهل الاشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تأويله فى المنام فقيل له فرغ قلبك من شغل أهلك ثم قال له تعالى تكلمنا القلبه واذهابالدهشة وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى الآية فقال الله تعالى ألقها يا موسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قد صارت شعبتاها فما هو محجنها عرفها فى ظهرها وهى تهتز لها أنياب وهى كما شاء الله أن تكون فرأى موسى أمرا فظيعا فولى موسى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى أى نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة فى أمر الله تعالى اياه بالقائه العصا قبل أن يسل الى فرعون لتسكن الفته بها فلو سل منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها اذ كانت عصاك ولا تخف لانه كان ادعى للملك فقال هى عصاى فتبعها على ذلك وكان على موسى جبة من صوف فالف كمها على يده وهو لها هائب فنودى أن احسر يدك فسركه عن يده ثم أدخل يده تحت لحيه فلما أدخل يده قبض فاذا هى عصاه فى يده وبيده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال فى جيبك لانه لم يكن للبوسه كم واسع فضاق عليه فادخل يده فى جيبه ثم أخرجها فاذا هى نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان

من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى فقال موسى رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا الى قوله يكذبون فقال له يا موسى انى أوقفتك موقفا لا أجعل بعدك لاحد عليك سلطانا دونى ولا ينبغى ان يعدل أن يسمع كلامى وأنت فى أدب الاما كون منى على موسى يوشع مدرعة من صوف قد خللها بالخلال وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه بعهد اليه ويقول له يا موسى انطلق برسالتى وأنت بعينى وسمعى ومعك قوتى وبصرى بعثتك الى خلق من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وعبد دونى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وزعم انه لا يعرفنى وانى أحلف بعزتى وجلالى لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والارض والجبال والشجر والدواب فلو أذنت للسماء لحصبته والارض لابتلعته وللجبال لدككته وللجحار لغرقته ولكن سقما من عيني وهوان على وصغر عندى ووسمته بسمات وأنا غنى عنه وعن جميع خلقى وحق ذلك لى وأنا خالق الغنى والفقير لانى الامن أغنيته ولا فقير الامن أفقرته فالبغير سؤالى وادعه الى عبادتى وتوحيدى والاخلاص لى وحذره نقمتى وبأسى وذكره آياتى وأعلمه انه لا يقوم لغضبى شئ وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وبجهله فى خطابك اياه ولا يروعك ما ألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شئ الا بعلمى وأخبره بانى من العفو والمغفرة أسرع منى الى الغضب والعقوبة وقل له أجب ربك فانه واسع المغفرة وقد أمهلك فى طول هذه المدة وفى كل ذلك تعاند الرب بتعديه وتصدعن عبادته وفى كل ذلك عمار بعليك السماء وبثبات لك الارض وبلباس العافية يحيى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم أسبل الكلام عن موسى شيئا فشيئا ثم قيل له بعد سبع ليال أجب ربك يا موسى فيما كلمك فقال رب اشرح لى صدرى الى قوله تعالى بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤالك يا موسى فاهدبنفسك وأخيك وكان قد خطر فى قلب موسى ان فرعون فى بأس عظيم وجند كثير وأنا وأخى وحيدان فريدان فقال الله تعالى له انكما جندان من جنودى وأنا معكما أسمع وأرى وأبصر كما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولو شئت أن أقيض له ولا هامان وجنودهما لفعلت ولكن ليعلم ذلك الشقى الضعيف الذى قد أبهجته نفسه وجنوده ان النقمة القتل ولا قاهر لى تغلب الفئة الكثيرة باذنى ولا يجهلن شكاوتيته ولا يكما عدته فلو شئت أن أزينكما من زينة الدنيا وبهجتها ما بهجت فرعون وملأ ما اقتدروا اليوم ولا يعلم ان مقدرتى تعجز عما أتيتكما ولكنى قللت ذلك أجمعه من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك هو أهون على أوليائى وأصفيائى أذودهم عن نعيم الدنيا ولذاتها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن المراتع الوبيئة فلكى تستكملوا نصيبكم من كرامتى فى الآجل واعلم انه لا يتزين أحد من عبادى بزينة تنهى أبناء الزهد فى الدنيا وهى زينة الابرار ويقال ان الله تعالى كلمه فى تلك المدة مائتى ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة يقول له مع كل كلمة قلت نفسا بغير حق (وقيل) لموسى عليه السلام مم عرفت ان الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام الخالق لما يسمع من جهة واحدة استولى سمعى وهى السمع وانى كنت أسمع كلام الله تعالى من جميع أبعاضه بحواسى كلها فعرفت انه كلام الله تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صاروا الجبل عقبة فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده وأراد أن يختنه فامر الله تعالى ملكا فدبه ولم تزل قدمه عن موضعها حتى بلغه الملك الموفى فى توقة وناوله الى موسى فاخذ حجرين فقال أسدهما بالآخر حتى حدده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من المختون فقال قد طهر أمن ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل أهل موسى مقيمين فى ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم ورحلهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر وجاوز ببنى اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الى مصر لموسى فقالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما بعثه الله الى مصر لا علم له بالطريق وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حولة ولا صاحب له ولا شئ من الاشياء غير العصا ومدرعة صوف

وهو فقال فى نفسى اخلاسى لربى فقلت له فهل لك فى مرافقتى فقال الرفيق يشغل عن ذكر الله ولا أحب أحدا يشغلنى عن ذكر الله تعالى فارفقه حين فقلت من أين تاكل فقال الذى غذانى فى بطن الامشاه صغيرا يتكفل برزقى كبيرا فمتى احتجت الى طعام حضر بين يدى فقلت له هل من حاجة فقال نعم اذا رأيتنى بعد هذا اليوم فلا تكلمنى فقلت بالله أسألك يا سيدى ان تدعو لى فقال جل الله عن كل معصية وشفاك مما يقربك اليه فقلت يا سيدى فاين اللقاء بعد ذلك اليوم فقال بباب الجنة اليوم فان كنت من أهل القرب فالقانى غدا فى منازل القرب ثم غاب عن عينى فلم أره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين * (وفى مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه) * انه قال كان لى جار مسرف على نفسه لا يعرف ربه من أمه فاجتمعت الجيران الى يشكونه فاحضرته وقلت له ما هذا الذى كثر عصيانك فاما أن تتوب واما أن تخرج من هذا المحل فقال أنا فى ملكى

وقلنسوة صوف ونعلين وكان يمالى صائما ويبيت قائما ويستعين بالسيد ويقول الارض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى اليه لا تخف ولا تحزن ثم أوحى الله تعالى الى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيرا له ورسولا معه الى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت غرة ذى الحجة متنكرا الى شاطئ النيل ليلقى موسى ثلث الساعة قال فخرج هرون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس وانشق انه كان يوم ورود الاسد الماء وكانت لفرعون أسد تحرسه فى غيضة محيطة بالمدينة من حوالها وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون اذ ذاك فى مدينة منف على يسار مصر وكان بين كل سورين باسانين وأنهار ذات مزارع وأرض واسعة فى زيض كل سور سبعون ألف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل وأسكنها الاسد فتناسلت ونوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيضة طرقا تفضى بمن سلكها الى أبواب المدينة معاونة ليس لتلك الابواب طرق غيرها فمن أخطأها ودخل فى تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كله ثم تصدر مع الليل قال فلما التقى موسى بهرون كان يوم وردها فلما رأتهما الاسد مدت أعناقها ورؤسها اليهما وشخصت بابصارها نحوهما وقذف الله فى قلوبهما الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على وجوهها يطأ بعضها بعضا حتى اندست فى الغيضة وكان لها سامة يسوسونها ارادة يدودونها أى يعرونها ويسلطونها على الناس فلما أصابها ما أصابها من الفزع ساستها فرعون ولم يشعروا من أين أتوا ثم ان موسى وهرون انطلقا فى تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذى هو أقرب أبوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذى الحجة بيوم فاقاما عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان لمن هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها وما فيهما لرب العالمين وأهلها عبيده فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن ان أحدا من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما جمع أسرع الى كبرائه الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندى أعظم وأشنع وأفظع مما أصابنا فى الاسدين كنا نقدر ان أن يقدما على ما قدما عليه الا بسحر عظيم وأخبرهم بالقصة ولم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى الى فرعون قال السدى باسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف أما وهى لا تعرفه فأتاها فى ليلة كانوا يا كلون فيها الطفيشل فنزل فى بابه الدار فجاء هرون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته انه ضيف فدعاه فأكل معه فلما تعارفا وتحدثا بأنه هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسى يا هرون انطلق بى الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وصحبته وقالت أشدكما الله أن لا تذهبا الى فرعون فتقتلكما فابيا عليها ومضيا لامر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البواب وقال فرعون من هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة اشرف عليهما البواب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين فذهب البواب وأتى فرعون وأخبره بما سمع وقال له ان هما انسانا مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فمكثا فيما بلغنا سنتين يغدوان الى بابه و يروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلعب معه يضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك لرجلين يقولان قولا عجبا يزعمان ان لهما الها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فادخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

(الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون)

قال الله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى فى هذه الآية قال قال لهما أعذرا اليه لعله يتذكر أو يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى وعيد كما وهو عندى لا يتذكر ولا يخشى قال لكيلا لا يقول أها سكتنه قبل ان اعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقفا

عند ذلك دعا موسى بدعاء وهو لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم إني أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال فتحول ما في قلب موسى من الخوف أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمنه الله من خوفه ونفس كربته وهون عليه سكرات الموت ثم أتى فرعون فقال له موسى إني رسول رب العالمين فتأمله فرعون فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين من [illegible] الذي هو الآن [illegible] فقال موسى فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من الخاطئين ولم أرد بذلك القتل ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكره من برّه فقال وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل أي اتخذتهم عبيدا تنزع أبناءهم من أيديهم [illegible] وتقتل من شئت أي [illegible] ذلك قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله من [illegible] ألا تستمعون [illegible] قال موسى ربكم ورب آبائكم الأولين قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون يعني ما هذا بكلام رجل صحيح العقل إذ يزعم أن لكم إلها غيري فقال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين تعرف به صدقي وكذبك وحقي وباطلك قال فرعون فأت به إن كنت من الصادقين فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبي القصر واضعة لحيها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من المدينة [illegible] ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه ففر منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريره [illegible] حتى قام من ساعته [illegible] وكان قبل ذلك فرعون لا يسعل ولا يمتخط ولا يصدع رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم إلا في كل أربعين يوما مرة واحدة وكان أكثر ما يأكل الموز لأنه لا يكون له ثفل فيحتاج إلى القيام وكانت هذه الأشياء مما زين له أن يقول ما قال لأنه ليس له من الناس شبيه (قالوا) فلما قصدته الحية صاح يا موسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع إلا ما أخذتها وأمسكتها عني وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم أدخل موسى يده في جيبه فأخرجها [illegible] فقال له فرعون [illegible] ثم أخرجها ولها نور ساطع في السماء يكل عنه الأبصار [illegible] من الكوكب [illegible] لم يستطع فرعون النظر إليها ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فإذا هي على لونها الأول قالوا فهم فرعون [illegible] ثم إنه قال [illegible] فقال فرعون لموسى أمهلني إلى يوم غد [illegible] [illegible] فاستشار فرعون [illegible] هامان [illegible] فتشبه به فهو أول من خضب بالسواد [illegible] [illegible] (وفي بعض الروايات) أن موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما المطر في الطريق فأتيا على عجوز من أقرباء أمهما وكان فرعون وجه الطلب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها وجاءت الطلب إلى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست بهم [illegible] خرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر إليها فقاتلتهم حتى قتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم ثم إن العجوز آمنت بهما وصدقتهما

(الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة إلى القضاء والمغالبة)

قال العلماء بأخبار الأنبياء إن موسى وهرون عليهما السلام ومنع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان الله

قال ما لك فقلت عندي [illegible] أتى فنظر فيه فرآني ثم قال يا مالك أترى مولاي [illegible] عن ذلك الذنوب والسيئات ويرحم هذه العبرات [illegible] فارقني أهلي ووطني وخرجت من ذلك المكان [illegible] [illegible] فكيف أدخل غدا بين يدي الخالق [illegible] ثم [illegible] وشوق [illegible] فمات رحمه الله تعالى عليه آمين *(وعن الجنيد رضي الله تعالى عنه)* أنه قال خرجت على [illegible] إلى بيت الله الحرام في بعض الأعوام [illegible] [illegible] الكعبة [illegible] وعلقوها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الناس [illegible] فسألت عن الخبر فقال بعض الناس [illegible] [illegible] وهم يلتمسون لها [illegible] نفسي [illegible]

تعالى على السحر فقال الملأ حوله ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فخر موسى ثم انه القى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين كأعظم ما يكون من الثعابين أسود مدلهم يدب على أربع فواغر فاه فصار غلاظ شداد وهو أعظم وأطول من جذع عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه عند عنقه وكاهله لا يضرب بذنبه على شيء الا حطمه وقصمه بكسر بقوائمها السفو والصم الصلاب يطعن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه

نار

نار وله عينان يلتهبان نارا وفخرام ينفخان سموما وعلى معرفته شعر كامثال الرماح وصارت الشعبتان له كأسنانه
اثنا عشر ذراعا وفيما أنياب وأضراس لها فحيح وكشيش وصرير فلما نظر فرعون وجنوده الى السحرة من حبالهم
وعصيهم وهي تخيل في أعين الناس وعين فرعون أنها تسعى فعلت تلقف ما يأفكون وتبلعها واحدا واحدا حتى لم ير في
الوادي الا قليلا ولا كثيرا مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فرتاجوا وتضاغطوا وداس بعضهم بعضا
حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم منه وفارس يوباذا هبا له
فيقال انه طلق عليه بطنه من يومه ذلك أربعمائة مرة فصار يحمل له ذلك أربعين مرة في كل يوم وليلة على الدوام الى
ان هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ما عاينوا قالوا لبعضهم لو كان ساحرا ما غلبنا ولا خفي علينا أمره ولو كان
معجزا فإن حبالنا وعصينا فاقت السحرة بحبالهم وعصيهم فآمنوا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وكان فيهم اثنان
وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر وكانوا علماء رؤساء وكان رؤس السحرة ثمانية عشر ألفا وقيل
بضعة وعشرون ألفا ومصافوهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال
لهم مجلدا أمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر الى قوله تعالى أشد عذابا وأبقى قالوا ان
نؤثرك على ما جاءنا من البينات الآية فتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو أول من
عمل ذلك فاصبحوا سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة وقد جمع فرعون معه بالمهرة وما مكسورا ثم أبى الا الاقامة على
الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه الآيات وأخذه وقومه بالسنين الى أن أهلكهم ثم ان موسى عاد ليعيد
الى قومه والعصا على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الأليف بصاحبه والناس ينظرون
اليها ويتعجبون منها وقد ملؤا عيونا فلم تزل العصا على هيئتها الى حين يحدثون وينظرون اليها ويتعاجبون
ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بني اسرائيل فانحنى برأسها فاذا هي عصا كما كانت أول مرة
شتت الله على فرعون أمره ولم يجد الى موسى سبيلا واعتزل موسى مدينة مصر وأقام بقومه وعسكره وكانوا ستمائة
ألف ان صاروا ظافرين

*(الباب الحادي عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون واسمه أنه ومقتله
وأولاده رضي الله عنهم أجمعين)*

اختلت الرواة كان حزقيل من أصحاب فرعون فجاء وهو الذي سمع لام موسى التابوت حين ولدته وألقته في البحر
قيل انه كان نائما فرعون قد حزن له مائة سنة وكان مؤمنا فلما يكتم ايمانه الى أن ظهر موسى على السحرة
ظهر حزقيل أمره فاغتاظ فرعون وقتل مع السحرة مؤمن آل ياسين وهو الذي ذكره الله في القرآن في قوله تعالى وقال رجل
مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين
حبيب النجار مؤمن آل ياسين وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلي مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضلهم وأما
امرأة فرعون آسية فانها كانت مملكة بناحية فرعون وكانت مؤمنة من أهل الله الصالحات الا أنها كانت تعذب بناحية
فرعون وأولادها حتى كانت تشاهد ذات يوم بنات فرعون وقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنات
فرعون أبي قالت لا بل ربي وربك وربه أبيك فقالت لها الا أخبر بذلك أبي فلما أخبر بذلك أبي دعا بها وبولدها وقال لها من
لك غيري قالت ربي وربك الله فأمر بتنور من نحاس فاحمي وأمر بهم وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له ان لي اليك
حاجة فقال وما هي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها قال ولك ذلك فعل ذلك به عامدا من الحق ثم أمر بأولادها
فقوا واحدا واحدا في التنور وحتى اذا كان آخر أولادها ولدا صغيرا رضيعا فقال اصبري يا أماه فانك على الحق
فلقيت في التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فيمن تكلم في المهد فقال تكلم في المهد أربعة عيسى بن مريم وشاهد
يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي

(الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى)

كان في البلد معهم فقال
الجنيد فعزمت على
النوم فقالت الجارية
لا تفعل يا سيدي بالخروج
فاني سألت الله أن يوقظني
وأنت نائم حتى تقف
على غسلي وتصلي علي ثم
تشهد وتخرج سبعة
فعلتها وفعلتها رحمة
الله تعالى عليها (وعن
أبي بكر بن الفضيل
رضي الله تعالى عنه)
انه قال سألت بعض
أصدقائي وكان أصدقائي
ورأيتها بعد موتها
فلما تبع أن يحدثني فما
زلت أقسم عليه حتى
حدثني فقال قال لي
عبد الله صاحب السلمين
هذا رجل من السبعين
فرجنا اليوم وقالوا لهم
فقاتلوا فقتلنا
منهم جماعة وأسروا منا
جماعة وأسروا منهم جماعة
فلما هي عادة الله تعالى في
القتال فاسرت أبا حمزة
من المسلمين عشرة فالى
وكانت في الروم البزاة
فسألت العشرة الى
فلان فقتلوهم وحملوهم
على البغال حتى تركوهم
عندي في السجن فبينما
أنا ذات يوم من الايام جالس
بقصري اذ جاءني بعض
غلماني فقال يا سيدي ان
أحد الموكلين قد أخذ من
أحد الأسرى ما لا وتركه
يصلي قال فلما سمعت
ذلك أحضرت الموكل بهم
وقلت له أخبرني ما الذي

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بني اسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتتعالى في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في بيتها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد الله من الخير زادت يقينا بالله وتصديقا بنبيها هي كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها العلك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك فقالت ما اعتراني جنون ولكني آمنت بالله ربي وربك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة انه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله موسى فقلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فأبت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية بنت مزاحم بعذابها بعذيها التدخل في دينه فرجع لها موسى وهو يعذبها فشكت اليه ما صنع بها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى أن ماتت في عذاب فرعون فقالت وهي في العذاب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة وتجلى الآية فأوحى الله تعالى اليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من درة فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تفعل وهي في العذاب

(الباب الثالث عشر في بناء الصرح)

قال الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أمسل لفرعون في باب من أبواب الملك والتسلط والقوة والتنعم والترفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمنعة والجنود والشوكة والعدة والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته أنه ربما لبث أربعين يوما وليلة لا يخرج منه شيء الا مرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتغوط ولا يتمخط ولا يتنخم ولا يسيل وبأخذه وجع في بطنه ولا ترعد عيناه ولا يمرض ولا تصيبه آفة في نفسه ولا كراهة فالواو بلغ من املاء الله تعالى أنه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربعمائة سنة لا يرى مكروها وملوكا في تلك المدة أدركوا يوم أوحى الله تعالى الى الدعي الربوبية وقدم على خطب جليل وخطر جسيم فلم يسعه سوء مكروه ولا تلقاه الا محبوبا ومرغوبا وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وكان فرعون قد أمر بتوسخ الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها ساعة ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه اسدر اجابه له فلما عاين من أمر موسى ما عاين لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم ان يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فأحدث لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد أركانه فقال لوزيره هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا فأمر هامان ببنيانه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص ويحتطب والابواب والمسامير فلم يزالوا يبنون الصرح دهرا طويلا حتى ارتفع في السماء ارتفاعا لم يبلغه بناء قط فلما رأى الله تعالى له أمرا مستدرجا له منه وآتاه الامر على ما يريده الى أن فرغ منه في سبع سنين فارتفع ارتفاعا عاليا لم يبلغه بنيان أحد من الخلائق منذ خلق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أن دعه وما يفتري فاني مستدرجه وآخذه بغتة وان مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضربت ظله نحو المغرب واذا غربت ضربت ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه الا الله تعالى فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه في البحر وقطعة في الهند وقطعة في المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفي

أخذته من هذا الاسير حتى تركته يصلي فقال نعم يا سيدي انه في كل وقت صلاة يدفع الى دينارا ذهبا فقلت هل معه شيء من ذلك فقال لا يا سيدي ولكنه اذا فرغ من صلاته يضرب الارض بيده فيظهر له ذلك الدينار فقال فتعجبت من ذلك وأحببت أن أعرف حقيقة هذا الرجل فلما كان من الغد أحضرت السوكل به ولبست ثيابه ووكلت نفسي بذلك فلما جاء وقت صلاة العصر أومأ الى بانه يريد الصلاة ويدفع الى الدينار على عادته فأشرت اليه وقلت له ما آخذ الا دينارين فقال نعم فأطلقته يصلي فلما فرغ من صلاته ضرب الارض بيده ودفع الى الدينارين فازددت تعجبا من ذلك فلما جاء وقت صلاة الظهر أومأ الى كالمرة الاولى فقلت له ما آخذ الا خمسة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى الخمسة دنانير فلما جاء وقت صلاة العصر أشار الى كعادته فقلت له ما آخذ الا عشرة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى العشرة دنانير فلما جاء وقت المغرب أشار الى فأشرت اليه لا آخذ الا خمسة عشر دينارا فقال نعم فلما فرغ دفع الى ذلك فلما جاء وقت العشاء

ألف رجل فالوا ولم يبق أحد ممن عمل فيه الا أصابه موت أو حريق أو عاهة فمن نجار أو حداد أو بناء الا بيسير بيده
وأما الذين كانوا يطبخون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم وأما القهارمة والعمال فماتوا وكان تدبير
٧ فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله
تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه شيأ هم على قتال موسى وقومه فأمر أصحابه فتنبهوا للحرب ثم ان عسكر فرعون
قالوا لموسى انك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وغررت بقومك حتى اتبعوك فسألت ربك
عليك حيث أغرقك في اليم فصبرنا وعلمنا أنا لا نطيق ما أتيت به من سرعة الحال فاستقذنا فرعون
من الغرق واستدركنا من الموت فآمنا وصدقناك وبالله وبك اتخذنا ولداً ثم فررت منه آبقا كافر أو بنعمته عدواً
ثم رجعت بأظلنا متمنعين علينا حتى نردك الى عبادته وخدمته أو نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد
علم أنه لا يعني عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله
بالعذاب وبالآيات *(الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دنا
هلاكهم اظهارا للقدرته والزاما لحجته)*

قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال المفسرون هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
(قال قتادة) أما السنون فكانت ببادينهم ومواشيهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم قال الله تعالى
فأرسلنا عليهم الطوفان الآية (واختلف المفسرون) في ذلك الطوفان ما هو (قال) ابن عباس كان أول الآيات
الطوفان هو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكهم وقال الضحاك هو
الغرق وقال مجاهد وسلمة هو الموت الذريع الجارف وروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب
هو الطاعون بلسة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أكثر آل فرعون فما مضى في ليلة لم يبق منهم ماشية
أو قلابة الطوفان الجدري فهم أول من عذب به فبقي في الارض بلا زاد والقمل (واختلفوا) في القمل ما هو
فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وروى عن أبي طلحة أنه الدبا
وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي وغيرهم الجراد الصغار التي لا أجنحة لها أحمر القمل الصغار التي لا أجنحة لها
وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث وقال عطاء والقمل دليله
قراءة الحسن أو القمل بفتح القاف وجزم الميم وقال أبو عبيدة هو الحمنان وهو ربيس الترد ان قال أبو العالية
أرسل الله الحمنان على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدر واعلى الدبر قال أمية بن أبي الصلت الثقفي
أرسل الله الحمنان على دوابهم * وعدا بافاها لكيما دبيرا
(بابر في صفة تأويل هذه الآيات وتفصيلها واكتسابها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم في بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون وجميع عدو الله ما يلقون رأوا الله رفع موسى وهرون والى
عسكر بني اسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكلفوا بني اسرائيل ما لا يطيقون فكان الرجل من القبط يجيء الى
الرجل من بني اسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس بيتي واعلف دوابي واستق لي ونحو ذلك من الخدمة
من بني اسرائيل فتكلفهما الا تطيق ولا يعلمونهم في كل ذلك شيأ فاذا أمسى النهار بعثوا لهم اذهبوا
فاكتسبوا لانفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله فيورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فقالوا يا موسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا كنا نطعم اذا اشتهينا
من قبل أن تأتينا فلما جئتنا استعملنا ولم يطعمونا فقال موسى عسى ربكم أن يهلك عدوكم يعني فرعون
والقبط ويستخلفكم في الارض يعني الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادي على
الكفر والاقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال يا رب ان عبدك فرعون قد طغى في الارض وبغى وعتا وان
قومه نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة وان بعدهم من الامم

الاخيرة أو ما أتى فقلت
له لا آخذ الا عشرين
دينارا فقال نعم فصلى
وأحسن صلاته ودفع
الى العشرين دينارا
وقال اطلب ما شئت فان
سيدي شيخ كريم لا يبخل
على بما سألته قال فبقيت
تلك الليلة متفكرا في
أمره متعجبا مما رأيته
منه وقد دخلني منه
هيبة وأمر عظيم وعلمت
انه من أولياء الله تعالى
فلما أصبحت دعوته
للغداء عندي ثم
أكرمته وفكهت
قيوده وألبسته ثوبا حسنا
وأعطيته دينارا ثم قلت
له أيها الشيخ هل لك في
الاقامة عندنا في بلادنا
وأنت في أعز مكان
وأكرم محل وذكرت له
غاية الاكرام والرجوع
الى بلاده فاشتار
الرجوع الى بلاده
فأردت أن أزوده
بشيء على دابة وأبعث
معه من أصحابي رجالا الى
عشرة يوصلونه
بالسلامة الى بلاده فلما
فكرت أن لا يعتريه
عارض ولا يؤذيه أحد
وعمدت الى جميع ما أمرهم
به يفعلوا جميع ما يختاره
ثم أحضر جوادا وفرطاسا
وجعل له على الاستقبي
ويبيعه وقال له اذا
وصل الى بلاده سالما
يكتب تلك العلامة في
القرطاس خوفا عليه
في الطريق ثم ودعته
وحملته بقضي فقال له

اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في أثر بعض فاخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة متداخلة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركدفلم يقدروا على أن يحرثوا ولا يعملوا شيأ حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا الى أشرما كانوا عليه فانبت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمرة مالم ينبت قبل ذلك فاعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة لنا وما بسرنا أنا لم نصب فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الابواب والشباب والعتمة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فجاعوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فاعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فأشار الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن

(فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجراد) أخبرنا الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم وأهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يارسول الله تدعو على جند من جنود الله بمل اكمه وقطع دابره فقال انما الجراد نثرة حوت من البحر (قال ابن علاثة) وحدثني من رأى الحوت ينثره وباسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يخبر عنه بشيء فاغتم لذلك فأرسل راكبا الى اليمن وراكبا الى الشام وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيأ من الجراد أولا فأتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فألقاها في يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فاول شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذا قطع سلكه وباسناده عن أبي أمامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحما لا دم له فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شباع فقلت يا أبا المضي مما الشباع قال الصوت وباسناده عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لا تخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي النساء هن شبكتي التي لا تخطئ أبدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعي يقول كان ببير وشرجل صالح يذكر أنه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها باطل يقول بيده هكذا فمث ما أشار استاق الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا ان ذلك الرجل ملك الجراد قال فأقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسى أمر أن يمشي الى كثيب أعفر بتربة من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب وكان مهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فاكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملا حتى ان أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص ونحوه ثم يلقها حتى لا يرتقي فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكل وجد جسده ملئ قملا فاصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدري عليها ومنعتهم النوم والقرار

ولم يستطيعوا الهجرة وقال سعيد بن جبير الفسل السوس الذي يخرج من الثوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر أدع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم الفسل فانتشروا في أقطار الارض وأطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا نظن أحدا يقدر أن يسحر كما سحرنا الا اليوم فيعمل الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه بني اسرائيل فقد أهلكنا زرعنا وحرثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا نصدقه أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما فأوحى الله تعالى اليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالعصا الى أدناه وأقصاه أعلاه وأسفله ففعل ذلك فتنابعت له الضفادع بالتفرق من كل بلد حتى أعلم بعضها بعضا وسمع أدناها أقصاها ثم اجتمعت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة وامتلأت منها أوانيهم وآنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا انا ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وقد سد عليه مركبا حتى لا يستطيع أن ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان أحدهم يفتح فاه لاكلة فتسبق الضفدعة اليه فيها وكانوا لا يجدون شيأ من الجب الا امتلأ ضفادع وكانت تثب في برامهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تفور وفي التنانير وهي مسجورة فأنهم الله تعالى بحسن طاعتها لربها قال فضجوا الى فرعون من ذلك وشاق عليهم أمرهم حتى كلموه فلما لم يكونوا وساءت المدينة وطرقها صاروا فيها من كثرتها يلزمهم بأقدامهم وأرجحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب ولا نعود فأخذ على ذلك عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما روى ان موسى أمر أن يجمع بعضها بعضا ففعل فانقبض ما كان منها حيا فطفى بالنيل وأرسل الله على الميتة ريحا فاحتملتها عن مدينهم بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فقالوا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم وذلك ان الله تعالى أمر موسى أن يتوجه الى شاطئ البحر فيشير بعصاه ففعل ذلك فسال النيل عليهم دما وصار ماء آبارهم وعيونهم من الانهار والآبار الا ويجد ما أمر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقالوا لهم انه سحر لموسى فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطي والاسرائيلي فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما عبيطا وكان القبطي والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيصير ما القبطي دما وما الاسرائيلي ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة التي فيها الماء فيصير للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى ان المرأة من آل فرعون تلتقي هي والمرأة من بني اسرائيل حين يعجنها العجين فتكون عجينة هذه دما وعجينة هذه ماء فاذا اجتمعا ساد دما فقالوا النيل على ذلك لا نأكل منه حتى انهم تقول لهم اسحقيه فيما بينك وبينه ثم يجيء فيه فتأخذ في فيها ماء فاذا اجتمعا ساد دما فقالوا النيل على ذلك يسقي الزرع والشجر فاذا ذهبوا يستقون من الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش في ذلك الايام حتى انه اضطر الى مص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها دما فلما أيسوا وراز عافا فكثوا في ذلك سبعة أيام ليأكلون ولا يشربون الا الدم (وقال زيد بن أسلم) كان الدم الذي سلط عليهم الرعاف فلما ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك أن موسى أمر أن يضرب النيل بعصاه ضربة أخرى فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالي ابن امرأة

منها الى الدباغ ثم مضت والدتي الى بيت القاضي فلما وصلت استأذنت في الدخول فدخلت وسلمت على القاضي فرد عليها السلام ثم قال ما طلبتك لنباشر بنفسه فقالت له يا سيدي ان لي ثلاث بنات وقد تركتهن بالجوع وجئت اليك لعلك ان تتصدق علينا بشئ من بيت مال المسلمين قال فلما سمع القاضي كلامها قال لها عد الى أصحابك شيأ قال فخرجت من عنده وجاءت الى البناء وهم يبكون من شدة الجوع فقالت لهن يا بنات طيبن قلوبكن فقد أوعدنا القاضي بالله في غد يتصدق علينا وان شاء الله تعالى غدا أرجع اليه كما قال وآتيكم بشيء من عنده قال فباتوا تلك الليلة مستبشرين فلما أصبح الصباح ذهبت والدتهن الى بيت القاضي فوجدت عنده بالساعة باب داره فلما دخلت عليه رد عليها السلام ثم قال لها يا سيدتي كنت أوعدتني بالامس بشيء وقد جئتك طالبة في طلبه فلما سمع كلامها اشتهاها ثم رمى بها وقال اذهبي عني مرجعشة المرأة عجوزا منباكسة وجاءت الى خرابة كانت مجاورة لبيتها فدخلت الليل وبكت بكاء شديدا وقالت اللهم يا ذي وجهه أرجع الى بناتي وباي

كعب الاحبار مكث موسى فى آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب السحرة بهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الاخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون الا الطغيان والكفر والتمادى والكبر دعا عليهم وأمن هرون على دعائهما السلام وهو ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاجاب الله دعاءهما كما قال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة والياقوت وأنواع الحلى والجواهر ما لا يحصيه الا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام فى زمانه أيام القحط فبقى ذلك فى يد القبط فاوحى الله الى موسى عليه السلام انى مورث بنى اسرائيل ما فى أيدى آل فرعون من العروض والحلى وجاعله لهم جهازا وعيادا الى الارض المقدسة فاجعل ذلك عيدا تعتكف عليه أنت وقومك تشكرونى وتذكرونى وتعظمونى ذلك اليوم وتعبدونى فيه لما أريكم من التغلب ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا لعيدكم من آل فرعون الحلى وأنواع الزينة فانهم لا يمتنعون عنكم للبلاء الحال بهم فى ذلك الوقت ولما قذفت فى قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فامر فرعون بزينة أهله وولده وما كان فى خزائنه من أنواع الحلى فاعيرت لبنى اسرائيل لما أراد الله بذلك أن يبنى عمل موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال، ولا ايجاف خيل ولا ركاب فطمس الله منهم وافضا الاعليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التى بقيت فى أيديهم حجارة كلها حتى المخنل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظى سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس وفلق البحر فقال يجب لا يكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فاخرج منها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها بقايا أموال فرعون فاخرج البيضة مشققة نصفين وانها الجر والجوز مشققة فوقها نحو الجر والحصى والعدسة (وروى) محمد بن اسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وانها لحجر وقال لقد رأيت انسانا وما شككت أنه انسان وانه لحجر وكان ذلك المسخ فى ارفاقهم دون أحرارهم اذ العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ما خلا الذى بايدى بنى اسرائيل من الحلى والجواهر وأنواع الزينة (وقال) ابن عباس أول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا ولما ان الدنانير والدراهم صارت حجارة مقوشة كهيئتها عصاصا وانصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة

(الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام ببنى اسرائيل وعبورهم فلق البحر لهم)

قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون قال العلماء باخبار الانبياء أوحى الله تعالى الى موسى حين أراد اظهاره على عدوه أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة بيوت فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الابواب فانى مرسل على أعدائكم عدابا وانى سأرسل الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرها أن تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسألون أنتم ربكم ليكون هم ثم الخبز واطيروا فانه أسرع لكم ثم أمر بعبادى حتى تنتهى بهم الى البحر فيأتيك أمرى فامر موسى بنى اسرائيل ففعلت ذلك فقال القبط لبنى اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم قالوا ان الله تعالى لما رسل العذاب عليكم فسلم وتها لكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم بكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم فى ليلة واحدة وكانوا سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما لهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بنى اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه تالوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا ان ساروا بأنفسهم حتى ذهبوا باموالنا معهم فنادى فرعون فى قومه كما قال الله تعالى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون ثم ان فرعون تبعهم فى قومه وعلى

مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة حربية وقال ابن جريج أرسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف رجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائتا ألف حصان أدهم سوى سائر الالوان وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت كما قال الله تعالى فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورأت بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا وان دخلنا فيه غرقنا وفرعون خلفنا فان أدركنا قتلنا لقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال موسى لقومه يا قوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا لما سار موسى ببني اسرائيل من مصر وأرادوا أن يسيروا ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسألهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ علينا العهد أن لا نخرج من مصر حتى يخرج معنا عظمه فيدفنه في الارض المقدسة فلذلك نالنا هذا الامر فسألهم من موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذناه من قولي فكان عن يمين رجلين ينادي ولا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيت ان دللتك عليه أتعطيني ما سألت قال نعم وقال حتى أستأذن ربي فأمر به أن يعطيها ما فاها فقال لها ذلك فقالت له اني أريد أن لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم فقالت له فان عجوز كبيرة لا أسمع لي أن أمشي فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه في جوف هذا الماء فادع الله أن يسري عنه الماء فدعا الله تعالى فسري عنه فقالت له احفر ههنا فحفر فاستخرج عظمه وفي صندوق من مرمر فحمله معه مودفنه في الارض المقدسة قال عمرو بن الزبير وجد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير ببني اسرائيل اذا طلع القمر فدعا بأن يوقف طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل فلن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة فمن فعل بهم ذلك أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن ابن أبي موسى الاشعري عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم بأعرابي فأكرمه فقال له عليه السلام تعاهدنا فأتاه الاعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابي ناقتي يا رسول الله سرحها وأعترتها أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابية ما حاجتك فقال مالي حاجة غير هاتين فقال عليه السلام ان عجوز بني اسرائيل كانت أعلم رجل من هذا وذكر الحديث الذي في قصة نوح قال فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وعلت موجة ترمي كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى ههنا أمرت يوشع ابن نون الماء فاذا البحر ولم يأمر فدا بتلك الماء وقال الذي يكتم ايمانه وهو يوشع بن نون أيها الكليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب في الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فعل موسى لا يدري ليغمز بسوط فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يلطمه فأوحى الله تعالى اليه أن كذ فضربه ثانيا وقال انفلق يا أبا خالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق البحر فاذا بالرجل الذي أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يتحرك ولا لبده وما فرق البحر اثنا عشر طريقا لاثني عشر سبطا لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قال سعيد بن جبير أرسل معاوية الى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة فأرسل اليه ان المكان الذي انفلق عنه البحر لبني اسرائيل (أخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال لمن كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا فرجا ومخرجا فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمكم الكلمات التي تكلم بها موسى حين جاز البحر بني اسرائيل فقلنا بلى يا رسول الله قال

الشمس وما بقي من القمر فلما رأوه صاحوا في وجهه وقالوا يا نحروم كنا لك كنا وكان لك هذا القصر وهذه الجنة وأنت هربت منا فأبدلنا من النعيم المقيم والملك العظيم بالذل والهوان فصاروا نصارى ثم طردوا القاضي وأخرجوه من البلد وأرده مقلده في النار قال فانتبه القاضي فزعا مرعوبا وهو يقول يا رب التجأت اليك مما رأيت في منامي ثم خرج من وقته مسرعا حتى جاء الى بيت سيدوك النصراني وطرق عليه الباب فخرج له غلام من غلمان سيدوك النصراني وقال من بالباب فقال القاضي فرجع الغلام وأخبره ولم يعلم القاضي بالباب فأذن له بالدخول فدخل فلما رآه سيدوك رحب به وأجلسه وقال ما حاجتك فقال القاضي هل عندك خبر في هذه الليلة فقال سيدوك اني بت في هذه الليلة بليلة سكر فيها فلم أفق الا وأنا في بيت القاضي وقال الذي عملت في هذه الليلة بعشرة دينار فقال القاضي والله ما عملت هذه القضية الا بسببي حتى أبطلت فقال القاضي يا رأيت في منامي وما وقع من القاضي فلما سمع سيدوك النصراني هذه الرؤيا وثب قائما على قدميه واغتسل ولبس

قولوا اللهم لك الحمد ولك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال عبد الله فما زلت مذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فقالوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات كهيآت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فاخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر أي فلقنا وبيّنا لكم الماء عينا وشمالا فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وذلك أنه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فاوحى موسى أن يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى فاوحى الله اليه أن اترك البحر رهوا أي ساكنا على حاله انهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر أوسنفلقا فقال فرعون انظروا الى البحر كيف انفلق لهبتي حتى أدرك أعدائي وعبيدي الذين أبقوا مني فاقتلهم فاقتحموا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون انثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له أنثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فلان أصحاب فرعون أن الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يسوقهم ويقول لهم الحقوا بصاحبكم فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له انى قد أثبت لي هذا الموضع مرارا وعلى عهدهم هذا الطريق وانى أخاف ولا آمن أن يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب مجاجلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاء جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فحمحم الحصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون فاقتحمه البحر فلما توافوا في البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين وذلك بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون يعني الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل أراه فتيا وتوفيه الذي فيه وقال له انما هذا فتال الذي أذنبت به ثم جعل يدس في فيه من حمأة البحر مخافة أن يسبق ذلك الشهادة وفي الحديث أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت أحدا من الخلق ما بغضت رجلين أما أحدهما فمن الجن وهو ابليس لعنه الله حين أبى ان يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال أنا ربكم الاعلى ولو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسه في فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله بها قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى ما هذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه فرفعوا رؤسهم فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت أتم ترأته كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شئ مما يحتاج اليه الانسان فامر الله تعالى البحر فالقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فيقال انه لو لم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى ببني اسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (أخبرني) الحسن بن محمد بن اسناده عن محمد بن قيس قال بلغ يهودي الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى فقد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت أقدامكم من حمأة البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ ثمانية من أعمالها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فامر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا

ثيابا جددا وجلس بين يدي القاضي وقال أمدد يدك فاني أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق قال فخرج القاضي من عنده باكيا حزينا فانظر يا أخي الى العقل كيف جعل القاضي من أهل النار لجفله وجعل البصراني من أهل الجنة بكرمه وختم له بالخير والاسلام ما أعجب هذا وما أحسنه * (وحكي عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) * أنه قال بينما أنا أمشي على شاطئ النيل اذ رأيت عقربا تمشي فاخذت حجرا وأردت قتلها فهربت مني مسرعا حتى وقعت في البحر فخرجت اليه ضفدعة فوثبت العقرب على ظهرها ثم عامت به حتى ظلمت الى الجانب الآخر وأنا أنظر اليها فتعجبت من ذلك وتبعتها فلما نزل العقرب من ظهرها سار حتى أتى الى مكان فيه رجل نائم سكران وقد أتى اليه تنين عظيم يريد أن يبتلعه فاسرع اليه ذلك العقرب ولدغ التنين فقتله فازددت تعجبا ثم حمد الله سبحانه وتعالى ومشيت الى ذلك الرجل وأيقظته فقام من نومه فزعا هاربا

من بنات وعيون الى قوله تعالى فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وهو الى موسى بن عمران من المسلمين غامين شاكرين

(الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل ليقات ربه وسؤاله ايتاء الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة قال العلماء بتفسير النبيين وسير السابقين ان موسى كان وعد بني اسرائيل وهو بمصر اذا نجى هو وأمنها وهلك عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه وأمنت بنو اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا لموسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويسمعه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل أنكر خلوف فيه فتسوك (بعود خرنوب) (وقال أبو العالية) أخذ من لحاء الشجر فمضغه فقالت له الملائكة انا كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة أيام أخر وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندي من رائحة المسك وكانت فتنتهم في العشرة الايام التي زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة فذا العقدة وأتممناها بعشر يعني من ذي الحجة (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة ان جميع الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر أي من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة فلما مضت أربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه ليقات ربه فلما أتى طور سيناء كلمه ربنا جلوعز به وأدناه كما قال تعالى وقربناه نجيا (قال وهب) كان بين الله وبين موسى سبعون حجابا نور فعها الله كلها الا به احدا فتجلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال رب أرني أنظر اليك (قال السدي) لما قام الله موسى خاص الخبيث ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس في صدره وقال ان ربك كلمك الشيطان فعند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى ان تراني وليس يطيق البشر النظر الي في الدنيا من نظر الي مات فقال الهي سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولأنت أنظر اليك ثم أموت أحب الي من أن أعيش ولا أراك فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل في مدين يقال له زبير وذلك ان الجبال اطلعت أن الله تعالى يريد أن يتجلى للجبل منها تعاظمت وتشامخت رجاء أن يتجلى الله لها ويجعل زبير بتواضعه من بينها فلما رأى الله تواضعه من بينهن وخصه بالتجلي قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله تعالى للجبل (وانشق الجبل) في معرفة التجلي قال ابن عباس نظهر نوره للجبل وقال الضحاك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا كسم الخياط حتى صار دكا كذا قال السدي وما تجلى للاقدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل يعني غار وقال الحسن أوحى الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتي فغار الجبل وساخ في الارض وهو يهوي ينظر اليه حتى ذهب أجمع وقال أبو بكر بن عمر الوراق حدثني عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من بين سبعين ألف حجاب نورا قدر ثقب الابرة فجعل الجبل دكا كما قال أبو بكر فعند ذلك كل ماء وأفاق كل مجنون وبرئ كل مريض وزال الشوك عن الاشجار وانخفضت الارض وارتفعت وخفت فارات الحوس وخرت الاصنام لوجوهها وقال السدي ما تجلى للجبل الا قدر جناح بعوضة صار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتى وقع في البحر فال عطية العوفي صار رملا هلا وقال الكلبي جعله دكا أي مكسرا جبلا صغارا * وبالاسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمه ستة أجبل فوقعت ثلاثة في المدينة أحد ورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا قال الكلبي خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت

هارباخيلك لاتشقق
كفيت شره ثم قبضت
عليه القصة فاطرق
رأسه ساعة ثم رفعها وقال
يارب هكذا تفعل بمن
عصاك فكيف بمن أطاعك
ثم قال وعزتك وجلالك
لئن عصيتك بعد هذا اليوم
أبدا ثم ولى تائبا الى الله
تعالى وعصمه الله تعالى
عليه *(وذكر عن ذي
النون المصري أيضا
رضي الله تعالى عنه)*
الله قال بينما أنا طائف
بالبيت الحرام سنة من
السنين اذ نظرت الى
شاب في الطواف من
أحسن الناس وجها
وأجملهم وأعبدهم من
الصوف وهو يقول في
طوافه ويقول يامولاي
هذه حقيرة من يحقر
بعزك ولا تأيس يسوء
قال ذو النون فدنوت
منه وسلمت عليه وقلت
حبيبي ومن الذي نهى
عن هذا الكلام وانه
يستحق الملائم النظر
الى وجهك بهؤلاء العبيد
والغلمان قال فنظرت
فاذا بشاب جميل وهو
يمشي ويختر في مشيته
وأثوابه تجر على الارض
فقلت له ياحبيبي ومن
يكون هذا الشاب
فقال نعم هذا عبد
لأمير مكة يفتخر بكونه
عبدا لامير مكة فكيف
لا أفتخر وأنا عبد الملك
المتعال الذي أمير مكة
عبده والسلاطين وأهل

الملائكة لابن عمران وسؤاله الرؤية (وفى بعض الكتب) أن ملائكة السموات والارض أتوا موسى وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة وقال وهب لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فاحاطت بالجبل الذى عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى أربعة فراسخ من كل ناحية فمر فيه الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثير امثل البقر تتبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى جسده فقال ندمت على مسئلتى فهل يخبرنى من مكانى الذى أنا فيه شئ ان خرجت احترقت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كامثال النسور رؤسهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تتبع بالتسبيح والتقديس والتهليل كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شئ من الذين مر بنا ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقادر بهم شئ من أصوات الذين مر بنا ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة فى سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن ينتبههم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ خوفه موسى ففزع واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدى الذى أراد رؤيتى فاعترضوا عليه فهبطوا فى يد كل ملك منهم حربة طويلة تالهبت نارا وأشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سجدوا قدسوا جادوا بهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبد الابدين وفى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه وهو ينسج معهم ويبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك لا أدرى هل أتخلص مما أنا فيه أولا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران ان تستحق خوفك وتخلع قلبك فاصبر لما سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله تعالى أراه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبد الابدين بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الخبر الذى كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يعترف موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بانك ربى وصدقت بانه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك اطلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب والله الآلهة ومالك الملوك لا يعدل شئ ولا يقوم لك شئ تبت اليك لك الحمد لا شريك لك أنت رب العالمين (قال السدى) حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل (أخبرنى) الحسن باسناده عن عروة بن وديل الخزاعى قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صماء ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكاوته فارت الجبال وصار فيها كهوف وشقوق قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التى اتخذ منها الالواح من زمرد خضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فاستارت جميعا نورا وصار النور قلما أطولها ما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى أن يأخذها بقوة وقد رتها قوته فوضعت الالواح على السماء فلم تطق حملها الثقل العهود والمواثيق التى فيها فقالت يا رب كيف أطيق ان أحمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الالواح فيبلغها موسى فلم يطق

حملها

حملها فقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود هل خلقت شافا يطيق حملها فامده الله بلا كيف بما يرد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا في القرآن فقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها فلما وضعوها على الجبل بين يدي موسى وذلك عند رملة الحصر فقبض موسى على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فذلك قوله يا موسى اني اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له في الالواح الآية

﴿(فصل في تسعة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى نبيه وهي في الالواح وهي معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة)﴾

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران أن يحيى وقدسني لا اله الا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيأ واشكرلي ولوالديك الي المصير أسيل حياطة ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك فاضيق عليك السماء بأقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمي كاذبا فاني لا أطهر ولا أزكي من لا يعظم اسمي ولا تشهد بما لا بي سمعت ولا تنظر عينك ولا يقف على يقينك فاني أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة وأسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ورزقي فاني بالحاسد ونعمتي ساخط لقسمتي ولا تزنوا ولا تسرق فاعيب عملك بجهتي وأغلق دونك وصوني أبواب السموات ولا تظلم لغيري فاني لا اصعد الي من قربان أهل الارض الا ما ذكر عليه اسمي ولا تغيرن بعيالة جارك فانه أكبر مقتا عندي وأسبب للناس ما تحب أن تفعل واكره لهم ما تكره لنفسك فهذه نسعة العشر الكلمات وقد أعطاها الله بجملتها على الله عليه وسلم في ثماني عشرة آية وهي قوله تعالى في سورة بني اسرائيل وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه الى قوله ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها في ثلاث آيات من سورة الانعام وهي قوله تعالى هلم أتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (أخبرنا) أبو الحسن عبد الرحمن الطرابي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعطى موسى الالواح نظر فيها فقال يارب لقد أكرمني بكرامة لم تكرم بها أحدا من العالمين وقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فما آتيتك فكن من الشاكرين أي بقوة وجد وحافظ وتمون على عبادة عليه السلام قال يا موسى يارب من عبدك الذي أثبت اسمه على ترقي قبل أن أخلق السموات والارض بالفي عام وانه نبي وهو ثم وخير من خلقي وهو أسبب الي من جميع خلقي وجميع ملائكتي فقال موسى يارب ان كان عبدك أحب الي من جميع خلقك فهل خلقت أمة أكرم عليك من أمتي قال الله تعالى ان فضل أمة محمد عليها السلام على سائر الامم كفضلي على جميع الخلق قال يارب ليتني أراه وأراهم قال يا موسى انك لن تراهم ولو أردت ان تسمع كلامهم أسمعتك قال يارب اني اريد ان أسمع كلامهم قال الله تعالى يا أمة محمد فاجبنا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فقال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عذابي وقد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل أن تعصوني فمن جاء منكم يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا (أخبرنا) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن نصير المكي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن أبيه عن كعب الاحبار رأى حبرا من اليهود يبكي فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار أنشدك الله ان أخبرتك بما أبكاك تصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة هم خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

فسألت عنه فقال لي رجل امض معي الى بيتي فمضيت معه الى بيت الشاب فوجدته قد مات فاشتد علي أمره شديدا وساءني ما رأيت فقيل لي انه دخل بيته أمس ولزم محرابه وبكى على نفسه وقال لها ما لي أراك هذه الليلة كاسفة البال وأراك في أحسن سروره وعلى غير عادتك في الليالي الماضية فقالت له يا سيدي أما تعرفني قال بلى ما هذا أول اقبالك قالت غار لي تجاوز عني وقال يا سيدي هذه مدتي وقد أتيتك الآن وقد ماتت في ذلك اليوم في وقت عند غلبة مقدور اللهم اغفر له وارحمه وبعبادك الصالحين آمين (وحدث عنه أيضا موسى الله تعالى عنه) أنه قال ركبت في مركب سبعة من السنين الى بيت الله الحرام وكانت معي زوجتي وكانت عاملة فيما نحن سائرون اذ كسرت بنا

و يؤمنون بالكتاب الاول والآخر و يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال له الخبر نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى أن موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة هم الحامدون وعاة الشمس هم المحمدون اذا أرادوا أمرا قالوا ان شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتي فقال هم أمة محمد يا موسى قال له الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير ان موسى كان يجمع صدقات بني اسرائيل فلا يجد عبدا عملوا كاولا أمة الا استراه من تلك الصدقة وما فضل يحفره حفرة عميقة فيقربه ألقاه فيها ثم دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم المسجون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى واذا هبط الى واد حمد الله تعالى الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء نحر اشعلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى فقال الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب أهل الجنة يصطفون في صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا يرى الحساب الا مثل ما يرى الطير من وراء الشعير فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسى يا ليتني من أصحاب محمد فأرسى الله تعالى اليه ثلاث آيات رضيه بهن فقال تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما سار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ما تبتغي قال جئت لتبغي الهدى قال وجدته يا موسى قال موسى يارب أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى (وقال عبد الله بن مسعود) لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا في ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله يرى والديه لا يمشي بالنميمة قال موسى يارب اغفر لي ما جرى من ذنبي وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به مني أعوذ بك من وسوسة نفسي وأعوذ بك من سوء عملي قال قد كفيت ذلك يا موسى قال موسى يارب أي الاعمال أحب اليك أن اعمل به قال تذكرني ولا تنساني قال أي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه مؤمن في خلق حسن قال فأي عبادك شر عملا قال فاجر في خلق سيء يجيء بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد أتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الاثقال والاغلال التي كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (وقال عطاء) عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم العاور وبعث نارا من قبل

وجوههم وأتاهم البحر لهامن خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم قوة واسمعوا فان قبلتموه ورفعتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود ولا يسجدون الا على أنصاف وجوههم فما زال الجبل فالوا يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعنا (وروى) قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما أغشاه نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برفع لا يبدي وجهه لا حد مخافة أن يموت (وأخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الاسفي قال حدثنا محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المخرمي قال حدثنا محمد بن مرزوق النضري قال حدثنا هاني بن يحيى السلمي قال حدثنا الحسن بن أبي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الاسفي قال حدثنا عبد الله بن شبة قال حدثنا أبو عامر العقدي قال حدثنا الحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت فلسوته نارا لشدته * (باب في ذكر فرعون بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل) * قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميقاتي ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون وأمره بالاصلاح على منهاج موسى عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة وهي التي لا تصيب شيأ الا حيي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذه الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي (وقال الكلبي) انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل الجمل حين عبروا البحر وهو ان الله تعالى بعث جبريل على فرس يلقاء شطون تهامة البصر عليها تركب الانبياء كلهم وسائر البحر وشمت نعمول قوم فرعون وبعها فاشتد في أثرها فالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين أمر بذبح أولاد بني اسرائيل جعلت الام اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا الى الجبل الصغير أو واد أو غار في جبل فاذا غفلت عنه جاء الله بملك من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يفتقها بالناس وكان الذي رباه السامري جبريل عليه السلام (قال بعض أهل العلم) اسم السامري من الاسم الذي سلا فن ثم عرفه من ذلك الوقت اذا جاع أو العطش عن ابن اسحاق وروي عن ابن لاهيعة قال فيه رزق ويقال ان جبريل عليه السلام وكل بالسامري وعلا وناب يقيه اللبن بالعدا والعشي حتى كبر واختلطا بالناس فلذلك عرفه دون سائر بني اسرائيل لانه هو الذي رباه (١) وكان أبو عمرو الكندي يقول دابة موسى وفرعون دابة موسى أزاهل يم شت وفرعون أزاهل دوزخ ودابة السامري وجبريل دابة جبريل أزاهل يم شت والسامري أزاهل دوزخ يزد قال قتادة والسدي كان عدوا لله من علماء بني اسرائيل ومن يهيأ يقال لهم السامرة ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان وقال غيره كان من السامرة كان من أهل باجرمي واسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى فلنر وكان رجلا منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في قلبه حب البقر فلما ذهب موسى ليقاتيه وكان قد وعده ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر حتى صارت أربعين فعدوا بني اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم اقتسموا وقالوا ان موسى أخلفنا الوعد فاغتنمها السامري حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدوا الليل وما الهار يوما وكان موسى قد وعدهم أربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا وأتاهم السامري وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فهيا بنا نكن أن تتخذوا الها فان موسى ليس يراجع الكم وقد تم الميقات فهيا بنا لكم أن تتخذوا الها واتما طمع فيهم السامري لانهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الآية فاغتنمها السامري فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضى من خرج معه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة العيد وأهلك الله فرعون وقومه

(١) قوله وكان أبو عمرو الخ عبارة فارسية معناها هذا بقي موسى وجبريل من أهل الجنة ودابة فرعون والسامري من أهل جهنم اه من هامش الاصل

أن لك هذه المرتبة فقال له
الحداد يا أخي انه كان لي
سعد ديث عجيب وأمر
مغرب غريب وذلك انه
كان لي بمارة جميلة وكنت
بها مولعا فراودتني عن
نفسها مرارا عديدة فلم
أقدر عليها الا عصامها
بالورع فجاءت سنة قحط
وجدب وعدم الطعام
وعم الجوع الانام فبينما
أنا يوما من الايام جالس
ببيتي واذا بقارع يقرع
الباب فرجعت لانظر اليه
فاذا بها واقفة بالباب
فقالت يا أخي أصابني
جوع شديد فهل لك أن
تطعمني لله فقلت لها ألا
تعلمين ما أنا فيه من
عيال وما أراه سيمن
أجلك فما أطعمك الا
ان مكنتني من نفسك
فقالت الموت ولا معصية
الله تعالى ومعاذ الله الى
منزلها فلما كان بعد
يوم من ملازمتي وقالت
لي كالمرة الاولى فأبيتها
فمضت ولم تعد الي
البيت وقد أثرت
على الهلاك فقلت لها
الطعام بين يديك اذهبي
فبعناها بالجوع ثم
قالت هذا لله فقلت لا
الا أن تمكنيني من نفسك
فقالت لم تأكل نفسي
شيأ وخرجت من عندي
الى منزلها فلما كان بعد
يومين اذا بها تقرع الباب فخرجت اليها وهي واقفة بالباب وقد قطع الجوع صوتها وقسم ظهرها فقالت يا أخي أعنتني الجليل ولم أقدر على

و بقى ذلك الحلى بايدى بنى اسرائيل فلما خرج موسى قال هرون لبنى اسرائيل ان حلى القبط الذى استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامرى بالقبضة التى أخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يا نبى الله هل اقذفها فيه فظن هرون انه من الحلى يريد به ما يريد أصحابه فقال له اقذف فقذفها فى الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسدا له خوار (وقال ابن عباس) أوقد هرون نارا وأمرهم ان يقذفوها فيه فقذف السامرى تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك أن السامرى قال لهرون ألقى ما فى يدى وهو يظن أنه من تلك الحلى فقال نعم ويقول ان الذى قال لبنى اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامرى فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيه القبضة فجاء خواره ثم لم يعد وقال السدى كان يخور ويمشى فلما أخرج السامرى العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كحسن ما يكون وقال هذا الهكم والله موسى فنسى أى اخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واختلف الموعد فى بعض الروايات ان السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أشعر العجل ودعدا وخار فصار له لحم ودم ويروى ان ابليس خار فى وسطه ويقال ان السامرى جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر فى الجانب الآخر فى الارض وأجلس فيه انسانا فوضع فمه فى دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم والله موسى فلبس السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجهلهم حتى أضلهم وقال لهم ان موسى قد أخطأ ربه فانا كربه أراد أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم الى نفسه بنفسه وأنه لم يبعث فوسى بحاجة منه اليه وانه قد أظهر اليكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسى من الشجرة قال على بن أبى طالب رضى الله عنه انما سمى العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم (وقال الحسن البصرى) اسم عجل بنى اسرائيل الذى عبدوه ميوت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتنوا به غير اثنى عشر ألفا وكان مع هرون ستة آلاف فعكفوا عليه يعبدونه من دون الله واحبوه بما لم يحبوا مثله شيأ فقال لهم هرون يا بنى اسرائيل انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاقام هرون فيمن معه من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بنى اسرائيل وكان له هائبا مطيعا وقال قتادة فى هذه القصة قد ذكر لنا ان السامرى الفرقة قبلكم (أخبرنى) الحسن باسناده عن راشد بن سعيد قال لما واعد الله موسى أربعين ليلة قال الله تعالى لموسى ان قومك قد افتتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الها من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه الروح قال أنا قال أنت وعزتك فتنتهم ان هى الا فتنتك الآية فقال الله تعالى يا موسى يا رأس النبيين يا أبا الاحكام انى رأيت ذلك فى قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسى من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يرقصون حوله ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره ربه من حديث العجل فقالوا هذا قتال فى المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله فذلك قوله تعالى وما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما يسمعون به ألقى الالواح من يده فتكسرت فصدع منها الكلام الذى كان فيها ولم يبق فيها الا سدسها ثم أعيدت له فى لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المعاين كالمخبر قال الله تعالى لموسى ان القوم قد فتنوا فلم يلق الالواح فلما عاين ألقى الالواح فكسرها (عن تميم الدارى) قال قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قرية من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية أما ان فى غار من غيرانها رضاضا من ألواح موسى وعصا من عصاه شرقية ولا غربية تمر بها الا ألقت عليها من بركتها اولن تذهب الايام والليالى حتى يسكنها رجل من أهل بيتى يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما قالوا فلما رأى موسى ما صنع قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم فى اثنى عشر ألفا لم يعبدوا العجل فقال لهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعنى أفعصيت أمرى هلا قاتلتهم اذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن

ولم يكن عندى طعام فقمت وأضرمت النار وصنعت لها طعاما فلما تجهز الطعام ووضعته بين يديها تذكرت انى لم أتم ليلتى فقلت فى نفسى ويحك لعلها هذه امرأة ناقصة عقل ودين تمتنع من طعام لا قدرة لها عليه وهى تتردد المرة بعد المرة من ألم الجوع وأنت لا تنتهى عن معصية الله تعالى ثم قلت اللهم انى تائب اليك مما كان منى انى لا أقربها فى معصية أبدا فدخلت اليها وهى تأكل فقلت لها كلى ولا روع عليك فانه لله سبحانه وتعالى فلما سمعت ذلك رفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم ان كان صادقا فحرم علينا النار فى الدنيا والآخرة قال فتركتها تأكل وقمت لازيل النار وكان ذلك فى زمن الشتاء فوقعت جرة على قدمى فلم أشعر فى فدخلت اليها وأنا فى سرور وقلت أبشرى فان الله تعالى أجاب دعاءك فرمت اللقمة من يدها وسجدت شكرا لله تعالى وقالت اللهم أريتنى مرادى فيه فاقبض روحى هذه الساعة فقبض الله روحها اللهم ما جد نرحمة الله تعالى عليها وانفعنا بها وهذا يجد بنى يا أخى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (وحكى عن بعضهم

أم لا الآية قال المفسرون كان هرون أسن من موسى لأبيهما وأمهما ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بشعر رأسي اني خشيت ان قاتلتهم ان يصير واحزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي أي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم ان موسى أقبل على السامري وقال له ما خطبك يا سامري أي ما أمرك وشأنك فقال السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول يعني أخذت ترابا من أثر فرس جبريل فجئتم اوطرحتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي أي زينت لي فقالوا قد علمنا يا سامري انهم بنو اسرائيل انهم قد اختاروا وضلوا في عبادتهم العجل فندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فالوبال الذي صنعتموه الحيلة قال توبوا الى بارئكم أي ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف نتوب قال فاقتلوا أنفسكم أي ليقتل البريء المجرم ذلكم يعني القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس أي الله ان يقبل توبة بني اسرائيل الا بالقتل الذي ذكره وا ان يقتلوهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر موجب الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا لامره وقالوا نصبر لامر الله فلبسوا في الاوضية وتحنبوا وأخذت عليهم القوم بالسيوف وانطلقوا فكان الرجل يرى أباه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يكد الا امضاه أمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نصنع فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل انهم من حمل حجوته أو مد طرفه الى قاتله أو تقاعد بيد أو رجل فهو ملعون مردود توبته فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدة القتلى سبعين ألفا قام موسى وهرون وبكيا وتضرعا وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم ان يرفعوا الايدي ويكفوا القتل عنهم فعلم انه قد كشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما رضيت لقاتل أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي منهم مكفرا ذنبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى ان يحرق العجل بالنار ويذروه في اليم فيعرفهم بذروه في النيل في شربهم من عبد العجل اصفر لون وجهه واصفرت شفتاه وقيل ثبت على شاربه الذهب فكان علامة له فأخذ موسى العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامري بالبول عليه واستخفافا به وتصغيرا له ثم ذراه في الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا الآية فالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشربوا منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه واسودت شفاههم فافتضحوا وعلموا ان السامري انما أتاهم من قبل العجل فذلك قوله تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قالوا يا موسى انا وجدنا في ما أنزل الله علينا ان قتل أنفسنا يعدل عند الله توبتنا فقتلنا أنفسنا فقبل الله توبتنا فأمرنا ان نقتل أنفسنا فقبل الله توبتنا فأوحى الله تعالى الى موسى ان قل لهم قد قبل الله توبتكم ثم ان موسى هم بقتل السامري فأوحى الله تعالى اليه لا تقتله فانه سخي فلعنه موسى وقال له فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه أي بعد البعث في القيامة ثم أمر موسى بني اسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه فصار السامري وحشيا لا يألف أحدا ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يمس أحد منهم فمن مرض دلالة المريض بالمرض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك أي لا مساس وفي بعض الكتب أنه ان مس أحدا من غيرهم أو مسوه منهم حم كلاهما في الوقت فالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأتيه في نفر من خيار بني اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة قومهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا ليطلقوا معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا ما بين الاربعين فما فوق فأوحى الله تعالى اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا (وروى) انه اختار من كل سبط ستة فرقهم اثنا عشر سبعين رجلا فقال انما أمرت بسبعين رجلا فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان من قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وأمر موسى السبعين أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الآية وكان لا يأتيه الا باذن منه فلما دنا موسى الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا

أخبره بما قاله مولاه وما سبق من ذنوبه ونصحا يا ما قبل العابد مرحبا بقضاء الله وحكمته وكل شيء بعين قدرته ثم بكى وقال يا موسى وعزته وجلاله

عين ماء كان يتوضأ منها ويشرب منها ويفتات من نبات الارض وكان يصوم النهار ويقوم الليل لا يفتر عن العبادة وعليه أنوار السعادة فسمع به موسى عليه السلام فقصده بالنهار فوجده مشغولا بالصلاة والاذكار ثم قصده بالليل فوجده كذلك لا يتفرغ الى الناس فسلم عليه موسى عليه السلام وقال له يا هذا ارفق بنفسك فان المولى كريم فقال يا نبي الله أخاف أن أوخذ على غفلة فقصر بي فأكون مقصرا بحضرة قربه فقال له موسى عليه السلام هل من حاجة قال مولاك يا هذا فقال نعم سله ان يعطيني رضاه ولا يشغلني بما سواه حتى يقضي نحبي ويحسن لقاءه قال فلما صعد موسى عليه السلام الى مناجاة ربه واستغرق في لذة كلام ما لقه أنسى كلام العابد فقال له الله عز وجل يا موسى ما قال لك عبدي العابد فقال موسى يا رب أنت أعلم بما قال فقال الله تعالى يا موسى اذهب اليه وقل له يتعبد ما شاء في الليل والنهار فانه من أهل النار لما سبق له من الذنوب والاوزار فأتاه موسى عليه السلام

وكان موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني اسرائيل أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى انني أنا الله لا اله الا أنا فوبكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء فاحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا وبادوا ليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يا رب كيف أرجع الى بني اسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله له جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم الآية (أخبرني) الحسين باسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا الى الجمعة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسى الى ربهم وأفضل

(باب في قصة قارون حين عصى ربه وموسى واستكبر وأورثه ماله الخافقان والبطر حتى أهلكه الله تعالى)

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية قالت العلماء باخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماريب بن بركيا بن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فتكون عمران بن يصهر وقارون بن يصهر ابني خال موسى بن عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخي قارون وقارون عم لأبيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجلهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل أقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا في معنى هذا البغي قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني اسرائيل حين كانوا بمصر (وأخبرني) الحسين باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبغي عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخراساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الثياب شبرا وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأبراهم كما قال تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء الآية أي لتثقل وقيل بهم اذا حملوها لتثقلها واختلف المفسرون في عدد العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون (وروى) جرير عن شيبة قال وجدت في الانجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غير انجيلة ما يريد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح منها كنز وقال ان قارون كان ابن خاذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا واختلفوا في سبب جمع تلك الاموال له فقيل كان عنده علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب ابن يوفنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وفي الخبر ان الله تعالى علم موسى الكيمياء فعلم موسى أخته فعلمته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندي أو بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل في سبب جمعه تلك الاموال ما أخبرنا الثقفي باسناده عن ابن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني كان يقول تبدى ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب جميع بني اسرائيل في العبادة بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وتجمل بتجمل قارون وجعل ابليس يشهره بالعبادة ويفوقه فتضع له قارون وقال له

ابليس يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه لا نشهد لبني اسرائيل جماعة ولا نعودهم مريضا ولا نشهد جنازة قال فأحدروه من الجبل الى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له ابليس يا قارون قد رضينا أن نكون هكذا على بني اسرائيل فقال له قارون فما ترى عندك قال نكتسب يوما في الجمعة ونتعبد بقيتها فقال ابليس قد رضينا أن نكون هكذا قال قارون فأي الرأي عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فتصدق ونعطى قال فلما كسبا يوما وتعبدا يوما جاس ابليس وتركه ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فتحويه باسناده عن المسيب بن شريك قال ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمائة ألف في أربعين خزانة فصار في الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال أنشدني أبو العباس سهل بن محمد الرزي عن بعضهم

وعدتني وعدك حتى اذا ✻ أطمعتني في كنز قارون
جئت من الليل بشمالة ✻ تغسل ما قالت يمين

فبغى قارون وطغى وتجبر وتكبر حين استغنى وأثرى حتى هان فصار عبرة للغابرين وعظة للباقين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال فكان يخرج في زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه في زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج في سبعين ألفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات في الارض ✻ فيما كان أبي يذكر لي عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليها الارجوان ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذي أوتيه فقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم فأنكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أي لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يعتزلوا في أربعة مواضع ثم يضرب على كل واحد منهم خيما أربعة في كل طرف خيما أحضر لهم كلام السماء فقال موسى يا رب لم أميت بني اسرائيل بتعليق هذا الخيط في أربعة مواضع فقال الله تعالى ان بني اسرائيل في فضلة وقد أردت أن أجعل لهم علما في ثيابهم يذكرني به اذا نظروا اليه يذكرون الله تعالى ويعلمون أني منزل منها كلامي فقال موسى يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أربعتهم كلهم خيطا فان بني اسرائيل تحقر هذا الخيط فقال له يا موسى ان الصغير من أمري ليس بصغير ومن لم يطعني في الامر الصغير لم يطعني في الامر الكبير قال فدعا موسى بني اسرائيل ثم قال لهم ان الله أمركم أن تعتزلوا في أربعة مكان كبير خيطا خضرا فكلما نظر أحدكم الى خيطه ذكر الله تعالى فيتوبوا فنفعل بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال ما يفعل هذا الا الارباب بعبيدهم ليكونوا خيرا من غيرهم فكان أبى ذا هذا من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهي رئاسة الدين بعد بيت الحبر لهارون فكانت بنو اسرائيل يأتونهم بدينهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك فأتى موسى وقال يا موسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنا في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما ولا صبر لي على هذا فقال موسى والله ما جعلتها أنا لي هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني بيانه قال فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه مخضرة فهو أحق بالحبارة فجمعوا العصي وجاؤا بها وكان كل واحد اسمه على عصاه فحزمها موسى وألقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتزت وأيهارق وأخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا من فعلي فقال قارون والله ما هذا بشيء مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر

ابليس يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه لا نشهد لبني اسرائيل جماعة ولا نعودهم مريضا ولا نشهد جنازة قال فأحدروه من الجبل الى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له ابليس يا قارون قد رضينا أن نكون هكذا على بني اسرائيل فقال له قارون فما ترى عندك قال نكتسب يوما في الجمعة ونتعبد بقيتها فقال ابليس قد رضينا أن نكون هكذا قال قارون فأي الرأي عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فتصدق ونعطى قال فلما كسبا يوما وتعبدا يوما جاس ابليس وتركه ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فتحويه باسناده عن المسيب بن شريك قال ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمائة ألف في أربعين خزانة فصار في الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال أنشدني أبو العباس سهل بن محمد الرزي عن بعضهم

وعدتني وعدك حتى اذا ✻ أطمعتني في كنز قارون
جئت من الليل بشمالة ✻ تغسل ما قالت يمين

فبغى قارون وطغى وتجبر وتكبر حين استغنى وأثرى حتى هان فصار عبرة للغابرين وعظة للباقين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال فكان يخرج في زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه في زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج في سبعين ألفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات في الارض ✻ فيما كان أبي يذكر لي عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليها الارجوان ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذي أوتيه فقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم فأنكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أي لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يعتزلوا في أربعة مواضع ثم يضرب على كل واحد منهم خيما أربعة في كل طرف خيما أحضر لهم كلام السماء فقال موسى يا رب لم أميت بني اسرائيل بتعليق هذا الخيط في أربعة مواضع فقال الله تعالى ان بني اسرائيل في فضلة وقد أردت أن أجعل لهم علما في ثيابهم يذكرني به اذا نظروا اليه يذكرون الله تعالى ويعلمون أني منزل منها كلامي فقال موسى يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أربعتهم كلهم خيطا فان بني اسرائيل تحقر هذا الخيط فقال له يا موسى ان الصغير من أمري ليس بصغير ومن لم يطعني في الامر الصغير لم يطعني في الامر الكبير قال فدعا موسى بني اسرائيل ثم قال لهم ان الله أمركم أن تعتزلوا في أربعة مكان كبير خيطا خضرا فكلما نظر أحدكم الى خيطه ذكر الله تعالى فيتوبوا فنفعل بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال ما يفعل هذا الا الارباب بعبيدهم ليكونوا خيرا من غيرهم فكان أبى ذا هذا من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهي رئاسة الدين بعد بيت الحبر لهارون فكانت بنو اسرائيل يأتونهم بدينهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك فأتى موسى وقال يا موسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنا في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما ولا صبر لي على هذا فقال موسى والله ما جعلتها أنا لي هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني بيانه قال فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه مخضرة فهو أحق بالحبارة فجمعوا العصي وجاؤا بها وكان كل واحد اسمه على عصاه فحزمها موسى وألقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتزت وأيهارق وأخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا من فعلي فقال قارون والله ما هذا بشيء مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر

ومابه مالا ولا سقم ✻ أكثر من سجعا ولاه اذا تلا في النلام مبتهلا ✻ أجابه الله ثم لباه قال ولم

يزل يكرر ذلك ويقول عليك ياذا الجلال معتمدي

وهو يبكي وأنا أبكي شفقة عليه ثم ذكر كلاما معناه انه رأى نورا ساطعا ومعه قائلا يقول هذا الجواب لبيك عبدي فانت في كنفي ✻ وكل ما قلت قد سمعناه صوتك فتنتا قد ملأ تكتي ✻ وذنبك الآن قد غفرناه قال فقلت لعل هذه الرؤية والسماع المذكورين في مقالة النوم أو في غيبة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له بارك الله لك في البين وبارك فيك من أنت رحمك الله فقال راشد بن سليمان فعرفته لما كنت أسمع من أمره وشجره وكنت أتهيأ لقائه فلم أقدر على ذلك حتى يسر الله تعالى لي فقلت لاهل الدار ان صحبني فتى اسمه سليمان وهل يأنس بالخلوقين من يتلذذ بالمناجاة برب العالمين لما والله لو خير لي على عصرنا هذا أحد من أصحاب النبي ﷺ لقلت هؤلاء أسخياء لا يؤثرون بيسوها الى سباب ثم غاب عن بصري فلم أره فاشتغلت الى مرافقته ثم سألت الله تعالى أن يجمعني به قبل الموت فلما كان بعض الاعوام خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فاذا به في ظل الكعبة فاذا بنفر

وضرب على جدرانهم صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله أنزل الزكاة على موسى فلما أوجب الله الزكاة عليهم أتى قارون موسى فصالحه عن كل ألف دينار دينار واحد وعن كل ألف درهم درهم واحد وعن كل ألف شاة شاة واحدة وعن كل شيء شيء ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا ولم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم يا قوم انه موسى قد أمركم بكل شيء فاطيعوه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا فرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيؤا ببغي فلانة البغي فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرضوه فاستحيا منه فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها أنا أمولك وأخطلك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم اعلام دينهم وأحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم في رواح من الارض فقام فيهم خطيبا وعظهم وقال فيما قال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال أنا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى وبني اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت فلما ناشدها تذكرها الله بالتوفيق وقالت في نفسها لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على أن أقذف نفسي فلما تكلمت بهذا الكلام سقطا في يد قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع في مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكي ويقول يا رب ان عدو لك هذا قد آذاني وأراد فضيحتي وسبني اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه فاوحى الله تعالى اليه أن ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعه فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله تعالى قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليباشر مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فاخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى حقويهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشدونه فاوحى الله والرحم حتى روى في بعض الاخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض خذيهم فاطبقت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وأنه يتجلجل بهم فيها الا يبلغون قعرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين قال أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الارض وأوحى الله تعالى اليه اني لا أعبد الارض لاحد بعدك أبدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين أي لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وقالوا كما قال الله وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر

شهقة فظننت انه قد انفتق حجاب قلبه وخر مغشيا عليه ثم تفرق النفر الذين كانوا يقرؤن عليه فلما أفاق قلت يا أخي ما هؤلاء النفر الذين كانوا يقرؤن عليك فقال هم نفر من الجن فهم يقرؤن علي القرآن ويحضرون معي في كل عام ثم ودعني وقال جمع الله بيني وبينك في الجنة حيث لا فرقة ولا تعب ولا نصب ثم غاب عن بصري فلم أره رضي الله تعالى عنه * (وحكي عن عبد الله بن الاحنف رضي الله عنه) * أنه قال حججت من مصر أريد الرملة لزيارة الشيخ الزاهد رضي الله تعالى عنه فرأيت عيسى بن يونس المصري في الطريق فقال هل أدلك على خير فقلت نعم فقال عليك بصور فان فيه شيخا وشابا اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغتنمت بقية عمرك قال فسرت اليهما حتى دخلت عليهما وأنا جائع عطشان وليس على ما يسترني من الشمس فوجدتهما مستقبلين القبلة فسلمت عليهما فكلماني فلم يكلماني فقلت أقسمت عليكما بالله العظيم الا ما كلمتماني فرفع الشيخ رأسه فقال يا أمين الاحنف ما أقام

وضرب على جدرانهم صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله أنزل الزكاة على موسى فلما أوجب الله الزكاة عليهم أتى قارون موسى فصالحه عن كل ألف دينار دينار واحد وعن كل ألف درهم درهم واحد وعن كل ألف شاة شاة واحدة وعن كل شيء شيء ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا ولم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم يا قوم انه موسى قد أمركم بكل شيء فاطيعوه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا فرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيؤا ببغي فلانة البغي فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرضوه فاستحيا منه فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها أنا أمولك وأخطلك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم اعلام دينهم وأحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم في رواح من الارض فقام فيهم خطيبا وعظهم وقال فيما قال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال أنا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى وبني اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت فلما ناشدها تذكرها الله بالتوفيق وقالت في نفسها لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على أن أقذف نفسي فلما تكلمت بهذا الكلام سقطا في يد قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع في مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكي ويقول يا رب ان عدو لك هذا قد آذاني وأراد فضيحتي وسبني اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه فاوحى الله تعالى اليه أن ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعه فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله تعالى قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليباشر مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فاخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى حقويهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشدونه فاوحى الله والرحم حتى روى في بعض الاخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض خذيهم فاطبقت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وأنه يتجلجل بهم فيها لا يبلغون قعرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين قال أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الارض وأوحى الله تعالى اليه اني لا أعبد الارض لاحد بعدك أبدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين أي لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وقالوا كما قال الله وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر

فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء وحنة وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الآية (باب في قصة موسى حين أبى الخضر وما جرى بينهما من العجائب الى أن بلغ من أمرهما ما بلغ) قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا قال الاستاذ الامام اشتاق العلماء في السبب الذي قصد موسى لاجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة بن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم من كعب ان موسى عليه السلام الذي طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى نبي بني اسرائيل سأل ربه فقال يا رب ان كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه فقال الله عز وجل نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام وآذن له في لقائه وروى هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يا رب أي عبادك أحب اليك فقال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال يا رب أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى قال فهل في الارض أحد أعلم مني قال نعم قال فمن هو قال الخضر قال فاين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التي يفقد عندها الحوت وجعل الحوت علما ودليلا وقال اذا فقدت هذا الحوت فان ساحل هناك وكان قد تزقد سمكا فيها وروى عطية العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم في الارض قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فنبيكم أفضل أهل الارض وأنتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من بني اسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض أحد أعلم منك يا نبي الله قال لا قال فغضب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال له يا موسى ما يريك أن أضع علمي وعلم كل من كان قبلك في علم الله جمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه ان يريه اياه فأوحى الله اليه ان ائت البحر فانك تجد على شاطئ البحر حوتا فخذه واذفعه الى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعني ابن عمران لفتاه اي لصاحبه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام لا أبرح أي لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين يعني بحر فارس والروم مما يلي المشرق قال قتادة وقال أبي بن كعب هو افريقية وقال محمد بن كعب القرظي أو أمضي حقبا دهرا وزمانا طويلا قد مضى بلوغهما البحر والسبب الملوح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحرين فلما قالا معقل بن زياد وهي الصخرة التي دون ثم الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيأ الا عاش حتى اذا أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما يعني البحرين نسيا حوتهما واغا كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه يدل عليه قوله تعالى الى نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان اليهما وأراد أحدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب فاتخذ الحوت سبيله في البحر سربا أي مذهبا ومسلكا واختلفوا في كيفية ذلك فروى أبي ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة فلما انتهى فتى موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس رأى أثر سمكه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في البحر هاربا فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظا

عشيهما ثلاثة أيام بلياليها لم آكل ولم أشرب قبلها كان عشية اليوم الرابع خلت في نفسي لا بد من والهما في موعظة أنتفع بها فرفع الشاب رأسه وقال علك بحبة من بذر كرك الله تعالى بنظره وسؤالك بلسان فصله لا بأس قوله ثم التفت فلم أرهما فرقت على فراقهما رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما وبركاتهما آمين ﴿ومنهم﴾ ذو النون المصري رضي الله تعالى عنه) ﴿أنه قال وصف لي رجل من السادة بالمين من الطائفين سمعا على المجتهدين وهو بصلاح الناس معروف فهو بالله والحكمة والتشوع موصوف فقال نريد حجا الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فلما وصلت حجي وتصدق زيارته لا سبيل كلا سبيل أنقطع بي عطشا به وكان معي جماعة يطلبون كما أطلب من البركة والدعاء وكان في جماعتهم شاب عليه سيما الصالحين وعلائم الطائفين مصفر الاون من غير سقم أعش العينين من غير رمد يعتريه الفاسوة ويأنس بالوحدة كأنه غريب

موسى عليه السلام نبي صاحبه أن يخبره بالحوت فاتا فقابلته صخرة فوضعا رؤسهما وناما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال فتادة ذكر لنا والله أعلم أن الحوت توجه فسرب حتى أفضى الى البحر ثم سلكه جعل لا يسلك منه موضعا الا صار ماء جامدا طريقا يبسا وقال الكلبي توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو في المكتل فعاش ووثب في الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيأ من الماء وهو ذاهب الا يبس قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار الاول سفر الهرب وهو قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم الآية والثاني سفر الطور وهو قوله تعالى فلما أتاها نودي أن بورك من في النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن الآية والثالث سفر العذاب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى وأوحينا الى موسى ان أسر بعبادي والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى اخبارا عن قول قوم موسى فاذهب أنت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك انه لما ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت أي تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فاني نسيت ان أذكر أمر الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أي شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من أثر جري الحوت أخدود شبه لهم من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى الى مجمع البحرين واذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أي نطلب فارتدا فارتجعا على آثارهما الذي جاءا منه قصصا أي يقصان الاثر فوجدا عبدا من عبادنا يعني الخضر عليه السلام

(فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله)

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشرقي قال حدثنا محمد ابن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوراق قال أنبأنا مكي بن عبدان قال أنبأنا أبو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء وأخبرنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن القصار قال أنبأنا أحمد ابن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف الفربابي قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه أينما صلى اخضر حوله

(فصل في بدو أمر الخضر عليه السلام)

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل عن يمينه اذ وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال أصحاب الاخبار وكان أبو الملك على ما علمنا فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فأتاه وكان يجلس عنده والمعلم يظن انه في المنزل وأبوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فابى ثم عاوده فعرض عليه فرضي فزوجه جارية من بنات الملوك فرفعت اليه فلما بقيت عنده قال لها اني مخبرك بامر ان أنت سمحت به صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أفشيت سري عذبك الله في الدنيا وفي الآخرة قالت وما ذاك قال اني رجل مسلم لست على دين أبي وليست النساء من حاجتي فان رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك الملك وان أنت أبيت لحقت بأهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا لا ولد له وقد سألته أبوه فقال ما ذاك بيدي وانما ذاك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل ما رد عليه الخضر فشكت أويزمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه وأن وجدت امرأة غيرها ولود اربما ترزق منها

حبكم قد سرى لوسط فؤادي
من قديم الزمان مذ كنت طفلا

قال ولما نزل الشاب في جلتنا حتى انتهينا الى العين فسألنا عن منزل الشيخ فارشدنا اليه فطرقنا عليه الباب فخرج الينا كأنه قد خرج من القبور فلما جلسنا بين يديه بدأ الشيخ الشاب بالسلام والكلام والمصافحة وأبدى له البشر والترحيب من دوننا فقال الشاب يا سيدي ان الله جعلكم أطباء للقلوب ولاوجاع الذنوب وان بي جرحا أغفل وداءه فكن وأفضل فان قدرت ان تتلطف ببعض مراهمك فافعل وأنشد يقول شعرا

ان داء الذنوب داء عظيم
كيف لي بالخلاص من داء ذنبي
هل طبيب مناصح لي فاني
أعجز الخلق والاطباء طبي
آه واحباتي ويا طول حزني
من وقوفي اذا وصلت لربي
وانقطاع الجواب مني ولم لا
وبلاقي قد جل عن كل خطب

فقال له الشيخ سل عما بدا لك فقال الشاب يا سيدي ما علامة الخوف من الله تعالى فقال ان تأمن الله تعالى خوفه من كل خوف قال فما الشيء

يتم من الطعام مخافة طول السقام ويصبر على غصص الدواء مخافة طول الشقى قال فضاع الشاب

ولد فانكر ذلك الخضر وأبى عليه أبوه حتى فرق بينهم ما وزوجه امرأة غيرها وولد له أبناء فمرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت أقيم معك قليلا لزاما ثم ان أباه استبطأ الولد منه فدعا عليه فقال له ليس بولدك فقال ليس ذلك بيدى ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها أنت امرأتى ولود وقد كنت ولدت غير ابنى وأنت تلدين عندا بنى فقالت ما سمعت منذ صحبتك كذلك المرأة الاولى فدعا لها وقال مثل ذلك فدعا له وعيره وعيبه ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما عمل فارسل فى طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فانطلقوا فى طلبه فادركه منهم عشرة فى جزيرة من جزائر البحر فقال لهم انى أقول لكم شيأ فان أطعتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أبيتم ذلك وأفشيتم سرى عذبكم الله فى الدنيا وفى الآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بعث أبى فى طلبى أحدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا فاكتموا أمرى ولا تخبروا أبى أنكم رأيتمونى وقولوا مثل قولكم اذا رأيتم الذين أرسلهم فى طلبى فلم يروني لانكم لو أخبرتموه بى أو ذهبتم بى اليه قتلنى وصرتم أنتم مؤاخذين بدمى قال فقالوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على أبيه قال لهم أدركتموه فوجدناه وقال انا كنت وكنت فقلنا عنه وقال العاشر ما لنا به علم ولا به خبر والتسعة قالوا بلى قد ظفرنا به وان شئت أتيناك به فقال لهم ارجعوا فى طلبه وأتونى به وان الخضر خاف ان يظفر به فانحاز من ذلك الموضع الى موضع آخر فأتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره فقال لهم أبوه قال وان أباه دعا بالمرأة الثيب وقال لها أنت صنعت هذا بابنى حتى هرب فقتلها وهمت المرأة الاولى بذلك فهربت خوفا من القتل وقال العاشر الذى انكر رؤيا الخضر ما يؤمنى أن يقتلنى كما قتل التسعة فهرب حتى انتهى الى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا فى تلك القرية فكانت تخاطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أنبأك فاخبرته بخبرها فقال يا هذه أنا العاشر خرجت خوف القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاشتريا بها من نصيبهما مكانا وبورا فيه وزرعاه ثلاثة أولاد فقال لها الرجل اذا أنا مت فادفنينى فى هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فانى لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا فاوصى أن يهدم علينا البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم انهم يوحدون الله ويعبدونه فجىء بالمرأة الى حضرته فامرها أن ترجع عن دينها فابت فامر بقدر من نحاس فملئت ماء وأغلى غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها فلما أحضروا قال لها ارجعى عن دينك والا ألقيتك وأولادك فى هذا القدر فابت عليه فأمر بولدها الاكبر فالقى فيه فتفسخ فيه موكذلك الثانى والثالث وكان فى حجر الابن الرضيع فاراد وا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم فى شأنه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اقاصبرى فانا جميعا فى الجنة فلما أرادوا أن يلقوه فى القدر قالت لهم لى اليكم حاجة صغيرة قالوا وما هى قالت اذا رميتونى فى القدر فادفنوا معا فانهم امن عذاب منافق يبتلى هذه الامة عليه فاخذوا ولدها فلما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم رد الله طيبة فقال ما هذا يا جبريل فاخبره بقصتهم وقال هم اخوتهم يعنى ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر فى تجارتهم فحضرتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت منهم رجلان على لوح من ألواحها فنشرتهم الامواج حتى أسلمتهم الى جزيرة من جزائر البحر فرجا يولان فى الجزيرة فاذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلى فى السماء فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من أنتما فالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا فى هذا البحر للتجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختارا ان شئتما أن تقيما فى هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتأتيكما أرزاقكما وان شئتما أردكما الى منازلكما قالا بل نردنا الى منازلنا فقال لهما على ان تعطياني عهد الله وميثاقه على انكما لا تخبران بشىء مما تريانه فاعطياه العهد والميثاق على ذلك فانطلقا فاذا هما بخشب تطفو فدعاهن وسألهن فقالت كل واحدة منهن أريد لمذكذا وكذا فدعا التى تريد بلادهما فقال لها احملى هذين حتى تضعيهما على سلوحيهما فسقطت الصحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سلوحيهما فعزم أحدهما على الاكتمان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذا عنه فنزل من سطحه وخرج من بابه

يا سيدى ما علامة المحب لله تعالى فقال الشيخ ان درجة المحبين رفيعة فقال الشاب أحب يا سيدى أن تصفها لى فقال الشيخ ان الله سبحانه وتعالى شغل لهم عن نعوتهم فابصروا بنور القلوب الى جلال عظمة المحبوب فصارت أرواحهم روحانية وقلوبهم نورانية وصفوهم صافية تسرح بين صفوف الملائكة الكرام وتشاكل الامور باليقين والاعيان فعبدوه مبلغ استطاعتهم لا لشىء أعطاهم جنته ولا خوفا من ناره قال فشهق شهقة فمات رحمه الله تعالى عليه فبكى الشيخ عليه بكاء شديدا وقال هكذا مصير المحبين رضى الله تعالى عنهم أجمعين

(وحكى عن أبى القاسم البغدادى رضى الله تعالى عنه) أنه قال كنت فى مسجدى واذا رجل قد دخل على وصلى ركعتين ثم اعتمد فى ناحية من المسجد وأشار الى فلما جئته قال لى يا أبا القاسم قد آن لقاء الله تعالى فغسلنى وكفنى وصل على وادفنى فاذا فرغت من أمرى فسيدخل عليك شاب مصرى مقرن فاذا حضر البيت فادفع له مرقعتى وعصاى وركوتى هذه قال الجنيد كيف

وانطلق الى باب المدينة ونادى الصيحة فادخل على الملك فقال له ما نصيحتك فقال رأيت ابلك في موضع كذا وكذا وضيعي كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك فلان كان رفيقي فبعث اليه وسأله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبناه جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم تزل الامواج تضربنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا أرض وتضعنا أخرى حتى انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معي رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم ان هذا قد كذب فامر بالرجل الكاتم فحبس ونوعده بالصلب ان وفى صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيأ فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا أكذب خلق الله ما رأينا شيأ فصلبه وخلى عن الآخرين أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصي حتى غضب الله عليهم قال جبريل عليه السلام فبعثني الله تعالى اليهم فدخلت بجناحي تحتها واقتلعتها فرفعتها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتها فجاءت تهوي بمن فيها حتى انتهت الى وجه الارض فبقي بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعلا يدوران في حدود المدينة فلا يأتي على واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم ينلك غيري وغيرك فبأي شيء نجونا فاخبريني وأنا أخبرك بما هدى كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فقصدا فافاذا قصتهما واحدة واما نجاتهما الكتمان فقال لها هل لك أن تزوجيني نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدائن فاكتسب عليك وتكتسبين علي حتى يقضي الله من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا الى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذا لهما بيتا وولد لهما أولادا وتناهت المرأة آل فرعون وصاروا ماشطة لهم فخلت عندهم فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس من كفر بالله فنزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت لها نعم أبي وربي وربك أبيك وربك كل شيء فهمت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم ان فلانة تقول قولا عجبا تقول كذا وكذا فارسل اليها فحضرت فقال لها ما هذا الذي بلغني عنك فقالت هو ما بلغك قال فهل أحد يقول بقولك قالت نعم بعلي وصبيي فبعث اليهم وامتحنهم فاذا هم يقولون قولا واحدا فقال لهم انا لا نتركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فامر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أنعلي تحتها حتى اضطرب الماء ثم دعا بامية فعرض عليهم واحدا واحدا ليكفروا فابوا أن يكفروا فاخذهم واطرحهم في القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فابى فالقاه في القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان أنت رجعت الى ديننا والا ألقيناك في القدر فقالت له اصنع ما أنت صانع ثم انها قالت له لي اليك حاجة قال وما هي قالت اذا صنعت ما أنت صانع فربيننا أن تحفر فيحفر ثم تأمر بالقدر فتحمل بعافيرها ثم يأتون بها منازلنا فيكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه الرائحة التي تشم المسلمون بيوتهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع أبيه وبدو أمره وكان في زمن افريدون الملك ابن القباعلى قول عامة أهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى ببئر اليسع وهي بئر كان احفرها ابراهيم عليه السلام لماشيته في صحراء الاردن وان قوما من أهل الاردن ادعوا الارض التي احتفرها فيها ابراهيم عليه السلام فاكلهم ابراهيم عليه السلام الى ذي القرنين الذي كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد وانه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه في حملته فلذ وهو في الحياة الى الآن وقيل ان ذا القرنين الذي كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على مقدمته هو افريدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من أرض بابل

(وروي) محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر هو أرميا بن خلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذي بعثه الله نبيا في أيام ناشئة بن أموص ملك بني اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق وأولى بالعدل والصدق لان ناشئة بن أموص كان في عصر كرفنيت ابن كراشت في أيام مختنصر وبن افريدون وكرفشت

من الدهور والازمان مالا يجهل ذو علم بايام الناس وأخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب ان صاحب موسى بن عمران الذي أمر بطلبه والاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالامور الماضية والباقية وموسى بن عمران الثاني في عصر متوشهر الثالث كان متوشهر الثالث بعد ملك جده افريدون ذل هذا على هذا لمن قال انه أرميا بن حلقيا لان أرميا كان في أيام بختنصر وبين موسى وبختنصر من المدة ما لا يخفى على أهل العلم اللهم الا أن يكون الامر كما قاله من قال انه كان على مقدمة ذي القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء عين الحياة فلم يمت في أيام ابراهيم ومن بعده الى ايام ناشئة بن أموص فبعث عند ذلك نبيا والله أعلم والصحيح انه نبي معمر محجوب عن الابصار

(وروى) محمد بن التوكل عن عمرة بن عبيد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان في كل عام في الموسم وأخبرني محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد ابن يعقوب قال أخبرنا زيد بن سمعان بن مروان الواسطي أخبرنا علي بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض ما دام القرآن فيها فاذا رفع القرآن ماتا وأخبرني أبو عمرو العمراني أخبرنا أبو أحمد بن محمد علي الرازي أخبرنا ابراهيم بن اسحق الاعلمي أخبرنا أبو همام الوليد بن شجاع السلمي أخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمي عن ابن ثوبان عن بعض أهل العلم عن أنس بن مالك قال بينما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوت يجيء من شعب فقال يا أنس انطلق فانظر ما هذا الصوت قال فانطلقت فاذا رجل يصلي ويقول اللهم احملني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمته بذلك فقال لي انطلق فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ورسول الله من أنت فأتيته فأعلمته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له انه سئل الخضر يقول الله ادع الله أن يجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها

(ورجعنا الى حديث موسى وفتاه) قالوا فانتهى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم قال يا موسى لقد كان في بني اسرائيل ما شغل قال وحي الله بي أرسلني اليك لا تبعلمني أنت مما علمك الله مما لا علم لي به وأنت مما علمني الله علم لا تعلمه أنت فجاء عصفور فوقع على حافة السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في الماء فقال الخضر لموسى ما علمي وعلمك في جنب علم الله تعالى الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا الماء وعلمي وعلم جميع الاولين والآخرين في جنب علم الله تعالى الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا الماء الذي حملته السفينة بمنقاره فذلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا أي نبوة وحكمة وعلمناه من لدنا علما

(وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا الآية أعلم علم الباطن علما منه تعالى وكيف تصبر على علم لم تحط به خبرا يعني على علم لم تعلمه قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبوا في البحر أخذ الخضر عليه السلام فأسا فقلع لوحا من السفينة حتى دخلها الماء فشقها موسى بثوبه وقال له أغرقتها لتغرق أهلها وقد حملونا وأحسنوا الينا فرقت سفينتهم ما هذا الذي صنعت بنا أمرا أي عجبا صنعا قال الخضر ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا يعني لا تكلفني ولا تضيق علي أمري (قال ابن عباس) فما خرج الخضر السفينة حتى وثب موسى ناحية وقال في نفسه ما كنت أسمع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني اسرائيل أتاولهم كتاب الله غدوة وعشية وأمرهم بعمله وهو في أيديهم فقال له الخضر يا موسى أتريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال فلت كذا وكذا قال صدقت

ان تحته فمات فقال والدي يا رب أعرني اياه حتى أرجع من مجاهدتي الى قريتي فليس معي غيره قال فما تم كلامه حتى قام المهر في الطابق

ثم قعد بين يديه جعلت أعتمادي عليه فقال الله عز وجل يا عبدي ما قال البغيض فقلت (١٣٢) يا سيدي أنت أعلم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ان كان عبدي طردك البغيض فقد قبلتك فانا أفضل المادرين وأعفو عن المذنبين اعفوا بعبدي الى البغيض يرحمني وأنا أرحم الراحمين اللهم ارحمنا كما رحمته وارحم جميع المسلمين (وحكي عن أبي العباس الخضر عليه السلام) أنه قال كنت بصنعاء اليمن في مسجد عبد الرزاق الواعظ وكان من أكابر العلماء والاولياء أسمع منه ما يقول منقطب الى شاب معتزل بنفسه واضع رأسه بين ركبتيه فقلت اليه ووكزته وقلت ياهذا لم لا تجلس مجلس عبد الرزاق تسمع منه ما يقول قال فسمعت من الله عز وجل وأدهشني ذلك فقلت له ان كنت صادقا فيما سمعت الخضر عليه السلام ثم غاب عن بصري فلم أره ثقة الله تعالى به آمين

(وحكي عن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه) أنه قال غزا والدي سبعة من السنين مع المجاهدين في سبيل الله تعالى فلما كان بين الصفين وقع المهر الذي

بإذن الله تعالى فغزا والدي عليه فلما رجع قال يا والدي بعد السريح عن المهر فقلت يا والدي إنه عرقان حتى يستريح فقال يا والدي إنه عارية فلما أخبرت السريح عنه وقع المهر في الحال ميتا وهذا من بعض كرامات رضي الله تعالى عنه * (وحكى عن بعض الصالحين نفعنا الله تعالى بهم) * أنه قال كان عندنا رجل نباش كان يسرق الأكفان من القبور فكانت امرأته من المتعبدات تصلي عليها كثير من الناس وصلى النباش معهم وخرجوا إلى قبرها والنباش معهم ليعرف قبرها فلما جن الليل أتى النباش إلى قبرها ونزل إليها فلقنها الله عز وجل وقالت سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة معفور لها فقال النباش إن الله غفر لك فكيف غفر لي فقالت إن الله غفر لي وأنى صلى على فقال فخرج النباش من عندها وتاب إلى الله تعالى وحسنت توبته وبركتها ولزم العبادة حتى مات رحمة الله تعالى عليه وعلينا وعلى أموات المسلمين أجمعين * (وحكى عن عبد الواحد بن زيد رضي الله تعالى عنه) * أنه قال بينما نحن جلوس ذات يوم في مجلسنا إذ قد تهيأنا للخروج للغزو في سبيل الله تعالى وقد أمرت أصحابي أن يتهيؤا

فانطلقا عشيان حتى أتيا إيلة فإذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو أظرفهم وأضوؤهم وجها فقال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد فتأذى منه أبواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل فإذا أصبح جاء إلى أبويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بان عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك كان اسمه محسود وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحمة قال فأخذه الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد بن جبير أخذه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله ففتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية أخرى أدخل أصبعه في سرة الصبي فاقتلعها فمات فلما قتله قال موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس ظاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بصير نفس لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الإمر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه فإذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا * ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبيد الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر أما ترى موسى ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقي (أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحدا بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب العجاب ولكنه قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا عشيان حتى أتيا أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي انطاكية وقال محمد بن سيرين هي أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة والنبي ينسب النصارى قالوا فوافيا ها قبيل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافاهم فأبوا أن يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه الآية شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة فالتجؤا إلى مائط على شارع الطريق يريد أن ينقض أي يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن بربه أهل القرية ولا خبرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفي بعض الأخبار أن سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وكان طوله على وجه الأرض خمسة آلاف ذراع وعرضه خمسون ذراعا فأقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه وبناه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيده ومنكبيه فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا ليكون لنا قوتا وبلغة على سفرنا إذا استضفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ثم أخذ يفسره فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة إخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها وتوفي من أبيهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون العمل فأما العمال منهم فأحدهم كان مجذوما والثاني أعور والثالث أصم والرابع أكمه والخامس مجموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه سمعا بين فارس إلى بحر الروم (وروى) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله أما السفينة فكانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساوي ألف دينار فقال إن المسافر مسكين وإن كان معه ألف دينار ولهذا قيل إن المسافر وماله على تلف الا ما وقى الله تعالى فأردت أن أعيبها فقطعا لطمع الطامعين فيها وقد تعالى شرهم وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وراءهم أي أمامهم قال الله تعالى من ورائهم جهنم ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون أي أمامهم وقيل خلفهم لأنه كان يرجوهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون بخبره فأعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكذلك كان يقرأ ها ابن عباس ثم فرقتها وعيبتها كي لا يتعرض لها ذلك الملك واختلفوا في اسم ذلك

اشهد أني بعته نفسي ومالي بان لي الجنة فقالت له يا غلام ان عبد السيد أشد من ذلك وأنت صغير السن يخاف عليك ان لا أصبر

الملك فقال أكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحق كان اسمه مرثد بن جلندى الازدى وقال شعيب الجبائي كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان اهذا الملك ثلثمائة وستون قصرا في كل قصر امرأة فقال فاما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أي فعلمنا أن يرهقهما بعد ان ركبا طغيانا وكفرا فيحملهما على ان يتبعاه في الكفر فيحبانه ويدخلان معه في دينه وطغيانه وما له وفعل خشي على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيستحق ابواه دخول النار فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وصلاحا وأقرب رحما (قال ابن عباس) يعني وأصلا للرحم وبرا بوالديه فابدلهما الله بارية وأمة أدركت يونس بن متى وتزوجها بي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم (وأخبرنا) عبد الله ابن حامد قال أخبرنا حامد بن أحمد قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن المبرك أخبرنا عبد الوهاب بن فليح اخبرنا ميمون بن عبد الله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه في هذه الآية قال أبدلهما بارية قولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج أبدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وقال قتادة في هذه الآية قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضاه فيما يحب وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة واسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنزلهما واختلفوا في ذلك الكنز ما هو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال الحسن ومحمد بن كعب كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز لا بل علما أخبرنا أبو بكر الخشادي المزكي أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن قدوس الطرائفي أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا سفوان ابن صالح الدمشقي أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعاني عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان سابعا سبعة آباء تقيا أمينا فحفظ الصلاح أبيهما ولم يذكرهما بصلاح وكان بينهما وبين الاب الذي حفظ له سبعة آباء (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبعشيرته التي هو فيها والدور التي حوله فما يزالون في حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب أنه كان اذا رأى ابنه قال يا بني لازيدن في صلاتي من أجلك لعلي أحفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لي أخت من أحسن الناس منزلة فاخذت توفي عنها فتوحشت وكانت في غرفة في أعلى سطوحنا فبقيت كذلك بضع عشرة سنة وكانت تسمع ذكاء بالليل تتهجد على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة اذا أنا بباب بيتي يدق دق الليل فطلعت من هذا فقالت جمة فعلت أختي قالت أفتحل فقلت ليل فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من عشرين سنة فقلت يا أختي خبرا فقالت خبرا أني بت الليلة فاتاني آت في منامي فقال لي السلام عليك يا أمة الله فقلت وعليك السلام فقال لي ان الله قد حفظ أباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلعة جدك رحمة لك يا بنيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فتذهب مالك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد شفعا لك الى الله تعالى في باب أبيك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختياري احدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله لواسع الفضل فالقلا يتعاظمه شيء في حكمه لو شاء لجمعهما لي قالت فقيل لي قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر فارتزقي فان الله اذهب ما كان بك (ويحكى) عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وتلطف له ثم قال له يا عم دعوت حتى نجاك الله قال ما يا مير المؤمنين حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما فحفظني الله لصلاح آبائي فارادر بك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما الدفون تحت الجدار ورما فعله عن أمري وانما فعلته بأمر الله تعالى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ويقال لما عاب موسى على الخضر خرق السفينة وقتل الغلام واقامته الجدار تحتسبا جعل يقول يا موسى أتلومني على خرق السفينة مخافة

وأنت صغير عن ذلك فقال الغلام يا عبد الواحد أنا مع الله تعالى بالغ ثم أعز أشهد الله ان بعته نفسه ومالي في سبيله قال عبد الواحد فتعجبنا من ذلك وقلنا هذا صبي يعقل ونحن لا نعقل فخرج من عندنا وقصد بجميع ماله في سبيل الله الا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم اشار وهو كان أول من طلع علينا هو فقال السلام عليك يا عبد الواحد فقلت وعليك السلام يا حبيبي وريحانة قلبي ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا نمنا حتى انتهينا الى بلاد الروم فبينا نحن جلوس اذا به قد أقبل وهو يسعى وأشار فقال لي الصناع المرقعة فقال أدرك هذا الغلام وسوء رأيه فانتقل عقل قال عبد الواحد فقال له يا حبيبي وما هذه العباءة المرقعة قال الغلام يا سيدي ان خفت ولا فرأيت في منامي كأن قائلا قال لي أنت في آخر قال ما اذهب الى العباءة المرقعة ثم أشد بيدي وهجم بي على روضة فيها ماء غير آسن واذا على شاطئ ذلك النهر جوار عاجين من اللؤلؤ والجمال ما لا أقدر أن أصفه فلما رأيتني اسمعت تشمرن بي وقلن هذا زوج العباءة المرقعة فقلت السلام عليكن أفيكن العباءة المرقعة فقلن نحن خدمها

غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فغفلت الله وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر وتلومني على ترك أخذ الاجرة في اقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا الاجل الملك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كان وافى التيه فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم في التيه (ويروى) عن علي ابن أبي طالب وغيره ان موسى لما أراد ان يفارق الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال له موسى أوصني فقال له الخضر لا تكن مشاء في غير حاجة وبالا في الجماعة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) ابو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينما الخضر يمشي في سوق من أسواق بني اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق علي بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون ما معي من شئ أعطيكه فقال له الرجل تصدق علي بارك الله عليك فاني أرى الخير في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون ما معي شئ أعطيكه فقال له السائل اسألك بالله لما تصدقت علي فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضي الله من أمر سيكون ما معي شئ أعطيكه الا أن تأخذ بيدي وتدخلني في السوق فتبيعني قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتني بعظيم سألتني بوجه ربي وقد أجبتك فخذ بيدي وأدخلني السوق فبعني فأخذ بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بمائتي درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله في شئ فقال له الخضر استعملني فقال له انك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق علي ذلك قال فقم فانقل هذه الجارة من ههنا الى ههنا وكانت الجارة لا ينقلها الا ستة أنفار في يوم تام فقام ونقلها في ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم مرض الرجل سقم فقال الخضر في أرأيت أمينا صالحا ناصحا فاخلفني في أهلي قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعملني في شئ قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك علي فقال اضرب لبنا بيده لقصر لي ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذ هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذي كنت اشتريتني فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذي أرقني في العبودية أما انا فسأخبرك أنا الخضر سألني سائل بوجه ربي ان أعطيه ولم يكن معي شئ أعطيه فامكنته من نفسي حتى باعني وباعني أن من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بابي أنت وأمي شققت علي لم أعرفك فاحكم علي في مالي وأهلي وان أحببت أن أخلي سبيلك فعلت قال نعم بل أحب أن تخلي سبيلي أعبد ربي وكان الرجل كافرا فأسلم على يديه وأعطاه أربعمائة دينار وخلى سبيله فأوحى الله اليه قد نجيتك من الرق وأسلم الكافر على يديك وأعطاك مكان كل درهم دينارا تعلم أن لا يخسر أحد في معاملتي فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله أعلم

(باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني اسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل في بني اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا في قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدي كان في بني اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له مالها في بني اسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية الى قرية أخرى فألقاه هناك وقال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جرالى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثأره ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختصم أهلهما وتباهأ وليأوا الى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه أمر القتيل على موسى ورفع بينهم قتاله واختلاف وذلك قبل نزول المسامة في التوراة فسألوا موسى أن

يدعو الله ليبين لهم أمر ذلك القتيل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا جئتنا لنسألك عن القتيل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لانهم اعتقدوا الامر بالذبح غير مراد وجهلوا الحكمة فيه فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد لزمهم سألوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على أنفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره أن رجلا في بني اسرائيل كان بارا بأبيه بلغ من بره ان رجلا أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفا وكان فيها فضل ربح فغالى البائع أعطني ثمن اللؤلؤة فقال ان أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فامهلني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أبالك وأعطي المال فقال ما كنت لافعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وأنظرني حتى ينتبه أبي فقال الرجل أنا أعطيك عشرة آلاف ان أيقظت أبالك وجعلت تقسد فقال أنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فقال قبلت فقعد ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعاله وجزاه خيرا وقال له أحسنت بابني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لاجل البر (وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل الكتب) كان في بني اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وثبت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل هو وأمه ثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه ذات ليلة يا بني ان أباك ورث عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها واعزم عليها باله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من بين اذنيها وكانت اسمها المذهبة لحسن خلقها وسمنها ولونها وصفرتها فأتى الغيضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك بالله ابراهيم واسمعيل واسحق و بعقوب أن تردي علي ما أخذت تسعى حتى قامت بين يديه فمسح على عنقها وقال ها ذا قد كانت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون لك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك وانما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة والله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فالمنلوا أشرت الى الجبل أن ينقلع من أصله و ينطلق اتصل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها استقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال له أيها الفتى اني راع من رعاة البقر اشتقت الى أهلي فأنفذني أرعى مكاني حتى أرجع الى بقري وعلي معاشي فاني اذا بلغت شطر هذا الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فقد رأيت وسط الابل ما فقد ربما عليه وانى لاخشى على نفسي الهلكة فان رأيت أن تخلني على بقرتك هذه وتجيئني من الموت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يعمل الفتى وقال اذهب متوكل على الله فلعمري لئن بلغت بقري بلاغا ولا حملك بلاغا فقال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها واحمل لك عشرة أمثالها فقال له الفتى ان أحمل تأمرني بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدي البقرة فنفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعاها الفتى وقال بسم الله الله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم ترالى الطائر الذي طار فانه ابليس عدو الله اختلسني أما انه لو ركبني لما قدرت على أبدا فلما دعوت بالله ابراهيم جاءني ملك الترعني من يد ابليس ورد في اليك لابرك بأملك وطاعتك لها فقام الفتى الى أمه فقال لها ان فقير لا مال لك و يشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير لا تبعها بغير رضاي ومشورتي وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليريه خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير وأشرط عليك رضا والدتي فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى

ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها
فينبغي لك ان لا تأمن النارا * (وعن عبد الواحد رضي الله تعالى عنه) * انه قال أصابني علة في ساقي ستة من السنين فكنت اتعاهل عليها الصلاة فقمت عليها من الليل فاجهدني وبقي منها بقية فنمت ثم انتفضت انتفاضة فاذا أنا بجارية تفوق الدنيا حسنا وهي تطير بين جواري من ياقوت أحمر وفضة حمراء وأبي والجواري من خلفها ثم قالت لبعضهن ارفعنه ولا توقظنه فاقبلن نحوي واحتملني وأنا أتنظر اليهن في منامي ثم قالت لابي واري اللذي معها أفرشن له وهدنه وسدنه قال عبد الواحد فافرشن تحتي سبع فرش لم أر لهن في الدنيا مثلا وبقين تحتي مراتق خضر احسانا ثم قالت الاتي حملنني اجعلنه على الفراش رويدا قال فجعلنه على الفراش وصرت انظر اليهن متعجبا مما أمرنه من شأني ثم قالت أين العلة فاشرت اليها فوضعت يدها عليها وقالت قم شفاك الله الى صلاتك

لو أعطيتني ورثها ذهبا لم آخذه الا برضا أبي فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاي فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق وأتى الملك فقال له الملك استأمرت والدتك قال الفتى نعم أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك اني أعطيك اثني عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرني أن أبيع هذه البقرة أم لا تفعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى أملك وقل لها أمسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتري بها منك ليقتل بقتل في بني اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فامسكا البقرة وفدى الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وما سنها قال موسى انه يعني الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر أي لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لان العين تسر وتولع بالنظار الى الشيء الحسن وقال علي بن أبي طالب من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أسائبة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لولم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أي بالوصف التام البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بأمه فاشتروها منه بل عمسكها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلوائها وقال القرطبي وما كادوا يذبحونها لاجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعني عاميل وهذه الآية أول القصة فادارأتم فيها أي فاختلفتم فيها والله مخرج أي مظهر ما كنتم تكتمون أي تخفون فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها أي ببعض البقرة واختلفوا في هذا البعض ما هو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الاقاويل لان المراد من احياء القتيل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها قال غيث وهو أولى التأويلات بالصواب لان عجب الذنب أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى وقال مجاهد بفخذها اليمنى وقال عكرمة والكلبي بلحمها بين الكتفين وقال السدي بالبضعة التي بين كتفيها وقيل باذنها فعلموا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا عاميل بعد موته ويريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان أوحى الله تعالى الى موسى أن يتوجه الى الارض المقدسة بني اسرائيل لينفاروا الى كل قتيل يوجد بين قريتين أو خلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله سلموه الى أهله وان لم يعلموا اختاروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم ليأخذوا بقرة حولية فيذبحوها ويبعثوا ايديهم لهم ثم تضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات والارض اله بني اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل اما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برئوا من دمه وأدوا ديته الى أوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسامة بينهم الى أن مات وكذا بنو اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله أعلم

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية (أنبأنا) محمد ابن محمد به باسناده عن وهب بن منبه قال أوحى الله الى موسى أن يتخذ مسجدا لجماعتهم وبيت قدس للتوراة

لو كنت أعلمت قبل هذا يا عميلك أو بيتك من قريب تنهى عن البغي والتعادي * وأنت (١٢٩) في الغي كالراعي

والتابوت والكبنة وقربانا للقربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها وأن تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التي تديم من أصواف تلك الذبائح وعهد اليه أن لا يغزل تلك الجبال سائض ولا يدبغ تلك الجلود جنب وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعا ويجعل فيها اثني عشر عمودا سرجا فاذا انقضى وصار اثني عشر جزأ جعل على كل جزء منها فيه من العمد سبط من أسباط بني اسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع في ستمائة ذراع وأن ينصب فيه سبع قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعا وعليها أربعة سوت من ثياب حلالا الباطن الاول منها سندس أخضر والثاني أرجوان أحمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقايتها من المطر والغبار وحبالها التي تشد بها من صوف القربان وأن يجعل سعتها أربعين ذراعا وأن ينصب في جوفها واحدة من قضة يوضع فيها القربان سعة كل مائدة منها أربعة أذرع في أربعة أذرع كل مائدة منها على أربع قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة أذرع لا ينال الرجل منها الا قائما وأمره أن ينصب بيت المقدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يشتمل على سبيكة من ذهب أحمر طولها تسعون ذراعا مرصع بأنواع الجواهر وأن يجعل أسفله مشتبكا بقضبان الذهب والفضة وأن يجعل حبالها التي تمدها من أصواف القربان وأن يجعل مصبوغا بألوان من أحمر وأصفر وأخضر وأن يلبسه سبعة من الجلال حلالا الباطن منها سندس أخضر والثاني أرجوان أحمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من الحرير الاصفر وكذلك أثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشي والظاهر لها خاصة من جلود القربان وقايته من الاذى والندى وأمره أن يجعل سعته سبعين ذراعا وأن يفرش الغبار بالقرب الاحمر وأمره أن ينصب فيه تابوتا من ذهب كالتابوت الميثاق مرصع بألوان الجواهر واليواقيت الاحمر والاشهب والزمرد الاخضر وقوائمه من ذهب وأن يجعل سعته سبعة أذرع في أربعة أذرع وعلوه علو موسى وأن يجعل له أربعة أبواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه هرون وباب يدخل منه أولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يأخذ من كل مقاتل فيهم من بني اسرائيل مثقالا من ذهب فيتفقه على هذا البيت وأن يجعل باقي ذلك المال الذي لا يحتاج اليه من أهلي المال التي وزنها الله بني اسرائيل وموسى وأخاه هرون فرعون وقومه حيا في أرض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بني اسرائيل ستمائة ألف وسبعة وعشرين رجلا فأخذ منهم ذلك المال وأوحى الله اليه انه منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيأ ولا تلف أبدا تأكل القربان المتقبل وتسرج القناديل التي في بيت المقدس وهي من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من الياقيت واللآلئ وأنواع الجواهر وأمره أن يتخذ في وسط البيت مضرة عليها من الرخام ويقرن بها فرقة لتكون كانون تلك النار التي تنزل من السماء فدعاه وهي أنطاهوس وقال له ان الله قد اصطفاك بنار تنزل من السماء تأكل القربان المتقبل وتسرج منها القناديل وأوصاني بهارون قد اصطفيتك بها وأوصيتك بها فدعا هرون ابنه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفى موسى بأمر وأوصاه به وأنه قد اصطفاني له وأوصاني به وأني قد اصطفيتكما له وأوصيته بكما وبأن أولادهرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنيران فشمروا ذات ليلة حتى تمموا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فاحترقوا وموسى وهرون يدفعان عنهما النار فلم يغنيا عنهما من أمر الله شيأ فأوحى الله تعالى الى موسى هكذا أفعل بمن عصاني ممن يعرفني فكيف أفعل بمن لا يعرفني من أعدائي وهذا آخر القصة والله أعلم

(باب في ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حتى جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآيات اختلفت عبارات المفسرين في الارض المقدسة ما هي فقال مجاهد هي الطور وما حوله وقال مقاتل هي اريحا وبيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم حرم بقدره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بقدره

قال عبد الواحد فدهشت عند سماع ذلك وقلت لها يا مسونة اني أرى هذه الاغنام مع الذئاب ترعى فلا الغنم تخاف من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فقالت الملك يحميني يا بطال فان أسلمت ما بيني وبين سيدي فأسلم ما بيني وبين الذئاب وغنمي قال فقضيت من عندها وقلت من أطاع الله أطاعه كل شيء نفعنا الله تعالى بهم وغفر لنا ببركاتهم وأسرارهم ومددهم آمين * (ومن عنه أيضا رضي الله تعالى عنه) * انه قال اشتريت غلاما للخدمة فلما كان الليل طلبت منه أن يجيء وأنا في الصلاة فلم يجئ فلما انصرفت رأيت الانوار معلقة على حالها فلما أصبحت أذابه فوجدت درهما مكتوبا عليه سورة الاخلاص سلم القدرة الرباني صحت له يا غلام من أين لك هذا فقال يا سيدي لما عندي في كل يوم مثل هذا شرط اني لا أعلمه بين في الليل فقلت له نعم فكان يجيء كل ليلة ويأتي بعد صلاة الصبح بذلك الدرهم المكتوب قال فمكث على ذلك مدة من الزمان فبينما أنا جالس ببغداد اذ مر بي بعض أصحابي وقال يا ابن زيد أما علمت هذا فانه نباش

قال فقلت ما سمعت منه فقلت له امسك فان أحفظة هذه الليلة قال فلما كان العشاء قام الجيران والاولاد معلقة فاشار بيده فاشتد

من السموات والارض وقال عكرمة والسدى هي أريحا وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هي الشام كله

(فصل في فضل الشام وأهله) قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشام قيل يارسول الله ولم ذاك قال ان ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم من عبد الله بن حوالة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا زال هذا الامر فيكم حتى يفتح لكم الله أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يارسول الله اختر لي ان أدركني ذلك فقال أختار لك الشام فانه صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبي صفوته من عباده يا أهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لي بالشام وأهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخير عشرة أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء في الشام وواحدا في العراق وقسم الشر عشرة أجزاء فجعل منه تسعة في العراق وواحدا بالشام ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وقال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدي أمركم أن تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن باعوراء)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن أيدين مارت بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهي مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافور وكانت قصة بلعام على ماذكر ابن عباس وابن اسحق والسدي والكلبي وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وانا قوم ملوك وبنو ملوك وجبار انك ولبس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاقدم الينا وأشر علينا في هذا الرجل العدو الذي قد أرهقنا فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وانى ان فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فنام فلم ير في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد آمرت ربي في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ربي ثانيا فآمر فلم يجب فقال قد آمرت فلم يجب لي شيأ فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل في المرة الاولى فلم يزالوا يرفقون به ويناشدونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فقالوا لبعضهم اهدوا اليه فقال انهم أهدوا اليه هدية فقبلها وقال ان بلعام ابن باعور اعلم أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا انها قصيرة وانه يصغى الى رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوءة درا فاهدوها الى فاقبلت على صاحبها وأبت عليه حتى قالت له ارجع الى ربك فاسأله أن يأذن لك في مؤازرتهم والدعاء على عدوهم فلم يزل به حتى استجاب فلم يجب اليه بشيء فقالت له انه قد خبرك في الدعاء عليهم فلو لم يأذن لك لنهاك قالوا فركب أتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال له حسبان وكانت مراكب العباد الاوثان الا تسار عليها غير بعير فحثى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى أذلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أذلقها أذن الله تعالى لها في الكلام حجة عليه فقالت له ويحك يا بلعام أين تذهب ألا ترى أن الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت

عنه الملائكة ثم رفع رأسه فجاءه الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما رجعت عنك الملائكة ولما تخلوا سبيلك فركب أثانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى أشرفت على جبل حسان فجعل لا يدعو عليهم بشئ من الشر الا صرفه الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه آندري ما تصنع يا بلعام اغا تدعو لهم وتدعو علينا قال هذا أمر لا أملك منه شيأ قد غلبني الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسأمركم وأحتال فعلموا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى المعسكر يبعن فيه ويشترين وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم لو زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كشا بنت صور يا برجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن سالوم من سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فقام اليها وأخذ بيدها حتى أجلسها بين أعينهما وجاء هاشم وقف على موسى وقال اني سأظهك أن تقول هذه حرام علي فقال أجل هي حرام علي للا تقربها قال والله لا أطيعك في هذا ثم انه دخل بها فاتبعه فوجدها فارسل الله الطاعون على بني اسرائيل في الوقت وكان فنحاص ابن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري ابن سالوم ما صنع فجاء والطاعون يحوس في بني اسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما القبة وهما مضاجعان فانتظمهما في حربته ثم خرج بهما رافعهما بيديه الى السماء وأربة قد أخذها بذراعه وعتمد بركبته على خاصرته وأسند الحربة على بيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بني اسرائيل من الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة الى أن قتل فنحاص فوجدوه قد أهلك منهم سبعين ألف نفس في ساعة واحدة فمن هناك يصلي بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة يذبحونها الخاصرة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذها بذراعه واسناده اياها الى عضده والبكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون ففي بلعام أنزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية (قال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى والا قتلناك فقال انه من أهل ديني ولا أدعو عليهم فبنى بخشبة فصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له يدعو عليهم فلما عاين عسكرهم قام على الاتان ووقفت فضربها فقال له لم تضربني وأنا مأمور وهذه نار أما ترى قد منعتني أن أمضي فرجع فأخبر الملك فقال له لم تدعون عليه والاصنام فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يارب بأي ذنب وقعنا في التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه أن تنزع منه الاسم الاعظم والايمان فأنساه الله ما كان علمه وتعلمه منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية (وقال آخرون) هو نبي من بني اسرائيل يقال له بلعام أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت فتحمل وتركهم على ما هم عليه (وقال) عبد الله بن عمرو زيد بن أسلم وأبو روق انزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي كانت عنده انه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكان تصديق بعض أقواله فاه لو جميع ما يقول فلما هم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة أخيها فقالت بينما هو راقد اذا أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال أوعى قال أ كافأ له كافأ له فسألته عن ذلك فقال شر أريب ثم مارت عينه ثم غشي عليه فلما أفاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر امره الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في فلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير ويا ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعر سألتك بالله ان تنشدي شعرا غيره فانشدته

ماهو يا له يعبد فقال الرجل وما تعبدون أنتم قلنا نعبد الله في السماء عرشه في الارض بعلمه في الاحياء والاموات قضاؤه وقدرته تقديسه

الله تعالى واذا بالجبل صار ذهبا فذهب ثم عبد ذلك وأمر عبده وأصحابه لا قصى ما يعبدهم ما رأيت فطرى الغلام الباب فخرجت اليه ابنتي الصغيرة وقالت ما بعد السوء أن والدي أنت قتلته من أجل تبذلك القبور ثم لطمته على وجهه لطمة فطلعت يدها ثم أخذت في الاعتذار اليه فأخذ الغلام بيده ووضعها كما كانت ورمى بها الى السماء فاذا هي أحسن مما كانت ثم أخذ بيدها ثانية وثقل عليها فاذا هي كما كانت فلما رأت ذلك منه علمت ان هذا لباس السوء لا لباس القبور ثم ذهب الغلام عن بقي فرآه على قراءته ولم ير أحدا ذهب رضي الله تعالى عنه

(وعن عمر رضي الله تعالى عنه) أنه قال ركب في مراكب سبعين السبع وعن جماعة من التابعين قالوا ركبنا البحر فاشتد بنا الريح شديدة حتى ألقتنا الى جزيرة من جزائر البحر فاذا رجل فيها يعبد صنما فلما رأيناه قلنا له يا رجل ماذا تعبد فأومأ الى الصنم فقلنا له ان الهك هذا لمصنوع

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شيء أعلى منك جدا وأمجد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وأنشدته حتى أتت على آخرها ثم إنها أنشدته قصيدته التي يقول فيها

عند ذي العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم تأتيه وهو رب رحيم * انه كان وعده مأتيا
يوم تأتيه مثل ما قال فردا * ليس فيه لمذنب راشدا وغويا
أسعيد سعادة أنا أرجو * أم مهان بما كسبت شقيا
ربان تعف فالعفو ما قاقة طبني * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أؤاخذ بما اجترمت فاني * سوف أثني من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فأنزل الله تعالى فيه وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت في أبي عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فأنا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك لست عليها ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر أماتك الله الكاذب منافي مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أعدوا القوة والسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب إلى قيصر وآتي بجند لنخرج محمدا وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انتظارا لمجيئه فمات في الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت في البرسوس وكان رجلا قد أعطي ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة منها ولد فقالت له اجعل لي منها واحدة فقال لك منها دعوتان فماتر يدين قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاءوا بها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة وان الناس يعيرونا بها فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثهم إياهم إلى أرض كنعان يجاسسون له ولقومه)

قال الله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يورثه وقومه الارض المقدسة وهي الشام وكان بها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح وعده الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني اسرائيل فلما استقرت بني اسرائيل الدار بعصر أمرهم الله بالسير إلى أريحاء من أرض الشام وهي الارض المقدسة فقال يا موسى اني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم فأخذ من قومه اثني عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمر وابه فاختار موسى من كل سبط نقيبا وأمرهم عليهم وهذه أسماؤهم من سبط روبيل شموع بن زكور ومن سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط جوذا كالب ابن يوفنا ومن سبط جاد جابذ بن يوسف ومن سبط بالون حدي بن سوري ومن سبط أشير شاون بن ملكيل ومن سبط يقالي حبي بن وقسي ومن سبط دان حلي بن وكيل بن نحل ومن سبط لاوي شمولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرائيم ومن سبط افرائيم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط بنيامين ناطم بن زقون ثم انه سار ببني اسرائيل قاصدا أريحاء فبعث موسى اليها هؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

(فصل في ذكر رجل من أخبار عوج بن عنق وأحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشر بن ألف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول وكان عوج

قال فأتيت اليه وقلت له هل من غداء فقال ثم قضيت حوائجي فقعدت عند رأسه فغلبني النوم فنمت فرأيت في رؤيتي كأني

يحتجز السحاب و يشرب منه الماء و يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله

(و يروى) انه أتى نوحا في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينتك فقال له اذهب يا عدو الله فانى لم أومر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطير فجعلت تنقر مناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق عشرة أذرع فأصاب منه الاكعب وهو مصروع في الارض فقتله قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم اللبن فجهدوا حتى حزوا رأسه فما قاتل وقع على نيل مصر فسد مسنة قالوا وكانت أمه عنق هي احدى بنات آدم من صلبه و يقال انها كانت أول من بنى على وجه الارض وكان كل أصبع من أصابعه طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين في كل أصبع فاطمران حادان مثل المخلبين وكان موضع مقعدها خربة من الارض وما بقيت بعث الله اليها سودا كالفيلة وذئابا وثعورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطها عليها فقتلوها وأكلوها (قالوا) فلما قدم عوج يعني أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب أخذ الاثني عشر نقيبا وجعلهم في حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وملوحهم بين يديها وقال لاطحننهم برجلي فقالت له امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلى سبيلهم فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الاخمسة نفر بينهم في خشبة و يدخل في شعرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض يا قوم ان كم ان أخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم فشلوا ولم تدوا من نبي الله ولكن اكتموا شأنكم واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فأخذ بعضهم على بعض الميثاق على ذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وبدأوا بحبقة بن عنبهم وقشور بن رمانهم وأخبروه بما رأوا وأمرهم ان النقباء تكتموا العهد ويجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم وأخبروهم بما رأوا من طولهم الا رجلين منهم وفيا بما فالا وهما يوشع بن نون بن افراثيم فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من اخبارهم يئسوا وفشلوا وأصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا أموالنا غنيمة لهم ويجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا ونصرف الى مصر فذلك قوله تعالى انبأهم ما عنهم قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الآية قال قتادة كان لهم أجسام وخلق عجيب ليس لامرهم مثل وانا لا ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذي أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر هو الذي يباعدكم و ينظركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمره وهموا بالانصراف الى مصر فخر يوشع بن نون وكالب بن يوفنا الى القوم وهما اللذان أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة في قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعني باب مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فلما رأيا منهم وخبرناهم فكانت جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فراد بنو اسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما وقالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صدعن البيت اني ذاهب بالهدى فناحروه عند البيت فاستشار أصحابه في ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندي انا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك الشوبين يديك ولو خضت بحر الخضناه ولو تسنمت جبلا لعاونا معك ولو ذهبت بنا الى برك الغماد يعني مدينة بالحبشة لذهبنا معك فلما سمع ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تابعوه على ذلك فأشرق لذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان أكون صاحب هذا المشهد أحب الي من الدنيا وما فيها (قالوا) فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من معصيتهم

وفيها تلبة عظيمة وفي القبة سرير وعلى ذلك السرير جارية حسناء لم أر أحسن منها وهي تقول بالله الا ما عانقتني فقد اشتد شوقي اليه فاستيقظت من منامي فوجدت الرجل قد فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته فلما انتبهت رأيته في المنام في تلك القبة على السرير والجارية بجانبه وهما يقرآن هذه الآية قال هرمز فلما فعل العالمون رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين

* (وحكي عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) * أنه قال بينما أنا أسير في نواحي الشام اذ وقعت على رؤوسنا صخرة فانشقت فخرجت منها عين ماء فتقدمت من الصخرة فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فسألت عنه ثانيا وأنا في صلاتي ولم أتكلم بأحرفه في الارض هذا الشهر منع اللسان من الكلام لانه

كهف البلاء وسالب الآفات

فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا
لا تنسه واحفظه في الحالات

قال ذو النون فبكيت

بكاء شديدا ثم كنت أصوم في الارض وما من كانت الا سمع * ووعية العلم ما كتبت شيئا فلا تكتب شيئا من العلم

نبيهم وخالفهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وأوحى الله تعالى الى موسى الى متى يعصيني هذا الشعب والى متى لا يصدقون بهذه الآيات لاهلكنهم جميعا ولاجعلن لك شعبا أقوى وأكثر منهم فقال موسى الهي لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الامم الذين سمعوا ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل انه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم في البرية وانك طويل صبور كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولا تهلكهم فقال الله تعالى لموسى اني قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتي لأحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع بن نون وكالب ولا تيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي تجسسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما وليتيهنهم حتفهم في هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعصوني ولم يعملوا الشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض متحيرين فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وكانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا هم أمسوا فاذا هم بالموضع الذي منه ارتحلوا وسئموا الموضع الذي هم فيه فارتحلوا وماتت أولئك النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في تلك المدة غير يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أحد أربعيناء ممن قال انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشئ من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين رفع الله لهم

(باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني اسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام)

قال الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والعد لا يقع على الواحد التي أنعمت عليكم أي على أجدادكم وأسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شئ يحتاجون اليه وأعلاهم ما أطعاهم في التيه وذلك أنهم قالوا لموسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران والبنيان الى مفازة لا ظل فيها ولا كن فأنزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فاظلتهم وكانت تسير بسيرهم اذا سار وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه تقيكم حر الشمس ومنها انه جعل لهم عمودا من نور يضئ عليهم بالليل اذا لم يكن ضوء للقمر فقالوا هذا الظل والنور فقد حصل فأين الطعام فأنزل الله عليهم المن والسلوى واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شئ كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو البر يختبز وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدي كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه وقال عكرمة هو شئ أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاج المن ما عن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا موسى فأنزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السمانى وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فاصطاروا به السماء في عرض ميل قدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تطرهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا قد سقط ريشه ونزعه وكانت الريح تأتي به اليهم فيصيدون وهو في معسكرهم وقيل انه كان يأتيهم فيسترسل اليهم فيأخذونه بايديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهد الانتم * ألذ من السلوى اذا ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد

ما يكلمه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤوا فسد وفسدما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال تعالى وما ظلمونا ولكن أضرونا بالمعصية وهذه القصة الامر ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستعجالهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبى (أخبرنا) شعيب ابن محمد قال أخبرنا تميم بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عوف عن عبد الله بن جلاس بن عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها وقالوا يا موسى من أين نشرب فاستسقى لهم موسى فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب حجر في أرض الجارة فتفجر منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم نسيل كل عين في جدول السبط الذي سقيهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع من الجارة بالعصا ولكن كلمها تطعك لما لهم يتحركون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا صرنا الى الرمل والى الارض التي ليس فيها حجارة فامر موسى ان يحمل معه حجرا فحيثما نزل ألقاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف واللام للتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا في ذلك الحجر ما هو فقال ابن عباس كان حجرا طوريا مثل رأس الرجل أمر ان يحمله فحمله فكان ينبع في ثلاثة أحجار فكان اذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضربه بعصاه فيتفجر عيونا كما ذكرنا شقاهم قال أبو روق كان الحجر من الكدان وكان فيه اثنا عشر ثقبا أي حفرة بنبع من كل حفرة ثلاثة أعين ما عذب فيأخذونه فاذا ارتووا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقي ستمائة ألف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه لما اغتسل فمر الحجر بثوبه فلما وقف الحجر رأى ما به جبريل عليه السلام فقال يا موسى ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية وهو ما أخبرناه الحسن بن أحمد الخالدي باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع في أثره وموسى يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس قال فقام الحجر بعد ما نظر اليه بنو اسرائيل فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان بالحجر لستة أو سبعة ندبا بالعصا ضربا قال عبد العزيز الدراوردي كان موسى يضرب الحجر اثنتي عشرة ضربة فكان يفور في كل موضع ضربة مثل ثدي المرأة ثم ينفجر بالماء المطرد فذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) أنهم قالوا لموسى في التيه من أين لنا اللباس فاذا الله تعالى ثيابهم التي عليهم حتى لا تبلى على الايام وصروا الاعوام الاحسنة وظفارة ولا تخلق ولا تبلى وتنمو على صبيانهم كأنه وفكثوا على ذلك زمانا طويلا والله أعلم

(باب فضل ارض الشام ونزول بني اسرائيل الشام)

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم ما فتح ارض الشام الا يوشع مع موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار وسبى اليهم من بقي من بني اسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى ببني اسرائيل فقام فيها ما شاء الله ان يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق وأقربها الى الحق لاجماع العلماء بالسير والاخبار ان موسى بن عمران قبل موسى وقال آخرون ما قاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك من كان أبى المسير اليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه

(قصة وفاة هرون عليه السلام)

قال السدي أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام اني متوفي هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق

والعنبر والنور ولو نبح بريقها أبيح لناب ولو دمي بكلامها ساب لاصاب ولو بدا معصمها الاعمى لاظفار وكيف ولو بدا سبيبها في الظلماء لانارت وأشرقت ولو واجهت الآفاق بعلمها وحلاها التعطرت وتزخرفت شأن بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان وقصور في شمام النعيم وغدير ماء التسنيم لا تخلف عهدها ولا تبدل ودها فلما سمع ذلك الحق برفع الثمن من بائعه تلك هذه فقال الملك ما أجد فيها الذي وصفت فانك الموصوف الثمن القريبة الخطاب في كل زمن فقال ما فيها يرحمك الله قلت البسير المبذول لنيل الامل المأمول وهو أن تتضرع الى الملك فتصلي ركعتين فتخلو بهما الرب وان تدع ما عملت فتؤثر ما علمك وان ترفع عن الطارق سترا وقد راوان تسلم أماما بقلة الباخة وان ترفعه عما دار النور والغفلة فتعيش في الدنيا بعز القناعة وتأتي الى الموقف آمنا غدا وتنزل في الجنة دار النعيم فيجزل المولى الكريم مخلدا فقال الملك بالبداية

موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم يريا مثلها وبيت مبني وفيه سرير عليه فرش واذا ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال يا موسى اني أحب أن أنام على هذا السرير فقال نم عليه فقال اني أخاف ان يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له موسى لا تخف أنا أكفيك رب هذا البيت فنم فقال يا موسى نم معي فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى وأخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسده لحبنا اياه فقال موسى ويحكم ان هرون أخي ووزيري فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى وكان خرج الى التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا أين هرون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكا الى ربه ما لقي من بني اسرائيل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه حتى يخبرهم انه مات موتا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فناداه يا هرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله ولكني مت فعاد وانصرفوا والله أعلم

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قال ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كره الله أن يعجب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يا نبي الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى تكون أنت الذي تبتدئني به وتذكره ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ باسناده حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق بني اسرائيل ذرعا لما كثر واعليه فبعث الله اليه ألف نبي يكونون أعوانا له فلما مال الناس اليهم وجد موسى في نفسه غضبة فلما تم الله اكرامه في يوم واحد واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون باسناده عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت فعقأها فال فرجع ملك الموت الى الله عز وجل فقال يا رب انك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت وفقأ عيني فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدي وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما واريت يدك من شعره فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يا رب فأدنني من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا حامد الشرقي يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يرد هذا الا كل مبتدع ضال (وفي حديث آخر) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى أتى موسى ليقبض نفسه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خطبة (قال السدي) في ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام يمشي وفتاه يوشع بن نون اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة فقال يا قوم أظن أنها الساعة وانى ملاقٍ نبي الله فانسل من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي الله فقال والله ما قتلته ولكن انسل مني فلم يصدقوه وأرادوا قتله فقال لهم اذا لم تصدقوني فاخرجوني ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام وأخبره ان يوشع لم يقتل موسى وانما قد رفعناه الينا فتركوه قال وهب بن منبه خرج موسى ليقضي حاجة فبرهط من الملائكة فعرفهم فاقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذا هم يحفرون قبرا لم ير شيأ قط أحسن منه ولم ير مثله قط في الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد صالح كريم

على ربه فقال موسى ان هذا العبد ان الله بمنزلة عظيمة ما رأيت كاليوم أحسن منه فجعلا فقالت الملائكة يا موسى ان الله أتحب أن يكون لك مثل هذا فقال لا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم صوت الملائكة عليه الاراب وقيل انه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (وروى) أن يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال له كيف وجدت الموت يا نبي الله قال كنت تسلني وهي في الصباح (وروى) أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفي الله موسى بن عمران فمن الذي يعلم في البقاء وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة عشرون منها في ملك فرعون ومائة سنة في ملك يوشع (قال الامام فخر الدين) وهذا يدل على أن حرب العماليق (فلما انقضت أربعون سنة وبات موسى بعث الله يوشع بن نون نبيا فاخبرهم أنه نبي الله وأن الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه بهم اسرائيل الى ارض فلسطين فاحاط بمدينة اريحا ستة أشهر فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وجعلوا يقتلونهم فكانت العمالقة من بني ام ايل يجتمعون على عدو الرجل يسيرون اليه طائفة بعد طائفة ولم يكن القتال يوم السبت فبقي منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب ويدخل ليلة السبت فخشي يوشع أن يجز وه فقال اللهم اردد الشمس علي أو انه قال للشمس انك في طاعة الله وأنا في طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر ان يقيم حتى ينتقم من أعداء الله فقيل غربت الشمس ورد الله الشمس وقيل له في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم أجمعين (أخبرنا) أبو بكر بن عبد الله بن محمد الاصفهاني بأسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فرأيت في عنقها خرزا وأربعة في يديها مسكين غليظتين وهي عجوز كبيرة فقلت لها ما هذا فقالت له يكره للمرأة أن تتشبه بالرجل ثم حدثتني أن أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد أوحى الله اليه فقال له يوشع لم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غلبت أو أرادت أن تغيب ثم ان نبي الله سري عنه فقال أسلب يا علي قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس فرجعت حتى بلغت نصف المسجد وقال ثم أرسل يوشع الى الاوائل فكانوا خمسة ملوك فارسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلهم على يوشع وهم فهرسب وابراشا والوذا وحوذا وملكي صادق فلما أبطأ الملوك حتى أهبطوهم الى تلة عسور ان رماهم الله بالبرد فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا في غار فامر بهم يوشع فاخرجوهم وسلبهم ثم أتاهم معاجلهم في ذلك العار وتقدم ملوك الشام فاستباح بيضتهم أعدادا ولاثين ما كان حتى غلب على بيع أرض الشام وهو الشام كله لبني اسرائيل وفرق عساكره في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها غلولا فامرهم ان يبايعوه فبايعوه فالصقت يد رجل منهم به فقال له هلم ما عندك فاتاه برأس ثور من ذهب فوضعه مع المال فجاءت النار فاكلته فقال للشمس أنت مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علي ساعة فحبسها عليه ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تاكلها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل سبط منكم رجل فبايعوه فالصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فاخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فالقوه في القبة وهي بالصعيد فجاءت النار فاكلته فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد قبلنا وذلك ان الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا الباب سجدا وقولوا حطة ثلاثين مرة ففعلوا وقولوا حطة وكان لهم سبعة أبواب بعددا أي مختلفين متواضعين وقولوا حطة أي حط عنا خطايانا قال وهب انهم أذنبوا بعد آبائهم وكان توبتهم اذ أذنبوا دخول أريحا فلما فعلوا من التيه أحب الله ان يستنقذهم من الخطيئة قال ابن

كلما مضى عاقبة عند صلاة الغداة فاخذ مالك فاذا في ظهر مكتوب ما لا مداد هذه من الله الى ... داولاده وخدمه مكلا

بالدر والياقوت مرصعا
بالجوهر تربه الزعفران
ملاطه المسك أفيح
من قصر لهذا الاعزب
ولا سعيدان ولا ينبه
باب قال له الخليل كن
فكان فقال له الشاب
يا سيدي فاعطني الليلة
الى غد فقال نعم قال
جعفر فبات مالك متفكرا
في الشاب فلما كان وقت
السحر دعا الله تعالى
فاكثر من دعائه فلما
أصبحنا غدونا المعاذا
بالشاب بالباب فلما عاين
مالك بن دينار قال
ما تقول بالامس فقال
تعجل قال نعم فاحضر
المال ووضعه أمامه فدواه
وقرطاسا فكتب مالك
بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما اعطى عبد مالك بن
دينار لفلان بن فلان
الى عشرة آلاف قصر
قصر ابدال قصر لبسة
كذا وصفة والزيادة على
الله تعالى والتمر
الشهي هذا المال قصر
في الجنة فاسقني
قصرك في ظل ظليل
بمسرب العز الجليل
ثم طوى الكتاب ودفعه
الى الشاب وحاسبه المال
من عشية أمسى مالك
حتى لم يبق معه درهم
فوت يوم واحد وما أتى
على الشاب أربعون
يوما حتى وجد مالك

عباس سمعة قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب نغفر لكم خطاياكم ونزيد المحسنين احسانا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وذلك انهم دخلوا متزحفين على استاههم وقالوا حطا سمعانا يعني حنطة حمراء استخفافا بامر الله تعالى فانزل الله تعالى على الذين ظلموا رجزا من السماء أي عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك ان الله تعالى أرسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم قرى الله نبيه يوشع ودفن في جبل ارائيم وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد بقيره أمر بني اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

(مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامور بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام)

قالت العلماء باخبار الماضين وأمور الامم السالفين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما فاحسن الخلافة فيما فوضه الله عز وجل واستخلف على بني اسرائيل ابنه يوساقوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون اليه ويقولون له يا أيها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحيي ان يردهم فلما أكثروا عليه الفتنة فسأل الله ان يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فاصابه الجدري فصار متجدرا ماقلبا فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله أعلم

(ذكر شمير حزقيل عليه السلام)

قالت العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالبا وابنه بعث الله تعالى حزقيل الى بني اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بوري ويلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لان أمه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذي أحيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فاماتهم الله تعالى بعد مونهم بدعوته في قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال أكثر) المفسرين كانت قرية بقال لها داوردان قريبة قبيل واسط وقع بها الطاعون ففر منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون ورجعوا سالمين فقال الذين بقوا ان أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التي لا وبا فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة اذا هم بالثمن أسفل الوادي وآخر من اعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعا (عن) محمد بن ذكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حماره ومعه ولده ومخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطلق العبد يرتجز ويقول

ان يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة ضطار * فقد أصبح الله أمام الساري

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله (وروى) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الفضال ومقاتل والكلبي انما فروا لا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا للملك هم في الارض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنا فارسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فاريهم آية في أنفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم موتة رجل واحد فاتى عليهم ثلاثة أيام حتى انتفخوا وارموا وصاروا أجسادهم تفرح اليهم الناس فجزعوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم فقال علماء الخراسانيين كانوا

ثلاثة آلاف وقال ابن عباس ووهب كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال أبو روق عشرة آلاف وقال أبو الليث ثلاثين ألفا وقال السدي بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن أبي رباح سبعين ألفا قال وأتى على ذلك سنة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتفتت أوصالهم فرعليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل أتريد أن أريك كيف أحيي الموتى قال نعم يا رب فأحياهم الله جميعا هذا قول السدي وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوما حزقيل فلما أصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فصيرتني وحيدا لا قوم لي فأوشك أجيبت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك قال الله تعالى أوتحب أن أفعل ذلك قال نعم يا رب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا يا نبي الله قد مللنا سترحنا مما نحن فيه فأوحى الله تعالى الى حزقيل ان قومك ملوا ضجوا من البلاء وزهدوا في الدنيا وأحبوا الموت وأرادوا استراحتهم في الموت أيظنون اني لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها أمواتا ماتوا فأتاهم فأوحى الله تعالى اليها حزقيل قم فنادهم وكانت أجسامهم وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطير والسباع فنادى حزقيل أيتها العظام ان الله يأمرك ان تعودي وتكتسي اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا وما عصبها وعرقا فكانت أجسادا فنادى أيتها الارواح ان الله تعالى يأمرك ان تعودي الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة (وروى) منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعد ما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون انهم كانوا ماتوا في سنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد مملئا الكفن حتى ماتوا الا بآجالهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليرى جند ذلك السبعة من اليهود تلك الريح فتأخذهم نهم الله على فرارهم من الموت وتصيرهم في المهلة فأماتهم الله ستة بعد ستة ثم أحياهم بقية آجالهم ليروها ولو كانت آجال القوم قد بقيت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد قال وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم

* (باب في قصة الياس عليه السلام) *

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحق والعلماء من أصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله الذي عهد اليهم في التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس بن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كان الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم يجددون لهم ما نسوا من أحكام التوراة وهو بنو اسرائيل يومئذ تفرقوا في أرض الشام فهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها أباها بني اسرائيل وقسمها بينهم فاستقام لهم بها ملك ونواميس وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعلم يومئذ لا يقال له الا بعل قد قتل رأسه وبيعهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه بدون مدينة يقال لها بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون انما كان البعل الاصم أنه كانوا يعبدونه من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر ملك من ملوكهم الذي كان يعبد بعلا فانه آمن بموسى وكان الياس يقوم أمره ويسدده ويرشده وكان الملك اسمه اخاب فيقال له أرييل وكان يستخلفه على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها فكانت تبرز بين الناس كلما برز وجهاد توكب فاركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء وتقضي بين الناس وكانت قد قتلت الانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن من بني اسرائيل وكان اسمه وكان قد شاد من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير مستقيم ولم يكن على وجه الارض أفشى منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم

ذلك في علوفة من يشمولاه

وكان له مستشرف عال يقعد فيه يشرف على الناس وله أبواب شريعة الى بساتينه وقد ضرب قبة من عاج مطلية بالذهب والفضة والذهب هو على سرير عليه غلاله من نسيج وعلى رأسه عمامة مكللة باللآلئ وعليه في تلك الغمامة ثماؤه وجلساؤه وقد أوقد على رأسه الخدم والغلمان في مجلس خارج القبة بحيث يراهم فاذا اشتهى سماع الغناء نقلس نحو الستارة واذا أراد سكوتهم أومأ بيده نحو الستارة وهذا كان دأبه الى أن يذهب الليل فتنزع الغلمة وبقاؤه مع من شاء فاذا أصبح اشتغل بالناس والقاعدين بالشباك من بابه وغيره فلا يذكر من بدنه عورة ولا منهم ولا لامرأته ولا ولد ولا خدم ولا لهم الا الذكر والمروءة والفراغ لله تعالى ثم لهم من أقرأ القلب والنصح لما يصلحهم بما يكون فرأوا له سنتي مضت له بضع وعشرون سنة فيما هو فان له من الليل في جملته وقد نحى أصف الليل اذ سمع نغمة من صوت عجيب بخلاف ما يسمع من مزمار باله فاختلف بقلبه وصار

ولها عما كان فيه قاوما الى جلسائه ان اسكتوا ثم أخرج رأسه من بعض طاقات القصر الى جهة الملاهي يسمع الذي وقع بقلبه فاذا النغمة قريبا

بالاقبال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها وتزيينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويتقيلان فيها جميعا وكان للاجب مع ذلك حسن جوار لصاحبها مزدكي وامر أته أربيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها فاسمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما أحرى ان تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من أمر الملك وامر أته كيف لم يغصباها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته أربيل ان تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت أربيل جماعة من الناس وأمرتهم ان يشهدوا على مزدكي بالزور انه سب للاجب الملك فاجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من سب الملك القتل ان قامت البينة فاحضرت مزدكي وقالت له باغتنا سبك انك شتمت الملك واغتبته فانكر مزدكي ذلك فاقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فامرت بقتله فقتل وأخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا أراني افلح بعدها أبدا وانا كما عن جنينة لا غنى لي وقد كانت تتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فاحسنا جواره وكف عنا الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت بنا الجوار وما دلك على اجتراء الملك علينا الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك في العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها ما كان بسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل واحد فخطفتنا بين جواره فقالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى الاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب عليهم لوليمتين قتلوه بين أظهرهم ظلما وفد آلى على نفسه انهما ان لم يتوبا من صنعهما ورد الجنينة على ورثة مزدكي والا يهلكهما يعني الاجب وامرأته في جوف الجنينة أشر ما يكون بسفلة مهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما عن لحومهما ولا يعتبان بها الا قليلا قال فاتاه الياس وأخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا وسمى ملوكا منهم عبدوا الاوثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون ولكن ما ينقص من دنياهم ولامن أمرهم الذي تزعم أنه باطل شيء وما أرى لكم علينا من فضل قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بالشر رفعه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل فارتفق الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارا فيقال انه بقي فيه سبع سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا على العيون يتوقعون أخباره ويجتهدون في أخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء فلبث له سبع سنين أذن الله تعالى في اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فامر ض الله تعالى ابن الملك الاجب وكان أحب أولاده اليه وأعزهم عليه وأشبههم به فلاطف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل فعظموه وحتى انهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بعلبك وجعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناءه وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم فيكلمهم بانواع الكلام والاربعمائة يصغون باذانهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شرعا من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونها الانبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك أن يشفعوا له الى بعل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوهم فلم يجبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يكنه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم مجتهدون في التضرع اليه والمريض لا يزداد ذلك الا ألما وجهدا فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب أيها الملك ان في ناحية الشأم آلهة أخرى وهي في العظم مثل الهك فاتيت اليها الانبياء يشفعون لك اليها فلعلها أن تشفع لك الى بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى مرض ابنك فقال لا يجب لاي شيء غضب علي وأنا أطلب رضاه ولم أسخطه ساعة قط قالوا من أجل انك لم تقتل الياس

وقد ملئت قلبه حتى شقاء البال وهو كافر بالله يعبد غيره فذلك الذي أغضبه علي. قال فقال لاجب وكيف لي أن أقتله في
يومي هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس لأحد من الناس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو قد برئ ابني
تفرغت لطلبه ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى آخذه وأقتله وأريح الهي منه وأرضيه قال ثم انه بعث الأربعمائة
نبي ليشفعوا الى الآلهة التي بالشأم ويسألوها أن تشفع الى صنم الملك ليشفي ابنه فانطلقوا الى الأصنام وكلموها
فمنع الله عز وجل الشيطان الولوج في الأصنام ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبروه بذلك فقال الملك وكيف لي
أن أقتل الياس في هذا اليوم قال فخرج أربعمائة حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس أوحى الله اليه أن
يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فاني سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في
قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله أرسلني اليكم والى من وراءكم
فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوها صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم
يا لاجب اني أنا الله لا اله الا أنا اله بني اسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يعد لك جهلك وقلة
علمك على أن تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يملكون لأنفسهم شيئا الا ما شئت واني آليت باسمي
لأغيظنك في ابنك ولأميتنه من فوره هذا حتى تعلم أن أحدا لا يملك له شيئا دوني فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد
ملئوا منه رعبا فلما صاروا الى الملك وصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الياس وأخبروه بأن الياس انحط عليهم من
الجبل وهو رجل نحيف طويل قد نشف وقحل وقمط شعره ويبس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها
على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقفنا صار معنا قذف له في قلوبنا الرعب والهيبة وانقطعت ألسنتنا ونحن في
هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر أن نكلمه ونراجعه ولا أن نملأ أعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا
عليه كلام الياس فقال لاجب لا ننتفع بالحياة ما دام الياس حيا فما الذي منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه
وتوثقوه وتأتوني به وأنتم تعلمون أنه طلبتي وعدوي قالوا له قد أخبرناك بالذي منعنا منه ومن كلامه والبطش به
فقال لاجب اذا ما يطلب الياس الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه من ذوي القوة والبأس
وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه وأن يطمعوه بأنهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليستنيم اليهم ويغتر
بهم ويمكنهم من نفسه فيأتوا به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه الياس عليه السلام ثم انهم
تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبي الله ابرز لنا وامنن علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك
وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا وهم منتظرون بذلك ويقرؤون عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالاتك وعرفنا
ما قلت وآمنا بك وأجبناك الى ما دعوتنا اليه فهلم الينا فانك نبينا ورسول ربنا فأقم بين أظهرنا واحكم بيننا فانا
ننقاد لما أمرتنا وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك أن تتخلف عنا مع ايماننا وطاعتنا فتدارك وارجع
الينا وكل هذا كان مكرا منهم وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقعت في قلبه وطمع في ايمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه
ان هو لم يظهر لهم ولم يجبهم بعد الذي سمع منهم فلما عزم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لو أني دعوت الله
وسألته أن يعلمني ما في نفوسهم ويطلعني على حقيقة أمرهم وكان ذلك الهاما من الله تعالى وتوفيقا فقال
اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في البروز وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم فما
استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعين قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع عن همه السوء
واحتال ثانيا في أمر الياس فقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن في الحيلة والرأي فأقبلوا
حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطواته انا
لسنا كالذين أتوك قبلنا ان أولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك لمكر بك من غير رأينا ولا علمنا ولو علمنا بهم
لقتلناهم والآن قد كفاك الله أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا
الله بدعوته الأولى فأمطر عليهم نارا فاحترقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك في البلاء الشديد من وجعه كما
وعده الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك أصحابه
ثانيا ازداد غيظا الى غيظه وأراد أن يخرج في طلب الياس بنفسه الا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو

مصفوفة وأكوابهم وضرعتهم ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة في ظلال وعيون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون
أكلها دائم وظلها تلك
عقبى الذين اتقوا وعقبى
الكافرين النار نار وأي
نار ان المجرمين في عذاب
جهنم خالدون لا يفتر عنهم
وهم فيه مبلسون في
ضلال وسعر يوم يسحبون
في النار على وجوههم
ذوقوا مس سقر يود
المجرم لو يفتدي من
عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته وأخيه وفصيلته
التي تؤويه ومن في
الارض جميعا ثم ينجيه
كلا انها لظى نزاعة
للشوى تدعو من أدبر
وتولى وجمع فأوعى في
جهنم خالدين وعذاب
شديد ومقت من رب
العالمين وما هم منها
بمخرجين قال عصام
الواعظ من ...
وعاتق الشاب ...
... وقال ...
...
...
... الشاب ...
... وينتحب ...
... الشاب ...
أن أصبح وقد عاهد الله
تعالى أن لا يعود الى
معصية أبدا فلما أصبح
أطعم ... وأمر
بالفضة والذهب
والجواهر وأنواع اللباس
فباعها كلها وتصدق بها
وقطع الاجور على نفسه
ورد الضياع المقتطعة
وباع ضياعه وعبيده
وجواريه وأعتق من أخيار العتق وتصدق بجميع ماله كله ولبس الصوف الخشن وأكل الشعير بعد التنعم بأنفس المآكل والمشارب والمرام

الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجاله أن يأنس اليه فينزل معه وأظهر للكاتب انه لا يريد بالياس سوأ ولا مكروها وانما أظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وكان الله مع الياس اطلعه على ايمانه فضى عنه لما هو علم من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة بالامور فالماوجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وعهد اليهم دون الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوه به ان أراد التخلف عنهم وان جاء معهم آمنا بالكاتب وانقا بمكانته لم يرجفوه ولم يروعوه ثم انه أظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لى أن أتوب وانه قد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذى فيه انى وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس وليست آمن أن يدعو على وعلى جميع قومى فهلك بدعوته فكن رسولا اليه وأخبره أنا قد تبنا وأيقنا انه لا يصلحنا فى توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلع أصنامنا الا أن يكون الياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضى ربنا قال ثم انه أمر قومه أن يعتزلوا الاصنام وقال له اخبر الياس بانا قد خلعنا آلهتنا التى كنا نعبد وقد أهملنا أمرها حتى ينزل الينا فيكون هو الذى يحرقها برأيه لكيما وكان ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وأنس به وكان مشتاقا الى لقائه فاوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى أنيسك الصالح فالقه وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثنى الملك هذا الجبار الطاغى وقومه وقص عليه ما قال له وقال له انى خائف ان رجعت اليه ولست معى أن يقتلنى فأمرنى بما شئت ان أفعله وأنتهى اليه ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت أرسلتنى اليه بما تحب فانا بلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا قال فاوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليفروا بك وان لا جب ان أخبره رسلى انك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اليه فانه يتهمه ويعرف أنه قد داهن فى أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذر وبراءة عندى لا جب وانى سأشغله عنك وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فاذا مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لا جب فلما دخلوا عليه شد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك لا جب وأصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لا جب وفرغوا من أمره وفرجعوا انتبه لا لياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذى جاءه فقال له ليس لى به علم غير ذلك أنه قد شغلنى عنه موت ابنى فلبثوا يجزع عليه ولم أكن أحسب الا قد استوثقت منه فطرق عنه لا جب وترك ما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من المكث فى الجبل والمقام به واشتاق الى العمران والناس نزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بنى اسرائيل وهى أم يونس بن متى ذى النون فاستخفى عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس عليه السلام ضاق اليوم بعد تعوده فى الجبال ودرجها فأحب اللحوق بالجبال فعاد الى مكانه فى الجبال فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم يلبث الا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت فى طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه وقالت له انى فجعت بعد لقوت ابنى وعظمت به مصيبتى واشتد افتقده بلائى وليس لى ولد غيره فارحمنى وادع ربك تعالى أن يحيى لى ابنى ويجبر مصيبتى فانى قد تركته صبيا لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما أمرت به وانما أنا عبد مأمور أعمل بما أمرنى ربى به ولم يأمرنى بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها وهى ماتت ابنك فقالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى الى منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فاحياه الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا وأجهده البلاء فاوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو نائف مذعور مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ألست أمينى على وحيى وخيرتى فى أرضى وصفوتى من خلقى فاسألنى أعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام

تمنيني وتطمعني يا أبتي فإني قد سألت بني إسرائيل وملوني وأبغضوني وأوحى الله إليه يا إلياس ما هذا اليوم الذي أمري منك الأرض وأهلها وأراك تقوم لها وصلاحها بك وأنت هارب ولكن سأني أعطيك قال إلياس فإن لم تعطني يا إلهي فاعطني ثاري من بني إسرائيل فأوحى الله تعالى إليه فأي شيء تريد أن أعطيك يا إلياس قال تمكنني من خزائن السماء سبع سنين فلا شيء تحلبهم بعجلة الابد عوني ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتي فإنهم لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى يا إلياس أنا أرحم بعبادي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فاربع سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين ولكنني أعطيك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أمطر عليهم سحابة الا بدعوتك ولا أنزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال إلياس فرأى نبي أعيش قال أحضر لك جبشا من الدير تنقل السمك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تطمحها قال إلياس قد رضيت فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا وإلياس على حاله مختف من قومه يوضع ينساق له فيه الرزق وياتيه حيثما كان وقد عرف ذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل إلياس هذا المكان فيطلبونه ويأتي منهم أهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس أصاب بني إسرائيل القحط ثلاث سنين متوالية فأمر إلياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فأمره بشيء من الدقيق والزيت فدعا لهم ما بارك الله في ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا هو ذا لك إلياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله أعلم

(قصة اليسع عليه السلام)

ثم ان إلياس أتى الى بيت اسى أقمن بني إسرائيل له ابن يسمى اليسع بن أخطوب وكان به ضرفا آذنه وأنحفت أمره فدعا الله فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع إلياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان إلياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى أوحى الى إلياس عليه السلام انك قد أهلكت كثيرا من خلقي ممن لم يعصني من بني إسرائيل من البهائم والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني إسرائيل فيزعمون والله أعلم ان الياس قال رب دعني أكون الذي أدعو لهم بأن تهبهم بالفرج عما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فاتى إلياس الى بني إسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا بعهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم خطايانا كم وذنوبكم على يا طل وغرور فان كنتم تحبون ان تعلموا أن أمسككم التي تدعونها من دون الله ان تغني عنكم شيأ فاخرجوا بأصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على يا طل وغرور فتزعتم عنها ودعوت الله تعالى لكم أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء فقالوا أنصفت فخرجوا ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا إلياس لقد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله إلياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج عما هم فيه وان يسقوا فرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم أرسل الله عليهم المطر فاغاثهم وأسبت بلادهم قال فشكوا الى إلياس هدم الجدران وعدم البذر وقالوا ليست لنا حبوب فأوحى الله تعالى اليه ان يأمرهم ان يبذروا الملح في الارض ففعلوا فانبت الله لهم منه الحنطة وأمرهم أن يبذروا الرمل فانبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم وأقاموا على أسوأ ما كانوا عليه فلما رأى إلياس ذلك دعا ربه أن يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شيء فاركبه ولا تهم به فخرج إلياس ومعه اليسع بن اخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه إلياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا إلياس ماذا ترى فيما به فقذف اليه كساءه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بني إسرائيل وذهب إلياس فكان ذلك آخر

أذكر المناجاة فقد يعلمك ما لم تعلم فقد العلم أسأل العصمة قال

أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين فكشف هرون الضباب بيده وقال لبيك يابم لول لبيك

يابم لول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أعين بن نائل عن قدامة ابن عبد الله العامري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يمشي على جمل وهو يحمل رمثا طرد ولا ضرب وكان متوانيا في سيره فتوانيا في سفرك هذا يا أمير المؤمنين تخبرا من تكابره وتجبره قال فقبل هرون الرشيد حتى تساقطت دموعه على الارض ثم قال زدنا يابم لول فانشد

فهب ذا ان ملكت الارض طرا
ودان الله العباد فكان ماذا
أليس ترى مقالك جوف قبر
وتعفو تربة الترب عليك هذا

قال فبكى هرون ثم قال أحسنت يابم لول هل غير فقال نعم يا أمير المؤمنين رجل أتاه الله مالا وجمالا فانفق ماله وعفى فيما لله كتبه الله تعالى في ديوان الابرار فقال أحسنت يابم لول سمع الهيثم قال اردد الهيثم على من أخذنا منه فلما جاءني بهم قال يابم لول ان كان عليك دين قضيناه فقال يا أمير المؤمنين لا يقضي دين بدين أردد الحق الى أهله واقض دين نفسك بنفسك قال يابم لول

الهدية ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان أنس ملكيا سماويا أرضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم فقتل لاجب الملك وامرأته في بستان مزدكى فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل وأوحى الله تعالى اليه وأيده بمثل ما أيد به عبده الياس فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وينتهون الى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقهم اليسع (أخبرنا) أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام (وأخبرني) ابن فنحويه عن رجل من أهل عسقلان انه كان يمشي بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من أنت فقال أنا الياس قال فوقعت على رعدة شديدة فقلت له ادع الله لي أن يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك قال فدعا لي بثمان دعوات وهن يا رب يا رحيم يا حنان يا منان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما وقيل هما يا هيا شراهيا فرفع الله عني ما كنت أجد ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت له أوحي اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الي قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم أحياء قال أربعة اثنان في الارض واثنان في السماء أما اللذان في السماء فعيسى وادريس عليهما السلام وأما اللذان في الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطئ الفرات وعشرة بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما أذهب الله واستدامتهم بهاما آخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر أين يكون قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه فال نعم قلت أين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان ابن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول والشاهد في النار قلت فانى قد شهدت ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام ان أعود الى مثله أبدا قال أحسنت فهكذا فكن قال فبينما أنا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضا من الثلج فاكلت أنا وهو وغيفان بعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفع باقي الرغيف الآخر فما رأيت أحدا وضعه ولا رأيت أحدا رفعه قال وله ناقة ترعى في وادي الاردن فرفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها وقلت له اني أريد أن أصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له اني تعالوا زوجتني ولا عيال قال تزوج واياك والنساء الاربع الناشزة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت اني أحب أن أقتل قال اذا رأيتني فقد لقيتني اني أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما أدري كيف ذهب وهذا آخر القصة

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال جماعة لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لي بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدري به العيون فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال أنا أعمل ذلك فاستخلفه قال فلما رآه ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم فقال دعوني واياه فاتاه في صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فاني آخذ لك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر اليه الشيخ فلم يره وقام يتتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قعدت فأتني فقال انهم

أنجبت قوم اذا عرفوا الملك قاعد يقولون شحن نعليك سقلن واذا قمت بعدوني قال فانطلق فاذا رجعت فاتني وفاته القافلة فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أقوم فانه قد شق علي عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أصبح نظر فاذا كوة في البيت فنسور منها فاذا هو في البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم آمرك أن لا تأذن لاحد علي فقال أمامن قبلي فما أتى فانظر من قبل من أتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الشيخ معه في البيت فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال له ياعدو الله ما أجرأك على هذه الفعال فقال له انك أعيتني في كل شئ أردت بك نفسعات معك فما تراني لا غضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به

(أخبرنا) ابن فضويه قال حدثنا عمر بن المفضل عن أبي هاشم أخبرنا ابن الفضل قال أخبرنا الاعمش عن عبد الله ابن عبيد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لم أسمعه الا مرة أو مرتين لم أسمعه منه أكثر من سبع مرات يقول كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا يتنزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فاعطاها ستين دينارا على أن تعلية نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل فاني ما فعلته قط فقال لها أكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فهي لك ثم انه قال والله لا أعصي الله بعدها فمات أبا الفان من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على بابه مكتوبا ان الله تعالى قد غفر لذي الكفل * وقال أبو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فاحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب

(مجلس في قصة عيلي وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة)

قال الله تعالى ألم تر الى الملا من بني اسرائيل الآية

(فصل في سياق الآية ومقدمة القصة) قال وهب بن منبه لما بأ الله تعالى للبسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بني اسرائيل وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلوف فعلمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت و يرجعون به معهم الا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في أرزاقهم فكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على حفرة ثم يبذر فيها الحب فتنبع الله له ما يأكله منه هو وعياله و يكون لاحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة فلما كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم سلط الله عليهم العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان ببالوت الملك فيهم فقاهر وا على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبنائهم ملوكهم أو بعامائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توارثهم و بقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتعادون أحيانا في غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم لهم منهم ليرجعوا الى التوبة أحيانا ويكفهم الله شر من بقي عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توارثهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون الى آل أمر بني اسرائيل في بعضها الى الرياسة منهم وفي بعضها الى غيرهم من يقهرهم و يغلبهم عليهم الى أن ثبت الملك فيهم و رجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام أربعمائة سنة وستين سنة وكان آخرمن ملكهم في هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بامرهم مدة بعث الله شمويل نبيا

(القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم)

قال وهب بن منبه كان لابي شمويل امرأتان احداهما يقال لها حزقا ولم تلد ولدا وهي أم شمويل والاخرى قد

لعفريت آخر من هذا البحر وائتني به بعجله فغاص العفريت ورجع بعد ساعتين وقال مثل ما قاله الاول فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك فقال العفريت يا نبي الله غصت مثل ما غاصت الاولى مرتين فلم أجد شيئا فقال سليمان عليه السلام لا تصغ برئيا وزبرماض في هذا البحر وائتني به فيه قال فغاص آصف في البحر ساعة وأتاه بقبضة عظيمة من الكافور الابيض له أربعة أبواب باب من الدر وباب من الياقوت وباب من الجوهر وباب من الزبرجد والابواب كلها مفتحة ولم يدخل قعر البحر قطرة من الماء وهي في مكان عميق فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام فنظر فيها فاذا في وسطها شاب جميل حسن الشباب نظيف الاثواب قائم يصلي فدخل سليمان عليه السلام فصلى ركعتين وقال ما أنزلك الى قاع هذا البحر فقال يا نبي الله أحدثت بقضي قال نعم فقال كان لي أب مقعد ووالدة عمياء فأقمت في خدمتهما سبعين سنة فلما حضرت وفاة والدي

فقالت عند موتها اللهم أطل حياة ولدي في طاعتك واسأل في والدي قال فتعجبت الهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل

ولدت له عشرة أولاد قال ولكان لبني اسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائعه وقربوا القرابين فحضر أبو شمويل وامرأته وأولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة أنصباء وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغي فقالت أم الاولاد للعجوز الحمد لله الذي كثر بني ولدي وقالت لو جئت العجوز وجدتها شديدا فلما كان عند السحر عمدت الى متعبدها فقالت لهم يا معلمي وسيدي كانت مة لك صابرة واستعانت بك على نفسها التي أنعمتها عليها وأنت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فارحم ضعفي وارزقني ولدا تقر به عيني واجعله لك ذخرا في مسجدك من مساجدك يعبدك ولا يكفر بك ويطيعك ولا يعصيك فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي وأجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد يئست من المحيض فجعل الله علامة لما سألته فألم بها زوجها فعلمت وكتمت أمرها واتى بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها تعجبوا من أمرها وقالوا ما حملت هذه الا بنبي لان النساء لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وايشاع امرأة زكريا حملت بيحيى عليه السلام فاخذوها وحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما وسمته شمويل تقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلي وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلي الكاهن وكان لا يأمن عليه أحدا فدعا جبريل بلهن الشيخ يا شمويل فقام الغلام فزعا مسرعا الى الشيخ وقال يا أبتاه أدعوتني فكره الشيخ أن يقول لا فيزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فانتبه الغلام وقال أدعوتني يا أبتاه قال الشيخ ما شأنك قال أما دعوتني قال لا فقال شمويل فاني سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثالثة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الرابعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الخامسة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السادسة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السابعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثامنة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه التاسعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه العاشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الحادية عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثانية عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثالثة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الرابعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الخامسة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السادسة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السابعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثامنة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه التاسعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه العشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الحادية والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثانية والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثالثة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الرابعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الخامسة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السادسة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السابعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثامنة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه التاسعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الحادية والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثانية والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثالثة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الرابعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الخامسة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السادسة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السابعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثامنة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه التاسعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الحادية والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثانية والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثالثة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الرابعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الخامسة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السادسة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السابعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثامنة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه التاسعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الحادية والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثانية والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثالثة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الرابعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الخامسة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السادسة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السابعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثامنة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه التاسعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الحادية والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثانية والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثالثة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الرابعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الخامسة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السادسة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السابعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثامنة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه التاسعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الحادية والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثانية والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثالثة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الرابعة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الخامسة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السادسة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السابعة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثامنة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه التاسعة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الحادية والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثانية والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثالثة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الرابعة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الخامسة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السادسة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السابعة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثامنة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه التاسعة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه التسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الحادية والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثانية والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثالثة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الرابعة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الخامسة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السادسة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه السابعة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثامنة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه التاسعة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والواحدة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثانية فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثالثة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والرابعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والخامسة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسادسة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسابعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثامنة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والتاسعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والعاشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والحادية عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثانية عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثالثة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والرابعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والخامسة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسادسة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسابعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثامنة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والتاسعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والحادية والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثانية والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثالثة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والرابعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والخامسة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسادسة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسابعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثامنة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والتاسعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والحادية والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثانية والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثالثة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والرابعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والخامسة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسادسة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسابعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثامنة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والتاسعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والحادية والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثانية والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثالثة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والرابعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والخامسة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسادسة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسابعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثامنة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والتاسعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والحادية والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثانية والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثالثة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والرابعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والخامسة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسادسة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسابعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثامنة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والتاسعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والحادية والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثانية والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثالثة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والرابعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والخامسة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسادسة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسابعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثامنة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والتاسعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والحادية والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثانية والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثالثة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والرابعة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والخامسة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسادسة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسابعة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثامنة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والتاسعة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والحادية والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثانية والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثالثة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والرابعة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والخامسة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسادسة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسابعة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثامنة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والتاسعة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والحادية والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثانية والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثالثة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والرابعة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والخامسة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسادسة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والسابعة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والثامنة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائة والتاسعة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والواحدة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثانية فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثالثة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والرابعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والخامسة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسادسة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسابعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثامنة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والتاسعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والعاشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والحادية عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثانية عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثالثة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والرابعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والخامسة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسادسة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسابعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثامنة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والتاسعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والحادية والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثانية والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثالثة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والرابعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والخامسة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسادسة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسابعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثامنة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والتاسعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والحادية والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثانية والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثالثة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والرابعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والخامسة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسادسة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسابعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثامنة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والتاسعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والحادية والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثانية والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثالثة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والرابعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والخامسة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسادسة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسابعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثامنة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والتاسعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والحادية والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثانية والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثالثة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والرابعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والخامسة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسادسة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسابعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثامنة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والتاسعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والحادية والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثانية والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثالثة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والرابعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والخامسة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسادسة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسابعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثامنة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والتاسعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والحادية والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثانية والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثالثة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والرابعة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والخامسة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسادسة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسابعة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثامنة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والتاسعة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والحادية والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثانية والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثالثة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والرابعة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والخامسة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسادسة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسابعة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثامنة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والتاسعة والثمانون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والحادية والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثانية والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثالثة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والرابعة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والخامسة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسادسة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والسابعة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والثامنة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه المائتان والتاسعة والتسعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والواحدة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثانية فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثالثة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والرابعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والخامسة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسادسة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسابعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثامنة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والتاسعة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والعاشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والحادية عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثانية عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثالثة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والرابعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والخامسة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسادسة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسابعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثامنة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والتاسعة عشرة فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والحادية والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثانية والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثالثة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والرابعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والخامسة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسادسة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسابعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثامنة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والتاسعة والعشرون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والحادية والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثانية والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثالثة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والرابعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والخامسة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسادسة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسابعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثامنة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والتاسعة والثلاثون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والحادية والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثانية والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثالثة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والرابعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والخامسة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسادسة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسابعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثامنة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والتاسعة والاربعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والحادية والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثانية والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثالثة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والرابعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والخامسة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسادسة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسابعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثامنة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والتاسعة والخمسون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والحادية والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثانية والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثالثة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والرابعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والخامسة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسادسة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسابعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثامنة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والتاسعة والستون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والحادية والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثانية والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والثالثة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والرابعة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والخامسة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسادسة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع ونام فناداه الثلاثمائة والسابعة والسبعون فقال له الشيخ ارجع فنم ف

عشر سنين فلما رأوا ذلهم الذل والهوان والقتل والسبي من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوا نبيهم شمويل أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملك وطاعة الملك لنبيه وكان الملك هو الذي يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبي منهم هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى (قال وهب بن منبه) بعث الله شمويل نبيا لهم وأقام بين سنة في أحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم ملكا بذلك قوله تعالى ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله يعني شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بالي بن علقمة بن ماسبد بن عموصا بن النهرس بن صفون بن علقمة بن صاحب بن عموصا بن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلقانا وليس بأكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما أخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا *(ذكر قصة الملك طالوت وإتيان التابوت وحربه جالوت وما يتعلق به)*

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون إن شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا فأتي بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له إن صاحبكم الذي يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر إلى القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم إنهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت يطلبها واسمه بالسريانية ساذل وبالعبرانية شاول بن يشي بن أفيل بن مسار وبن نحورت بن أفيح بن أنيس بن يذلمين بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وكان رجلا دباغا يعمل الأدم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ إلى أن مات وقال عكرمة والسدي وقولان كان سقاء يستقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لأبي طالوت فأرسله وغلاما له يطلبانها فمر بيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه في أمر الحمر لعل يرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شيئا لحمر اذ نش الدهن من القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال له شمويل فرسم أسألك إلى فدهنه بدهن القدس ثم إنه قال له أنت ملك بني إسرائيل وقد أمرني ربي أن أملكك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أوما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل قال بلى قال أوما علمت أن بيتي أدنى بيوت بني إسرائيل قال بلى فبأي آية قال يا نبي الله الخبر جمع وجد أبوك الحمر فكان كذلك ثم إن شمويل قال لبني إسرائيل إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال فجاهد أمير على الجيش فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وإنما كان الواد ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط ملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط الملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط الملكة وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا أهل أنساب عامتهم كانوا يتعلمون النسب على ظهر العاريق فلما رأوه لا يفضي إلى النبوة ولا إلى الملك عابوا عليه ذلك وقالوا أنكر وا ذلك لأنه كان من ذلك السبط فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ومع ذلك إنه فقير لم يؤت سعة من المال فقال لهم شمويل إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم يعني بالطول في قوة الجسم والقوة وإنما سمي طالوت لطوله ولذلك كان يطوف الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن عباس بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم فقالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الآية

(قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه)

قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار إن الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة فيه صور الأنبياء من ذريته فتوارثوه كابرا عن كابر فتداولته الأمم حتى وقع إلى العمالقة فغلبوا عليه وأخذوه منهم قهرا فلما رأى بنو إسرائيل ما فعل بهم العمالقة وأخذ منهم التابوت وكانوا يقاتلونهم فيظفرون بهم ويأخذون التابوت منهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك وقالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل معه في سبيل الله فلما ملكهم عليهم وأتاهم بالتابوت علموا أن الظفر لهم بالتابوت فأقروا بملكه وأطاعوه وقاتلوا معه وكان التابوت فيما ذكر من خشب الشمشار طوله ثلاثة أذرع في ذراعين وشبر وكان من أعظم ما يتبرك به بنو إسرائيل وكانوا إذا قاتلوا قدموه بين أيديهم يستفتحون به فيقاتلون خلفه فيظفرون بعدوهم وكان فيه ما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة وقال ابن عباس التابوت الذي أنزل على آدم عليه السلام فيه صور الأنبياء من ولده وكان عند آل إبراهيم فتوارثه آل يعقوب بعد آل إبراهيم وكان عند آل يعقوب فلما فقدوه بعد موت يوشع بن نون وقعوا في البلاء من الله تعالى وهذا هو ذكره والله أعلم آمين (وقال الشيخ أبو بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه) أنه قال خرجت بوما إلى أدحاي وكانوا ثلاثة وأربعين رجلا فقلت لهم يا قوم إن الله تعالى قد تكفل بأرزاق العباد فقال عزيز من قائل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فتوكلوا على الله واعتمدوا ثم تركتهم ومضيت فأقاموا ثلاثة أيام لم يفتح عليهم بشيء فلما كان اليوم الرابع دخلت عليهم وقلت لهم

ما بقي في بعض البلاد فسافرت لها فأدركتني الصلاة فعدلت عن الطريق إلى المسجد الذي كان يصلي فيه فصليت صلاة فإذا هو بإنسان في قبر إلهه فتشوش بالي من ذلك فرأيت في نفسي سرا أقيم عند هذا الفقير أعلمه وأتركه حتى فهذا أولى فلما سلمنا من الصلاة التفت إلي وقال يا عبد العزيز ما لحق ما جئت له الذي جئت بطلبه وما عليك من اللوم والتمام تجيء من مكاشفته على وخرجت في الحال سريعا إلى صاحبي كما أشار فلما دخلت البلد وجدت صاحبي الذي عنده ما جئتني بريد السفر ورحيله في الركاب كما قال فلما رآني قام إلي وتبسم بوجهي وحياني وأدناني فازددت تعجبا من ذلك فلما جلست الأمدة سيرته فتوفي اليوم الثالث بإذن الله تعالى وهذا هو ربنا الله عز وجل آمين (وقال الشيخ أبو بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه) أنه قال خرجت بوما إلى أدحاي وكانوا ثلاثة وأربعين رجلا فقلت لهم يا قوم إن الله تعالى قد تكفل بأرزاق العباد فقال عزيز من قائل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فتوكلوا على الله واعتمدوا ثم تركتهم ومضيت فأقاموا ثلاثة أيام لم يفتح عليهم بشيء فلما كان اليوم الرابع دخلت عليهم وقلت لهم

فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد بدلا تأخذه في الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بارز من البررة ومن بين يديه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة الخضراء أنصار الله وأنصار رسوله نور سواد وافر دواجهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان التابوت نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه الامشاط مموها بالذهب وكان عند آدم عليه السلام الى أن مات ثم عند شيث الى أن مات ثم توارثه أولاد آدم الى أن بلغ الى ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولده فلما مات اسمعيل كان عند ولده قيذار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا له ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور الواحد يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم فاعطانا التابوت فكان عندنا عليهم ويقول انه وصية أبي ولا أعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فعسر عليه فتحه فاذا مناد من السماء مهلا يا قيذار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتحه الا نبي فاد نما الى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صرة التابوت صرة مموها بعقوب عليه السلام فقال لبنيه أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا بنحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيذار سعى اليه باكيا وقال يا قيذار مالي أرى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أرهقك عدو أم أتيت معصية بعد أبيك اسمعيل قال ما أرهقني عدو ولا أتيت معصية ولكن أثقل ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فذلك تغير لوني وضعف ركني قال يعقوب أفي بنات اسحق قال لا ولكن في العربية بارفهمية وهي العامرية فقال يعقوب نعم نبي شريف اسمه محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات يا قيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وما هي قال اعلم ان العامرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال قيذار وما علمك يا ابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لاني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نور القمر المدور بين السماء والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت ان ذلك من أجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى أهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه ملاوفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى أن وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى أن مات ثم تداولته أنبياء بني اسرائيل الى وقت شمويل عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه وكان فيه مما ذكر الله في كتابه فيه سكينة من ربكم (واختلفوا في السكينة) ما هي فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه السكينة ريح خجوج هفافة لها رأس ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل في السكينة رأس هيرة كانت اذا صرخت في التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح (وروى) السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال هي ملائكة من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء (وروى) بكار بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هي روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وبقية ما ترك آل موسى وآل هرون (قال المفسرون) فيه عصا موسى ورضاض الالواح وذلك ان موسى لما ألقى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقي فجعله في التابوت وكان فيه أيضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل ونعلا موسى وعصاه هرون وعصاه فالوا وكان التابوت عند بني اسرائيل اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال أقاموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك في أيام عيلي الكاهن الذي بشمويل وقد مضت القصة فيه وكان جلوت يوم سبى قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختل أمر بني اسرائيل الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على ملكه

فانظروا الى أسدقكم
فلما خرج عيسى أن
يأتيكم بشيء من القوت
قال فاشتاروا رجلا
فقيرا منهم فخرج ومشى
في شوارع بغداد فلم
يفتح الله عليه بشيء فانفذه
الجوع وأعياه العطش
فجلس عند دكان طبيب
نصراني عليه من الناس
جمع كثير وهو واصف
لكل منهم دواء فنظر
النصراني الى الفقير
وقال ما لك وما عليك
فكره الفقير أن يشكو
الجوع الى نصراني ثم مد
يده اليه ليجسه فلما
جسها النصراني قال أنا
أعرف علتك هذه
وعندي دواؤها ثم التفت
الى غلامه وقال له امض
الى السوق واشتر لي برطل
خبز ورطل شوى
ورطل حلاوى فمضى
الغلام الى السوق وأتاه
بذلك فقال خذ هذا
دواء علتك فقال الفقير
للنصراني ان كنت صادقا
في حكمتك فهذه العلة
بأربعين رجلا مثلي
فقال النصراني لغلامه
امض الى السوق مسرعا
واشتر بأربعين رطلا من
ذلك فمضى الغلام الى
السوق وأتى بذلك
جميعه على حمال فقال
النصراني اذهب بذلك
الى أصحابك فذهب
الفقير والحمال معه
وأتيهما النصراني بعد

فاعتبر صدق ذلك الفقير فأسارع دخل الفقير الى أصحابه بالدورة وقف النصراني بخلاف طاقة ينظر فقال

فقال لهم شمويل ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت (وكانت قصة) ذلك التابوت أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها الرذن وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فلما جوا من الغد واذا الصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوق سرير واقدموا الصنم على التابوت فاصبحوا من الغد وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت فاصبحت الاصنام كلها منكسة فاخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض ألبس قد علمتم ان الله بني اسرائيل لا يقوم له شئ فاخرجوه من مدينتكم قال فاخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية قارورا يبيت الرجل صحيحا فيقرضه الفأر فيصبح ميتا وقد أكلت ما في جوفه فاخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه في مجرى لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فاخرجوه ووضعوه في بيت فمكث فيهم عشر سنين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه الا احترق وأصابهم في المدينة الاقاب والعاهات وفي مواشيهم الموت وفي نسائهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بني اسرائيل من أولاد الانبياء فقالت انكم لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بجهله باشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم عاقروها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران وكل الله بهما أربعين من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بارض الا كانت مقدسة فاقبلا حتى وقفا على أرض فدراحة ابني اسرائيل فكسرا نرثهما وقطع حبالهما ووضع التابوت فيها وجمع الثوران الى أرضهما فلم تدر بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة أي تسوقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليهم حتى وضعته في دار طالوت فآمنوا بملكه قال الله تعالى ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله أعلم

(باب قصة شمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بني اسرائيل وصفة تمر الابتلاء)

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما أوحى الله الى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير الى بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو ضرير لضره أو معسر لعذره وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو النصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي فيما أرى لا يخرج معي رجل بنى بها ولم يفرغ منه ولا صاحب حلوة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل جدل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعني الا الشاب الناشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على ثمانية فرسخ منهم وكان في وقت شديد فشكوا الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان الماء لا يحملنا فادعى الله تعالى أن يجري لهم نهرا فقال لهم طالوت بامر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر فمن شربكم لم يرو طاعتكم وهو أعلم بكم وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذب بارد الماء فمن شرب منه فارتوى من أهل ديني وطاعتي ومن لم يرتو منه فليس من أهل ديني وطاعتي فقال الامن اغترف غرفة بيده فانه مني ثم استثنى فقال الامن اغترف غرفة بيده وهو ولي الكفاية ومن فتح الذين أرادوا المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال) السدي كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوزه معه الا مؤمن قال وكانوا بضعة عشر وثلاثمائة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوي قلبه وصح وريح اصحابه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا ونالوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ائتموا معه قالوا يعني الذين شربوا ونالوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أي يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ائتموا مع طالوت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية وهذا قاصد في الجهاد

يقول للعشاق هيا فلم نزل نسير حتى انتهينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة أشجارها من ذهب وأنهارها ياقوت فوجدنا

اليهم فوضع الفقير ذلك بينهم ثم نادوا الله بحق أبي بكر الشبلي فحضر فسألهم عن ذلك فاخبره الفقير بقصة

فقال الشبلي أترضون أن نأكل طعامكم نصراني بغير ثمن فقالوا وما كان أنه قال ان تشهدوا لله بالاسلام قبل ان تأكلوا طعامه قال فشهدوا لله بالاسلام وهو يسمع فلما رأى النصراني أسلامكم من الطعام مع حاجتهم له ترك الطاقة وقطع الزنار ودخل اليهم وقال يا شبلي امددني فاني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وحسن اسلامه وصار من جملة أصحاب الشبلي ورضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين

(وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم) قال رأيت سعيد بن المسيب رضي الله عنه وهو يصلي الصبح بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة قال وكان يمر بين القبور فيقول لأهلها أنا باق بعدكم فاقبلت الى أسعد بن موسى وقال أين تريد يا سعد فقلت لهم ان أسير معكم أين تسيرون سيروا فسيروا فقال أحدهم انك لا تقدر على المسير الى الموضع الذي نقصده فانه لا يصل اليه الا من بلغ عمره أو بعين سنة فقال الا تعودون بعد أن يرزقنيه الله يرزقه قال فسرت معهم والارض تطوى من تحتنا طيا والعجب

وأمكنا من ثمرها ثم أخذت معي ثلاث تفاحات فلم يشعر لي من أخذها فسألتهم هذا الانصراف عن هذه المدينة فقالوا هذه مدينة الاولياء فاذا أراد الاولياء النزهة ظهروا لهم تلك المدينة أينما كانوا فدخل فيها أحد قبل الاربعين غيرك قال فلما رجعنا وجدنا مكة أعطيت الدامغاني تفاحة فقذفها فلامني أصحابي وقالوا اردد ما أعطيت الى مكانه فتركت كلما جعت أكلت من تلك التفاحة وهي لا تتغير فرجعت الى أهلي وقد بقي منها تفاحة واحدة غير التي ادخرتها لنفسي فعافتني أختي وقالت أين الذي تحفظنا به من سفرك فقلت لها وما الذي تحفظكم به وأنا بعيد عن الدنيا وعن الرائحة فتغير الحال فقالت أختي التفاحة فقلت وأي تفاحة فقالت باسكين والله لقد أدخلوني ثلاث المدينة وأنا بنت عشرين سنة وما أنت فلم ترها الا بعد أن طردوك وأنا والله جذبت اليها جذبة وخطوت اليها خطوة قال فتعجبت من كلامها وقلت يا أختي ان البدل الكبير منهم قال لي لم يدخلها أحد قبل الاربعين غيرك قالت فمر بأختي من المريدين وأما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى رغبت أن تريها كها فقلت

(باب في ذكر امر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله)

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا لما قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع الوت فمن عبر ايشا أبود ومن هنا ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وأحقرهم فأتى ان يوم اباه فقال يا أبتاه اقذفت بعقلاعي هذه شيأ الا أصبته وصرعته فقال أبشر يا بني فان الله قد جعل رزقك في ذؤابتك يعني في مقلاعك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبتاه اقد دخلت بين الجبال فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت باذنيه فلم يهمني فقبضت على فكيه ففترتهما برأسه وعنقه الى لبته بيدي من غير سكين ولا ضرب بحديد تراه هناك مقتولا فقال له أبوه أبشر يا بني فان هذا خير أعطاكه الله ثم أتاه يوما آخر وقال يا أبتاه اني لامشي بين الجبال فاسمع فايقن جبل الاسمع معي قال أبشر يا بني فان هذا خير أعطاكه الله وسيكون لك شأن عظيم قال فلما وصلت غزاة بني اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت أرسل جالوت الى طالوت أن ابرز الي أو أبرز الى من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فاتي بقرن فيه دهن القدس وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداء بني اسرائيل وأقويائهم فجربهم فلم يوافق منهم أحدا فاوحى الله الى شمويل عليه السلام ان في ولد ايشا من يقتل جالوت واني أريد أن أجعله خليفة في الارض من بعدك أعلمه فجعل الخطاب وهو راعي الغنم فقال لايشا عرض علي بنيك واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض علي بنيك فأخرج له اثني عشر ولدا أمثال السواري وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلم ير شيأ ويقول لذلك الجسيم ارجع فيرده على التنور فاوحى الله تعالى اليه انا لا ننظر الى الرجال على صورهم واشكالنا نختبرهم على صلاح هممهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا قال شمويل رب قد زعم انه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل يا ايشا التربي كذبك قال صدق الله يا نبي الله ان لي ابنا صغيرا فقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا سقيما مصفرا ازرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادي قد مال بالماء بينه وبين الزريبة التي كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل ولا يتعوض بهما الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس فدعاه فوضع القرن على رأسه فغاص واجلسه في التنور فلاء فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري حكمك في مملكتي قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم أنا راعي الغنم فيجيء الاسد والنمر والذئب فيأخذ شيأ فأقوم اليه وأقبضه وافتح فيه عنه وأخرقهما الى قفاه فلما سمع طالوت منه ذلك رده الى عسكره فمر داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هرون الذي قتل به ملك كذا وكذا فوضعه في مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملني فاني حجر موسى عليه السلام الذي قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجر لك الذي تقتل به جالوت وقد نبأني الله لك فوضعه في مخلاته فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له داود وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا فوجد في نفسه زهوا فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرني فما يغني عني هذا السلاح شيأ فدعني أقاتل كما أريد فقال له طالوت افعل ما تريد فاخذ داود عليه السلام مخلاته فقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائة رطل حديدا وكان له فرس أبلق مثله في الشدة والقوة وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز الي قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يا بني تأتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب

بالحجر قال نعم أنت أشر من الذئب قال لا جرم لا قسمن لك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود بسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع والطير السماء وأخذ حجرا ماهدا قال بسم الله اله ابراهيم ورمى به فصرعه في مصلاه وأخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله اله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج ثالثا وقال بسم الله اله يعقوب ورمى به فصرعه في مقلاعه قال فصارت الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وأدار المقلاع ورمى به فصخر الله الرأس حتى أصاب الحجر أنف البيضة فقالها دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من اجل ما خرج من قفاه تكسر ونفتت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد الا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا حثوة من التراب فانهزم الجيش وخر جالوت قتيلا وأسرع داود عليه السلام اليه فخز رأسه وانتزع من يده مقلاعه وأقبل برأسه يجره حتى القاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين يحمدون الله رب العالمين

(ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت)

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في أنفسهم فجاء داود الى طالوت وقال له أنجز لي ما وعدتني وأعطني امرأتي فقال له طالوت أتريد بذلك الملك بغير صداق بل صداق ابنتي وشائلتا بها فقال داود لطالوت ما شرطت على صداقا وليس لي شيء فحكم في الصداق بما تريد وأمر بتعيين مهرها وعلى الاداء والوفاء له به فقال طالوت أصدقها تسعمائة رأس من المالك فقال له بنو اسرائيل لا تفعل وأنجز له ما وعدته فاما رأى طالوت ميل بني اسرائيل الى داود وأحسن ثناءهم عليه وقال لاصحابه لا بني في المال ولا أكافئه الا بطريق أنتهز فيه فرصة وقت حبه الناس اعدا من المشركين فانطلق فجاءهم فاذا قلت منهم مائتي رجل وجاءني برؤسهم زوجتك ابنتي فانهم داود عليه السلام بالسعاية في ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصا بغتة فلم يصبه فانصرف داود يذكر الشهادة عن روحه وأمال نفسه من غير أن يبرح من مكانه فلما تكررت الكرة قال يا داود أردت قتلي قال طالوت لا بل أردت أن أقف على تباث عند الملمات وربما جاءك الاقران فقال له داود عليه السلام أفاقتصر على ما قد رته قال نعم ولكنك لا تعلم فرحت قال له داود ان أسلمك الله ولا أبالي به ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انتزعها من الجدار وهو رها هرة فكرة وقال له ابشر بذلك فانين طالوت بالرأس فقال له أنشدك الله وبحرمة المصاهرة التي بيني وبينك وبما كان هذا القول من داود عن حسد لقتل طالوت ولكن كان مقال تخويف وتحذير فقال داود لطالوت ان الله قد كتب في التوراة ان السيوف مقلدة أهلها أحدهما للآخر أظنك قال طالوت أملا قول قول هابيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين فقال داود اني قد عفوت عنك لوجه الله تعالى ولبث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله في داره فانتهز بنت طالوت زوجة داود أخبرها بذلك وقال له ذر السيف عند رأسك اذا دخل الليلة قال ومن يعتني قالت أبي قال وهل أجرمت جرما قالت حدثني من لا أكذب ولا أطيب نفسا أن أنت تغيبت الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال ان كان أراد ذلك لا أستطيع خروجا ولكن ائتيني برقاد من شرقاته فوضعته على مضجعه على السرير ووجهه ودخل تحت السرير فدخل طالوت فصفق للسيف وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بعلك فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فقال الحمد لله الذي نجاه فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت حقيق أن لا يدعني حتى يدرك ثاره مني ثم انه استتر بحجابه وحراسه وأغلق دونه الابواب قال فاتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأغمي الله عنه الحاجب وفتح الله له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند

هذا الموضع وهو يوم العيد فقلت له لا تفعل ذلك فان الله تعالى قد نهى لنا في القرآن الله تعالى

يحتاج الى تعاهدك قال فاصحة وت نفسي والله عند ذلك يوما كنت أعرف ان أختي من اكابر الاولياء وهي الله عنهم ونفعنا بهم في الدارين ومددنا من مددهم وأنفاسهم الطاهرة آمين *(وبحكي عن الشيخ أبي الربيع المالقي عفا الله عنه)* انه قال جئت بامرأة من العجيدان الساحلية في بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة دون الخامسة الى زيارتها للاطلاع على أحوالها فنزلنا القرية التي هي فيها فاكرمونا فلما شاهدنا بيتها قد اشتمل بناء جديدا لم يوضع وفيه ثم صبينا الهيأة وما يليق بها وما لهيأتنا هذه الزي الذي نحن عليه من الفقر فقال لي بعض من حضر ما أظن هذه المرأة الا من أكابر الاولياء فقلت له لا تقل هذا فانها في ذلك القدر ثم ثار بعد ذلك فقلنا لها وصلا دونه فلما رأينا ذلك سألنا المرأة عن قصتها فقالت لنا الشاهد فيما تنكرون أخبركم بها وذلك انه كان لنا خروج ونحن قوم فقراء ولم يكن عندنا ما نصرفه فقال لي زوجي وكان رجلا صالحا مضى بنا نحو تلك الشاهق التي

رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني لو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما كانت الليلة المقبلة أتاه داود ثانيا وأعمى الله عنه أعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب به وقطع شعرات من لحيته وشيأ من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتراءى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك ساط على داود العيون وشد في طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام يمشي في البرية فقال طالوت في نفسه اليوم أقتل داود أنا راكب وهو ماش وكان داود اذا فر لم يدرك فركض طالوت في أثره واشتد داود في الجري فدخل غارا فأوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضى خرج داود من الغار وانطلق الى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطمن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود وفعل طالوت لا يتهاه أحد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني اسرائيل على عالم يطيق قتله الا قتله ولم يكن يحارب بحيث الاهز معه حتى أتي بامرأة تعلم الاسم الاعظم فأمر بخبازه بقتلها فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فنتركها ورضع الله في قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم لي توبة الا أخبرني بها فلما كثر عليهم بكاؤه نادا منادمن القبور يا طالوت أما ترضى انك قتلتنا أحياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز فقال له مالك أيها الملك فقال هل تعلم لي في الارض عالما أسأله هل لي من توبة فقال له الخباز أيها الملك هل تدري ما مثلك قال لا قال مثلك مثل نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك فايقظوني حتى أذبح فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وأنت هل تركت عالما في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال أرأيت ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالايمان فأخبره ان المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها فسألها هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الاعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها ونبت بجبالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال يا ألسن أعظم الناس عليك منة أنجيتك من القتل وأوقتك عندي قالت بلى قال لي اليك حاجة هذا طالوت يسألك هل له من توبة فلما سمعت بذكر مشى عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة قالت لا والله ماله من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت عند ركعتين ثم انها نادت يا صاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى الثلاثة ظن أنهم الخباز والملك فقال لهم أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له شمويل ما فعلت يا طالوت بعدي قال لم أدع شيأ من الشر الا فعلته وقد جئت أطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا ان تخلي من ملكك وتخرج أنت وولدك تجاهدون في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم جمع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا وجمع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار أكنتم تنقذوني قالوا نعم ننقذك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا ما قلت فذكر لهم القصة فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجهز بأولاده الى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يبشره بقوله له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه

(مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها)

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الآية قالت العلماء باخبار الانبياء لما استشهد طالوت أتى بنو

البها فبينما نحن كذلك اذ استضافنا (١٦٢) ضيف في ذلك اليوم ولم يكن عندنا ما نقري به هذا الضيف فاحتضن الشاة فقلت له يا رجل هذا ضيف وقد أمرنا باكرامه فذر تلك الشاة واذبحها فقال تخاف ان تبكي عليها صغارنا فقلت له خذها واخرج بها من البيت واذبحها وراء الجدار فأخذها ومضى فلما أراق دمها قفزت من أعلى الجدار ونزلت الينا فحسبت انها قد انفلتت منه فخرجت لانظارها فاذا هو يسلخ فيها فقلت له يا رجل رأيت عجبا وذكرت له قصة هذه الشاة التي نزلت من أعلى الجدار فقال الرجل لعل الله تعالى أبدلنا خيرا منها فكان كذلك فكانت تلك الشاة تحلب لبنا وهذه تحلب لبنا وعسلا وهذا كله ببركة اكرام الضيف قال فتعجبنا من ذلك ثم قالت يا أولادي ان شوهتنا هذه ترى في قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها واذا تغيرت قلوبهم تغير لبنها فطيبوا قلوبكم (قلت) وقد عنت بذلك نفسها وزوجها ولكن أطلقت لفظا ظاهره العموم مع ارادة التخصيص سترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش عند مالك الغفار والعين في ذلك لبنا طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب

اسرائيل الى داود فاعلموه بخرافة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

(باب في ذكر نسبه)

هو داود بن ايشا بن عوفيذ بن بوعز بن سلمون بن يخشون بن عمينوذب بن رام بن حصرون بن بارص بن يهوذا ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

(باب في ذكر صفته وحليته)

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعا العينين عن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه وفي الساعدين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فخم المعهود حسن الصوت رائق طاهر القلب نقي

(باب في ذكر ما من الله تعالى به على نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامات حين أعطاه الله النبوة والملك)

(فمنها) انه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسين سورة في خمسين منها ذكر ما يكون من بختنصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يكون من الروم من أهل ايرون وفي خمسين منها موعظة وحكم ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) العسوب الطيب والنغمة العالية الذي نقوا الترجيع والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور سبعين اتابيت يعرفها النوم ويقوم المغني عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه ملائكة بني اسرائيل خلفه وقوم الناس خلف العلماء وقوم الجن خلف الناس وقوم الشياطين خلف الجن وتقف الوحوش والسباع وتقف الطير رمضية وتركد المياه التي لا ترى ويسكن الريح وما سمعت المزامير والبرابط والصنوج الا على صوته وذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لبطارية ألا ترون ما هذا كم فضله الله من ما خلق فقال انه لا يعرفه الناس عن داود الا بما يفاده ويحاده في مثل ماله فهيؤا المزامير والعيدان والارغن والملاهي على أجناس أصوات داود فسمعها الناس فلم يروا شيئا قط أفظع ولا أهول ولا أفظع منها فقال ابليس انما فظع الناس هذا لانه لا يقف له الماء ولا تصغي له الوحوش ولا الطير ولا الطير وكما كانت قبلها ولا تنقص نغمته فقال الهي ما هذا فأوحى الله تعالى اليه ذلك أن الماء رهذه وحشية داود ان الخليقة هي التي غيرت صوته وحالاته فقال الهي أرأيس فيغفر تعالى فالويل ولكن ارتفعت الماء التي يجيء ويذهب من الوحد والقرب فان تدرها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن أحمد بن حدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر دابته أن تسرج له فكان يقرأ القرآن قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يده قال الاستاذ الامام أراد بالقرآن الزبور وبالاسناد أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن أبي موسى الاشعري قال قال لي أبي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت أنا يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا (وأخبرنا أبو بكر) قال أخبرنا أبو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تقابل الجبال مسح الله تعالى بحملة الجبال فجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليلة من الليالي لا عبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد مثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل داخله وحشة فأوحى الله تعالى الى الجبال ان آنس داود فاصطفت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفرج له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانضربت له الارض فانتهى به الى

يفعل ذلك وهذا من سدفهم مولاهم رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة بمنه آمين *(ومنها عن مالك بن دينار

انه قال كان للسري السقطي تلميذة وكانت امرأة صالحة وكان لها ولد عند المعلم فبعثته المعلم يوما الى الدجلة فنزل السبي في الماء فغرق فخاف المعلم على نفسه وأتى الى السري السقطي فأخبره بذلك فانقسم وقال قوموا بنا الى أمه وكان معهم البنيد فتكلم السري السقطي مع أم الصبي في علم الصبر وعلم الرضا فقالت المرأة أستاذي وأي شيء نريد بذلك فقال لها السري ان ولدك قد غرق فقالت ان الله عز وجل لم يفعل ذلك ثم قالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا الى النهر فقالت المرأة أين غرق ولدي فقال المعلم ههنا فاستدعت به ابني تعالى يا بني فخرج الغلام من الماء ضاحكا واخذ يعدو حتى انتهى الى منزلها فالتفت السري الى البنيد وقال أي شيء هذا فقال البنيد أول ان هذه المرأة صالحة فدعت الله عز وجل فرد عليها ولدها فكم من كان من صالحي عباد الله عز وجل عليه فلم يزل لا تعدث حادثة حتى يعلمهم اياها كان دأبهم ذلك لم تكن حادثة الا علمهم اياها فانكروا ذلك وقالوا ان ربنا لم

الحوت فوكزه برجله فانتهى به الى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة في هذا الموضع (قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق) قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الجبال والشجر والمدر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى علم الحكم والنظر في القضاء كان لا يتنعتع في القضاء بين الناس وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو عبد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبي صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود واليمين عن الشعبي قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له ليعرف الحق من المبطل في المحاكمة اليه (وهو ما روى) الضحاك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالجوهر قرنان وراسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مسندبرة منها بالجوهر ومدبرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحلف في السماء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا عسها ذو عاهة الا برأ وكان علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بايديهم ثم يمسحون بها كفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن اعتدى على صاحبه أو أنكر ماله من حق أتى السلسلة فان كان صادقا مد يده الى السلسلة فيمسها ومن كان كاذبا ظالما لم يتناولها فكانت فيهم الى أن ظهر فيهم المكر والخديعة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاءه يسترد ها أنكر ها فقضى كما في السلسلة نعلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فعمد الى عكازة له فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فناولها يده ثم قبل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال اصاحب الجوهرة الزم أنت عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقربني الى السلسلة لاتناولها فتعجب القوم وتمكروا فيها فاصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يتحاكمان اليه يقول ما أحوجنا الى السلسلة التي كانت تأخذ بحق الظالم فتقربه الى الحق حولا (ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد يعني القوة في العبادة انه أواب أي تواب مسبح معلم وكان يصوم يوما ويفطر يوما يصوم النهار ويقوم الليل وما سرد به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلي ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة الملائكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أي قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل قال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المتعدى ان هذا قد غصبني بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد وسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود وما حتى أنظر في أمركما فعاتبه ملك عنده فأوحى الله تعالى له في منامه أن يقتل الرجل الذي تعدى فقال هذا مرؤيا واستعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذا مرؤيا فأوحى الله تعالى اليه الثالثة أن يقتله فارسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الي أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل علي حتى أخبرك اني والله ما أخذت هذا الذنب ولكني كنت اذا قلت ولدا هذا فقتله فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود وراشته له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الانبياء وعن يساره ألف رجل من الاحبار (ومنها) شدة

البطش فيروى انه ما فر ولا انهزم من عدو له قط (ومنها) الانة الحديد له وكان سبب ذلك ما روى في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى عوجاج لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود والله هذا أي الرجل هو فيقولون خيرا فيما هو كذلك يوما من الايام اذ فيض الله له ملكا في صوره الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خلة فيه فراع داود ذلك فقال ما هي يا عبد الله قال ان داود يأكل و يطعم عياله من بيت المال فقال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فينفق منه و يطعم عياله فألان الله له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرف منه كل يوم من غير ادخال نار ولا ضرب بحديد وعمله الله تعالى صنعة الدروع وكان يقتسم الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه كان يبيع كل درع منها بمائة آلاف درهم فيأكل و يطعم عياله و يتصدق منها على الفقراء والمساكين وذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات أي دروعا كوامل واعمل قدر في السرد أي لا تعمل المسامير دقاقا فتعلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اغتنى من ذلك الا (وروى) أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ما هو فأراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم اللبوس هذا للرجل الحارب فعلم لقمان ما يراد به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

(باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلي بالخطيئة وما يتصل بذلك)

قال الله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء باخبار الانبياء في سبب امتحان الله تعالى لنبيه داود عليه السلام حتى قال الله تعالى له ما حكى لنا قال قتادة قال قوم كان سبب ذلك انه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحق و يعقوب وسأله أن يجعل له من العمل الذي كان يعتصم به ما يعتصمون من الفضل مثل الذي أعطاهم (فروى) السدي والكلبي وغيرهما عن أشياخهم قال دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضي فيه بين الناس و يوما يخلو فيه لنسائه و يوما لعبادة ربه وقراءة الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق و يعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آباؤك الذين كانوا قبلي فاوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا بلاء لم تبتل به أحدا فصبروا على ابتلي ابراهيم عليه السلام بنار النمرود وذبح ولده وابتلي اسحق بالذبح وابتلي يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف والمم تبتل بشيء من ذلك فقال داود عليه السلام يارب ابتلني كما ابتليتهم وأعطني كما أعطيتهم فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس في ذلك اليوم لا تصل فيه فلما كان في اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي و يقرأ الزبور وبينما هو كذلك اذ نشأ له حمامان من ذهب فوقعا بين يديه فجعل يأخذهما (وفي بعض الروايات) ليدفعهما الى ابن له صغير فلما أهوى اليهما طارتا غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فتبعها ببصره رجاء أن تقع قريبا منه فطارت فوقعت في كوة فذهب لينظر اين ذهبت فنظر داود من الكوة فنظر الى امرأة تغتسل على شاطئ بركة لها فلما رأت ظلها استدارت فغطت شعرها بردائها فنظر داود الى امرأة من أحسن النساء خلقا فجاش داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظل داود عليه السلام فقامت فضمت شعرها فغطى بدنها كله فزاد ذلك داود فاسأل عنها فقيل له هي زوجة اوريا بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته أيوب صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا حتى يوضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان لا يقدم على التابوت الا يحل له أن يرجع الى دار حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعث به فجعل فكتب اليه داود أيضا أن ابعث به الى عزوه كذا وكان رئيسها أشدهم بأسا فبعث فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهي أم سليمان عليه السلام وقال آخرون انما كان سبب امتحانه أن نفسه حدثته بأنه يطيق قطع يوم بغير مقارفة صغيرة ولا كبيرة وعن الحسن

ما مت على رأسها فصلا
من القدم
ما دمي لا تاتي في هواه ولو
ما مشته الذر ما بانت
لم تلم
يطوف بالبيت قوم لو
مارسة
لله طافوا الاجتنابهم من
الحرم
قضى الطبيب بنفسي يوم
بيدهم
والناس ضربان اهل الذل
والعدم
الناس يرون بي الى سكنهم
تهدي الاضاحي واهدي
مهجتي ودمي
ثم قال اللهم ان الناس
ذبحوا وتقربوا اليك
بضحاياهم وهديهم وليس
لي شيء اتقرب به اليك
سوى نفسي فتقبلها
ثم شهق شهقة فرمت
روحه الى الله تعالى عليه
واذا بقائل يقول هذا
عبيد الله هذا ا
الله قتيل بيت الله قال
في سربه وولد في بيته
بالمحراب ثم بات ثلاثة
الليالي متفكرا في امره
فرأيت في النام وعليه
ثياب من السندس
والاستبرق فقلت له
ما فعل الله بك فقال
فعل بي ما فعل بالشهداء
يوم بدر فهم مقتولون بالسيف
الكفار وانا قتلت بخطيئة
الملك العزيز الجبار قال
فنجيت منه رضي الله

تعالى عنه *(وحكى عن البهلول رضي الله عنه انه قال)* بينما أنا في يوم من الايام مار في شوارع البصرة فاذا بصبيان يلعبون بالجوز

أخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر اربعة أجزاء يوما للنساء ويوما لعبادة ربه ويوما لقضاء حوائج المسلمين ويوما لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه يسألهم ويسألونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شئ حسن قد وقعت بين يديه فاهوى اليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فمازال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فاعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الارض جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكتب اليه أن سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فاصيب فلما بها داود وتزوجها وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن ابن محمد ان داود عليه السلام قال لبني اسرائيل حين سألت والله لاعدلن فيكم ولم يستثن فابتلي (وقال أبو بكر) ابن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك ان داود عليه السلام كان كثير العبادة فاعجب بعمله فقال هل في الارض أحد يعمل عملي فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك والعجب يأكل العبادة كما أعجبت ثانيا وكانت الى نفسك فقال داود يارب كانني الى نفسي ساعة فقال انها لكثير قال فشهرا قال فانه لكثير قال فاسبوعا فقال انه لكثير قال فيوما فقال انه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو في نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين في صورة رجلين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهم الحراس أن يدخلا عليه فتسوروا المحراب وهو يصلي فاشرفا وهما بين يديه بالسنان فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أي ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا الى وسط الطريق المستقيم ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا تورى عن النساء وتكني عنها بالثياب كالقطيفة والنعاج والبقر وهو كثير فاش في أشعارهم فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال اضمها الي أعطنيها واجعلها كفلي أي نصيبي وعزني في الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح مني وان حارب كان أبطش مني فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (قال السدي) باسناده ان أحدهما قال ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول قال ان لي تسعا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة فاريد أن آخذها منه وأكمل تعاجي مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل يا داود أنت أحق بضرب هذا مني حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية لا أن داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر قالوا ثم ان داود نظر فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه من ذلك قوله تعالى وظن داود انما فتناه أي ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يتعمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصار من علمه بالاكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير في قصة داود عليه السلام (وقد روى) الحرث الاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما رويه القصاص معتقدا صحته جلدته حد من المفتري ما ارتكب وجلدا بما استحق يعني ما اكتسب من الوزر والاثم برئ من قد رفع الله محله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين (وقال القائلون) بتنزيه المرسلين في هذه القصة ان الذنب انما كان تمنى أن تكون له امرأة أوريا حلالا وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فارسل أوريا فقدمه امام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك وافق قتله مراده ثم تزوج امرأته

فعاتبه

فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود أن أوريا
كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك
أوريا غما شديدا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الاول وقد كان عنده تسع وتسعون
امرأة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ومن الصدق
ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين المتقدمين مما أخبرناه عقيل بن محمد الفقيه الفارسي عن زكريا عن أنس بن
مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة فقطع على بني اسرائيل
بعثا وأوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به
ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته
ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الارض جبينه
وهو يقول في سجوده زل داود زلة هي أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه
جعلت ذنبه حديثا في الخلائق من بعده فجاءه جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى
قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود علمت ان الله قادر على أن يغفر الهم الذي هممت به وقد عرفت ان
الله عدل لا يميل فكيف بفلان يعني أوريا اذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود قال جبريل
ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم
نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل له يا داود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له
هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فأقول ان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عنه أخبرنا
ابن فنجويه باسناده عن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان
وقضى على نفسه ولا فطن بورطته ما فعل بالمرأة ولانه قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنما فتناه خر ساجدا
أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لابد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب
وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان يقول في سجوده سبحان
الملك الاعظم الذي يبتلي الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهي خليت بيني
وبين عدوي ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بي سبحان خالق النور الهي تبكي الثكلى على ولدها اذا فقدته
ويبكي داود على خطيئته سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني
سبحان خالق النور الهي لم أتعظ بما وعظت به غيري سبحان خالق النور الهي أمرتني أن أكون لليتيم كالاب
الرحيم وللارملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان خالق النور الهي فطلقتني وفي سابق علمك كان ما أنا
صائر اليه سبحان خالق النور الهي الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فقيل هذا داود الخاطئ سبحان خالق
النور الهي بأي عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي بأي
قدم أقوم امامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان خالق النور الهي [illegible]
وكنت أعرفها [illegible] سبحان خالق النور الهي أمطرت السماء ولم تمطر
حولي وأعشبت الارض ولم تعشب حولي بخطيئتي سبحان خالق النور الهي أنا الذي لا أطيق حر شمسك فكيف
أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان
خالق النور الهي كنت اذا رأيت الخاطئين شفعت لهم وأنت شاهد سبحان خالق النور الهي رق العظم
وجفت العينان من خشيتك فاطرح على جسدي سبحان خالق النور الهي [illegible] أنا العبد الخاطئ
الضعيف الذي لم أربح وسيلتك سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ولا علم له
بذلك سبحان خالق النور الهي أنا المستغيث وأنت المغيث فمن يدعو المغيث الا المستغيث سبحان خالق النور
الهي أسألك بأبي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تعطيني سؤلي سبحان خالق النور اللهم برحمتك اغفر لي
ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواي فانك أرحم الراحمين سبحان خالق النور الهي اني أعوذ بك من دعوة

فقط فقالت يا ولدي لا توقد الكبار الا بالصغار واني أخشى أن أكون من صغار حطبه ثم قال البهلول دعني على ساعة
وانصرف الغلام من بين
يدي فقلت أنت نظرت
الى الدنيا فلم أر الصبي
منهم فسألتهم من يكون
ذلك الصبي فقالوا
ما عرفته فقلت لا تعلموا
هذا من أولاد الحسين
ابن علي بن أبي طالب
رضوان الله تعالى عليهم
أجمعين ونفعنا بهم
وبأنفاسهم الطاهرة
*(وحكى عن حبيب
العجمي رضي الله تعالى
عنه انه قال)* كانت لي
زوجة [illegible] كنت
أشكوها لسوء خلقها
فقالت لي يوما من
الايام اذا لم تقم علينا
فلا تشل الينا ولا ترنا
وجهك فقال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
على [illegible]
[illegible]
ان الذي [illegible]
كريم [illegible]
[illegible] في الآخرة قال
[illegible]
[illegible]
الى [illegible]
وأرجع [illegible]
[illegible] وقالت
[illegible]
[illegible]
على ذلك [illegible] ثم خرجت الى عادتي فلما جاء الليل رجعت الى منزلي [illegible]

لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يقدر سبحان خالق النور الهي اني أعوذ بك وبنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور الهي فرت الملائكة من ذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تخذلني من القائلين ولا تخزني يوم يبعثون سبحان خالق النور الهي فرغ الملائكة وفرغت الدموع وتناثر الدر من ركبتي وخطيئتي ألزم لي من جادي سبحان خالق النور قالوا فاتاه النداء اجائع أنت فنطعم أو ظمآن أنت فنسقي أو مظلوم أنت فننصر ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فصاح صيحة هاج منها ما حوله ثم نادى يا رب الذنب الذي أصبته فنودي يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك فلم يرفع رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام أتاه نداء أني قد غفرت لك فقال يا رب كيف وأنت لا تظلم أحدا فقال اذهب الى قبر أوريا فحلله وأتاه فسمحه ذلك فقال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد يئس الموسوح فجلس عند قبره ثم ناداه يا أوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال جئت أتحلل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وأنت في حل فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي الا بالحق ألا أعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق داود اليه فناداه يا أوريا فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال أنا داود قال ما نبي الله ما جاء بك ليس قد عفوت عنك قال نعم لكن أنا ما فعلت بك ذلك الا لامكان امرأتك واني قد تزوجتها قال فسكت أوريا ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا قصبت الموازين القسط ليوم القيامة سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى الظالمين سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور قال فاتاه النداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمتك ورثيت لطول مكائك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يا رب كيف لي أن تعفو عني وصاحبي لم يعف عني قال يا داود وان لم يعف فأنا أعطيه يوم القيامة ما لم ترعيناه ولم أسمع أذناه فأقول له قد رضيت عبدي فيقول يا رب من أين هذا ولم يبلغه عملي فأقول له هذا عوض من أجل عبدي داود فأستوهبك منه فهبك لي فقال داود يا رب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي ذلك قوله عز وجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وروى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا في قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ان أول من يشرب الكأس يوم القيامة داود عليه السلام

(أخبرنا) أبو الحسين بن محمد حدثنا محمد بن علي أخبرنا بكر بن أحمد بن سهل أخبرنا عمر بن محمد الشرقي قال النضر السكري قال حدثنا أبو سعيد عبد الله الزنبي قال حدثنا محمد بن المنكدر عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني أبو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رأيت الليلة في منامي كأني تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت الشجرة الى السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها أجرا واحطط عني بها وزرا واوزع لي بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفسجدت أنت يا أبا سعيد قال قلت لا يا رسول الله فقال أنت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة

(قال وهب بن منبه) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ له دمعة الا ولانهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني أربعة أيام فجعل يوما للقضاء بين الناس ويوما للنساء ويوما يسيح في الفيافي والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو في داره وفيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي فيرفع صوته كالزامير ويبكي فيبكي معه الشجر والمدر والطير والوحش حتى يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يعلو الى الجبال فيرفع صوته كالزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل

زوجتي نوحة مسرورة فتعجبت من ذلك فلما دخلت البيت أتت زوجي وقالت ان الذي استأجرك ليبعث الينا ما تبعث الكرماء الى الفقراء وقال رسوله الذي جاء بهذا قولي لطيب يجد في العمل فان مستأجره لا يؤخر الاجرة بخلا ولا عدما فقر عينا وطيب نفسا ثم ذهبت الى بيت آخر في الدار وأحضرت منه أكلا ما وقدنا سعيرا ذهبا أحمر قال حبيب فبكيت عند ذلك وقلت لها أتدرين من بعث الينا ذلك فقالت الذي استأجرك قلت لها والله هذه الاجرة من كريم بيده خزائن السموات والارض قال فلما سمعت ذلك تغير لونها وارتعدت وثابت الى الله تعالى مما كان منها وأقسمت أن لا تعود الى ذلك أبدا رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بهم أجمعين

*(وحكي عن عطاء بن الازرق رضي الله تعالى عنه أنه قال) دفعت الى زوجتي درهمين لاشتري بهما دقيقا ولم يكن عندنا شيء نقتات به في ذلك اليوم فخرجت الى السوق لشراء الدقيق فرأيت جملا كان في السوق يبكي فقلت له ما يبكيك فقال يا سيدي ان مولاي دفع الي درهمين لاشتري له بهما شيأ وأنا مقطوم من عيالي وأخاف ان أرجع له خاويا فيضربني قال عطاء فحزنت عليه ودفعت له الدرهمين فأخذهما ومضى فانصرفت الى منزلي

لاودية من بكائهم ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته كالمزامير فيبكي ويبكي معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف فيجلس عليها ويجيء بالرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم العصي ثم يجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه ببكاء أهل الارض ودموعهم لعدلها (أخبرنا) ابن فتحويه عن عثمان بن أبي عاتكة أنه قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانك الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي الهي أتيت أطباء عبادك ليداووني فكلهم عليك دلوني وقال صلى الله عليه وسلم لقد بلغ الدمع في وجه داود مثل مجرى الماء في الارض (أخبرنا) ابن فتحويه عن الحسن بن عبد الله القرشي قال لما أصاب داود الخطيئة فزع الى العبادة فأتى راهبا في قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما أكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي يناديني قال أنا داود نبي الله قال صاحب القصور والحصون الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات التي نلت الجنة بها قال الا انت أنت قال داود فمن أنت قال أنا راهب راهب مترقب قال فمن أنيسك ومن جليسك قال اصعد ترهما ان كنت تريد ذلك قال فقال داود الجبل ورقي الى القلة فاذا هو بميت مسجى فقال له هذا أنيسك هذا جليسك قال نعم قال وما هذا قال ذاك قبر مكتوب عليه فلوح من نحاس عند رأسه فقرأ داود الكتاب فاذا فيه انا فلان بن فلان ملك الملوك عشت ألف عام وبنيت ألف قصر وألف مدينة وهزمت ألف عسكر وتزوجت ألف امرأة وافتضضت ألف بكر فبينما أنا في ملكي اذ أتاني ملك الموت فأخرجني وأخرج جنبي عما كنت فيه فهذا التراب فراشي والدود جيراني قال فخر داود عليه السلام مغشيا عليه (وعن نافع) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به الا الحياء والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما تاب الله على داود كان يبدأ اذا دعا فيستغفر للخاطئين قبل نفسه ويقول اللهم اغفر للخاطئين فعسى أن تغفر لداود معهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين ثم يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب غفرت لي قال نعم قال فكيف لي بأن لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع بها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم الخطيئة (وأخبرنا) عبد الله بن حامد عن ثابت قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تعالى تخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسر فاذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت (وعن أبي عبد الله الجدلي) قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

(باب في ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما)

قال وهب وغيره من أهل الكتب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان فلما وقع في الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخف به بنو اسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل الزيغ من بني اسرائيل وذهبوا الى ابن لداود من ابنة طالوت يقال له ايشالوم وهو ... ايشا فقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتركنا وضاعت حقوق الناس وضعف أمر المملكة فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود ودعوا هذا الابن الى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخيه ... بثياب وتوغل في الجبال

تنظرت شيأ فلم يقع على بشيء فرجعت من المسجد عند الغروب وجلست في السوق على دكان صديق لي وكان نجارا فلما رأى الجراب معي قال ما هذه النجارة في جرابك اقتسمي بالشيء ... قال فأخذت منه شيأ من النشارة في الجراب وذهبت الى البيت فأما من شرها ورميت الجراب في البيت ورجعت مسرعا الى صلاة العشاء ثم جلست في المسجد حتى مضى من الليل نحو ثلثه ثم جئت الى البيت ونظرت من وراء الباب فوجدتها تخبز فاذا رائحة عجيبة تجيء من ذلك ورقاق من أبيض ما رأيت فقالت ... ثم دخلت وأنا متعجب ثم قلت من أين لكم هذا قالت من الدقيق الذي في الجراب ثم قالت لي زوجتي حسن ... ما رأيت مثل هذا الدقيق لانه دقيق ابيض ... فحمدت الله تعالى على لطفه بي وكرمه (وحكى بعضهم) عن شقيق البلخي رحمه الله تعالى أنه قال حججت الى بيت الله الحرام سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية فبينما أنا أنظر الى الناس وزينتهم وكثرتهم اذ نظرت الى فتى من أحسن الناس وجها وهو متزر بثوب من صوف مشتمل بشملة وفي رجليه نعلان من خوص قد جلس منفردا عن الناس فقلت في

فاشار قومه على ابنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل اليهم وقال له هل لك هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت أنت بنبي أذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تباشره أنت فانه لا يجعل في الآخرة حدودا فعند ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فحارب ابنه فهزمه ووجه في طلبه قائدا من قواده وأوصاه أن يتوفى حتفه ويتلطف في أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فربط بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فبسه وخلفه القائد فقتله مخالفا لامر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتكدر للقائد وكان له باس شديد في ملاقاة العدو فكره داود أن يقتله فتركه لاجل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله سليمان فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي الى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه سنتين

(باب في قصة أصحاب السبت)

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت الآية (قال) ابن عباس ووهب بن منبه ان قوما من بني اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا للعبادة ذلك اليوم وذلك في زمان داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هنالك وتخرج من الماء خراطيمها حتى لا يرى الماء من كثرتها حتى اذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقرهن البحر لا يرى منهن الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية (سمعت أبا القاسم) قال سمعت أبي يقول سئل الحسن بن الفضيل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا اليها نهار الانهارا فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الحبال والشخوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا يأتيهم حوت واحد فأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء الى يوم الاحد فأخذه فشواه فوجد جاره ريح الحوت فقال له يا فلان ان أصبت في بيتك ريح الحوت فأنكره فاطلع الجار في تنوره فاذا هو في بيته فقال له اني أرى الله سيعذبك فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ في السبت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وطبخوا وأكلوا وباعوا فأثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقست قلوبهم وتجبروا ونجروا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لانهم قتلوا أنبياءهم فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثني عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول النصيحة قال الناهون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بجدار وكانوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أي شديد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود يعني عصاة أهل ايلة وعيسى بن مريم يعني كفار أصحاب المائدة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القردة أنسباءهم من الانس ولم تعرف الانس أنسباءهم من القردة فجعل القرد يأتي نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكي فيقول له الرجل ألم ننهكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ

منه فلما رآني قال ياشقيق ان الله تعالى قال في كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ثم تركني ومضى فقلت في نفسي ان هذا الامر عظيم قد تكلم على ما في نفسي ونطق باسمي ما هذا الا عبد صالح والله لالحقنه ولاستفيدن منه فاسرعت نحوه فلما رآني تغيب عني فلما نزلنا وأفضت اذا به قائم يصلي واعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت هذا صاحبي فضربت اليه وصبرت حتى فرغ من صلاته وأقبلت نحوه فلما رآني مقبلا قال ياشقيق اقرأ قوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركني ومضى فقلت ان هذا الفتى ان الابدال قد تكلم على ما في سري مرتين فلما نزلنا الى مني اذا بالفتى واقف على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي بها فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر اليه فرمق ببصره الى السماء وقال أنت ربي اذا ظمئت من الما

* وقوتي اذا جعت الطعاما ثم قال اللهم مالي سواها فلا تعدمني اياها فقال شقيق فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها

خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج اليه موشعون من المدينة وهاموا على وجوههم [illegible]
ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا فقذفتهم في البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو نصر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعدما أنزل الله التوراة على وجه الارض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

(باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث)

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (قال ابن عباس وقتادة) كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا فأفسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعي بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شيء قال ابن عباس وقتادة ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيئا فقال له داود اذهب فان الغنم لك فأعطاه رقاب الغنم بالحرث فمرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فأخبرا بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع في القضاء بينهما قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع الى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود وشريح ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فرآه سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال لهما ماذا قضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود فأخبراه بما قال سليمان فقال له بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعي في اصلاح الكرم الى أن يعود كهيئته ثم يسلمه صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يعنف الله داود في حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على ان كل مجتهد مصيب

(باب في ذكر ما اختلف فيه داود وابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء أمر الخاتم)

قال أبو هريرة رضي الله عنه أنزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسألة فأوحى الله تعالى الى داود ان سل عنها ابنك سليمان فان هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا وأجلس سليمان بين أيديهم وقال يا بني ان الله تعالى أنزل علي كتابا من السماء فيه مسائل وأمرني ان أسألكهن فان أخرجتهن فأنت الخليفة من بعدي فقال سليمان ليسأل نبي الله عما بدا له وما توفيقي الا بالله قال داود يا بني ما أقرب الاشياء وما أبعدها وما آنس الاشياء وما أوحشها وما أحسن الاشياء وما أقبحها وما أقل الاشياء وما أكثرها وما القائمان وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره وما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام أما أقرب الاشياء فالآخرة وأما أبعد الاشياء فما فاتك من الدنيا وأما آنس الاشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الاشياء فجسد لا روح فيه وأما أحسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما أقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وأما أقل الاشياء فاليقين وأما أكثر الاشياء فالشك وأما القائمان فالسماء والارض وأما الساعيان فالشمس والقمر وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة وأما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب قال ففكوا الخاتم فاذا جواب المسائل

الفتى بيده وأخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلى أربع ركعات ومال الى كثيب رمل فصار (١٧١) يقبض بيده من ذلك الرمل ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب فقال شقيق فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يا أخي أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك فقال يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت ألذ منه ولا أطيب رائحة فشبعت ورويت وأقمت أياما لا أشتهي طعاما ولا شرابا ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة من الليالي وهو في جنب قبة الشراب وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام يصلي صلاة الفجر فلما سلم من الصلاة طاف بالبيت سبعا ثم خرج فتبعته فاذا له حاشية وموال على خلاف ما رأيته في الطريق ودار به الناس من حوله وهم يسلمون عليه فقلت لبعض من كان بالقرب منه من هذا الفتى فقال هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة آمين (وحكى عن أبي عبد الله الجوهري رضي الله تعالى عنه) أنه قال كنت سنة من السنين في عرفات فلما بين

سواه على ما نزل من السماء فقال القسيسون والرهبان لا نرضى حتى نسأله عن مسئلة فان أخبرها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام سلوني وما توفيقي الا بالله فقالوا له ما الشيء الذي اذا صلح صلح كل شيء من الانسان واذا فسد فسد كل شيء من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يأمرني أن أستخلف عليكم سليمان قال فغضبت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفينا من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط بني اسرائيل وقال لهم انه قد بقي مقالتكم فارووني عصيكم فاي عصي أثمرت فان صاحبها لي هذا الامر بعدي قالوا قد رضينا فأتوا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتا وأغلق عليها الباب وسد بالاقفال وحرسوه رؤس أسباط بني اسرائيل فلما أصبح صلى بهم الغداة ثم أقبل ففتح الباب فاخرج عصيهم كما هي وأما عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت فقالوا فصلوا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني اسرائيل فقال ان هذا خليفتي بأيكم من بعدي

(قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يا بني اياك والهزل فان نفعه قليل وجهيج العداوة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعاين بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شيء واياك وكثرة الغسيرة على أهلك من غير شيء فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا برآء واقطع ما هملك عن الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك ومما يعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك واسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت أن يكون يومك خيرا من أمسك فافعل وسل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء ولا ترد على عالم ولا تمار في الدين واذا غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك واريح رحمك الله فانهم ما وسعت كل شيء (قالوا) ثم ان سليمان بعد ان استخلف أخفى أمره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بابي أنت وأمي ما أكمل خصالك وأطيب رائحتك ولا أعلم لك خصلة أكرهها الا أنك في مؤنة أبي فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت ان لا يخيبك الله فقال سليمان اني ما علمت عملا فاحسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شيء فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك ان أعينك وتعطيني شيأ قال نعم فاعانه فلما فرغ أعطاه السمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذه وصيره في ثوبه وحمد الله عز وجل وأتى السمكتين وباعهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه في أصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليهم سلطانه ثم لم يلبث أيواما ان مات فلما مات حملت المرأة وأباها الى اصطخر والله أعلم

(باب في ذكر وفاة داود عليه السلام)

(قال الشيخ أبو يزيد) سمعت الشيخ أبا عمرو الفارابي يروي ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم ينام و يقبل داود على ورده في العبادة فاغلقت ذات ليلة الابواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور ولئن حدك فقال لها أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفا يصلي فزع واضطرب وقال لها على به فاتاه فقال له داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير اذن فقال له أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له اذا فانت ملك الموت قال نعم قال أجئت داعيا أم ناعيا قال بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا أرسلت الي قبل ذلك وآذنتني لاستعد للموت فقال كم أرسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التي أرسلت الي فقال يا داود أرسلت اليك ابنيك وأرسلت أمك أن أخولك وأرسلت جارتك أن نهارك أنس فلان وفلان فقال ما تواكاهم فقال أما علمت انهم رسلي اليك وان النوبة تبلغك (قال) الاستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرء ينعى أحاه حتى يكونه وقد يرجو الرجاء فيحول الموت دونه وقد تقدم بعض الشعر امنقال واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بانك بعدها محمول

لف نفس فلم يقبل الله
عالى منهم غير ستة
أنفس فهممت أن
لطم وجهي وأخرج
على نفسي فقال له ما فعل
الله بباقي الجيش قال نظر
الله اليهم حتى لا يخيب
سعيهم فوهب لكل
واحد من الستمائة
ألف فقسم الله بستة
آلاف نفس لستمائة ألف
نفس وذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم قال
عبد الله فحمدت الله
تعالى وزال ما كان عندي
(وحكى عن الشيخ أبي
الفوارس شاه بن الشجاع
الكرماني رضي الله عنه)
أنه قال خرجت يوما
للصيد والنزهة وكنت
يومئذ ملك كرمان
فاعجبت نظري في صيد
رأيته وسرت في طلبه
حتى وقعت في برية مقفرة
ولم يكن عندي من
عسكري أحد فبينما
أنا كذلك اذا بشاب
جميل الخلقة راكب على
سبع وحوله سباع كثيرة
فلما رأتني السباع
ابتدرت الي فزجرها
الشاب فتأخرت عني فسلم
علي وقال يا شاه ما هذه
الغفلة عن الله تعالى
تشتغل بدنيا لا تدوم
وبذلتك عن خدمة
مولاك انما أعطاك
الدنيا لتستعين بها على خدمته فلما سمعت ذلك منه طاش عقلي ودهشت في نفسي فبينما هو

وإذا وليت أمور قوم مدة ✽ فاعلم بأنك عنهم معزول

وقال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة وقد مضى في قصة آدم وما وهب له داود من عمره عليهما السلام

✽(مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به)✽

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من أبيه داود وأقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى وأعطاه الله ما لم يعطه أحدا وكان ملكه ما بين الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فالنمرود وبختنصر

✽(باب في صفة سليمان عليه السلام)✽

✽(قال وهب بن منبه وكعب الاحبار)✽ كان سليمان أبيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكانت أمه في أيام ملكه يشاورها في كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وصلى الله على نبينا وعليه وسلم

✽(باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام دون غيره من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك)✽

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالى اخبارا عنه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب فاستجاب الله دعاءه وأكرمه بخصال لم يكرم بها أحدا من خلقه قبله ولا بعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب أي أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من أحبار الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الارض الا أتاه حتى يذله ويقهره وكان اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له خشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهرا في غدوته وشهرا في روحته الى حيث أراد كما قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض أصحاب سليمان اما من الجن أو من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله تعالى فبائتون بالشام قال وكانت فيما بلغني تمر بعسكره الريح الرخاء وتهوي به الى حيث أراد وانها لتمر بالمزرعة فلا تحركها وأخبرنا الحسن بن محمد بن فنجويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمرت بحراث يحرث فنظر اليه الحراث وقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه فألقته في أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال له اني سمعت قولك وانما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه لتسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتي آل داود فقال له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همي (وقال مقاتل) نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومسيرة شهر من الرواح الى الصباح (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن محمد بن كعب القرظي قال بلغني ان عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء الا جاءت الريح به اليك فأخبرتك (ومنها) تعليم الله

حتى أتى الى شجرة ... الى شجرة فلما رأيت الثمر ذلك ولا أحلى منه ... عن يمين ... وقالت الشاب ... اليه ... الدنيا وقد وكلها الله تعالى على ... استقت الى شيء ... قال يا شاه أما علمت ان الله تعالى ... قال لو ... فلما رأيت ذلك ... عن الملك وتبت الى الله ... ولا ... وقد ... على ذلك ... والتوحيد في آخر ... (وحكى عن بعض الاكابر) انه كان يقطع الطريق ويسلب الاموال انه قال بينما أنا ... وأخذ ... اذا ... ثلاث نخلات ... والثالث ... فنظرت فاذا بعصفور ... الثمرة الى ... ذلك عشر مرات ... ثم قلت في نفسي ... ذلك فقمت ... على النخلة فنظرت فاذا بحية عمياء فاذا العصفور يضع ذلك التمر في فيها فلما رأيت ذلك بكيت وقلت هذه حية أمر نبينا بقتلها ولما أعماها الله تعالى سخر لها

كلام الطير حتى النمل كما قال تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فتحويه) باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح الطيطوا فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمري فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحي الذي لا يموت أبدا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يلعن العشار بن والجداة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همموا الذي يقول سبحان ربي الاعلى وبحمده والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان (وأخبرنا ابن مهدون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المري عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلين (وروى) عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام أنه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد عن الناس أنس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضي آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين وعد الضالين كما يعدها القارئ (وقال فرقد السنجي) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا (وأخبرنا) أبو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذنا هما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما (وروى) ان قنبرة باضت في طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثى ألم أنهك أن تبيضي في طريق سليمان الملك لو ركب البيداء بعسكره لقتلت بيضك فقالت الانثى ويحك ان الله أرسم بنا من ذلك فسمع سليمان قولهما فبعث اليهما جنيا سين أراد أن يركب وقال اجعل بينهما محبة وجليدا وبالشأن تصيد بشيء فلما ركب سليمان في موكبه وجاورهما قالت الانثى ألم أقل لك ان نبي الله أرسم بنا من ذلك فقال الذكر للانثى عندي للملك هدية فقالت وما عندك قال عندي جرادة اذا خرجتها لولدي فقالت الانثى عندي تمرة اذا خرجتها لولدي قال فاخذ التمرة والجرادة ثم طار حتى وقفا بين يدي سليمان وهو على سريره في مجلسه فوضعاهما بين يديه وحمدا الله فدعا لهما وسمع بيده على رؤسهما فيروى ان هذه القنبرة التي على رأس القنبر من مسح سليمان عليه السلام اياهما (قال وسر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتي آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها الجنود ثم قال ألا أنبئكم بخير هو أبهج من هذه النملة قالوا بلى قال تقولون اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب والرضا (وروى) ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقي ومعه الانس والجن فرأى نملة مرجاء ما شرة جناحيها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لا غنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكي) ان نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه الصولة وما هذا البغي أما علمت اني أمة من أمم تسبح الله فغشي على سليمان فلما أفاق قال ائتوني بها فاتوه بها فسألها فقالت له جلدي رقيق وبدني ضعيف وأخشى ورميتني فقال لها سليمان اجعليني في حل فاني لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا تستعين أسير بجاهك

الابذلته له قال قد فعلت ذلك قالت فانصرف ((ومنها قصة وادي النمل)) قال الله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون أي يحبس أولهم على آخرهم حتى اذا أتوا على وادي النمل الآية قال الشعبي وكعب وغيرهما من أهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وكتابه في مركبه الذي هيئ له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظاما يسع كل قدر عشر جزر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجري الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوي بهم فسار من اصطخر الى اليمن وتوغل في البادية فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم أتى أرض الحرم فرأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فلما جاوز البيت فلما حاذى سليمان بكى البيت فأوحى الله تعالى الى البيت ما يبكيك فقال يا رب هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهبطوا الي ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي وهذه الاصنام تعبد حولي من دونك قال فأوحى الله تعالى الى البيت أن لا تبك فاني سوف املؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك في آخر الزمان نبيا هو أحب الانبياء الي وأجعل فيك عبادا من خلقي يعبدونني وافرض على عبادي فريضة يزفون اليك زفيف النسور الى أوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم أمر الله سليمان عليه السلام ان ينزل عليه ويصلي فيه ويقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضره من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي يعطى النصر على جميع من ناوأه وتكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا تأخذه في الله لومة لائم فطوبى لمن أدركه وصدقه قالوا فكم بيننا وبين مجيء ذلك النبي قال زهاء ألف عام (قال) ثم ان سليمان مضى حتى أتى على وادي السدير وادي من الطائف فأتى على وادي النمل فقامت نملة تمشي وكانت عرجاء تتكاوس وكانت مثل الذئب العظيم وقال الشعبي كانت ذات جناحين واختلفوا في اسم تلك النملة فروى ابن ميمونة باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة سليمان طاخية وقيل حرمى فنادت لما رأت سليمان وموكبه يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وكان لا يتكلم خلق الا حملته الريح فألقته في مسامع سليمان قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية وفي بعض الاخبار ان سليمان عليه السلام قال لها لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم أخفت عليهم مني ظلما فقالت اما سمعت قول الله تعالى وهم لا يشعرون ومع ذلك لم أرد حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب خشيت أن يتمنين ما أعطيت فيفتتن ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظيني فقالت النملة هل علمت لم سمي أبوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه ثم قالت هل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم وكنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك ان تلحق بأبيك داود ثم قالت أتدري لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت ليخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب الهدهد والصرد والضفدع والنملة ((ومنها قصة العنقاء في أخبار القضاء والقدر)) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال اجتمع سليمان والطير في بعض حاجاته فقال لها الملك تأتين كذا وتفعلين كذا فاجتمعت الطير وأقروا بالسمع والطاعة الا العنقاء فقالت ايش يرى الله بلى ولكن قضاء الله يأتي الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة في القضاء فقالت العنقاء لست أومن به فقال لها سليمان الا أخبرك بأعجب العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق وهذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والوليد سيجتمعان في أمنع المواضع بقدرة الله تعالى وأهوالها على سفاح في جزيرة في وسط البحر فقالت العنقاء يا نبي الله أوقد ولد هذان الولدان المذكوران قال نعم الا انه قال فهل أخبرتهم ما من هما

و البكاء وتفسير ذلك فتقبل ... ووارث ... ثم غلبني النوم فرأيت في نومي ذلك القبر وقد جاؤا به في ... خوان ممدود وقالوا كل ما فيه فقد اغتنمته وكنت أزوالي عن الخوان فقلت أما اغتنمته قلت في نفسي شيأ فقال لي ما أنت ممن يرضى منهم بأكل هذا اذهب اليه فانه على ما كان منك قال فانتبهت ولم أزل مترددا في ... وأينه قبر ومع طاهر الباب وهو يتعطى من الماء ما يساقط من أوراق البقل فأتيت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال لا تقعد الى هنا يا أبا العباس فقلت أستغفر الله العظيم فقال اذهب يغفر الله لي ولك ثم ولى فلم أره رضي الله تعالى عنه ... من أحب ... (وحكى عن الجنيد أيضا رضي الله تعالى عنه أنه قال) ... الكوفة ... فرأيت دارا كانت لبعض الرؤساء عليها أثر النعيم وعلى بابها عبيد وغلمان وفي بعض أروقتها جارية تغني وتنشد هذه الابيات

ولا يعيبن بساكنك الزمان فنعم الدار أنت لكل ضيف اذا ما الضيف أعوزه المكان قال اجتبنا قرره بعد ذلك فبقيت ... منه وادا

وما اسمهما واسم أبيهما فقال لي اسمهما كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يا بني الله أنا أبلى القدر وأعرف بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فاشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة فرت العنقاء وكانت في كبر الجبل عظيما ووجهها وجه انسان ويداها يدا انسان ورجلاها رجلا امرأة وأما بعد ذلك فصغرت في الهواء حتى أشرفت على الدنيا فأبصرت كل دار وما فيها وكل انسان وأبصرت الجارية وهي في مهدها وقد أجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة عالية لا ينالها طائر الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل غصن كأعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا في وسط الشجرة فجاءها وأسما مضيا وطيبا وأوشمها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها بأنواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحدا بشأنها حتى يتم أمرها وهي تغدو الى سليمان وتروح الى وكرها فعلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فسار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لم ير عنه حتى نال منه نالا طويلا وأمر اعظم ما قال يوما لاصحابه كل صيد البر وفواته ومقارنته قد نلت منه فأوركبت البحر فما نال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر شيء من خلق الله صيدا وعجائب فأمر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ السفن وجعل يأخذ من كل شيء يملكه وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والغلمان والجواري والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون اليه مما يريده ويشتهيه من الملاهي وركب السفن وسار في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيأ غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فأرسل الله تعالى على سفينته ريحا خفيفة فسيرتها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهي مسيرة ستين سنة في منتهى ستين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركبت سفينته باذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فاخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران طويلة لا يدري أين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق وورقها في عرض آذان الفيلة تفوح بريح الافوان ليس لها ثمر بيضاء الساق فقال لاصحابه اني أرى عجبا أرى جبلا شاهقا في وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبني منظرها ثم انه حول سفينته وجاء بها الى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها وقال لاصحابه أقيموا ههنا حتى أمضي وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذي في وسطها هل عمارة أو أثر آدمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عرجوا بها آدمي قبله ثم انه سعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ما هي لانها أخذت صغيرة ولم تر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك فبينما هي متفكرة في أمر السفينة اذ احس حديث الآدميين فاخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت في أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفعها في السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها تنظر الى السفينة فانت منها التفاتة الى أصل الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنية أنت أم انسية قالت لا والله أنا من خيار الانس فمن أنت فافهمني نفسك فقالت لا أدري ما تقول ولم أنت الا الذي أرى وجهك كوجهي وكلامك ككلامي واني لا أعرف شيأ غير العنقاء وهي أمي التي ربتني وحضنتني وهي تأتيني كل ليلة وتسميني بنتها فقال لها الغلام وأين العنقاء فقالت هي في نوبتها فقال الغلام ومالنوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئني وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه لا يتعظيم على ما نصفه لي أمي العنقاء من ملكه وانها تخبرني انه أحسن

قالوا اتفق وقوفا في منازلهم * ونفس مثلك لا يبغي بمثلها فقالت والشاب قد ضجت أذنا لمعه * والريح تنزع والاشواق تبذلها

الناس وجها وأتمهم خلقا فمن أنت فقال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذي قتل أبي وسبي دريرتي وأراني أن ملاقاته ومن يؤدي اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم تبسم الغلام ساعة فقالت له الجارية ما يبكيك قال على وحدتك في مثل هذا الموضع الذي لا أنس فيه ولا أحد وأن مثلك في الدنيا عدد الشيح والدرمك هم في قاصير الذهب والفضة والعيش الهني والرغد واللذة طيبون مع الازواج يتعانقون ويتناعمون ويتولدون الولدان مثل خلقك وخلقي أرأيت ان هابت الريح فأزعجتك من وكرك من عندك ان تقعي في البحر وان وقعت في البحر فمن ذا الذي يخرجك قال فنزعت الجارية من قوله قالت وكيف لي أن يكون معي انسي مثلك يحدثني مثل حديثك ويعطفني مما ذكرت فقال لها الغلام أولا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير هو الذي حملك وساقني اليك لا كون ذلك الفارس صاحبا وأنيسا لي من أولاد الملوك فقالت الجارية وكيف أصير لك وأنت ابن الملك وان العقاب هذه تروح وتجيء وتغضبني الى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكاءك على العقاب لتلك هذه فاذا جاءت الليلة وقالت لك ما تحبين وما تريدين وما تسألك فاشتهي أن تحملك في نهارك ثم انظري ما يكون من ردها عليك فاخبريني بذلك فعلت وان العقاب رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها يا ثمالك فقالت الوحشة والوحشة قاتلتي واني انزعج على نفسي من ذلك فقالت لها الجارية لا تخافي ولا تحزني فاني أستأمر سليمان عليه السلام ان أتى يوما ولا آتيه فيكون ذلك أسأل ذلك فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها فقال لها أوتستطيعين على ذلك لا ولكني سأخبرك من دوائي هذه درسا وأبقر بطنها وأخرج ما فيها وأطيبه بطيب معي وأدخل أنا في جوفها وألقمها على رأس صفيتي هذا فاذا جاءت تلك العقاب تقولين لها أري عجبا أري ناقة على كوثل هذه السفينة فلو اتخذناها وحملتنا الى فكانت معي في وكري فانظر اليها وآنس بها كان أحب الي من كوني عند ندي نهارا وما كان من أخبار سليمان وأخبار المسلمين فلما رجعت العقاب وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليها في استفتاحها الا في القائم يوما والغد يوما فقالت لها يا بنية ان نبي الله قد اشتغل عني اليوم بالحكمين الآدميين فلم أصل اليها فقالت لها اني لا أريد ان تنتظري عنه نهارا لكان أخبار سليمان وأخبار المسلمين واني أرى في البحر أري شيأ مرتفعا ناهوقالت لها العقاب هذه سفينة قوم سيارة تاجرين في البحر قالت أما الذي أراه على رأس هذه السفينة قالت لها ديباجة أحمر فقالت لها فاحملها الي لاستأنس بهم وانظر اليها فانتصب العقاب فاشتملت الفرس وكان الغلام في بطنها فلما رأى العقاب هذه سفينة ثم انها طارت الى فوقها فلما سمع سليمان نبي الله وريح العلام من بطن الفرس ذلا جهاد لا مسها وانتهى اليها من ساعتها وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر بما جمعهما من قبل الريح وان العقاب واحشة وكان مجلس سليمان يوم ذلك على بساط الطير وحكمهم فلما رأى سليمان عليه السلام الطير في جو السماء ودعا بسرقاء الطير وأمرها أن لا تدع طيرا الا حشرته اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم أمر سرقاء الطير أن يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر والهواء والقفار والقرار والاوكار فحشروا اليه وأمر الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كلهم ثم كل دابة بقدر على وجه الارض فاشتد لها وهي وقالوا في أنفسهم نشهد بالله أن نبي الله قد أهمه أمر عظيم فاول سهم خرج في تقديم الطير سهم الهدهد أو كانت الطير لا تتقدمه الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الهدهد أمام سليمان على رؤوسها وكان قد عرفها فقال لها نبي الله سفيف سفيف اذا احتفشت بي وأخرجت ولدي بعدي فقال سليمان الذكر ما تقول فقال يا نبي الله انها لا تمنع من العابر وهي تعوم البراري فلا أدري هل هو مني أو من غيري قال فامر سليمان بولدها فجيء به فوجد الشيء واسعدا فاطعمه الذكر ثم قال لها لا تمكثي من السفاد حتى تشهدي عليه بذلك العابر بالصراخ فانه لا يجد لها بعدها أبدا الى يوم القيامة فهي اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت يا طير اشهدوا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العقاب فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك في الغدر فقالت يا نبي الله ان من القوة والاستطاعة ما أدفع به الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان فان الشرط الذي كان بيني وبينك زعمت انك تفرقين بقوتك واستطاعتك

منازل الحب في قلبي معلمة * وان تلاقوا نعم الوصل منزلها
وكيف أتركها والقلب يتبعها * سبحان من كان قبل الموت ينزلها

قال البلنسي ذكرتها ومضيت وازداد قلبي توارها ووقع شعرها في قلبي موقعا وأخذ بمجامع فؤادي قولها الا تري أن العقاب واحشة والمحبوب مستوحش في الدنيا من الدنيا ذكر به وصيرورته الى منازل الاحباب وملازمة على ما هي فيه من شغل الحال وبعد أسرار الفراق وسبحان من وهب العباد بكرمه المسؤول

* (وحكي عن ابراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه أنه قال) سرت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا أمشي اذا رجل يمشي معي في طريق يقتضي الجادة والطريق التي كنت أمشي فيها فانتبهت طريقه فقلت له أما تعرف الطريق التي كنت أمشي فيها فقال بلى ولكني أحببت أن أمشي معك ثلاثة أيام ليلتها فمشيت معه على ذلك فلما كان في اليوم الثالث قال لي يا ابراهيم ان لله عبادا يطوي لهم الارض فلا تستبعد ما رأيت منا فبينما أنا كذلك اذ رأيت

فيما بين كل الحرمين الرياحين ورأيت في وسطها بيوتا فلما رأيتها ذكرت ما

بين الجارية والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فاتتني بهم الساعة وانطلق شهود لا علم صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تأتي بهم فمرت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها تبادر الغلام وتدخل جوف الفرس فلما رأته البنت قالت لها كالفزعة ان لك شأنا اذ رجعت من ساعتك قالت لها اي لعمري ان لي شأنا هذا سليمان قد أمر بأصحاب الساعة لأمر كان بيني وبينه في أمرك وانني لا رجو نصرتي اليوم فيك قالت لها كيف تحملني قالت على ظهري قالت وهل أستقر على ظهرك وانى أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزل فاسقط وأهلك قالت في منقاري قالت فكيف أصبر في منقارك قالت لها كيف أصنع ولا بد لي من اصطبارك عند سليمان وهذا عريف الطير معي وقد دعا بكفياتي البومة فقالت لها أدخلي في جوف هذا الفرس ثم ترفعينه على ظهرك أو في منقارك فلا أرى شيأ ولا أسقط ولا أفزع من شيء قالت أصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس في منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدي سليمان عليه السلام فقالت يا نبي الله هي الآن في جوف الفرس فان الغلام قد سمم سليمان طويلا ثم قال لها آمنت بالله وقدره وانه لا حيلة لاحد في دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أومن بالله وأقول ان المشيئة الى العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيأ ولكن من شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا بفعل ولا بعلم وان الغلام الذي قد ولد بالمغرب مع الجارية التي ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن في مكان واحد على سطح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يا نبي الله هذا فان الجارية معي في جوف هذا الفرس فقال سليمان الله أكبر أين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يا نبي الله قال سليمان أنت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما على قضائه ومشيئته قال فامر البومة فقصت جوف الفرس وأخرجتهما جميعا من جوف الفرس فاما العنقاء نفزعت وذهبت وطارت في السماء فاخذت نحو المغرب واختفت في بحور من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر في وجه طير أبدا اتقيا منه وأما البومة فانها لزمت الآجام والجبال وقالت اما بالنهار فلا تروج لي ولا سبيل الى المعاش فيها واذا خرجت نهارا ونحتها الطير واجتمعت عليها وقالت لها يا قذرية فيها تخضع لهذا وهذا ما كان من شأن العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب (ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التي أخرجها له من البحر في قول أكثر أهل الأثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد قامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغني انها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبي غزا سليمان أهل نصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها ستمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت الشمس وفاتته صلاة العصر ولم يعلم أحد ذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي فردوها عليه فعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقي منها مائة فرس في أيدي الناس من الخيل العراب فهي من نسل تلك المائة (وقال كعب) كانت الافراس أربعة عشر فأمر بضرب أعناقها وسوقها بالسيوف وقتلها فسأل الله ملكا أربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها قال الحسن فلما عقر الخيل لاجل الله تعالى أبدله الله تعالى مكانها خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره رخاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدو من ايلياء فيقيل في اصطخر ثم يروح منها فيبيت ببابل (وروى) ان سليمان سار من أرض العراق غاديا فقال بعد بنصف مرو وصلى العصر بعد بلخ تحمله الريح وتظله الطير بجنوده ثم سار من مدينة بلخ متظللا بلاد الترك ثم جاوزها الى أرض الصين ثم عطف عنه على مطالع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزهما حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام

أخرجك من وطنك فقال سمعت قوله تعالى وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فقلت له ما معنى الانابة وما معنى التسليم وما معنى العذاب فقال الانابة أن ترجع الى منزلك الذي منه خرجت ولم يذكر التسليم في الاصل ولعله أراد أن العبد يسلم نفسه لله تعالى ويعلم انه أولى به ثم قال والعذاب وضع صحة عليه وسلم ومات رحمة الله عليه فوارياه التراب وبدا قبره رضي الله تعالى عنه قال ابراهيم فتحببت الى قيم المقبرة حتى فتح لي قبرين فوجدت عند رأسه رضي الله تعالى عنه لوحا مكتوبا على ورقة فنظرت فيها فاذا فيها هذا حبيب الله فتيل الصبر وعلى ورقة أخرى صفة الانابة قال ابراهيم فقرأت لهم ما هو مكتوب عليه فتعجبوا وفسر به لهم فوضع لهم الطرب فلما أفاقوا قالوا قد وجدنا جوابك في كلامنا فوضع القوم على وجوههم الا ابن أبي ليلى فانه بقي جالسا فقال له ابراهيم ما لك لم تسجد فقال انما يسجد عائشة رضي الله تعالى عنها فوجد في وطائي بالمدينة فرجعت فمكثت بعد ذلك سبعين سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد مدة يسيرة فقدتها فتأسفت عليها أسفا شديدا ورجعت باكيا حزينا * (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنهم أنه قال) * رأيت في منامي كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم الى ظاهر المقبرة فإذا هم يلتفتون شبه الآدمي ما هو فتعجبت من

الى العراق أن يبنوا له مدينة فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفي ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان اذ قال الملبك له * قم في البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجيش اني قد أمرت لهم * بناء تدمر بالاعمار والعمد

قال وجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بأرض كسكر أنشأها بعض أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام

ونحن ولاحول سوى حول ربنا * نروح الى الاوطان من أرض تدمر
اذا نحن رحنا كان أمر رواحنا * مسيرة شهر والصدور لآخر
أناس سرى والله طوع نفوسهم * لنصرة دين للمسيحي المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورأفة * وان نسبوا يوما الى شر معشر
متى ركبوا الريح الملبة أسرعت * مبادرة عين شوهها لم تقتر
تظلالهم طير مسفوفة عليهم * متى رفرفت من فوقهم لم تفتر

*(رجعنا الى القصة) * وقال قوم من العلماء معنى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق مسحها في سبيل الله وكوى سوقها بمسها السيف وقال الزهري مسح سوقها وأعناقها من العبار قال الدهبي رواية الواحدي عن ابن عباس قال قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم ان الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان بعد العصر فوقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصاري باسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا فأجعله عزا لاوليائي ومذلة لاعدائي وجعلا لاهل طاعتي فقالت الريح العبد بين يدي وولاي اني مطيعة فقبض منها قبضة فخلق فرسا فقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم بحوها على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فأنت للطلب وأنت للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يمجدوني ويحمدوني ويكبروني فتسبحني اذا سبحوا وتهللني اذا هللوا وتكبرني اذا كبروا وقال لريح الرسول الله صلى الله عليه وسلم ما من تسبيحة وتحميدة وتكبيرة وتهليلة يكبرها صاحب فرس الا فسمعها الا أثبت مثلها قال فما سمعت الملائكة صفنوا وثاروا واخلقت فقالوا رب ملأت سمعنا من تسبيح خيل سليمان فما ذا خلقت لهم فخلق الله لهم خيلا لقاحا عتاقها كأعناق البخت فلما أرسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه عليها سهل فقيل له بورك من دابة اذ بسهولك ذل الله المشركين وأذل بك أعناقهم وملأ بك آذانهم وأرعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شئ قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس فقال له اخترت عزك وعز ولدك الى يوم القيامة وباقيا بقاءك وركتي على ملك وعلى ملوك من خلقت خلقا أحب الى منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلنا له عين القطر أذبنا له عين النحاس أسالت ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكانت بأرض اليمن وانما يتهم الناس اليوم في الخرز بسليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس والطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء قال تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ من أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته فما عاند سليمان الشياطين أمره وأحدثوا له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون وأشباهه ومردة استخرجوا له الملك والقوارير بين خانقين وقصر شيرين ومما حولها الى الغيابة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى الشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع اللآلئ والدر والمرجان وسائر جواهر البحر وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وانواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم أول من عمل ذلك

(حديث القبة) * قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظيم أمواج البحر فوقعت نفسه أن يعلم ما في قعر البحر فامر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسي ملكه ثم دعا رأس العواصين فقال له اختر لي من أصحابك نفر رجل فاختار

له مائتي رجل فقال اختر لي من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لي من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم تخلص حتى ننظر الى قعر البحر وتأتيني بالخبر فقال له سمعا وطاعة يا نبي الله فغاص البحر وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذي رأيت قال يا نبي الله ما رأيت الا أهوالا وحيتانا غير اني رأيت ملكا عظيما فقال لي اين تريد فقلت له ان نبي الله سليمان أرسلني انظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه واقرأ عليه مني السلام وقل له ان قومي ركبوا هذا البحر منذ أربعين عاما فغاب عليهم مركبهم فرجوا يصلونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجلجل في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه وأخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك وانما كان قصد قال فبينما هو على شاطئ البحر اذ رأى هبة من زجاج تضربها الامواج في لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا في اثرها فغاصوا فاخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح لها بابان بصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدي سليمان فقال له سليمان يافتى من اين أنت أمن الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك منا أوى فقال يا نبي الله كانت لي والدة وكنت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدي ولا أترك شيأ من صنائع البر الا صنعتها بها فلما حضرتها الوفاة سألتها ان تدعو لي فرفعت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت بر ولدي بي فارزقه العبادة في موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فرجعت يوما الى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعتني نفسي أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وتزاخرت الامواج بها وكان هذا آخر عهدي يا نبي الله فقال له سليمان فمن اين مطعمك ومشربك فقال يا نبي الله اذا كان الليل جاءني طائر أبيض في منقاره شيء أبيض فيدفعه الي فآكله فهو يقيتني من الطعام والشراب فقال له سليمان فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت في ظلمة هذا البحر قال يا نبي الله في القبة خيطان خيط أبيض وخيط اسود فاذا رأيت الخيط الابيض ازداد علمت انها النهار واذا رأيت الخيط الاسود ازداد علمت انه الليل فقال له سليمان هل لك في صحبتنا رغبة قال لا يا نبي الله ان تشأ أذن لي ان اعود الى قبتي فاذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاخرت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع الجفنة الواحدة طعام ألف رجل فيجتمعون عليها يأكلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لا تزول بسبع القدر الواحد عشر جزر

(قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء)

(ومما) عملوا له مدينة من قوارير بعشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع فيها ألف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع في كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق أسفله أغلظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء يرى من داخلها ما وراء ظاهرها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضيء به في الليل الداجي العسكر كله يتلألأ شعاعه مد البصر وعلى كل ركن من الاركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يأكل ويشرب وينام ويقتح بها وفي أسفلها مرابط واصطبلات واوارى واواخي لدوابه ودوابه (ومما) عملوا له كرسي ملكه

(صفة كرسي سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يروى ان نبي الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسي يقعد عليه اقتضاه وأمر أن يعمل بديعا مثله لا يعمل ولا رآه مبطل أو شاهد زور وارتدع وبهت قال فعملوا له كرسي سليمان من أنياب الفيلة وفصوصه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وصفوه بار بع فخلات من الذهب شمار يخها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس فخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضد ان مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمودان من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على الفخلات أشجارا اكرم من الذهب الاحمر واتخذوا

عناقيدها من الياقوت الأحمر بحيث تظل عريش الكروم والنخل الكرسي قالوا وكان سليمان اذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي بما فيه ودارت الرحى المسرعة ونشرت تلك النسور والطواويس أجنحتها وبسطت الأسدان أيديهما وضربا الأرض بأذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر ينثرانهما عليه ثم تناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فيفتحها سليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال وتجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب والفضة المرصعة بالجواهر وهي ألف كرسي على يمينه وتجيء عظماء الجن فيجلسون على كراسي الفضة عن يساره وهي ألف كرسي حافين به جميعا ثم تظلهم الطير وتتقدم الناس اليه للقضاء فاذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله ودارت الرحى المسرعة قال بعض الرواة لوهب بن منبه ما الذي كان يدير ذلك الكرسي قال بسلاسل من ذهب وذلك الكرسي عظيم لما عمله صخر الجني قالوا فاذا دار الكرسي بسط الأسدان أيديهما وضربا الأرض بأذنابهما ونشر النسران والطاووسان أجنحتهما فتفزع منه الشهود ويداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسي سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فأخذ ذلك الكرسي وحمله الى أنطاكية فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الأسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة دقتها ورماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج حتى مات وبقي الكرسي بأنطاكية حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداس فهزم خليفة بختنصر ورد الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدرى أين هو والله أعلم

(ومنها) بيت المقدس

(صفة بنائه وبدء أمره) قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الآية وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين قيل بالماء والأشجار والأثمار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من تحت أصل الصخرة التي ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يتفرق في الأرض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين (وروى) خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت ظل تلك النخلة آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضي الله عنهما ينظمان حلى أهل الجنة الى يوم القيامة وأما بدء بناء بيت المقدس وسبب بنائه على ما ذكره أهل البصيرة بالسير هو ان الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى جعلهم في الكثرة بحيث لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبثوا مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني اسرائيل كم هم فأمر بعدهم وبعث لذلك عرفاء ونقباء وأمرهم أن يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى اليه يا داود قد علمت اني وعدت أباك ابراهيم يوم أمرته بذبح ولده فصبر وأتم أمري بأن أبارك له في ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء وأجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فأردت أن تعلم عددهم انه لا يحصي عددهم غيري واني قد أقسمت لأبتلينهم ببلية يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك بهم وبكثرتهم فاختاروا الآن أن أبتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود بني اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فان كان ولا بد فالموت لأنه بيده لا بيد غيره فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الأكفان وبرزوا الى الصعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراري والأهلين وأمرهم أن يضجوا الى الله تعالى ويتضرعوا اليه لعله أن يرحمهم فأرسل الله عليهم الطاعون فأهلك منهم في يوم وليلة ألوفا كثيرة لا يدرى عددهم ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد مضي شهر فلما أصبحوا في اليوم الثاني خر داود عليه السلام

الأعمال وعطلات الرجال (فأما) أصحاب المشأمة فهم أهل الخلق الحسن (وأما) أصحاب ... الآخرة بدليل يوم الشهداء (وأما) أصحاب الرجحان فهم الصادقون (وأما) أصحاب التلف فهم أصحاب التوبة (وأما) أصحاب السكة فهم المديون قال فأما تقلبت من نومي متفكرا فيهم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ودخلوا المقابر آمين بجلوسه بالرباط (وحكي عن صالح المري رضي الله تعالى عنه أنه قال) أقبلت ليلة جمعة الى الجامع مبكرا فمررت على مقبرة فجلست عند قبر هناك فنعست النوم فنمت فرأيت في منامي كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا يتحدثون واذا بشاب عليه ثياب دنسة بالية بجانب الحلقة حزينا وما معه ... ثم لم يلبثوا الا ساعة حتى أقبلت الأطباق بأيديهم أطباق ... [illegible] ... الأطباق ودخل في قبره الشاب ... به فقلت له يا عبد الله ما لي أراك حزينا وما هذه الأطباق فقال هذه هدايا الأحياء وعطاؤهم لموتاهم ... [illegible] ... شديد ... [illegible] ... ترق حيث و تكتسيه وقد تضاعف له الحزن والبكاء والنحيب اذ ليس له من يتذكره قال صالح وسألته عن منزل والدته أين هو فوصف لها ورجع

ساجدا لله تعالى يبكى ويقول يارب أنا آكل الطل الحامض وبنو اسرائيل يضرسون يعنى أذنبت وبنو اسرائيل يعاقبون فما كان من شئ ففى أنزله واعف عن بنى اسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم فغمدوها وارتفعوا فى سلم من ذهب فى صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبنى اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فجددوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم ان تتخذوا فى هذا المسجد الذى رحمكم الله فيه مسجد الا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكر لله تعالى فاشتد داود فى بنائه فلما أراد وا أن يبتدئوا بالبناء جاء رجل صالح فقير يعتبرهم ليعلم كيف اخلاصهم فى بنائهم فقال لبنى اسرائيل ان لى فيه موضعا أنا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تحجبونى عن حق فقالوا ياهذا ما من أحد من بنى اسرائيل الا وله فى هذا المسجد حق مثل حقك فلا تكن أنحل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا أعرف حقى وأنتم لا تعرفون حقكم فقالوا له اما ترضى وتطيب نفسك والا أخذنا منك كرها فقال لهم أتجدون هذا فى حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال ارضوه فقالوا بكم تأخذ منا يا بنى الله قال تخذوه بمائة شاة فقال الرجل زدنى يا نبى الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدنى قال بمائة بعير قال زدنى يا نبى الله فانى أشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود سمعت قلت هذا فاحتكم أعطاكه قال نشتريه بمائة مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال الرجل أنت تشتريه لله تعالى فلا تجعل قال سل ما شئت قال أنت أكرم على الله منى ولكن ابن لى حوله بحدا را مشرفا ثم تملؤه ذهبا وان شئت ورقا فقال داود هذا هين فالتفت الرجل الى بنى اسرائيل وقال لهم هذا هو التائب الخالص ثم قال لداود يا نبى الله لان يعذرانى الله لى ذنبا واحدا أحب الى من كل شئ ذهبت لى ولكنى كنت اختبر بكم فجددوا فى بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك أخيار بنى اسرائيل حتى رفعوه قامة ونجزوا فأوحى الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس والمتر جل سفاك الدماء ولست ببانيه ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضى اتمامه على يديه ويكون مبتدوذكره وأجره لك يا داود فصلوا فيه زمانا الى أن توفى داود عليه السلام واستخلف سليمان فأمره الله تعالى باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين فى تحصيل عمل الرخام والبلور والابيض الصافى من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثنى عشر ربضا لكل ربض منها سبعة من الاسباط وكانوا اثنى عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد فوجد الشياطين فرقا فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون فى البحر ويستخرجون أنواع اللؤلؤ وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر وأنواع الطيب من أماكنها فلا يحصيه الا الله تعالى ثم انه أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتضديدها الواحا واصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا يعالجونها فتصوت صوتا شديدا لا يتهافكره سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة فى نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يا نبى الله ليس فى الجن أكثر تجاربا ولا أكثر علما من صخر العفريت فأرسل اليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع الشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بخاتمه لم ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله تعالى فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه به وهو فى بعض جزائر البحر فأروه الطابع فلما نظر اليه كاد أن يصعق خوفا فاقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما أحدث العفريت فى طريقه فقالوا يا نبى الله انه كان يفعل فى بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان ما رضيت بفرارك على وتركك المجىء الى طاعتى حتى صرت تسخر من الناس فقال يا نبى الله انى لست أسخر منهم غير ان ضحكى كان تعجبا مما كنت أسمع وأرى فى طريق فقال له سليمان وما ذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريد أن يستقى بها فسقى البغلة وملأ الجرة ثم أراد أن يقضى حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حق

الرجل

الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البعلة ومررت أيضا برجل آخر وهو جالس عند سكاف يستعمله في اصلاح خف له فسمعته يشرط عليه ان يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين وتسع نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من أمور السماء وقد كنت عهدتها بيلا دفن في موضع فراشها ذهبا كثيرا في الدهر والحال فرأيتها جوعا رثة تعد رأسها ذهب كثير وهي لا تعلم بمكانه ثم تخبر الناس بامر السماء فضحكت منها ومررت برجل في بعض المدن وقد كان به داء فيه فاكل البصل فبرأ من داته فصار يطيب الناس وكان لا يأتيه أحد يسأله عن علة الا أمره أكل البصل وانه لا أعرفني حتى ان مر به بصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت في بعض الاسواق فرأيت القوم وهو أفضل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت ومررت بناس قد جلسوا يتهللون الى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فقل منهم قوم فقاموا وجلة آخرون فجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم وأخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا لغفلتهم والتفت فقال له سليمان هل علمت من كم منجارا بك وجولانك في البحار شيأ يحسن لي هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها بالياقوت قال نعم يا نبي الله اعرف حجرا أبيض كالثلج يقال له السامور فيراني لا أعرف معدنه الذي هو فيه وليس في الطير شيء أحيل ولا أهدى من العقاب فاني بفراخه أن تحمل في صندوق من تلك الجواهر فانه يأتي بذلك الحجر فضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل الى أولاده قال فامر سليمان بفراخ العقاب ان تضم في صندوق من حجر منها ولما له فجيء بها فاخذ فرخين صغيرين فاحكم صنعا وجاء بها فوضعها بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى فراخه وهو يحسبه انه نزع العقاب فنزا من أين جيء أو من حيث أوتي فعلم ما علم ان فيها الكفاية واستعمل ذلك في أدوات الصناع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل في نقش الخواتيم وثقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز فالوافي سائر الايام المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده من الملح الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة ونصص سقفه وحيطانه باللآلئ والياقيت وأنواع الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروز بحيث لم يكن يوجد يومئذ في الارض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان بنيه في الليل كالشمع في ليلة البدر فلما فرغ منه جمع السماء ارين اسرائيل وأعلمهم انه بتأييد الله تعالى وكل شيء بمشيئة الله تعالى واتخاذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا لم يتخذ في الارض مثله أعظم منه من ذلك اليوم ولا أنعم أكثر منه فذبح فيه من البقر والغنم ألف ألف وعشرين ألفا معلوفة ومن الغنم أربعة آلاف شاة * فالوا ومن عجائب ما اتخذ سليمان ببيت المقدس انه بنى بناء طين ما له بابا يدخل ويخرج فكان اذا دخله البناء استبان دخوله في ذلك الحائط أبيض واذا خرج استبان خروجه في ذلك الحائط أسود فعلم البناء بذلك كثير من الناس عن الطين والنخالة ونصب في زوايا المسجد ثلاثة أشجار سرو كان من سرو الجنة وأولاد لانبيائهم يضرمنها شيء ومن مسها من غيرهم اثرة تبين فيه فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس مر ببقر بانا على الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لي هذا الملك فاجعلني خليفتك علي أرضك وأكرمتني به من جعل ان أكون شيأ دون الحد اللهم اني أسألك لمن دخل هذا المسجد لا أسألك لا أسألك أن لا يدخله أحد يريد ذنبا فغفرت ذنبه الا الخارج من ذنوبه يوم ولدته أمه ولا يريد له مذنب الا يتوب عليه ولا عائب الا أقاله ولا مظلوم الا نصره ولا يجذب الا أصبح مجتمع الغيظ وأيما أجبت دعوة وأعطيتني ما لم أسأل فاجعل علامة ان تقبل توبتي فاقبل فنزلت نار من السماء فاحرقت ما بين الخافقين ثم انها صعدت فاستقر القربان وصعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بختنصر بني اسرائيل فخرب بيت المقدس والفى ما فيه وكان سقفه التراب وحمل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى أرض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامر الله أعلم

(باب في قسمة ملكه بين ما كسب بالهدهد وما يتصل به)

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين الآية قال العلماء باخبار الماضين من بني الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز

الاشجان فقال عليك السلام يا ذا النون ما الذي أوصلك الى من أبرده خوف الملك من الانام فاشتغل بما سبب نفسه من التأله فقال يا كلام قال ذو النون فقال لا أرملتني اليك الرغبة في الصفح والاعتذار والتماس المواهب من قساوب المقربين الابرار فقال الرجل علمني انه لله سبحانه وتعالى عبادا فذع في قلوبهم ذل الخشوف وغار الانزعاج في أرواحهم لما تفوه بها نسر فيرتاض النكوت وتسار الى ذراه الى جنب الجبروت فقال ذو النون فقلت له ما بدى منهم لي فقال أولئك هم قوم أوالى لهف ربه وقد تمر فرادن لؤس شراسة ... وتحلوا بادة أسه ثم أنشد يقول

قد كان لي دمع فاذ ... وكان لي عين فاذ ...
وكان لي ... فاذ ...
وكان لي قلب فاذ ...
وكان لي ... فاذ ...
أرى به الاوهام ...
عن ... فاذ ...
لوشئت تحمل الموت أدلقته

ثم قال فانطلق تعالى سيدي فالتقى ولما وقفهم وقفوا قال ذو النون فقلت سيدي

يعني بوسيلة أتقدم بها فقال عليك بتقوى الله في السر والعلانية فان من أحب الله وقاه فان له ويا يتحمل قد على أوليائه ثم قال

للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وأمر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم أقام بها ما شاء الله أن يقيم وقرب القربان وقضى المناسك وبشر أهله بخروج نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت في زبورهم ثم أحب أن يسير الى أرض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يوم تجم سهيل فوافى صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا بيضاء حسنة تزهو بخضرتها فاعجب النزول بها للصلاة وبتعدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى أحدكم الزجاجة في كفه فينظر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم يحفي الشياطين فيستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكرت عباس هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا علي له بقدر أصبع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عمي البصر (وروى) قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاكم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك انه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الارض وعرضها وتطريقها وشمالا فرأى بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت والى أين تريد قال أقبلت من الشأم مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان من داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن أين أنت قال أتاني من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس لملك بلقيس دونه فانه يملك الجن كلها وتحت يدها اثنا عشر ألف فيل مع كل فيل مائة ألف مقاتل والقيل هو الثابت بلغة أهل اليمن فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال فاني أخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليماني ان صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معي حتى آتي بلقيس وانظر ملكها وارجع الى سليمان الا وقت صلاة العصر قال فانطلق سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك انه نزل على غير ماء فسأل الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) في بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فتنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه واختلف العلماء في العذاب الشديد ما هو فقال أكثر المفسرين كان عذابه أن ينتف ريشه ويذره في بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لا أنتفنه ولا أشدن وجليه ولا شمسنه وقال مقاتل لا طلينه بالقطران ولا شمسنه وقيل لاودعنه القفص وقيل لافرقن بينه وبين الفه وقيل لامنعنه من خدمتي أو ليأتيني بسلطان مبين أي بحجة واضحة (وروى) عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان في القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد أن العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال له بحق الذي قواك وأقدرك علي الا رحمتني ولا تعرض لي بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك أمك ان نبي الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى المعسكر تلقاهما النسر والطير كلها وقالوا له أين غبت في يومك هذا فقد توعدك نبي الله سليمان وأخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك بما يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما

سليمان يده إلى رأسه فبذها وقال أين كنت لا عذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فأما هم ذلك سليمان وتعدو عفا عنه (أخبرني الحسين) بن محمد الثقفي بإسناده عن عكرمة قال انا سمع سليمان عن ذبح الهدهد بره والديه ثم سأله الذي أبطأك عني قال الهدهد أخبرك به أحطت بما لم تحط به أي علمت ما لم تعلم به وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش بلقيس بنت الشرخ وهو الهدهاد وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن الشرخ بن الحرث بن قيس بن صيفي ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبو بلقيس الذي يسمى الشرخ ويلقب بالهدهاد ملك عظيم الشان وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول الملوك الاطراف ابنى أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك تزوج الجان وتسمى الملهم وولدت له بلعمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبرنا به ابن مجوية باسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان أحد أبوي لقيس جنيا قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها ملكوها في الملك وملبت من قومها أن يبايعوها طاعتها فوم وعصاها آخرون فاختاروا واحدا منهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من أرض اليمن ثم ان هذا الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان عدوه الى حرم رعيته يتجبر عليهم ان فارادا أصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأى بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت اليه وعرضت نفسها عليه فأجابها الملك الى ذلك وقال لها نعني أن أبتدئ بك فابتدأ بها ملتمسا الياس منك فقالت لا أرغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي واتصل بهم فأجمعهم وأعطهم أموالهم فقالوا لا نرضاها فافعل هذا فقال اعلمي التي ابتدأتني واني أحب أن تسمعوا قولها وتشاوروها فاما بأمرها وذكروا لها ذلك فقالت نعم اني أخبرت الرأي لم أسمع منذ كنت أرغب من هذا الملك فصفرت بيته فزوجوها منه فلما زفت عليه خرج في ناس كثير من خدمه وحشمه حتى غص منازله وديارهم فلما رأته نظر حتى سكر ثم حز رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما أصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوبا على باب داره علموا ان تلك الملكة كانت مكرا وخديعة منها فجمعوا اليها وقالوا لها أنت أحق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والنار لفتلتكم ولكن رأيته قد عمد الى ما فعل بي فاختارني لما فعل بهما فملكوها وانتشت أمرها في الملك وروى ابن مجوية باسناده عن الحسن بن علي عن أبي بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة فلما بلغت بلقيس اتخذت قصرا عرضا

(صفة القصر الذي بنته بلقيس)

قال الشعبي روي ان بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر لها فبنى لها سبعمائة بيت طول البيت ثلاثون ذراعا فأمرت بها فنصبت على ثلاثمائة وستين دنة فصفعله وجعل بين كل اسطوانتين شرجة أدرع ثم جعلت فيها استظلة مملوءة بالواح الزنبار والعلم منها الى بعض بالرصاص من داخل كالأقفال الوح واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص في كل زاوية درج ما قبب من ذهب مرشق في الهواء وبين ذلك بحر الماء يجلب الماء من ذهب مرصعة بالدر والجواهر المربع موضوعة فيه أي في باب ذلك القصر عمد الى المدينة من رخام الابيض والاخضر والاحمر وفي بوابه عمد من رخام اوتوابيم او حوامل من ذهب او مرصعة على قدر مراتبهم (صفة عرشها) كان عرشها من ذهب مرصع بالياقوت الاحمر والزمرد الاخضر وغيرهما من فضة مكلل بالوان الجواهر وله أربع قوائم قائمتان ياقوت أحمر وقائمتان من ياقوت أخضر وقائمتان من زمرد أخضر وقائمتان من درأصفر وصفائح السرير من الذهب وعلى سبعون بيتا على كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا في الهواء قد ذلك قوله عز وجل وأوتيت من كل شيء أي مما تحتاج اليه في الملك من الآلة والعدة وانها عرش عظيم أي سرير ضخم حسن وجسيم وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك أنهم اقالت لو زارتهما كان يعبد آباؤنا الماضون قالوا كانوا يعبدون الله السماء قالت وأين هو قالوا هو في السماء وعلمه في الارض قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه واست أعرف شيأ أشد من نور الشمس وهي أولى ما يبتغى لنا عبادته

فوجدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد لهم على الماء فاحتفروا الركايا وهي الآبار التي لم تطو ببعلبك وادفروى الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا علي وائتوني مسلمين قال ابن جريج وغيره لم يزد سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيأ وكان أبلغ الناس في كتابه وأقله املاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون أي يردون من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب وأتى بلقيس وكانت بارض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاث أيام فوافاها في قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا وقدت غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فاتاها الهدهد وهي نائمة مستقبلة على ظهرها فالقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل سقط الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة بعني طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فاتاها الهدهد قبل تلك الكوة فسدها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظر ما ترى الصحيفة في وجهها فالقى الكتاب بين يديها فارتعدت وكانت فارئة كاتبة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا تكون رسله الطير لا طاقة لنا بحربه فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم انها باعاجت حتى فعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة ألف مقاتل وكانت تسكنهم من وراء الحجاب فاذا أحزنها أمر أسفرت عن وجهها فلما جاؤا وأخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس اني ألقي الي كتاب كريم أي شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما وبدل عليه ما أنبأني به أبو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا علي وائتوني مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري وأشيروا علي فيما عرض لي ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أي تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عند الحرب والامر اليك فانظري ماذا تامرين نجدك لا مرك طائعين فقالت لهم لبلقيس معين عرفوا أنفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الامر فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون أنشدني أبو القاسم الجنيد في هذا المعنى قال أنشدني أبي في معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك في أكنافهم نزل
ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا * جاروا علينا وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم طالوا بمدحتهم * واستثقلوك كما استثقل الكلل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذلل

قال الله تعالى تخبرا عنها وانى مرسلة اليهم بهدية وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الملأ من قومها وحربت الامور وساستهم فعلمت أنه ان كان ملكا زاهدا في الدنيا لا يريد أخذ شيء من ملكها وان كان نبيا لم يقم لجنودها وان كان ملكا قبل الهدية وانصرف وان كان نبيا يقبل الهدية ولم يرض منها الا أن تتبعه على دينه ثم انها أهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد ألبست الغلمان لباس الجواري وألبست الجواري لباس الغلمان واختلفوا في عددهم فقال الكلبي عشرة جوار وعشر غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وأرسلت اليه أيضا بصفائح الذهب واختلفوا في كيفيتها وعددها (أخبرنا)

بين يديه وسلم بعضهم على بعض وجلسوا وأجلسوا معهم ثم قال له الشيخ ادع الله تعالى

ابن معونة أيضا بإسناده عن ثابت البناني في قوله تعالى وابعثوا اليهم بهديه قال أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فنزعوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقي في الطريق في كل مكان فلما جاؤا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان قالوا قد بعثنا لك شيأ نراه هيهنا ما لنا لا يأتيك البتة فصغر في أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت أربع لبنات من ذهب (وقال وهب) بن منبه وغيره من أهل الكتب عدت بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فألبست الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقا من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة بغل وكل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر نواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا كالاكليل بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت اليه أيضا المسك والعنبر والعود والألوة وخرجت وعدت الى حفة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت في الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل شيئا في الخرزة ثم أمرت بالقيم الغلمان فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجواري أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الوجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا أعز منه وان رأيته طلق الوجه طليق اللسان فاعلم انه نبي مرسل فتفهم كلامه ومورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا فلما رأى الهدهد ذلك أقبل مسرعا الى سليمان وأخبره بالخبر كله فأمر سليمان الجن أن يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم أمرهم أن يسيروا له من موضعه الذي هو فيه الى تسع فراسخ بين كل لبنة والتي تليها فرسخ وأن يجعلوا الطريق بينها مبلطا شطرها من الذهب وشطرها من الفضة ففعلوا ذلك ثم أمرهم أن يبعثوا له من الدواب ما شاء من كل صنف فجاءوه بخلق كثير فاختار منها عشرة أصناف من كل صنف عشرة ثم أمر سليمان فجيء بها فعرضت عليه ثم أمر بها فأوقفت عن يمينه وشماله ثم أمر الشياطين أن يصطفوا له صفوفا ثم أمر الانس فاصطفوا ثم أمر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا كذلك عن يمينه وعن يساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسي عن يمينه وعن شماله من يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا له صفوفا ثم أمر الانس فاصطفوا ثم أمر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا كذلك عن يمينه وعن يساره فلما رأى القوم وقد نوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم ير أعينهم مثلها ترددت الى لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الميدان بلبن الذهب والفضة وأمرهم أن يتربصوا في طريقهم بل يدوسوا اللبنات التي معهم لما رأت الرسل موضع اللبنات مالوا عن وسط الأرض معرضين فأشاروا أن تمروهم بذلك فمروا بها معهم في ذلك المكان قال فلما جاؤا الى الميدان ورأوا الشياطين تنظر اليهم من تحت حفر عواتهم فعجبوا لهم وجوزوا ولا خوف عليكم قال فكانوا يمرون على قردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا استأنسوا به عند ذلك وقال ما وراءكم فأخبروه بخبر القوم بما جاؤا به وأعلموه كثرة الملكة فما انتظر اليه وقرأ قال لهم أين الحقة فأتوا بها فأعلمه جبريل عليه السلام فأخبره في الحقة قال ان في بادرة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فانقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لي بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا له أرسل الى الارضة فأرسل اليها فلما أتت أخذت شعرة في فيها ومرت في الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت أن تصيري رزقي في الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله

عند الله عليه وقال وقيل الشيخ وقال يا هرون آتريد أن أسأل الله لك الهدى وهو لاي فقال نعم فقال توبوا الى الله تعالى قال فتوبوا الى الله تعالى ثم تقدم الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين فلما سلم أخذ بلحيته عن يمينه وعن شماله ويبسط يديه الى السماء وأقبل يدعو على محمد وجبريل يؤمن على دعوته ولم يسمع أحد منهما قال فما التهم دعاءه حتى تجللت السماء بالسحاب وأرعدت وأبرقت وأمطرت كأفواه القرب قال فحسر الرشيد بذلك واجتمع اليه خواص دولته وأهل مملكته يهنئونه ويبشرونه بذلك فقال هرون على بالرسل الصالحين فأتي بهم فلما دخلوا عليه وأقبل يحدثهم ساعة ثم قال أيكم يرقى رأسه فقال له رجل من جلسائه اذا

صلى الله عز وجل لا يرفع رأسه الا بعد ثلاثة أيام قال فاصبر وا الرشيد بذلك قبل وقال اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بحرمة الصالحين عندك أن تريني علما من بركاتهم في الدارين وجميع المسلمين

أرحم الراحمين (وحكى عن مالك بن دينار رحمه الله عنه أنه قال) اعتل الغيث سنة من السنين فخرجنا الى الصحراء نسأل الله تعالى أن

فاخذت الدودة غيضا في فيها ودخلت الثقب فرجعت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت أن تصير رزقي في الفواكه قال لها لك ذلك ثم انه ميز بين الجواري والغلمان بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بأحدى يديها ثم تجعله في اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذه من الاناء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لانكم أهل المفاخرة والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من همتي لان الله تعالى قد مكنني منها وأعطاني ما لم يعط أحدا من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم انه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم ارجع اليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان لم يأتوني مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها قالت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم ان بلقيس أمرت بعرشها فجعل في سبع أبيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها ثم أغلقت دونه الابواب وكانت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسر بملكي فلا تخلص اليه أحدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها أمرت منادبا ينادي في أهل مملكتها اليوم تم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فنظر يوما فلم ير على سريره فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا فقالوا يا نبي الله بلقيس وقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على جنوده وقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أي طائعين خاضعين واختلف العلماء في السبب الذي لاجله أمر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لان سليمان علم انها اذا أسلمت حرم عليها مالها فاراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها (وقال قتادة) لانه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فاراد أن يراه قبل أن يراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في مجيئه بها في مرتها قال عفريت من الجن وهو المارد القوي أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك أي مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه الى نصف النهار واختلفوا في اسمه فقال وهب انه كودي وقال شعيب انه كوذان وانى عليه القوي أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيده الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بني آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن فلكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمن فبعث الله الملائكة فملؤوا السرير من تحت الارض يخسفون الارض خسفا حتى انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدي سليمان واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش (فروى) عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن الاسم الاعظم الذي دعا به آصف بن برخيا يا حي يا قيوم وروى عن الزهري قال دعا الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا الاله الا أنت ائتني بعرشها وقال مجاهد يا ذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان في جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من مساكن الارض وهل يعبد الله أولا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من أسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش فدحل فأتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد اليه طرفه وباسناده عن مجاهد قال حدثنا سهيل بن حرب قال زعم ابن أبي برة ان اسم الذي عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه ملخا وقال محمد بن المنكدر انما هو

سلمان

دعائنا ولم يزد النهار الا حرا ولا الشمس الا حرا قل الناس ومشوا الى حوائجهم حتى حمى وردفي في الصحراء فجلسنا بمسجد خرب هناك فبينما نحن جلوس اذ أقبل علينا غلام أسود عليه خرقتان نديمتان تساوى فيهما دراهم فدخل المسجد وصلى ركعتين فلما سلم قال الهي وسيدي ومولاي لم يردد عبادك وفقراء عبدك أفرغ ما عندك أم نفدت خزائنك ثم قال يحبسك لي الامام سقيتهم الغيث قال مالك فوالله ما فرغ من دعائه حتى تحلبت السماء بالسحاب وأرعدت بالبرق وأسبلت مطرا كأفواه الدلو فقال مالك نقلت والله ان هذا لعظيم الجاه عند الله تعالى ثم قام وخرج من المسجد فتبعناه ونحن نخوض في الماء للركب فما زال يمشي ونحن نتبعه من بعيد حتى دخل بيت رجل نحاس كنا نعرفه فلما دخل البيت انصرفنا الى بيوتنا وقد اشتهيت بحبه فلما أصبح الصبح بعثت الى النخاس لشراء الغلام فلما رآني سلم علي وقال ما تريد يا مالك فقلت أريد غلاما عندك فقال النخاس وأي غلام وقال عندي جارية غلام قال مالك فتحيرت في نفسي حيرة شديدة اذ لم أكن أعرف للغلام اسما فقلت أضن بعد الغلمان

سليمان آتاه الله علما وفقها قال له عالم من بني اسرائيل أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فبي بالعرش في الوقت فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده تحول اليمن مأرب الى الشام في قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه أي لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة ترداد امها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم الافضال حتى من يكفر نعمته فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أي زيدوا فيه وانقصوا منه اجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه نظر أتهتدي الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه أراد أن يختبر عقلها وانما دل سليمان على ذلك ما ذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من أهل العلم أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان ويستولدها فتفشي اليه أسرار الجن فلا يتمكنون من تسخير سليمان وذريته من بعده فأرادوا أن يزهدوه فيها فاساؤا الثناء عليها وقالوا له ان في عقلها شيأ وان رجلها كحافر حمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتكبير عرشها وينظر الى قدميها بناء الصرح فلما بلغت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت مغلق سبعة أبواب مغاليقها وخواتمها تحت رأسها ولم تتكر فعلم سليمان كمال عقلها (قال الحسين) بن الفضل شبهوا عليها فاشتبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقالت نعم فقال سليمان أوتينا العلم بآيتها ثم أوتينا الآيات المتقدمة من قبلها أي من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من قبلها أي من قبل هذه الآية وكنا مسلمين أي منقادين لك طائعين لامرك من قبل أن يجتلبك فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس نزيده أمر الشيطان فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج كأنه الماء يجري أسفله الماء وألقى فيه السمك ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وانما أمر ببناء الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض ندخر لسليمان ما نعبد به لئلا نموت فيكسبنا شكرها فتدخل علينا فلا ننال من العبودية والسخرة أبدا فاراد وا أن يزهدوه فيها فقالوا ان رجليها شعراوان فيها شعرا لان أمها كانت جنية فاراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك فلما رآها حسبت انه ماء فكشفت عن ساقيها (وقال وهب بن منبه) انما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها بما يرى لها ذلك كانت هي تتوهمها البركة والوصائف يميزن بين الاكمر والانثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي عظيم الماء فكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد من قوارير ليس فيه شيء من الدنيا قالت له يا سليمان اني أريد أن أسألك عن شيء قال سل عما بدا لك فسألته عن أمور وجبايين من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا جاءه شيء لا يعلم سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا أما هذا فنعم ثم قالوا بل أن تجري ثم املا الا الآنية من عرفها قال لها سليمان عرفت الدليل فقالت صدقت ثم قالت أخبرني عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا وصعق فغشي عليه وتشرفت جنوده فلما أفاق جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك قال يا جبريل ربي أعلم بما قالت قال فان الله يأمرك أن تعود الى سريرك فترسل الهدهد الى من حضر هلمن جنودك وجنودها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لهم اجمالا سألتني قالت عن ما مر وري ليس من أرض ولا من سماء فاجبت قال ومن أي شيء سألتني أيضا قالت سألتني عن شيء لا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وأنساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فاجابت وقالت رب اني ظلمت نفسي

بالغلام قام اليه فقتله فلما نظرت اليه قالت هو هذا ورب الكعبة فقال الخناس وما تصنع بهذا الغلام يا مالك وهو غلام مشؤوم مكار قال يا مالك وهو شؤمه ومكره فقال الخناس خذه وأرحني منه قال مالك فأخذته بعشرين دينارا فقال الخناس يا مالك هذا الثمن كثير في هذا العبد فقال يا مالك والله انه قليل في ثمنه وان رأيت فيه ثم أعجب مني بيده وقتل له يا مالك بالغلام فقال مهون قال قبل منهنا من عند الخناس قال الغلام يا مولاي ما تصنع بي فقال له لا عليك فقال والله لأعلمن أحدا من العالمين واعلمه بي لله رب العالمين فاخذ على شراء الغلام المشؤوم قال مالك فعلمت على ذلك ما رأيته من الاعاجيب في المبيت الذي يأمر الله تعالى الملك ان يغير وجه الغلام عند سماع ذلك فلما قبلنا الى منزلي كان معي بالمنزل قال يا مولاي ما أذنت لي بان أرسل في هذا المصحف فقلت له نعم فتطهر وصلى وقعد وجلست على باب المسجد أنتظره فلما فرغ من صلاته قال اللهي وسيدي ومولاي كانت المعاملة

بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء) في أمرها بعد الاسلام فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فلما علم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها وقال ما أقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة ائتني بحديد فقطعه كره سليمان الموسى وقال انتم اتقطع ساقها فسأل الجن فقالوا الانورى ثم سأل الشياطين فتذكروا عليه وقالوا الانورى فلما أيأس علمهم قالوا لعل الله عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيها النورة فاستكملها سليمان عليه السلام * (أخبرني) * ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التسق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فنقلوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان وبينون ثم ان سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام ثم يكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (وروى) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك اياه قالت وهل يشكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله لك قالت فتزوجني ان كان ولا بد من تبع الاكبر ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلطانه وجها تبع على اليمن ودعا سليمان ذو بعة أمير جن اليمن فقال له اعمل الذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع الذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسألك تهامة حتى اذا كان في سوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحيرية نحن بنينا سلحين وبينا مراح ومراح وفنقون وهنيدة وهنيدة ودلوم وهذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين الذي تبع ولولا ما رفع بها لم يرفعوا أيديهم فانطلقوا وفرقوا وانقضى ملك الذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله أعلم

* (باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أباز وجته الجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه) *

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وروى محمد بن اسحق عن بعض العلماء أن سليمان أسير أن في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس الى سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ في بر ولا بحر فرج الى تلك المدينة فحملته الريح على ظهر حتى نزل عليها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتا للملك اللائي يقال لها جرادة فلم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على يديه فأعجبته فتزوجها وقلة تقتحها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على مقربتها عنده لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ فقالت اني أذكر أبي وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروه لي صورته في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسلبني عن بعض ما أجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين أن يعملوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيأ فتلاها لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فمكثت اليه حينا مسرورة فأزرته وقصته وعمته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن له معها كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن

باب

فقال تكفل بي المحبوب قال ابراهيم فقلت له يا غلام أما تخاف من بعد السفر وطول المشقة قال

باب سليمان أي ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غائبا فأتاه فقال يا نبي الله كبرت سني ودق عظمي ورق جلدي ودقت الذهاب مني وقد أحببت أن أقوم مقامك قبل الموت اذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى واثني عليهم تعالى فيهم واعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فقام له سليمان الناس فقام فيهم فعظمه فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى واثنى على كل نبي بما هو موذكر لهم الله حتى انتهى الى سليمان فقال له ما كان أحكمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكمك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى لم يعد فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له يا أصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا في كل أمورهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتني أثنيت علي بخير في صغري وسكتت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت في آخر عمري فقال له ان غير الله يعبد في دارك أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال نعم في دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت انك ما قلت ما قلت الا عن شيء بلغك ثم ان سليمان رجع الى داره وتكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم انه أمر بثياب الطهر وأتي بها وهي ثياب لا تغزل الا بكارا ولا تمسها امرأة قد أتت دما فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر بوتاد فغرزت ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وجعل فيه تنبابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر عما كان في داره ويقول فيما يقول ويرب ما كان ينبغي لآل داود أن يعبدوا غيرك وأن يشركوا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذلك يوما حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له ولدة يقال لها أمينة كان اذا دخل مذهبها أو أراد قضاء حاجة أو أراد أن يأتي امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه كان به ملكه وسلطانه وكان في خاتمه نقش أنا بسم الله جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سليمان كلما دخل الخلاء أو أتى أهله وضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه فأخذته الشياطين التي كانت تحت يده فلما خرج سليمان لم يجد خاتمه وكان اسمه صخر افتطنته سليمان لانه لم يذكر منه أمر قط الا أتاه فيما يشاء فلما لم يجد خاتمه في يده خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين فلما رأى سليمان ذلك في هيئته ومدخله من كان يعرفه ومن كان لا يعرفه ما كان معهود له عند كل من رآه فقال ألست سليمان فقالوا بلى فما شأنك هكذا فقال سليمان كذبت لست سليمان فما زالوا به يقولون له بما يعلمون من أمره حتى ظن أنه هو فعرف أنها فتنة قد ابتليت بها فكان لا يمر على ملأ من الناس الا قالوا له أنت سليمان فيقول أنا سليمان داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون لقد أصبح اليوم يأمر بما لا يأمر به الملوك قبله فلما رأى سليمان ذلك خرج هاربا حتى أتى ساحل البحر فكان يأتي الملاح فيسأله أن يحمله في سفينته فيأبى عليه حتى يعطيه أجرا معلوما فيعطيه ذلك الشيء الذي كان يأخذ فيأبى عليه حتى يعطيه الثلث أو النصف من كل ما يخرج من البحر فلما رأى الملاح ذلك منه أعطاه ما سأله فحمله في سفينته فلما توسط به البحر انتزع الخاتم من بطن الحوت الذي ابتلعه فجعله في يده فلما رآه ذكر ملكه وسلطانه فخر ساجدا لله تعالى ثم عمد الى السمكة الاخرى فشق بطنها فاذا هو بها وجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووضع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم ان الذي دخل عليه ما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتوني بصخر المارد فلما أتته

قال تكفل بي المحبوب قال ابراهيم فقلت له يا غلام أما تخاف من بعد السفر وطول المشقة قال

الى السماء وسولت نفسه فاتخذ تنينا ينتظر النومة الا تخطفت الا أتاه وسط الخلق ورفيق يقول له احذر أن تنام عن على الزاد فلم أدر أ

اقطعه
الى الطيب وقد قد
امانا
أ لست أخلقني والثوب
أرعى
وسلاني في سبيل الله
انسانا
فان أبيتوا عد كرة الله
يشيبني
ولا أكبرون بعد الله
عليا
وارد ضعفا فوجدني
يحملني
الا الجاز من أعصي
سواسانا
قال ابراهيم فتحيرت
من كلامه على صغر
ثم قال له بالله عليك
الا علمتني ما
اسم الله الذي
ما سمع به
وقال له
أولا فان
على كثير من عباده
وجهه وسلاه
وسليمان الخاتم
الله وفاطر رأسه
اسم وسار الى وقال
يا ابراهيم ان المتقلم
من يعلم الطيب
والواصل من أنعمنا
الطاعة بصحبة
أن يستطاع من الباب
يا ابراهيم فقال له نعم
سألتك بالله أن تدعو
لي ان أطلق من سجني
من أصحابي قال فتنار

الشياطين حتى أتت به فنفث له صخرة فابتلعها فجاء سليمان فبقر بطنها فأخرجه ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر فهذا حديث وهب بن منبه * (وقال السدي) * في سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتي حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الايام وقالت له ان أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يقض فابتلي بقوله فاعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته فقال لها هات الخاتم فاعطته فلما تختم جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها ان تعاينه خاتمه فقالت له ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه تائها وسكت الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فأنكر الناس حكمه واجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فأتوا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن ما أنكروا فقلن ونحن قد أنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك وبكى النساء عند ذلك قال فاقبلوا يعشون حتى أتوه وأخذوا بحلقه وأخذوا مجالسهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فطار التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى الى صيادين الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال اني سليمان ابن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم انه سليمان بن داود فاعطوه سمكتين من ضرب عندهم فلم يشق له ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام الى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن احداهما فاخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا ما كان لابد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر ان يأتوا بالشيطان الذي أخذ خاتمه فاتي به فجعله في صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختم بخاتمه ثم أمر به فالقي في البحر وهو فيه كذلك الى الساعة (وفي بعض الروايات) ان سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاخذه سليمان وأعاده عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنب فاخاتم لا يعاسك أربعة عشر يوما فتب الى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير في عملك وأهل بيوتك بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ويرد لك الى ملكك فخر سليمان هاربا الى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وان الجسد الذي قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فاقام آصف في ملك سليمان وعماله يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوما الى أن رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فاقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت * (وقيل) * سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد الحجلي باسناده عن سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فاوحى الله اليه أن يا سليمان احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما رويناه وقال في آخره قال علي كرم الله وجهه سمعت ذلك للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا القول أصح الاقوال وأليق بانبياء الله تعالى وأقرب الى التقوى (وقال) بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان أنه امر ان لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك (وقيل) ان سليمان عليه السلام لما أصاب بنت الملك صيدون أحب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت له ان أكرهتني على الاسلام قتلت نفسي فخاف سليمان ان تقتل نفسها فتزوج بها مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوتة أربعين صباحا في تخفيه عن سليمان الى أن أسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما (وقال الشعبي) في سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا ان نقتل ولده أو

تعلقت بالاستار والقبر
رزينه
وأنشبعاني القلب والسر
أعلم
أتيت اليه ماشيا غير
راكب
واني على صفري نحب
متيم
هو بتسلك طفلا حببت
لا أعرف الهوى
فلا تعذلوني انني متعلم
وان كان قد عانت اليه
منيتي
لعلي بوصل مثل أحظى
وأغنم
قال ابراهيم ثم أرخى عينيه
وخر ساجدا فاتيت اليه
وحركته فاذا هو قد مات
ورحمة الله تعالى عليه
فتأسفت لذلك ومضيت
الى رجل لا تحذله منه
كعنا واستعنت بريقي
حتى يساعدني على
تحهيزه فاتينا اليه فلم نجده
فتعجبت من ذلك وسألت
عنه من الحجاج فلم يخبرني
به أحد فعرفت أنه
مستتر عن أعين الناس
وما رآه أحد غيري
فرجعت الى مكاني ولم
أفتر عن ذكره فلما جن
الليل غلبت فرأيته في المنام
وهو في موكب عظيم
وعليه نور ساطع وعليه
من الحلى والحلل ما يعجز
عن وصفه الواصفون
قال ابراهيم فقلت له
ألست صاحبي بالامس
فقال نعم فقلت له والله لقد
تعلقت بالاستار وأكثرت فلم أجد لك فقال يا ابراهيم ان الذي أخرجني وحببه شوقي وحزني أهلي غيرني هو الذي كفاني وما تحبله

أسوء حتى قال ابراهيم فقلت له ما فعل الله بك بعد ذلك قال أوقفني بين يديه وقال لما بغيتك قلت أنت بغيتي فقال الله عز وجل أنت عبدي حقا ولا أعجز عن كل ما تريد فقلت سيدي أريد أن تشفعني في القرن الذي منه فقال الله عز وجل قد شفعتك فيه قال ابراهيم ثم صاح صيحة فاستيقظت من منامي فسر بالسرور فلما أصبحت قصصت ما كان على من فراش الليل ولم يفتر قلبي عن ذكر الغلام وسرت في جملة الحاج والناس يقولون يا ابراهيم ازعجت الناس من بابك وأنت نائم قال ولم تزل واضعا الطيب تفوح من يد ابراهيم حتى مات * (وحكى عن ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى) * أنه قال كنت سائرا في طريق مكة على الوحدة فلمحت عن العارف فمكثت أنا حتى توفي وأتاني حتى أخرجني المساعة فقمت لذلك فصليت الليل الوضوء وعرقت الماء وكانت الليلة مقمرة فصعد تلا فصعدت وتلا فصعدا وهو يقول لنا أيا الصمد فدنوت منه فاذا هو شاب حسن الشباب ناعم الاثواب فسلمت عليه فرد علي السلام فوجدته منطرحا على الارض وليس فيه حركة وهند رأسه ويامين خلفه الاثواب

فتعجبت من ذلك وقلت له ما الذي أتى بك الى هذه البرية وهي مخوفة فقال يا أبا اسحق قد دنت وفاتي وقد سألت الله

تخيل له فعسكر سليمان ذلك فأمر الصحاب ان تأخذ ابنه وأمر الريح فحملته وغدا بنسه في السحاب فأمن مضره الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فالقى على كرسيه وهو الجسد الذي قصه الله علينا بقوله وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب والله تعالى أعلم

(باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال أهل التاريخ لما تم لسليمان في ملكه بعد ان رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك مما يعذب به من الشياطين من يشاء ويلتاق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث أحب قال فقال لهم ابليس وهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا ما لنا طاقة بمن نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيأ قالوا نعم قال فأنتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم ان يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف أنتم فشكوا اليه وأخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس أتنامون بالليل قالوا نعم قال فأنتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فقال يا لهم ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فعله قالوا نعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يتعبد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه حدثه في المرة التي مات فيها وكان بدء أمره في ذلك انه لم يكن يوما يسمع فيه الا نبت له بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لاي شيء أنت فتقول لكذا وكذا فان أمرت بها قطع فان كانت نبتت لغرس كتب على غرسها في مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلي يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروبة قال ولاي شيء نبتي قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود كان الله تعالى أخبره وأنا بي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فتزعمها وغرسها في مالها ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون في غد فدخل سليمان فصلى المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات وهو قائم يصلي متكئ على عصاه (وفي رواية أخرى) أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آذاني من الملك ما ترون وما أمر على يوم في ملكي صافيه من الكدر وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي فيه الملك ولا أهتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصره وأمر بالغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه فلا يسمع شيأ سوءه ثم أخذ العصا بيده وقام في محرابه كما كان يقوم فمات والناس لا يعلمون عمله الكبير اذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليهم من باب القصر فقال له سليمان عليه السلام وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذني وقد منعت من دخوله أما منعك البواب وأقبل أماهبتني حين دخلت قصري بغير اذني فقال أنا الذي لا يحجبني حاجب ولا يمنعني البواب ولا أبالي الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان فمن أذن لك في دخوله فقال له رب هذا القصر فاوتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت فقال له أنت ملك الموت قال نعم قال فلم جئت قال لاقبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لي ولا أسمع فيه ما يغمني فقال يا سليمان انك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا يغمك فيه شيء وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لا مرد له قال فاقبض كما أمرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه فلبثوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان وكان المحراب

بابان باب بين يديه و باب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه ففزع ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في المحراب الا احترق فرد ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالباب فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط منا فخبر الناس أن سليمان قد مات فقاموا عليه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا باعة الحبشة قد أكلتها الارضة فلما علموا منذ كم مات وضعوا الارضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك الصوف وجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه و ينظرون اليه ويحسبون أنه حي ولا يستكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك (وفي رواية ابن مسعود) فمكثوا يدخلون له بعد موته حولا كاملا فاتعن الناس أن الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلما أنهم علموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لاتيناك بطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيناك أعذب الشراب ولكنا نتقي البك المآبر الملين شكرا لك فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيه الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته الآية (قال أهل التاريخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها أربعون سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان ما استظلمه فنبأ ما لله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة * ثم ملك بعده ابنه أسا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج يعتريه عرق النسا فلما مع فيها الملوك لضعفه وافترقت ملوك بني اسرائيل فقراهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وفيلة كثيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى ألقت أثقالهم وأموالهم وسلاحهم الى ساحل بني اسرائيل ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تعزوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وعبر هم فيهلكهم الله تعالى الى أن ظهر فيهم العلم والسداد وعشت فيهم العلماء وبعد بعض ملوك بني اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

(مجلس في قصة بختنصر وخبر شعياء وأرمياء ودانيال وعزير عليهم وعلى الانبياء السلام وما يتصل به)

قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

(قصة شعياء عليه السلام)

قال محمد بن اسحق وغيره من أهل السير والاخبار كان مما أنزل الله تعالى على موسى خبر بني اسرائيل من احداثهم وما هم فاعلون بعده كما قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يجاورهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده و يرشده و يكون واسطة فيما بينه و بين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتابا وانما يأمرهم أن يأمروهم بأحكام التوراة والنهي عن المعاصي والمنكرات والدعاء الى ما تركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعياء بن أمصياه وذلك قبل مبعث زكريا يحيى وعيسى وشعياء هو الذي بشر ببيت المقدس حين شكا اليه الخراب فقال أبشر فانه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فذلك الملك لبني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الردية وشعياء معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو و جنوده في سنة ثمانية آلاف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة فجاءه شعياء فقال يا ملك بني اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو و جنوده في سنة ثمانية

أن يحضر عندي وليا من أوليائه فنودي بحضور فقال ابراهيم الحوادث وها أنا منتظرك فقلت له يا أخي ما الذي حبسك ههنا فقال يا أخي أنا كنت عند أهلي في عزة وسرور ونفطر على السكر واشتهيت الغربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج فوقعت في هذه البقعة منذ شهرين وقد حضرت الوفاة قال ابراهيم فقلت له ألك والدان فقال نعم ولي أخت صالحة فقلت له هل اشتقت اليهم أو خطر ببالك بهم فقال لا الا اليوم فاني أحببت ان أسلم منهم وأتحفة أو احدد بهم عهدا قال ابراهيم فاجتمعت اليه وحوش كثيرة وأتوه بهذه الرياحين فبكيت وبكوا معي وصرت متحيرا في أمره متفكرا في حاله ووقع حب الشاب في قلبي وانجذب اليه سري فبينما أنا كذلك اذ أتيت حية عظيمة وفي فمها بقية نرجس لم أر أحسن منها ولا أزكى من رائحتها فوضعتها عند رأسه وقالت بلسان فصيح يا ابراهيم اعدل عن ولي الله تعالى فان الله تعالى يغير على أوليائه قال ابراهيم فلم تمض من ذلك حال وهمت صيحة عظيمة وغشي علي فلما أفقت وجدت الشاب قد فارق الدنيا ورحمة الله تعالى عليه فقلت انا لله وانا اليه راجعون ما هذه الاعجوبة عظيمة كيف أصنع في تجهيزه قال فارسل الله على النوم فنمت فما أفقت

الاب عدله وقد طلعت على الشمس فنظرت الموضع الشاب فلم أجد له أثرا فتعجبت من ذلك ومرت بي دخلت مكة فلما قضيت

الفريضة وأقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هاجم الناس وتفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فخبرنا به كيف يفعل الله بنا بعد وبنا شر بني اسرائيل وجنوده فقال النبي لم يأتني وحي فبينما هم كذلك اذ أوحى الله تعالى الى شعياء عليه السلام أن ائت ملك بني اسرائيل فأمره أن يوصي لزوجته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته وعشيرته فأتى شعياء عليه السلام فقال ان الله أوحى الي أن آمرك أن توصي لوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فقال له الملك لما قال ذلك شعياء له عليه السلام أقبل على الله تعالى وصلى ودعا بكى وقال في دعائه وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى يقلب خالص وظن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة القدوس المقدس يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني يا رب وفعلي وحسن قضائي في بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني سري وعلانيتي ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبد الملك اذا أوحى الله تعالى الى شعياء أمره أن يعبر عليه فيقول الملك أن ربك قد استجاب لك ورحمك وقبل منك وقد أخر أجلك خمس عشرة سنة وأعاذك الله من عدوك سنحاريب ملك بابل وجنوده فلما بلغ شعياء البيت وأخبر بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهم الى وخر ساجدا لله تعالى وقال يا الهي واله آبائي الملك سجدت وسجدت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتجيب دعوة المضطر من أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى الى شعياء أن قل للملك شعياء يسألك ربك حاجة أن يأمر عبدك ان عبيده فيأتيه بعيالك التين فيجعله على قرحتك ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما هو صائر بعد وتنا هذا فقال الله لشعياء قل له اني كفيتك عدوك هذا وأميتك منه وانهم سيحبسون بموت كلهم الا سنحاريب ونفسة تمر من كبرائه وكان فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة فقال ملك بني اسرائيل قد كنا لك الله عدوك فاخرج فان سنحاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك الى سنحاريب فلم يجد فيها الا الموتى فبعث الملك في طلبه فادركه الطلب هو ومن معه في عسكر من كبرائه في معاونة أبيهم بخيله ورجله في الجوامع ثم أقبلوا على ملك بني اسرائيل فلما رآهم شمر حتى بدا لله تعالى من ظلمات الليل الا الصبر ثم قال يا سنحاريب كيف نرى فعل ربنا بكم ألم يستأصلكم بصوله وقوته وبأسه ثم ان الله تعالى أوحى الى شعياء أن قل لملك بني اسرائيل أنا ربكم ونصيرته اياكم من قبل أن أخرج من بلادي فلم أظلم من أحد أولم ألقى في الشقوة الا الله تعالى فاوسعت أو عقاب ما عزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معي قال فعال سيدنا أنا لله وانا اليه راجعون كذا نالم يا شاماه ان ونظالم يقتل ومن معك لكن الله علينا ولكن انما أتينا من قبل ذنوبنا واشتغارنا في الدنيا واعدادنا في الآخرة وتخسيرنا من وراءكم فاصبروا من معك لربنا وربكم ومن معكم ولله الملك ومن معك أهون عند الله من ذم قرادة فلما قتل ثم ان ملك بني اسرائيل أمر أمير جيشه فقدم فقام بين أيديهم وطافهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايا ها وكان يعلمهم كل يوم رغيبين من شعير لكل رجل منهم وقال لهم ملك بني اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما أردت فامرهم الملك الى سبعين الف رجل فاوحى الله الى شعياء أن قل للملك سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكروا راجعين الى بلادهم ففعل الملك ذلك فلما خرج سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قطعوا بابل وأقاموا بها شهرا ثم سنحاريب الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك قد كنا نقدس على أن نخبرهم وتخبرهم والله لنعلم لتطعمنا وهي أمة لا يستطيعها أحد وكان في أمر سنحاريب ما شاء الله أن يكون فرفع بعزة ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بنتصر وكان ابنه وكان ينتصر يعمل كما يعمل جده ويقضي فضائله سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بني اسرائيل صدقة فخرج أمر بني اسرائيل وتنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغي والفساد وبيوتهم شاهدة لا يسكنون اليوم ولا يعمرون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى لشعياء عليه السلام قم في قومك يوشع على ابنا لك فلما قام النبي أطلق الله لسانه بالوحي فقال يا سماء اسمعي ويا أرض انصتي فان الله أراد أن يقضي شأن بني اسرائيل الذين رباهم سمعته

حتى توجهت الى باب الشاب فاستفتاح نساء عابدين مرتفعات وفي أيديهن امرأة عليها مرقعة وتوسد من شعر وبيدها كوز فمضى لا تدري عن ذكر الله تعالى فقلت لها فما رأيت أشد منه بالشباب منها فقالت يا أبا فلان لقد تعنى في اشتياقك لقد تنى عن أمر وفره عيني ثم بكت حتى توارت بكائها وبكت معها ثم وقعت لها الشاب وما كان عندي من الزاهدين فلما سمعت قوله أجبته ان أشم معهم رائحة أو أبدد بهم فقال أنت قد قام الشيخ ثم سقط الى الارض ميتة فاجتمع أهل الشام فقالوا رحمك الله يا شيخ لقد كنت تأتينا فما كلمك أحد قط فقال ابراهيم ولي أخ في مدينة فمشيت اليه حتى صرت بباب داره فسألت عنه فقيل لي هو في المقابر فاتيتها فاذا أنا به قائم يصلي فلما رآني سلم ثم قال ما جاء بك يا ابراهيم فقلت له ما جاء بي الا الشوق اليك فقال لي ما أحسن ما قلت ثم أقبل يصلي فاذا هو يقرأ هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون * (وحكي عن الشيخ أبي بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه) * انه قال مررت بمجنون في بعض الايام

يا الصبيان يرجونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه فزجرتهم عنه وهم يقولون دعنا منك فانه كافر فقلت وما الذي بين أحدكم وكفره

واصطفاهم لنفسه وخصهم بكراماته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الاستة الخاطئة الذين لا يدرون أجاءهم الخير أم الشر وان البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحار يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المسرح الذي يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا بقر ولا حمير انى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون في أرض كانت خرابا مواتا فبنيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غرس من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأي حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جناها طلعها خروبا فقال بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرها وقصرها ويغيض ماءنهرها ويعرف غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي والغراس هم وان الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قضيت عليهم قضاء هم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فرهبهم يتقربوا الى بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا الدم ولكن يتقرب الى بالتقوى والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فأديمهم مخضوبة منها وبنانهم مزملة بدمائها ويشيدون لي البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها ويجصصون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فاي حاجة لي الى تشييد البيوت وليست أسكنها وأي حاجة لي الى تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها واسبح ولتكن معملا ان أراد أن يصلي فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم أنبتهما وهما في أجمع ما يكون فقل للعودين ان الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا صارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم اني قدرت على أن أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا أقدر على الفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على أن أنفعه قلوبهم وأنا الذي صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا وان دعونا بمثل جبين الجبال وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين أذان بدي قلت كيف بداي مبسوطتان بالخير أفلق كيف أشاء مفاتيح الخير أن عندي لا يفتحها غيري أم يقولون رحمتي ضاقت فكيف ورحمتي وسعت كل شيء انما يتراحم المتراحمون بفضلي أم يقولون البخل يعتريني أولست أكرم الاكرمين وأنا الفتاح بالخيرات ألست أجود من أعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التي نورت في قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا أن أنفسهم هي أعدى الاعداء لهم فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طائعة تركن الى من يحاربني وينتهك محارمي أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم وانما أجزي عليها أهلها المخصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاء وانما هو قول بألسنتهم والعقل من ذلك بعيد انما أستجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المسكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المغلوب وعالوا الغائب وأدوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغي لي أن أكلم البشر اذا كلمتهم وكففت أذاهم وكنت فوراً بصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت ألسنتهم الا أنهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها أقاويل منقولة وأحاديث متوارثة وتأليف فيما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا أن لو يشاؤا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وأن يطلعوا على علم الغيب بما أوحى اليهم الشياطين اذا أملوا وكلهم يستخفي بالذي يقول ويسروهم يعلموا اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما يبدون وما يكتمون واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء بينته

الوا يزعم أنه يرى ربه ويخاطبه — قال الشبلي فغمهم عنه وتقدمت اليه فوجدته يحدث نفسه ويضحك ويقول

يل منك ان تسلط
لى هؤلاء الصبيان
ـماون بي هكذا قال
شبلي فقلت له يا أخي
يقول عنك هؤلاء
صبيان حتى فقال ما
ذي يقولون عني فقلت
يقولون انك ترى
بك وتخاطبه قال
باح صحة وغشي
يه فلما أفاق قال يا شبلي
حق من تهيني بحبه
بغي بقربه لواحتجب
ي طرفة عين لتقطعت
ي ألم البين قال الشبلي
رفت أنه من الخواص
باب الاخلاص ثم قلت
سدي فما علامة المحبة
ال يا شبلي لو قطرت منها
رة في البحار لصارت
بر او لو وضعت منها
على الجبال لصارت
ـمنشورا فكيف
وب كثيرها الغرام فلقا
ير او زادها الهيام خرقا
ير ثم جعل يقول شعرا
ف الحبيب لمن دعاه
را
ه كاسا فاشتدي تخورا
تاده جزا للهيب ولم يرد
لحبيب فنال منه حبورا
ن كان الحبيب نديمه
ـذا اليوم من الجميع
را
ا رأيت محبه في سكره
م العذار رأيته معذورا
ذا يطيق الصبر عن
ويه
ـا المحب يكون عنه
ـا الا محكم ذي الثوب المصري رضي الله تعالى عنه كان قال صوت وما في بعض الاسواق أشد حنانا من صوت

على أن أربعة عشر رجلا ولبس معها أحد فقالت والله لامضين معهم ولأكونن في جملتهم لما أتوا

على نفسي وجعلت له أجلا موجلا لا بد أنه واقع فان صدقوا فيما يقولون من علم الغيب فليخبروا متى أنفذ في أي زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي (أقضي) فاني مناظره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي أدبر بها أمر ذلك القضاء كانوا سادة سنين فاني قضيت يوم خلقت السموات والارض بان أجعل النبوة في الاحرار وأجعل الملك في الرعاء وأجعل العز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والثروة في الاملاء والمدائن في الفلوات والاعلام في المفاوز والقرى في الغيطان والعلم في اهل الحكم في الاميين فسلام من هذا ومن التيم بهذا وعلى يدمن أنشئه ومن أعوان هذا الامر وأنصاره فاني باعث لذلك نبيا أميا لا أعمى من العميان ولا ضال من الضالين ليس برثا ولا غليظا ولا صخابا في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال بالخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلمه بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد الفقر وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به قلوبا مختلفة واهواء متفرقة وأمما متنافرة فجعلت أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بأياتي وتوحيدي يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا فيخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله الهم سيماهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم ومنامهم ومضاجعهم ومقيلهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويحمدون ويسبحون على رؤس الاشراف يطهرون الوجوه والاطراف يعقدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فالمفرع فيهم شعباه من مكة تغدو اعليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فاذا هو بكالشبلان فاختبئ بهما من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى بلغوا هاهنا وهو في وسطها والله أعلم

(قصة أرميا عليه السلام)

فاستخلف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شعيا رجلا منهم يقال له أشية بن أموص وبعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر أرميا من خلف باه وكان من سبط هارون بن عمران والخضر لقب لانه جلس على فروة بيضاء فتم عنها وهي تهتز خضراء فقال الله تعالى لارميا سيبعثه الى بني اسرائيل بالرسالة من قبل أن أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصور لك في بطن أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ السبي نبأتك ولاسمائك فذكرهم ما ذكرهم اسماعيل واسحق ويعقوب الى فقال أرميا اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تنصرني فقال الله تعالى أنا ألهمك فقام أرميا فيهم خطيبا وأول ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم في آخرها ان الله قال فاني أحلف بعزتي وجلالي ان لم يتم والاقيدن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولا يطيق علمها جبار قاسيا البسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل الظالم ثم أوحى الله تعالى الى أرميا عليه السلام اني مهلك بني اسرائيل بيافث وبافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع أرميا بخبر وساء وشق ثيابه وسئل الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع أرميا وبكا فساءه ما يأتي على بني أمه أشق على بني أمه من ما أتوعد الله قال نعم يا رب أهلكني قبل ان أرى في بني اسرائيل ما لا أسر به فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أهلك أحدا من بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك فيفرح أرميا بذلك وطابت نفسه وقال والذي بعثك يا موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني اسرائيل ثم أتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال ان بعثك ربنا فيذنوب كثيرة وان عفا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وعنادا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفيقوا فلما اتم علمهم بقتله سرح في سمائة الف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل بختنصر سائرا الى الملك أتى الملك الخبر فقال الملك لارميا

الى الجبانة فقالت لهم ما قوم أين ولى هذه الجبانة حتى يصلي عليها فقالوا يا شيخ كلنا في الاحياء ما ليس فينا أحد يموت فقال ذو النون فتعجبت من ذلك عجبا شديدا ثم تقدمت وصليت عليه وأثر لها في جنبه وواريناه بالتراب فلما هممنا بالانصراف قلت لهم ما شان هذا الميت أشيء يصيبه فقالوا لا نعلم غير ان امرأة ذكرت انه صلى وهي لا تحبه فبينما نحن في الحديث اذ أقبلت امرأة بابنها عليها السواد والبكاء والصبي يقود أمه حتى وقف على القبر فكشفت وجهها وشهرت شعرها ورفعت يديها الى السماء وهي تقول يا ربي أنت ربي وتعلم ما في نفسي ثم حملت الى الارض فقلت لها بعد البكاء فما الذي بلغك من فعل الله فقالت أنت مرحلة الله فقلت لها ذو النون فقالت لي والله لولا انك من أهل الصالحين ما أخبرتك بخبره ثم قالت يا أخي ان هذا الشاب ولدي وقرة عيني وكان ناشئا في شبابه

أنت زعمت أن الله أوحى اليك فقال أرمياء ان الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل وأراد الله هلاكهم بعث الله الى أرمياء ملكا فتمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له يا نبى الله انى استفتيك فى أهل رحمى وصلت أرسامهم ولم أزل اليهم محسنا ولا يزيدا كرامى اياهم الا استخفافا بى فانى فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فمكث الا أياما ثم أقبل عليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء أوما ظهرت أخلاقهم لك بعد قال يا نبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل قال أرمياء عليه السلام ارجع الى أهلك فاحسن اليهم وسل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس باكثر من الجراد فقزع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يا نبى الله ابن ما وعدك الله به قال انى برب لواثق ثم أقبل الملك على أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يفتل وينتشر بنصر به الذى وعده فقعد بين يديه وقال له أنا الذى أتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال له أرمياء عليه السلام ألم يأن لهم أن ينتهوا من الذى هم فيه فقال له يا نبى الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياء عليه السلام على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك وأتيتك لاخبرك وانى أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبيا الا ما دعوت الله تعالى عليهم لهلكهم فقال أرمياء يا ملك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم قال فما خرجت الكلمة من فم أرمياء عليه السلام حتى أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك أرمياء صاح وبكى وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه وقال يا ملك السموات والارض أين ميعادك الذى وعدتنى فنودى انه لم يصبهم الذى أصابهم الا بخطاياك ودعائك فاستيقن أرمياء عليه السلام انه افتتان وان ذلك السائل كان رسول ربه فصار أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بنى اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا ما كان فى بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبى فلما أراد أن يقسم الغنائم فى جنده قال له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل فعل ذلك فاصاب كل واحد منهم أربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبطا بناخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ومن بقى من بنى اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقره بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بما وانى بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلمان السبعين ألفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزلها الله على بنى اسرائيل باجسادهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر وجنوده * (وكان بدء أمر بختنصر) * على ما روى جماج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يبكى وفاضت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يا رب أرنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى اسرائيل على يديه فارى فى المنام أنه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال واعتمله وكان رجلا موسرا فقيل له أين تريد قال أريد الغارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكثر اهاليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه فقال هل بقى مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بهيج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برئ فكساه وأعطاه نفقة ثم أذن الاسرائيلى فى الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلى ما يبكيك فقال أبكى لانك فعلت معى ما فعلت ولا أجد شيأ أجازيك به فقال جزائى شئ يسير قال وما هو قال ان صرت ملكا

وملكت بيت المقدس أتعطيني ما أطلب مفعل بنبعه ويقول له أستهزئ بي ولا عنده أن تعطيه ما سأله الا انه يرى أنه يستهزئ به قال فنبي الاسرائيلي وقال قد علمت ما منعك أن تعطيني ما سألتك الا لانك تعلم أني لا أبدأ بشيء قبلك فكتب له كتابا وضرب الدهر ضربانه فقال يوما لحيون وهو ملك بابل لو انا أرسلنا ما يه سنة الى الشام قالوا ما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فبعث رجلا وأعطاه مائة ألف فرجع يحتقر في ما بعثه ولم يخرج الا رأسا في مطيته فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الارض فرسانا ورجالا واجادا فكبر ذلك في عينه فلم يسأل ولم يسألهم عن شيء وكان يحتقر دخول الشام ولم يزل يجالس مجالس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم أن تغزوا بابل فلو غزوتموها لغنم منها شيئا كثيرا فقالوا لا لانا نحسن القتال ولا نقاتل حتى انتقدت الى أهل الشام وعرفت سيرتهم ثم ان الطليعة رجعوا فاخبروا ملكهم بما رأوا وكان يحتقر رجوع من بعثه فجعل يقول لفراش الملك لو دعاني الملك لاخبرته غير الخبر الذي أخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعا صاحبه الخبر وقال ان فلانا ما رأى أكثر أهل الارض كلهم أبطالا وجلادا كبر ذلك في عينه ولم يسأله عن شيء وانما أدع مجلسا بالشام الا جلست فيه فسألت أهله فقالت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة لبختنصر فنحتني للملك مائة ألف دينار وترجع عما قلت فقال له لو أعطيتني بيت مال بابل ما رجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضربانه فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فان وجدوا مستعدا ما عدوا الا أن يكونوا قد رأوا عليه ما قالوا ما ضرك لو فعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني به فبعثه فاقتص معه أربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسمعوا ما شاء الله تعالى ولم يخبروا ولم يقتلوا ومات حيون الملك فقتلوا استخلفوا ما كانوا على ولسكن حتى تأتي أصحابكم فانهم رسلكم فانصرفوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه فقسمه بين الناس فقالوا ما رأينا أحدا أحنى بالملك منه فهذه القصة الاولى فلكوه على أنفسهم (وقال السدي) باسناده ان رجلا من بني اسرائيل رأى في المنام ان خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام يتيم ان أرمله من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يعدون قصورهم فاقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه وكان قد ذهب بختنصر يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فالقاها ثم قعد في جانب البيت فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاما وشرابا فاشترى بدرهم طعاما وبدرهم خمرا وجاء به فاكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلي اني أحب ان تكتسبني أما ان اذا أنت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر ان سخرني فان لا أسخر منك ولكن ما علي ان تجعل عندي لك يدا فكلمته أمه فقالت ما علينا ان كان والا لم نفقد شيئا فكتب له أما ان فقال اذا رأيت ان تجتلد والناس حولك تدوسون بينك فاجعل لي علامة تعرفني بها حتى ترفع عني فقتل على قصبة فاخرفلنجم فكتب له أما ان وأعطاه اياه ثم ان الله تبارك وتعالى بكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويدنيه مجلسه ويستشيره في أموره ولا يقطع أمرا دونه وان الملك هوى أن يتزوج بنت امرأته هذا قول السدي * وقيل كانت بنت امرأته كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى عليه السلام يحيى بن زكريا عليهما السلام في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما علمهم منه نكاح بنت الاخت قال وكان الملك ابنة أخت تعجبه ويريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يقضيها له وذكر الحسن بن عقيل يحيى بن زكريا عليهما السلام * (رجعنا الى حديث السدي) * قال فسأل يحيى عن نكاحها فقالت أو شاها الملك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاها وكانت تريد أن تزوج ابنتها هذا وقد كان الملك على شرابه فالبست ابنتها ثيابا حمرا رقاقا فاخرة وطيبتها والبستها من الحلي شيئا لا قيمة له من غاية حسنه وألبسته فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر وان تمرض له فان راودها عن نفسها فابت عليه حتى يعطيها ما تسأله ويكون الذي تسأله أن تأتي برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتمرض له فلما أخذ من يدها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت أسألك ان تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتيني برأسه في طشت فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد غيره فلما أبت عليه بعث

فحسرت عنهم حتى صاروا على ما وراءه في بلده وانصرف عنهم من كان معه ثم مات الملك عدو الله فاستخلف ابنا له صغيرا فاقبل سليمان بن داود عليه السلام في جماعة من الانبياء والاولياء والصالحين حتى نزلوا من السماء فاتوا قبر عدو الله فنزل ابنه على قبره وقال لاصحابه ما كنتم من أهل النار فانتم اليوم من أهل الجنة بمجاورة سليمان من العاصي والاوزار فقال له سليمان يا أخي لا تعجل علينا وانتظر حتى نسأله فقال قد انتظرتكم ما فوجدتم ما علمت أتسمين بالنار الى معاد الله تعالى قال فانتظر حتى نسأله فقال انتظرته فوجدته عالما بصياح الفراخ والحشرات والذكران قال فانتظر لسانه فقال انتظرته فوجدته عالما بالاذان والصلوات وتركب الحرمات قال فانتظر يديه فقال انتظرتهما فوجدتهما عالمتين بالاثم والعدوان من الاكل والشهوات قال فانتظر رجليه فقال انتظرتهما فوجدتهما قد مشتا في النجاسات والامور المذمومات فقال الآخر يا أخي لا تعجل علينا ودعنا نأتي اليه فنزل الملك الثاني اليه ومكث عنده ساعة وقال يا أخي فانتظرت قلبه فوجدته مملوءا بالايمان فاكتبه سعيدا مرحوما فضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شيء قال مالك فانتهيت من مناجاتي متعجبا مما رأيت فسمعت قائلا يقول هذا الكلام شعرا

الى يحيى فاتى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهى تقول انم لا تقتل لك قاتلا أسبى الملك واذا دم يحيى يغلى فامر بالتراب فالقى عليه فرق الدم فوق التراب يغلى فالقى عليه أرطالا وارتفع الدم فوق كل شئ يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلى فبلغ بخت نصر ما يصنع ملك بابل ذلك فنادى فى الناس وأراد أن يبعث لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فاتاه بخت نصر وكلمه وقال ان الذى أرسلت تلك المرة ضعيف واني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابعثنى فبعث بخت نصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان رآهم أهله تحصنوا فى مدائنهم فلم يلقهم فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه أرادوا الرجوع فرجعت اليهم عجوز من عجائز بنى اسرائيل وقالت أين أمير الجند فاتى بها اليه فقالت له بلغنى أنك تريد الرجوع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع أصحابى فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى قالت أرأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطينى ما أسألك وتقتل من أمرك بقتله وتكف عن أمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة اقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء ونادوا يا بنادلنا على من قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبى لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله وأتاه صاحب الصيحة بحجفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر ان تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة قتلته فى تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بخت نصر ذهب بوجوه بنى اسرائيل وسراياهم

(قصة دانيال عليه السلام)

وذهب دانيال وقوم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بخت نصر أرض بابل وجد سجاريب قد مات فملك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بخت نصر رأى رؤيا عجيبة فافزعته فسأل عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان فى السجن مع أصحابه وقد أسبى صاحب السجن واعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد أحسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لاعبرها له فجاء السجان واخبر بخت نصر بقصة دانيال فقال على به وكان لا يقف بين يديه أحد الا سجد له فاتى به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذى منعك من السجود لى فقال له ان لى ربا آتانى العلم والحكمة وأمرنى ان لا اسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره ان ينزع منى العلم الذى آتانى ويهلكنى فاعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنت حيث وفيت بعهده واجللت علمه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك فى تعبيرها قال نعم قال فاخبرنى فاخبره برؤياه التى رآها قبل أن يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا مما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بخت نصر رأى فى منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من خزف ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأى شجرة اصلها فى الارض وفرعها فى السماء ثم رأى رجلا بيده فاس وسمع منادیا ينادى اضربوا جذعها لتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واتركوا أصلها فاتاه عبرها له دانيال عليه السلام فقال اما الصنم الذى رأيت رأسه من ذهب فانت الرأس الذهب وانت أفضل الملوك واما الصدر الذى رأيت من فضة فهو ابنك عال من بعدك وأما البطن الذى رأيت من نحاس فانه يكون بعد ابنك وأما ما رأيت من الفخذ الذى من حديد فتتفرق فرقتان فى فارس تكونان أشد الملوك وأما الفخار فانهم ملكهم يكون دون الحديد وأما الحجر الذى رأيت قد وقع من السماء ودر باحتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبى يبعثه الله فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كله ويربو ملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب وأما الشجرة التى رأيت والطير الذى عليها والسباع والدواب التى تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويرد الله طائرا نسرا عظيما فيملك الطير ثم يرد الله ثورا فيملك الدواب ثم يرد الله أسدا فيملك السباع والوحوش وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرنا سبع سنين فى ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض ومن عليها وأما

ما

مارأيت من أن أصلها قائم فان ما كان قائم فسئل وهب بن منبه أكان مؤمنا أم لا فقال وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا في ذلك فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه مزق بيت المقدس والكتب التي فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه توبة قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه وأخبره بها أكرمه وأكرم أصحابه وجعل يقبل عليه ويستشيره في أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم اليه فحسده المجوس على ذلك فوشوا به وباصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال واصحابه ما يعبدون الهك ولا يأكلون ذبيحتك فدعاهم وسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فامر باخدودفقدهم والقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضاريا فأكلهم ثم قال انطلقوا فأكل ونشرب فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكهم بشئ ووجدوا معهم رجلا رابعا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السابع وانما كانوا ستة فرع اليهم السابع وكان ملك من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فصار في الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم رده الى صورته وردعليه ملكه قال السدي فما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فسدهم المجوس أيضا وشوا بهم ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يعلم نفسه ان يبول وكان ذلك فيهم عارا فعمل لهم بختنصر طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك يبول فاضربه بالطبرزان فان قال أنا بختنصر فقل له كذبت بختنصر أمرني قديس الله من دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يصب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال له أنا بختنصر فقال كذبت ان بختنصر أمرني ان أقتل كل من خرج أولا ثم ضربه فقتله * (وأما) * محمد بن اسحق فانه قال في هلاك بختنصر غير ما قال السدي وذلك انه قال بلغني والله أعلم انه لما أراد الله هلاك بختنصر قال ان كان في بني اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت فقالوا له هذا بيت الله تعالى ومسجده من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا الله تعالى عليهم عدوهم بذنوبهم قال فانظروني ما الذي يطلع علي الى السماء واطلع عليها فاقتل من فيها فأوثقوه حتى فرغ من الارض وما فيها فقالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أو لقتلنكم عن آخركم فشكوا الى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه قدرته ليريه ضعفه وهوانه بموضة فدخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى عضت بأم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت الذي لا امتنع من أهله اذا أتاه فشق وارأسي وانظر واما الذي قتلني فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة قد استقر بأم دماغه فاتم الله العباد قدرته وسلطانه ونبي الله تعالى من كان بقي في يده من بني اسرائيل ورجعهم ورد هم الى بلادهم والشام فبنوا فيها وكثروا وكثر واستقى كانوا على أحسن ما كانوا عليه يعرفون ان الله أسبغ المؤمنين الذين قتلوا وعذبوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشأم وجدوا بختنصر قد أتى التوراة التي بعث معهم عهد من الله فجاء الله توراتهم وردها اليهم على لسان عزير وسنذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أيام صعد نبوخذ نصر ما تتم وخمسين يوما فلما مات بختنصر استخلف ابنه ملسلاس وكان آتيا بيت المقدس التي بناها بختنصر ببابل عند ركان نجسها بالدم الخنازير وشرب فيها الخمر وأمسى دانيال فلم يقبل منها شيئا وعاد الى فيء ملسلاس فاعد ذان يوما اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف شهدها ثم غابت فعجب من ذلك وتحير ولم يدر ما هي فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله ان يقرأه ذلك الكتاب ويخبره تأويله فقال دانيال باسم الله الرحمن الرحيم وزن نقصه وعد فاعجز وجمع ففرق فقال أما قوله وزن نقص أي وزن عملك في الميزان فنقص وعد فاعجز أي وعد ملكك بالخراب فاعجزا اليوم وجمع ففرق أي جمع للتولي الملك من بابلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الى يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى أهلكه الله تعالى وضعضع ملكهم وبقي دانيال عليه السلام يراوض أبل الى ان مات بالسوس والله أعلم * (خبر وفاة دانيال عليه السلام) *

الى أهل الاخبار لما فتح الله السوس على يد أبي موسى الاشعري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل أبو

خبير من عدو وقال ما لك فم فسمت الستور وأشرفت فاطلع على نحو ما كان أبو

لما رأوا ذا بشيخ تقي الثياب عليه رائحة طيبة وهو جالس في طريقي فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له أخبرني وأخبرني من هذا الثعبان فقال الشيخ اني ضعيف وهذا أقوى مني ولكن أسرع في الهرب فاعمل الله تعالى يستغفر لك من يحمل منه فتورون هاربا حتى صعدت على شرف من شرائف القلعة وأشرفت على طبقات النيران والثعبان في طلبي فكدت أن أسقط في النار من فزعي منه فصاح صائح من النار يا عز يا وجيع الست من أهلها فلما طمأن قلبي لذلك ورجعت الى الشيخ فقلت له يا شيخ استغفر الله بل واصبر على ذلك فأبيت ان تعبرني من هذا الثعبان فسلم لي فعبرني قال فقلت له يا مالك اما بلغك ان الله تعالى سخر هذا الجبل لنبيه داود لتسبيح المسلمين فعسى أن يكون لك فيها رد ومنعة تنصر لك وتحمل من عدوك وهو أقوى مني قال فالتفت نحو الجبل فاذا هو جبل عظيم وفيه كوات مثقوبة وستور معلقة على كل كوة من ذهب الا حجرا من صم ياقوت والدر واللؤلؤ والجوهر واذا بملك ينادي اوفعوا الستور وأشرفوا كلكم فلعل أن يكون لهذا الباغي فيكم وديعة

موسى ملكها سابور واستولى على المدينة فغنم مافيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزائن فيأخذ مافيها حتى أفضى الى خزانة مقفلة وقد ختم على فمها بالرصاص فقال أبو موسى الاشعري لاهل السوس مافي هذه الخزانة فانى أراها مختومة بالرصاص فقالوا له أيها الامير ليس فيها شئ من حاجتك فقال لابد لى ان أعلم مافيها فقصدوا بابها حتى أنظر مافيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر فاذا هو بحجر طويل مجوف على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة قال فتعجب أبو موسى من طوله وكل من كان معه ثم انهم شبروا أنفه فاذا هو يزيد على شبر فقال أبو موسى لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق اذا حبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فاصابنا من قحط المطر ما كان نصيب أهل العراق فارسلنا اليهم وسألناهم ان يدفعوه الينا حتى نستسقى به فابوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأى ان لانرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى ان أدركه الموت فمات فهذه قصته ومحاله قال فاقام أبو موسى الاشعرى بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب في كتابه أمر ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعا كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علما فقال على بن أبي طالب رضى الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل كان في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل على ابن أبي طالب رضى الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن قصة دانيال من أولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك وأمره ان يصلى عليه ويدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب عمر الى أبي موسى بذلك فلما قرأ أبو موسى كتاب عمر أمر أهل السوس ان يكفنوا نهرهم الى موضع آخر ثم أمر بدانيال فكفن بأكفان غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم أمر بقبر فحفر له فوسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجرى عليه الى يومنا هذا والله أعلم (قال الاستاذ) رضى الله عنه فهذا الذي ذكرت جميع أمر بختنصر الذي جاء في التفسير الآن رواية من يروى ان بختنصر هو الذي غزا بني اسرائيل عند قائم يحيى غلط عند أهل السير والاخبار والعلماء بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك انهم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بني اسرائيل عند قائم نبيهم شعياء وفي عهد أرميا عليه السلام وهي الوقعة الاولى التي قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعني بختنصر وجنوده قالوا ومن عهد أرميا وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى من ذكر بالأربعمائة واحد وستون سنة وذلك انهم يعدون من الان تخريب بختنصر بيت المقدس الى آخر عمر انه في عهد كرب بن حزيو بن شير بن أصهيل بابل من قبل جم من اسفنديار بن يستأسف سبعين سنة ثم من بعد عمر انه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واحصاره ملكها وضمها الى مملكته عشرة وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيى من ذكر يا ثلثمائة وثلاثون سنة وانما الصحيح في ذلك ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعادوا اليها ملكها بعد خراب بختنصر اياها وسبيهم منها فعملوا يحدثون الاحداث بعد ملوك عزير عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء فعزيقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيى بسبب نهيه اياه عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم أمر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنو رازادان صاحب القتل فقال له اني قد حلفت بالهتهم لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري الا اني لا أجد أحدا أقتله فاسمه ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بنو رازادان دخل بيت المقدس فاقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم

ث وقالت هذا أبي
لله ثم أشارت بيدها الى
ثعبان فولى هاربا
مدت يدها الى فتعلقت
بالخذ بتني وأدخلتني
كانا هي فيه بكل عنسه
وسف فحمدت الله
الى على ذلك فقرأت
تني قوله تعالى ألم يأن
ذين آمنوا أن تخشع
لوبهم لذكر الله قال
الت فبكيت عند ذلك
ثت لها أنتم تعرفون
قرآن فقالت نعم فقلت
ها اخبريني عن هذا
لثعبان الذي أراد أن
يلكني فقالت يا والدي
هذا عملك السوء قرينه
لى نفسك حتى كاد أن
قيك في النار فلولا أنك
تكن من أهلها لوقعت
يها فقلت لها ومن هذا
لشيخ الضعيف الذي
ستغثت به فلم يغثني
قالت هذا عملك الصالح
ضعفت حتى لم يكن له
درة على أن يدفع عنك
يأ فقلت لها وما تصنعون
هنا فقالت نحن مقيمون
هنا حتى تقوم الساعة
نظار قدومكم علينا
نشفع لكم قال مالك
انتبهت من منامي فلما
صبحت كسرت أواني
لخمر وتبت الى الله تعالى
كان هذا سبب توبتي
الحمد لله على ذلك والله
علم (وحكى عن بعضهم

وهو يقول يا كريم العفو قديم الفضل فاني على العهد المقيم قال فقطا رقلبي
فقالوا هذا دم قربان ترك بناء فلم يقبل منا فذلك هو يغلي كما تراه وقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان
فيقبل منا الا هذا قال ما صدقتموني اخبروني قالوا له لو كان أول دم منا القبل منا ولكنه قد انقطعت منا الملوك
والانبياء والوحي فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنو رازادان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ
الدم فامر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحوهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بنو رازادان الدم لا يهدأ قال لهم
ويلكم يا بني اسرائيل أصدقوني قبل أن أفنيكم واصبروا على امر ربكم فلقد طالما ملكتم في الارض تعملون فيها
ما شئتم أصدقوني قبل أن لا أترك منكم نافخ نار لا انثى ولا ذكر الا قتلته فلما رأوا الجد وشدة القتل أصدقوه
الخبر وقالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أنا أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان
يخبرنا بامركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلي فقال بنو رازادان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن
صدقتموني بمثل هذا بنتقم منكم ربكم فلما رأى بنو رازادان انهم سيدعوه خرجا يعدو وقال لمن حوله اغلقوا أبواب
المدينة واقتلوا كل من كان ههنا من جيش كردوس وأبقوا من بقي من بني اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد
علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقي أحدا من
قومك فهدأ دم يحيى بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنو رازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذي آمنت به بنو
اسرائيل وصدقت به وأيقنت انه لا رب غيره فاوحى الله تعالى الى رأس من رؤس بقية الانبياء ان بنو رازادان
مخذول مصدوق ومحزون بالعبرانية حديث الاعمال ثم ان بنو رازادان قال لبني اسرائيل ان عدو الله كردوس
أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانا لست أستطيع أن أعصيه فقالوا له افعل ما أمرت
به فامرهم فحفروا خندقا ثم أمر باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتى سال
الدم في العسكر وأمر بقتل الذين كانوا قاتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم وكانوا وقوعهم فلم يفلت
كردوس الا أناس في الخندق من بني اسرائيل فلما بلغ الدم الى عسكره أرسل الى بنو رازادان ان ارفع عنهم القتل
فقد بلغني دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد أفنى بني اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهي الوقعة الاخيرة التي
أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الآيات فكانت
الوقعة الاولى لجالوت وجنوده ثم رد الله لهم الكرة وكانت لهم الثانية والرياسة وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس
وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك قائمة ولا رايته وانتقل عن الشام وتواجه الى الروم والروم يقال ان نسل بنو
اسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك وأحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وبدلوا التوراة وقتلوا الله عليهم
بالطوس بن اسبانوس فغزا بلادهم وطردهم وفرق الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فلبثوا
في أمة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والمسكنة حيثما ثقفوا الى أيام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فعمره المسلمون بامره والله أعلم *(باب في ذكر الذي مر على قريته وهي خاوية على عروشها)*
قال الله تعالى أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال
عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد
وعبيد بن عمير هو أرميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو ابن عجوز الطور والتابوت وأيام التي
عليها فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الارض المقدسة وقال السدي
هي ساسابادوقال الكلبي هي دير سابر اباد وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت
المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان بخت نصر لما وطئ الشام وخرب
بيت المقدس وقتل بني اسرائيل وسباهم طار أرمياء حتى نزل الوحوش فاراد بختنصر منهم راجعا الى بابل
ومعه سبايا بني اسرائيل انزل ارمياء على حماره ومعه صبير عنب في زكوة وسلة تين حتى نزل ايلياء فلما وقف
عليها وعاين خرابها قال اني بحق هذه الله بعد موتها تعمر بما أرمياء حماره بعد ما بقي بها عظم الا تعالى عليه النوم
فلما نام نزع منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأحمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك قبل
وهلاك الله السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ما كان الى ملك من ملوك فارس عظيم

فقصدني نحوه فاذا هي
امرأة فقالت السلام
عليك يا أمة الله فقالت
وعليك السلام يا عبد
الله فقلت لها أسألك
بالله العظيم ما العهد
القديم الذي طلبت عليه
مقيم فقالت ما هذا لولا
أقسمت علي بالجبار ما
أطلعتك على الاسرار
أشار الى هذا الصبي الذي
بين يدي فنظرت فاذا
بصبي يغط في نومه
وبيده كالتسبيح
فقالت خرجت من
بلدي وأنا ملة لزوجي
هذا البيت فركبت
البحر في سفينة وسرنا
فيه ما شاء الله من كذلك اذ
جرت علينا ريح
وكسرت المركب فغرق
ركابها فنجوت على لوح
فبينما أنا عليه تلاطمه
الماء اذ أشرفت على الموت
فبينما هو في بحر اذا
رجل ملاح من رجاله
السفينة قد وصل الي
وسألني عن ذلك
اللوح فقال والله ما زلت
أهوال وأنا في السفينة
وقد وصلت معك الآن
فتكفيني من غسلك والا
رميتك في البحر فقلت
له هذا وبعد ما كان
لك فيما رأيت تذكرة
وعبرة فقال لي قد رأيت
ذلك مرارا عديدة

نجوت وأنا الآن أحمل نفحات منه وقلت له مهلا حتى نطعم هذا الصبي فأخذه من بحري ورمى به في البحر فلما رأيت حراءته وما فعل بالصبي

يقال له ويلك فقال له ان الله أمرك ان تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وأرضه سماحتى يعودا أعمر ما كانا فانتدب الملك ألف قهرمان (١) مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بختنصر بعوضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم جميعا أحد ببابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يأمرك ان تكتسي لحما وعروقا وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يأمرك ان تحيي فقام حماره ينهق باذن الله تعالى وعمر الله ارمياء فهو الذي يوجد في الفلوات (أخبرني) ابن فهويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كلب ولا حمار الا كلب أهل الكهف وحمار أرمياء الذي اماته الله مائة عام ثم بعثه * وقال الذين قالوا ان المبارك ان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أباعزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فأقدمه مع سبايا بني اسرائيل الى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم يرفيها أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها لم يشك في البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فأماته الله مائة عام ثم بعثه فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم وذلك أن الله تعالى أماته ضحى واحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغيروا نظر الى حمارك قال قوم وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره فأحياه الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها وقال آخرون أراده بقيام حماره كما قدمناذكره كذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو أنه عاد الى قريته وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود الرأس واللحية (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما أحيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكر الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمته فخرج عنهم عزير وهي بنت عشر سنين وكانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابتها الزمانة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فما رأيك كذا وكذا سنة أحد اذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فاني أنا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فاني أنا عزير وكان الله قد أماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه الله تعالى ويشفيه فادع الله تعالى أن يرد علي بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا به ومسح بيده على وجهها وعينيها فاستجاب الله له فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم أخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته فقالت أشهد أنك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في أفنيتهم ومجالسهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير وقد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا الله ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي

يقال له ويلك فقال له ان الله أمرك ان تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وأرضه سماحتى يعودا أعمر ما كانا فانتدب الملك ألف قهرمان (١) مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بختنصر بعوضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم جميعا أحد ببابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يأمرك ان تكتسي لحما وعروقا وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يأمرك ان تحيي فقام حماره ينهق باذن الله تعالى وعمر الله ارمياء فهو الذي يوجد في الفلوات (أخبرني) ابن فهويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كلب ولا حمار الا كلب أهل الكهف وحمار أرمياء الذي اماته الله مائة عام ثم بعثه * وقال الذين قالوا ان المبارك ان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أباعزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فأقدمه مع سبايا بني اسرائيل الى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم يرفيها أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها لم يشك في البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فأماته الله مائة عام ثم بعثه فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم وذلك أن الله تعالى أماته ضحى واحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغيروا نظر الى حمارك قال قوم وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره فأحياه الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها وقال آخرون أراده بقيام حماره كما قدمناذكره كذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو أنه عاد الى قريته وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود الرأس واللحية (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما أحيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكر الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمته فخرج عنهم عزير وهي بنت عشر سنين وكانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابتها الزمانة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فما رأيك كذا وكذا سنة أحد اذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فاني أنا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فاني أنا عزير وكان الله قد أماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه الله تعالى ويشفيه فادع الله تعالى أن يرد علي بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا به ومسح بيده على وجهها وعينيها فاستجاب الله له فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم أخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته فقالت أشهد أنك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في أفنيتهم ومجالسهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير وقد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا الله ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي

(١) قوله مع كل قهرمان ثلثمائة ألف الخ) كذا بالاصل وهو مما لا يمكن عادة كما لا يخفى

على ما أتاني وعاهدته ان لا أبرح من بيته ولا آله وعن عبده وما مات بعد ذلك حتى ألا أعطاني

و زعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس وأقبلوا اليه فقال ابنه كانت لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفه فاذا هي بحالها فعرف عند ذلك انه عزير عليه السلام

(باب في ذكر غرام قصة عزير عليه السلام وسلة بعد ما رجع الى قومه)

قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله روى عطية العوفي عن ابن عباس قال كان عزير من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله تعالى انهم قد أضاعوها وعملوا بالاهوا رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فأرسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فكثوا ما شاء الله أن يمكثوا ثم بعد ما نسخ التوراة من صدورهم وكان عزير قد أمر على أهلها فهم أن يسوا الله تعالى فدعا الله هو واياهم وابتهل اليه أن يرد اليهم ما نسخ من صدوره فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذي كان ذهب من صدره من التوراة فاذن في قومه وقال يا قوم قد أتاني الله التوراة وردها الى فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ثم ان التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرفوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتي عزير هذا الا لانه ابن الله (قال السدي) وابن عباس في رواية عمار اذا قالت اليهود هذا لان العمالقة ظهر واعليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا التوراة في الجبال وغيرها وما في عزير يا جبال والوحوش وجعل يتعبد في رؤس الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد وجعل يبكي ويقول يا رب تركت بني اسرائيل بغير عالم وجعل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العين فلما رجع فاذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من ثلاثة القبور وهي تبكي وتقول يا معطعطاه يا مكسياه فقال لها عزير يا هذه أتبن الله واسبحي واحتسبي أما علمت أن الموت سبيل الناس ثم قال لها وما بعثك على ما أرى قالت يا عزير ان كان بطعامك لبوسة لم يكن قبل هذا الرجل يعني زوجها الذي كانت تندبه فقالت الله تعالى قال كان الله عز وجل لا يموت أبدا قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال الله تعالى قال فلم تبق عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله عز وجل لا يموت فلما علم عزير انه قد خصم ولي مدبرا فقالت له يا عزير اني لست امرأة ولكني الدنيا أما انه سينبع للنبي صلى الله عليه وسلم عينان وتنبت شجرة فتكل من ثلاث الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانك سيأتيك شيخ يسألك شيأ فلا أعطاك فقد منه فلما أصبح نبعت العين في صلاة ونبتت شجرة ففعل ما أمرته به فاذا شيخ وقال له اذن قال ففتح فاه فألقى فيه شيأ كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل هذه العين فاغتسل فيها حتى تبلغ أملاك قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه الا ويدفي علمه فخر جميع اليهم وهو من أعلم الناس بالتوراة ثم قال يا بني اسرائيل قد جئتكم بالتوراة قالوا يا عزير ربما كنت كذابا قريبا على كل أصبح لك فما أوتب باسابعتها حتى كتب التوراة كلها من ظهر قلبه فلما رجعوا اليهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء سنوا جدوا كتبهم التي دفنوها وقابلوها بالتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطى الله هذا الا لانه ابنه وقال الكلبي ان بختنصر لما ظهر على بني اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير اذ ذاك غلاما صغيرا فاستصغره فلم يقتله ولم يدر انه قد قرأ التوراة فلما مات عائة سنة ورجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فأتاهم عزير وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فاملأ علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة ثم ان رجلا قال ان أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية دفنت في كرم فلان في موضع كذا فانطلقوا معه حتى استخرجوا الخابية والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولا حرفا فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل واحد منا بعد ما ذهبت من قلوبنا الا لأنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله

(مجلس في ذكر غزوة بعثت عنصر العرب وقصة يوحنا وخراب صنعور)

قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله حصيدا خامدين * قال هشام

على ما أتاني وعاهدته ان لا أبرح من بيته ولا آله وعن عبده وما مات بعد ذلك حتى ألا أعطاني

فقلت أعر أسدي حسا وكرامة فقال ما ولدي فديتك من عمري ثلاثة أيام وأموت على غير دين الاسلام فاذا أنا مت فضعني في تابوت بثياب واجعل

لم تقبلها وقال الله
عني أسعد تلبا فقال له
وكرمه ونوال وآخذ
الرفد من يد غير فلم أقدر
عليها ان ما سدت شيأ
فستركتها وانصرفت
منها رحمها الله تعالى
وتغمده بالرحمة والمسلمين
آمين (وحدث حسن
عبد الله الموصلي رضي
الله تعالى عنه انه قال)
كان عند نا رجل ولها
يسمى قضيب البان
وكان لا يقدر أحد ان
يكلمه من علم هيبته
وحرمته وكان كثير البكاء
فمضيت به القادر في
شعاوة فقلت له يا أبي
ما الذي أشغلك عن
سوء ما كان سبب نزولها
وانفرادك عن الناس
فنظر الي نظرا فتذكرته
بعد شيء وقال غفر لي
وعفى عليه فلما أراد
أن ينتبها كلمه ولا يقدر
يا بني لا بد لك من ذلك
وأقسمت عليه بالله
يعني من سبب ذلك
فبكى وهو يبكي فقال
يا أخي كنت أنا وهم جيرانا
وكان بيني وبين الابدال
نحو من أربعين سنة
فكان يعتريني في العبادة
فلما كان قبل موته
بثلاثة أيام دعاني وقال
لي يا عبد الله لي عليك حق
وقال علي حق ومن لم
يحق علينا أن نسقي له
أقول لك وتحفظ وصيتي

ابن محمد الكلبى وغيره كان بدء نزول العرب أرض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار منزلا أن الله تعالى أوحى الى يوحنا بن برخيا بن رزابيل بن سنبسل وسنبسل هذا هو أول من اتخذ الطيلسان كان من ولد يهوذا بن يعقوب أن اثث بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب وبما بأبلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم لكفرهم بى واتخاذ الآلهة دونى وتكذيبهم أنبيائى ورسلى وذلك بعد قتل أهل حضور وهى بلدة باليمن بعث الله اليهم نبيا فاقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فاخبره بما أوحى الله اليه ونص عليه ما أمره به وذلك فى زمن معد بن عدنان فأوحى الله تعالى الى يوحنا أنى قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لا تقوم به منهم فعليك بعد بن عدنان الذى من ولده النبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه فى آخر الزمان واختمه به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوى له الارض حتى سبق بختنصر فالقى عدنان وقد تلقاه فنظر الى معد وأهله وبنيه اثنا عشر ستة فحملهم يوحنا على البراق وأردفه خلفه فانتهيا الى أرض نجران من ساعتهما فاقاموا وتوثب بختنصر على من كان فى بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم دير اعلى نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا وكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى فى الناس بالغزو وتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فى من يليهم من العرب فجاءت اليه الطوائف منهم مسالمين مستأمنين فاستشار بختنصر فيهم يوسنا فقال ان خروجهم البلد من بلادهم قبل نهوضك اليهم ورجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم وأحسن اليهم قال فانزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان فى قومه من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادى منادى جنود السماء يا لثارات الانبياء فاخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون أى يسرعون هاربين فاخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم الآية فلما عرفوا انه واقع بهم أقروا بالذنوب قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع بختنصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فالقاهم فى الانبار فقيل أنبار العرب وانضم اليه المستأمنون من العرب وخلى بختنصر أهل الدير بعد فراغهم من غزو العرب واتقنوا لانفسهم بلدين فسموا احداهما الانبار والاخرى الحيرة ونالهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا فى حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد بن عدنان ومعه أنباء بنى اسرائيل حتى أتى مكة فاقام أعلامها وهيج الانبياء معه

* (مجالس فى ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه) *

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعنى العقل والعلم والعمل به والاصابة فى الامور واختلفوا فى نسبه فقال محمد بن اسحق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب وقال الواقدى كان قاضى بنى اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مشقق القدمين وروى الاوزاعى عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل انك أسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الخشاوى لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرنى) ابن فنجويه باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الخشاوى عنه باسناده انه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين أحب الله

يضعونه الى جانب تابوتى
تخذ التابوت الذى
ماتونيه وعدته الى
الزاوية وأخرج الرجل
الذى فيه واقعل معه
ما كان يجب عليك أن
تفعله معى فقلت له
ياسيدى كيف هذا
الحال فقال ياولدى كان
المكتوب فى الكتاب مسطورا
هذا ما جرى فى اللوح
المحفوظ فتنه الامر من
قبل ومن بعد لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون
قال فلما كان بعد ثلاثة
أيام اضطرب الشيخ
وتغير لونه واسود وجهه
وأدبر الى الشرق وانكب
على وجهه فبكيت على
ذلك بكاء شديدا وحقق
عليه من الحزن ما لا يعلمه
الا الله تعالى ثم انى تذكرت
وصية الشيخ فوضعته فى
التابوت فلما جاء الليل
خرجت به الى المكان
الذى قال لى عليه فكثت
به حتى طلعت الشمس
فاذا بجماعة قد أقبلوا
ومعهم تابوت فوضعوه
الى جانب تابوت الشيخ
وتقدم رجل منهم أن
يحمل ذلك التابوت
منعته وقلت له لا سبيل
الى أخذه حتى تخبرنى
بخبر صاحب هذا
التابوت فقال الرجل
لم يا أخى أنا أعلم هذا
الشيخ الذى فى هذا
التابوت أربعين سنة

وتنسى اما أقول الا قلت نعم فقال يا ولدي بقي من عمري ثلاثة أيام وأموت على دين الاسلام فاذا مت فضعني في تابوت ثم الى البلد

فاصبح فاثنى عليه بالحكمة وذلك انه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني أعلم أنه ان فعل بي أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان أصاب فبالحرى أن ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة فتنته الدنيا ولا يصيب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى بالخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطي داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة

«(باب في ذكر بعض ماروي من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن)»

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآيات (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مملوك على سيده فقال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فجاؤا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان فقال لقمان لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاسقني واياهم ماء حميما ثم أرسلنا فلتتقيأ ففعل فجعلوا يتقيؤن الفاكهة وجعل لقمان يتقيأ ماء نقيا فعرف صدقه من كذبهم قال فاول ما روي من حكمته أنه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يفجع منه الكبد ويورث الباسور ويصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر أقواما على أن يشرب بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال لمثل هذا اليوم كنت أخبأتك قال اجمع كراسيك وأباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أي شيء تخاطرتم قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها موادا فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال له ائتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فقال له أما كان فيها شيء أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فقال له أمرتك أن تأتيني بأطيب مضغتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تأتيني بأخبث مضغتين فأتيتني باللسان والقلب فقال له انه ليس بأطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا (وأخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس (وأخبرنا) عبد الله باسناده عن أبي هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له ألست العبد الاسود الذي كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث وأداء الامانة وتركي ما لا يعنيني (أخبرني) الحسين بن محمد عن أبيه قال قال لقمان ضرب الوالد لولده كالماء للزرع وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فلقيه غلامه في الطريق فقال له ما فعل أبي قال مات قال الحمد لله ملكت أمري قال ما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدد فراشي قال ما فعلت أختي قال ماتت قال سترت عورتي قال ما فعل أخي قال مات قال انقطع ظهري (أخبرنا) الحسين بن الحسن بن محمد باسناده عن شقيق قال قيل للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما أقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على النقاش (وروى) المحاربي عن سفيان الثوري قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وليكن حشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما أظنك ناجيا يا بني كيف لا تخاف الناس ما توعدون وهم في كل يوم ينقصون يا بني خذ من الدنيا بلغتك ولا تدخل فيها دخولا تضر فيها بآخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك من الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء أو ترائي به في المجالس ولا تترك العلم

واخرجني الى المكان الفلاني [illegible] تابوتا [illegible] تابوته [illegible] التابوت الذي [illegible] الدواب [illegible] الى المكان [illegible] وهو ما كان يجب عليك أن تفعله معي فانه [illegible] ذلك التابوت فانه كان من الابدال فلما كان بعد ثلاثة أيام [illegible] بالفرح [illegible] بالشهادتين ومات [illegible] بما أمره به وأتى الى [illegible] بالاخ [illegible] قال فحملت ذلك التابوت الذي [illegible] تابوت الشيخ [illegible] ذلك التابوت الى الزاوية [illegible] والفقراء [illegible] ودفنه في الزاوية [illegible] توفيق [illegible] الله تعالى حسن الطاعة [illegible] من مكره [illegible] سبيل الهدى

[illegible]

زهادة فيه ورغبة في الجهالة يا بني اختر المجالس على عينك فان رأيت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فان كنت عالما ينفعك علمك وان كنت جاهلا علموك ولعل الله أن يطلع عليهم برحمته فتعلق معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فان كنت عالما لا ينفعهم علمك وان كنت جاهلا لا يزيدوك جهلا ولعل الله يطلع عليهم بالعقوبة فتعلق معهم يا بني لا تضع يدك الا عند راعية كاليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يا بني كن عبد الاخيار ولا تكن خليلا للاشرار يا بني كن أمينا تكن غنيا ولا تراء الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيعتزلوك سيدهم والطف بهم في السؤال اذا تركوك ولا تجزهم فيما وك يا بني لا تطلب من الامر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأي وتزري بالعقل يا بني ان تأدبت صغيرا انتفعت كبيرا يا بني اذا سافرت فلا تأمن على دابتك فان ذلك سريع في ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا أن تكون في عمل يمكنك عقده المدد واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسرح ابدأ بعلفها قبل نفسك وبالك والسفر في أول الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك ومخرزك وتزود من الادوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لاصحابك موافقا موافيا الا في معصية الله يا بني اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يا بني لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه يا بني لا تغترن من الامور صغارها ولا من المصائب كبارها يا بني اياك والكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهان ولا يسمع منك اذا حدثت ولا تصدق اذا قلت ولا خير في العيش اذا كان هكذا يا بني اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب وألزم نفسك التودد في أمورك والصبر على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه وأطهر بشره وبسطه حظي عند الابرار وأحبه الاخيار وجانبه الفجار يا بني لا تعلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك بالاحزان واياك والطمع وارض بالقضاء وقنع بما قسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك عما في أيدي الناس فان ما بلغ الانبياء والصديقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم عما في أيدي الناس يا بني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل وقد بقي قليل من قليل القليل يا بني اجعل معروفك في أهله ولا تضعه في غير أهله فتخسر في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطه تبذيرا يا بني الزم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل يا بني للحاسد ثلاث علامات يغتاب صاحبه ان غاب ويتملق اذا شهد ويشمت فيه بالمصيبة ثم خبر لقمان الحكيم وما وصى لابنه أتم والله أعلم

(مجلس في قصة بلوقيا)

(أخبرنا) أبو بكر محمد بن عبد الله الخزرقي باسناده عن عبد الله بن سلام الاسرائيلي قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف بعث النبي عليه السلام وأمته في التوراة غير أنه كتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقي بلوقيا والامامة والقضاء في يده فتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا بقفل من حديد فسأل الخزان عن ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه أوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته مختومة بالمسك فمسكها وقرأ ما فيها على بني اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بني اسرائيل فرده الى أهله فقال بنو اسرائيل يا بلوقيا لولا انك امامنا وكبيرنا لنبشنا قبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لا ضير انما اتبع حظا نفسه وخسر دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالتوراة قال وكانت أم بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ بأرض مصر فقالت له وما تصنع بالشام فقال أسأل عن محمد وأمته

فقال الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه فاذن له فبرز بلوقيا الى ان دخل بلاد الشام فبينما هو يسير اذا انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كأمثال الابل عظما وفي أفواهها اشتغالها بالله وهي يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأينه قلن له أيها الخالق المخلوق من أنت وما اسمك فقال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهن بلوقيا أيتها الحيات من أنتن فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا الى ههنا ثم نعود اليها فشدة الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم دركة من دركاتها ولا باب من أبوابها ولا سرادق من سرادقاتها الا وقد كتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا أيتها الحيات هل في جهنم مثلكن أو أكبر منكن فقلن ان في جهنم حيات تدخل احدانا في أنف احداهن وتخرج من فمها ولا تشعر بها لعظمها قال فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى أتى جزيرة أخرى فاذا هو بحيات كأمثال الجذوع والسواري وعلى متن احداهن حية صغيرة صفراء كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فاذا انقضت سرت تحت الارض نحو [illegible] قال فلما رأيتها ورأتني قالت أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فأخبريني أيتها الحية من أنت قالت أنا ملكة الحيات واسمي تمليخا ولولا أني موكلة بهن لقتلت بني آدم كلهم في يوم واحد ولكني اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتي دخلن تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فاتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الحبر فاتاه فسلم عليه فقال له يا بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بيننا وبينه قرون وسنون ثم قال عفان الحبر يا بلوقيا أرني موضع الحية التي اسمها تمليخا فان قدرت ان أصيدها [illegible] أنا الملك [illegible] عشنا ما ونعيش حياة طيبة الى أن يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل في دينه [illegible] بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أنا أريك المكان فقام عفان وأخذ تابوتا من حديد وجعل فيه قدحين من فضة في أحدهما خمر وفي الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى انتهيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتحيلا حتى الحية [illegible] الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت ونامت فقام عفان ووثب الى التابوت [illegible] فأغلق عليها باب التابوت وحمله وأخذاها وسارا بها فلم يزالا يسيران [illegible] باذن الله تعالى الى شجرة يقال لها القرمل فقالت يا عفان من يأخذني ويقطعني [illegible] يغوص في البحار السبعة فلا تبتل قدماه ولا يغرق فقال عفان [illegible] ثم [illegible] تلك الشجرة [illegible] ماءها [illegible] بين السماء والارض وهي تقول يا بني آدم ما أجرأكم على ربكم [illegible] عفان و بلوقيا الى البحر [illegible] ثم دخلا في البحر [illegible] على الارض حتى قطعا البحر الاول [illegible] ليس [illegible] من ذهب وعلى [illegible] شاب مستلق على قفاه [illegible] على بطنه كالنائم وليس بنائم [illegible] رأسه تنين [illegible] وكان هذا سليمان بن داود عليهما السلام وكان [illegible] من ذهب [illegible] ياقوت أحمر [illegible] مكتوب عليه [illegible] اسم الله الاعظم وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن داود [illegible] الله محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فاعطاه اياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان الى يوم القيامة [illegible] فقال عفان يا بلوقيا [illegible] اسم الله الاعظم ولكن أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة [illegible] عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التنين ما أجرأك على ربك [illegible] بلوقيا الاسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التنين فيهما [illegible] من أصبعه [illegible] بلوقيا [illegible]

قول لا اله الا الله فقال كيف أقول أولا فقالت يا أخي أكثر من قول لا اله الا الله وان لم تقلها [illegible] ولا [illegible] عليك ولا [illegible] فقال [illegible] ففتح عينيه ونظر الى [illegible] يا أخي [illegible] وكلمة [illegible] فقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قالت يا أخي فان الصلاة والعبادة والصيام والزكاة والدعاء فقال كل ذلك كان لغير الله تعالى [illegible] كنت أفعل ذلك [illegible] الناس [illegible] اذا [illegible] أغلقت الابواب [illegible] بالمعاصي [illegible] ذلك [illegible] من الزمان [illegible] الله [illegible] الى [illegible] أبدا قال فرج الله عني [illegible]

 فلما [illegible] من اللهو واللعب والشهوات والاذان [illegible] الشيطان [illegible]

بين مولاى فصرت على ذلك مدة من الزمان فوقعت فى مرض آخر أشرفت منه على الموت فامرت أهلى ان يخرجونى الى وسط

الى نزول جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة فارتجت الارض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحر وهاجت والتطمت حتى صار كل عذب ملحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه وفتح التنين فمه من بعد مشعلة كأنها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفقته فى البحر فما مرت النفخة بشئ الا أحرقته ولا بماء الا صفقته وأغاثه وان بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله الاعظم فلم يتم ذكره ثم تراءى جبريل عليه السلام فى صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجرأك على الله فقال له بلوقيا من أنت رحمك الله فقال له أنا جبريل أمين رب العالمين فقال بلوقيا يا جبريل انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أتعمده قال فبذلك نجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضى بلوقيا على قدميه بذلك الدهن فضل الطريق الذى جاء منه وأخذ فى طريق أخرى فسار ومضى ستة أشهر ووقع فى السابع فاذا هو بحر رقمن ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل والرمان فقال بلوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة يا ملئ يا ابن الخاطئ لا تأخذ منى شيأ فبقى متعجبا واذا بهذه الشجرة قوم يتراكضون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رأوا بلوقيا أمامهم طلبوه وأحدقوا من ورائه وهموا به سوأفذكر بلوقيا اسم الله فتجمدوا من مكانهم ووقفوا وأغمدوا سيوفهم وقالوا باجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بنى آدم فقالوا ما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل فقالوا نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذى أوقعك الينا قال انى خرجت فى طلب نبى يسمى محمدا صلى الله عليه وسلم وانى قد ضللت الطريق الذى أردته ورأيت من الاهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من المؤمنين ونحن مع ملائكة الله فى السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامة ولسنا نموت الى يوم القيامة وأنت تصير معنا فقال بلوقيا للملك الجن وكان اسمه صخرايا صخر أخبرنى عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسنة وخلق منها خلقين خلقا فى سمائه سماه جبليت وخلقا فى أرضه سماه غليت فاما جبليت فانه خلق فى صورة أسد وغليت فى صورة ذئب وجعل الاسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الاسد بمنزلة ذنب الحية وأمرهما ان ينتفضا فى النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عقرب ومن ذنب الاسد حية فجاءت جهنم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما ان يتناكحا فحملت الذئب من الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى الله اليهم ان زوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا واحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس وكان اسمه اخرئ وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وان دوابنا لا تثبت مع الانس ولكنى أتمثل فرسى وأبرقعه حتى لا يعرف من راكبه واركب عليه على اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمالى على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاهما هنالك فادفع الفرس اليهما وامش فى حفظ الله واشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا منذ كم فارقت الملك قال فارقته من غدوة قالا لا ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا قال بلوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والارض ليريح نفسه منك فكم تراه جاب بك قال خمس فراسخ أو أكثر قالا بل جاب بك فى هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال فناولاه عنه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وله جناحان انتفضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله لعجيب فقالوا يا عبد الله لا تنقضى ثم سلم عليهما فمضى فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق قال أنا بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم ثم قال له

بلوقيا

وأنت لكل معروف نسيتنا قال منصور بن عمار فقمت من عنده وخرجت وعينى

بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي يوحا بيسل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فبأي يد بدت مبسوطتين قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي يدي اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل لماعت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا و بين يدي لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزداد زدت النهار واذا انتقص نقصت فذلك الليل في الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى في السماء و يده اليسرى في الارض وقدماه تحت الثرى وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال شمائيل قال فما بالي أرى عينك في السماء وشمالك في الماء قال أحس الريح بيميني والماء بشمالي ولو رفعت شمالي عن الماء لزخرت البحار كلها في ساعة واحدة ولاطمت باذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليها و يدي اليمنى في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لان في الصيف يعصف الهائمة ولو أرسلتها لنسفت من في السماء ومن في الارض قال فسلم بلوقيا ومضى فاذا هو بار بعين ملكا أحدهم رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فاما الملك الذي رأسه كرأس الثور فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها وادفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة والرحمة لئلا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلني من أهل شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس النسر فيقول اللهم ارحم الطير وادفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس الاسد فيقول اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف و برد الشتاء واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم وادفع عنهم النار واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتى انتهى الى سبسل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل قاف مرصع بالدنيا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك فقال له الملك من أنت قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك وأين تريد قال خرجت في طلب نبي من العرب يقال له محمد رسول الله أراه أثره ولا أدري بأي بلاد أنا فقال له الملك لا اله الا الله محمد رسول الله قد أمرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي حرقيائيل قال وما تصنع هنا قال أنا أمين الله على جبل قاف وفي يدي مرزبة وزنها سبعة وسبعون ألف رطل بمثل جبل قاف وعرق الارض كلها مشدود عليه والوتر في كفه قال فاذا أراد الله ان يزيغ على عباده أمرني ان أحد الوتر وأعقده وأوثق عرق الارض فتضيق الدنيا على العباد واذا أراد الله ان يوسع عليهم أمرني ان أرخي الوتر فاوثق عرق الارض فتتسع الدنيا على العباد واذا أراد الله أن يخرب قوما أمرني أن أحول عرق تلك الارض من أجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل قال بلوقيا أيها الملك اسمع واطع قال وراء قاف أربعون دنيا غير الدنيا التي جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وأرضها ذهب يعلم الله عددهن نور وكل أرض كعدد الف الف الدنيا التي جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وأرضها ذهب يعلم الله عددهن نور وكل أرض كعدد الف الف آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أمروا ولذلك خلقوا وبه أمروا الى يوم القيامة قال بلوقيا فما رأيهم أيها الملك قال حسب ما علم الله من قدرته قال بلوقيا أخبرني أيها الملك على أي شيء هذا الجبل موضوع قال بين قرني ثور واسمهم موب وهو أبيض رأسه بالمشرق ووجهه بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم الارضون وكم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فبهم أين هي قال تحت الارض السابعة فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء عليه باب معقل وعلى القفل خاتم من نور وعلى الباب ملكان

بسودان كانت صوامة قوامة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون اللهم انا نعوذ بك من مكرك وغضبك وعقابك يا أكرم الاكرمين يا الله

*(وحكي عن منصور بن عمار أنه رضي الله تعالى عنه قال) رأيت شابا في بعض الايام يصلي صلاة طالما تفكرت في نفسي هذا الشاب لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له يا شاب ألم تعلم ان في جهنم واديا يقال له لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فاوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال له يا منصور يا ابن عمار فقلت لبيك يا سيدي فقال يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال الشاب ويحك يا منصور ان الله عز وجل قد كشف عن ثيابه لاغسله فوجدت على صدره مكتوبا بقلم القدرة هو في جنة عالية قطوفها دانية قال منصور فغسلته

أحدهما رأسه كرأس النور والآخر رأسه كرأس الكبش وبينه كبدين الثور وهما يقولان لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام وقالا لبلوقيا أيها الخلق المخلوق ممن أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم فقالا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ما عرفناها قال كيف تعرفون محمدا وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم واسرائيل فقال بلوقيا افتحا لي الباب حتى أجوز فقالا لا تحسن فتحه وان الله ملكا في السماء اسمه جبريل عسى أن يقدر على فتحه فدعا بلوقيا ربه فقال فاسم الله تعالى جبريل فنزل اليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجرأك على الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحرين بحر مالح وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر المالح جبلا من ذهب وفي البحر العذب جبلا من فضة وبينهما ملك على صورة النمل ومعه ملائكة على تلك الصور فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فاخبرهم بقصته ثم قال لهم بلوقيا من أنتم قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الاحمر قالوا هذا كنز الله في الارض فكل ذهب يظهر في الارض من هذا الجبل الاحمر وكل ما في الدنيا من ما معذب أو ملح انما هو من ماء هذين البحرين وما وقاها الا الذي يحبس عن تحت العرش من قبل أن يخلق الله الملائكة والجبل الابيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كبيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت عظيم بقضي بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فاخبره بحاله وأنه خرج بطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له يا بلوقيا ان لقيت محمدا فاقرئه مني السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم انه قال أيتها الحيتان اني بائع عطشان وما هذا البحر مالح وما أجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت الاعظم يا بلوقيا ما أطعمك طعاما اذا أكلته تسير أربعين سنة لا تجوع ولا تعطش فاطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض فاكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغه رأى شابا يجري على الماء كأنه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذي خلقني فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر يمر على الماء مشيه وكضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذي خلق فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بثالث كأنه القمر يلوح في آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله الا ما وقفت علي فوقف وقال لبلوقيا لماذا تستعطفني قال خشيت أن تفوتوني مثل أصحابك الماضين ثم قال له من كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور والثاني ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فماذا تصنعون في هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم وانا أمرنا ان نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة فقال بلوقيا أيكون في جهنم مثل هذه الحية أو أكبر منها قال نعم ان في جهنم من الحيات ما تبتلع هذه الحية في أنملة احداهن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بم من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى الى جزيرة أخرى فاذا هو بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له يا شاب من أنت وما اسمك قال اسمي صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبي والآخر قبر أمي وكانا صالحين فاتاهما وأنا عند قبريهما حتى أموت فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف وأسفل منه من ذهب وعينا من ياقوت ومنقاره من لؤلؤ وبداه من زعفران وقوائمه من زمرد واذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوي فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام فقال له بلوقيا من أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وان الله تعالى قد بعثني الى آدم بهذه المائدة لما أهبط من الجنة واني كنت معه حين لقي حواء وأباح الله له الاكل وأنا ههنا من الدنيا ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا أمين الله عليها الى يوم القيامة فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا أفآكل منها قال كل فاكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معي أبو العباس يأتيني أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فلما ذكر الخضر اذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فاذا هو طويل الاثبت الحشيش تحته

فعل الله بك فقال غفر لي وأعطاني ثوابا مثل ثواب أهل بدر وزادني على ذلك أضعافا فقلت له لم ذلك فقال لانهم قاتلوا بسيفهم الكفار

أنا قتلت بحبة العنبر
غفار رضي الله تعالى
نسه ونعمنا والمسلمين
بركاته * (وحكي عن
ضهم رضي الله تعالى
نه انه قال) * كان في
ريم الزمان رجلان
حدهما عابد والآخر
اسق وكانا أخوين
نقيقين فكان العابد
تمنى ان يرى ابليس
منه الله في سحراته فتمثل
يوما من الايام وقال له
بلان أسألك عن شيء
ك لي في اتعاب نفسك
هو أربعون سنة وقد
ق من عمرك مثل
امضى فانطلق الى
هوات نفسك وذاتها
شرين سنة وتب بعد
لك وعد الى العبادة
لعشرين الاخرى فان
له تعالى غفور رحيم
قال العابد اني لا أرى
ي أخي في أسفل النار
وافقه على اللهو واللعب
الشهوات واللذات
شرين سنة ثم أتوب بعد
لك واعبد الله تعالى
عشرين الاخرى ولم
عرف ان ذلك مكيدة
ن ابليس لعنه الله تعالى
قال أخوه المسرف على
نفسه قد افنيت عمري
المعاصي فأنى يدخل
جنة وانا أدخل النار
الله لا قوم ولا صعدن
ي أخي وأوافقه على
طاعته والعبادة باقي
ري لعل الله تعالى أن يغفر لي قال فطلع العاصي على نية التوبة ونزل العابد على نية المعصية فزلقت رجل العابد فوقع

قدميه قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله فقال بلوقيا ما ذا غيبتي وأريد الرجوع الى أهلي فقال الخضر فهل لك و بين أهلك مسيرة خمسمائة عام وأنا أريد البها في مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائر ان كان بينك و بينها مسيرة خمسمائة سنة وأنا أريد البها في مسيرة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام فانا أريد البها في ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك فغمضهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو بالبيت عند أهله في جانب البلد قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والارض فوضعك قدامي ثم ان بلوقيا حدث بني اسرائيل بما رأى من العجائب والاعتبار فاثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب في البر والبحر هذا وجهلا والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام)

قال الله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

(باب في نسبه واسمه)

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيلبش بن اماريوس بن هرمس بن هردوس بن منادون بن روحين بن لابن ابن يونان بن يافث و يقال نسبه ينتهي الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام و زعم بعض القدماء ان الاسكندر هو أشودار بن داود وذلك ان دارا الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن بستاسف كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانة وانها حملت الى زوجها دارا الاكبر فرجد دارا الحبة كريهة فامر أن يحتال في زوال ذلك منها فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها باسندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فذهب ذلك كثير ان نقتها ومن عرفها لم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عند ذلك بنتها وعافاها فرد ها على أهلها وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التي غسلت بمائها اسكندروس فهذا أصل اسمه ثم خفف فقيل اسكندر وذي بذي القرنين وانما لقب بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وكان تاويل رؤياه انه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لانه كان له ذؤابتان من شعر والذؤابة تسمى قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل لانه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وهو ي وقيل لانه كان اذا ضرب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لانه أعطي علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

(باب في قصة ذكر بدوا من موجبات استكمالا كه)

قال الله تعالى انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا فالقوم كلهم يقولون ان الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أشودار الاصغر وكان أبوه هلانة بعد الاسكندر لا ما كان من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التي كان أبو الاسكندر يؤديها الى ملوك الفرس سبعين ذهبا فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا همة عتوقوة قال لشرا ملوك الروم فقهرهم واستجر لهم ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فلما رجع من غزاته أتى بغلال من نقد القرفاستعمى على دار الاصغر ملك فارس فلم يمنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه ومن ملك الروم فكتب اليه ان دارا انما كان يأخذ الخراج والاتاوة من نفسه ومن ملك الروم فاما بابه الاسكندر انه قد بعث تلك الدنانير التي كانت تبعث الى أبيك وأنا أكتب لها فلما وصل اليه الكتاب بذلك حفظ عليه وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه في امتناعه من حمل الخراج اليه و بعث اليه بصولجان وكرة وقضيبي سمسم وأعلمه فيما كتب به اليه أنك سميتني وانه يأتي للانسان تلعب بالصولجان والكرة التي بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتقلب به ولا تستعمي والا بعثت اليك من يأتي بك في وثاق ولو كانت جنود لك بعدد حب السمسم الذي بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر في جواب ذلك اني وقفت على ما كتبت فيه ونظرت ما ذكرت في كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بالارض والي محتو على ملكك وأضيفه الى ملكي وأشبه بلادك الى بلادي واني نظرت الى السمسم الذي بعثته الي

الصلاة والسلام الاعمال
بخواتيمها وقال انما
الاعمال بالخواتيم وانما
لكل امرئ ما نوى سأل
الله تعالى حسن الخاتمة
وأسأله الامان من زوال
الايمان آمين *(وحكى
عن مالك بن دينار رضي
الله تعالى عنه ونفعنا به
انه قال) * دخلت جزائر
البصرة فاذا بسعدون
المجنون بالسوق فقلت
له كيف أنت يا سعدون
فقال يا مالك بن أنس
وأنت مجنون مثلي
بلا زاد ولا راحلة ولا
همة ويقدم على ذلك
الله كم بين الصادق
والكاذب فقلت له يا سعدون
ما بكيت مرة على الدنيا
ولا تأسفت على فائت
بكاؤك يوم صنعون في
عمر يعلم حسن فيه
وابكاك والله على الزاد
وبعد المسافة والطريق
الكثير وهو أدنى ذلك
أسير الى البنة أم الى
النار قال يا مالك ما
أحسن كلامك فقلت
له يا سعدون ان الناس
يزعمون انك مجنون فقال
وأنت اغتررت بقولهم
يا مالك يقولون فيك
يزعمون انك مجنون وبأني
من جنون ولكن حب

كتب اري الى السودان والكرة وبعث الى دارامع كتابه صرة من خردل وأعلمه في الجواب انما بعثت اليك بذلك لان جنودك مثل ذلك فلما وصل الى دارا ان دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وناهب لحاربة الاسكندر وان الاسكندر أيضا تأهب للقائه ونادى في عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان فما بلى الظهر واقتتلا أشد القتال وسارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته وقيل ان أحدهما كان صديقه فطعناه فاردياه عن مركبه وأرادا بقتله فمنعهما اياها لحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى ان يؤتى بدارا أسيرا ولا يقتل فاشتبه بشأن دارا فاسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يهم قط بقتاله وان الذي أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به نقاته ثم قال له سلني عما بدا لك فاسعفك به فقال له دارا ان لي اليك حاجتين اسعدهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين فتكا بي وسماهما وبلادهما والثانية أن تتزوج ابنتي روشنك فاجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش أهل بلده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا

(باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا وتصييره الى البلاد والآفاق)

قالت العلماء باخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان في بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بأرض الهند من بيوت الاوثان وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد (قال المرتضى) في سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثني عشر ألفا فاحرقوها لحصول ذلك الذهب وبنى اثنتي عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو وسمرقند ومدينة بأرض اصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بأرض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بأرض بابل لزوجته سمرو شنك بنت دارا ومدينة الاسكندرية ثم انه رأى في منامه أنه أخذ بقرني الشمس ورأى في منامه أنه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا (واختلف) العلماء في نبوته فروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدري أكان ذو القرنين نبيا أم لا فاوصح الحديث لكان الخوض في مثل هذه المسئلة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من بقاياهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان اسمه مصعبا وكان عبدا صالحا فملكه الله مشارق الارض ومغاربها وسخر له السحاب وأعطاه سببا كل شيء فسار في طلبه حتى انتهى الى ظلمات فسمع منادي ينادي يا ذا القرنين انك قد بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حتى عليهم وهذا تابوت فيه أمر الله فلا تفتحه الا عند ظلمات الارض فاذا فتحته فسر الى من فيها فانها أمم لا يحصي عددها الا الله تعالى فسار حتى انتهى الى أمم الارض كلهم وهم تسع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما عرض الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث أمم في وسط الارض وهم الانس والجن وياجوج ومأجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى عند مطلعها يقال لها منسك وهي عند مطلع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فامة في قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحذائها في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين الهي انك قد بعثتني الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فاخبرني عن هذه الامم التي بعثتني اليها باي قوة أكابرهم وباي جمع وجملة أكاثرهم وباي سهم وأفاسهم وباي لسان أناطقهم وكيف لي بان أفقه لغاتهم وباي سمع أسمع أقوالهم وباي بصر أنقدهم وباي حجة أخاصمهم وباي عقل أعقل عنهم وباي قلب وحكمة أدبر أمرهم وباي قسط أعدل بينهم وباي علم أسايرهم وباي معرفة أفصل بينهم وباي علم أتقن أمورهم وباي يد أصلو عليهم وباي رجل أطؤهم وباي طاقة أحصيهم وباي جند أقاتلهم وباي رفق أؤلفهم وليس عندي بالهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ويقوى عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقها بل أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك ما حملتك وأشرح لك صدرك وسدد لك فتسمع وتعي كل شيء وأشرح لك ذهنك فتفقه كل شيء وأبسط لك لسانك فتنطق بكل

يأتي به السيد المليك يعصي الهالك بجلال وهو به واسع رؤف ومن خلفه سطران

شيء وأفهم لك بصرك فتفقه كل شيء وأحصي لك فوقك فلا يفوتك شيء وأشد لك عضدك فلا يهولك شيء وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء وأشد لك قلبك فلا يفزعك شيء وأشد لك يديك فتسطو على كل شيء وأشد لك وطأتك فتهد كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير وألح عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال لا بد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم أن يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم أن يضعوا فيه السواري قالوا كيف نصنع قال إذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوي الكبس مع حيطان المسجد فإذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا من نحاس ووتدا من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم ممكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتي ذراع وهو ما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون إليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيئا فهو له ففعلوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واستغنى المساكين فكان جنده أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم عرض بعد ذلك جنده فوجدهم ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جند دارا ستمائة ألف ومن المساكين أربعين ألفا ثم انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة أي ذات حمأة ومن قرأ حامية بالألف من غير همز فمعناه حارة (أخبرنا) عبد الله بن حامد الأصفهاني بإسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبي بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية إذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فقلت ما نقرؤها إلا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأتم يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فأطلت الجدال معه [illegible] فأرسل إلى كعب فسأله فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة فقال كعب أما العربية فأنتم أعلم بها مني وأما الشمس فإني أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وأنشد ما أورد به [illegible] وهو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما * ملكا تدين له الملوك وتحشد * بلغ المشارق والمغارب يبتغي
أسباب أمر من حكيم مرشد * فرأى مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثأط حرمد

فقال معاوية ما الخلب يا كعب فقال الطين بكلامهم قال فما الثأط قال الحمأة قال فما الحرمد قال الأسود فدعا رجلا فقال اكتب ما يقول * فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصيهم إلا الله تعالى وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله تعالى ورأى ألسنة مختلفة وأهواء مشتتة [illegible] فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فأحاطت بهم من كل مكان فحشرتهم حتى جمعتهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فماجوا فيها وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامهم يقودهم ويدله وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل وجعل الله قلبه ورأيه وعمله [illegible] ولا يخطئ إذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه حتى إذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار مثل النعال فنظمها في ساعة ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود فإذا قطع البحار والأنهار فتقها ثم دفع إلى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل فعمل فيها كعمله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس وجدها

وبهما كل يوم بحر بأشد بعضي ويذهب الأطيبين مني وبعضي نفس كفى عن المعاصي وتوجيه ما العاصي تقبل الأكام برفق ومن بين يديه سطران وهما ثم الشائع الذي لا رام [illegible] من طب [illegible] عليه السلام [illegible] ثم موسى [illegible] الإمام وعلى [illegible] مكتوب هذان السطران [illegible] على [illegible] واعلم [illegible] واعلم [illegible] على [illegible] قال [illegible] فقال [illegible] يجوزون [illegible] ولم [illegible] الله [illegible] قال [illegible] من الله [illegible] على باب [illegible] داره [illegible] ما اسم صاحب هذه الدار [illegible] بل حر [illegible] لو كان عبدا لاستعمل آداب العبودية وترك

اللهو واللعب ثم تركها ومضى قال بشر فانتهت الجارية وأخبرت بذلك فذهبت إلى الباب [illegible] فوجدت الرجل قد مضى [illegible]

تطلع على قوم فعمل فيها وجنده فيها جنودا كفعله في الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهي الامة التي يحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجنده جنودا كفعله فيما قبلها وذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك انهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكمون في أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم (وقال الحسن) كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جريج بناء هم مرفيعا ليتفرج على طلوع الشمس فنهاه أهلها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فنراها ثم انهم قالوا ما هذه الظلام فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فاتوا ههنا قال فذهبوا هاربين في الارض وقال الكلبي هم أمة قال لهامتسلسلة حفاة عراة عماة عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن أمية قال وجدت رجلا يسمر فذكر حديث الناس وهم حوله مستمعون له يجتمعون فسألت بعض من سمع حديثه فاخبرني أنه حدثهم من القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان بينك وبينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتى صبحتهم فاذا أحدهم يفرش اذنه ويلتحف الاخرى وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فتشي على فوقعت فلما أفقت وهم يمسحون على بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الاسفاط فلما ارتفعت أدخلوني سربا لهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج والله أعلم

(باب في سد ذي القرنين وما يتعلق به)

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت العلماء بأنباء القدماء لما فرغ ذو القرنين من أمر الامم الذين هم في أطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الارض من الجن والانس وهم يأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ويأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت اطلعت على ما ينمون من نمائهم وزيادتهم فلا تشك انهم سيملؤن الارض ويقهرون أهلها منهم ويظهرون عليها ويفسدون فيها وايست عن نمائهم وزيادتهم الا رغبتهم في توقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا أي جعلا وأجرا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي أي فوالني عليه خير من خراجكم فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتوني زبر الحديد أي قطعه واحدتها زبرة وآتوني النحاس فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سأدلكم على معادنهما قالوا فبأي قوة تقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو أشد ما خلق الله في الارض بياضا وهو الذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منها زبرا مثل الصخور العظام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التي هي من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نضح عليها الحديد ثم نضح الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ثم قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان

أنت الذي رفقت ... ما لباب فقال نعم فقلت له أعد علي ما قلته فاعاده علي قال بشر فرفعت شعري على الترائب وقلت

ثم همت ... فاذا حتى ... فقيل لي ... ن تقاتلك ... يردفقات ... ولاى الا ... كان ذلك ... الله تعالى ... وبركاته ... ه (وحكى ... م رضي الله ... قال) كان ... من الخبار ... قع في حق ... فية بكلام ... بعد ذلك ... فرجعهم ... ليهم فقلت ... ل الآن ... نعم كان نابي ... ي صليت ... من الايام ... م خرجت ... ر الحافي ... خار جامن ... عادقلت في ... الى هذا ... وف بالزهد ... ستقر في ... ة فتبعته حتى ... وف ووقف ... واشترى ... ا ثم تقدم ... فاشترى ... اشترى ... فقلت في ... ع عنه حتى ... ع بهذا ... الصغراء ... قول تريد ... فاذا الي يمشي وأنا خلفه الى ان عرف العصر حتى دخل مسجدا خربا فيه مريض فجلس عند رأسه وصار يعلمه الحطب

الحاجب حتى لزم الحديد النحاس فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته فساوى بهذا
طو يلا عظيما حصينا قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (قال قتادة) ذكر لنا
ان رجلا قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء
قال له قد رأيته وقيل ان موضع السد وراء بحر بمشرق الارض بينه وبين الخزر مسيرة اثنين وسبعين
يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام ان السد مفتوح فوجه سلاما الترجمان في خمسين رجلا
وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزق سنة وأعطاهم مائتي بغل تحمل
الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسمعيل صاحب أرمينية وكان بتفليس وكتب
له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى فيلانشاه في
بلاده فكتب له الى ملك الخزر فأقام عنده يوما حتى أنفذ معه خمسين رجلا أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى أرض
سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيئا يشمونه من الرائحة الكريهة فساروا تسعة وعشرين يوما ثم ساروا في
[illegible] فقالوا ها هنا قوم ثم ساروا الى مدن خراب عشرين يوما وسألوا عن تلك المدن فقيل انها كان
فيها يأجوج ومأجوج فخربوها ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية ويقرؤن
القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقال لهم الناس من هؤلاء القوم فقلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين قلنا
من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منهم وقالوا أشيخ أو شاب وزعموا انهم لم يبلغهم خبره ثم فارقوهم وساروا الى
جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وعضادتان مبنيتان مما يلي الجبل
عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا مبنية بلبن من حديد مغيب في نحاس في علو خمسين ذراعا واذا دروند
حديد طرفاه على العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على كل واحدة مقدار عشرة أذرع
في عرض خمسة أذرع وفوق ذلك اللبن الحديد المغيب في النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك
شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مثنى بعضها الى بعض متلاصقة كل واحدة الى صاحبتها واذا باب
مصراعان معلقان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا في ثخانة [illegible]
الدربند وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وعشرون ذراعا وفوق
القفل بمقدار خمسة أذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في
استدارة أربعة أشبار والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع في طول مائة
ذراع سوى ما تحت العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل
جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحدة خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبة في كل يوم
ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم هؤلاء ان أولئك لم يحدثوا في الباب
حدثا فاذا ضربوا أصغوا اليه بآذانهم فيسمعون من داخل دويا وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير [illegible]
عشرة فراسخ في [illegible] مع الباب [illegible] طول كل واحد [illegible] ذراعا في
مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين شجرتان وبين الحصنين عين عذبة وفي أحد الحصنين آلة البناء التي بني
بها السد من قدور الحديد ومغارف من حديد وهناك بقية من اللبن الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدأ
واللبنة ذراع ونصف في عرض شبر وسألنا أهل تلك المواضع هل رأوا أحدا من يأجوج ومأجوج فذكروا انهم رأوا مرة
عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فألقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل في رأي العين شبرا ونصفا قال فلما
انصرفنا أخذتنا الادلاء على نواحي خراسان فعدلنا [illegible] الى [illegible] سمرقند [illegible]
أصحاب الحصن ثم وردنا [illegible] ثم سرنا الى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معي
خمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى سرنا الى الري
ورجعنا الى سر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله أعلم

(باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة)

لقمة بعد لقمة وأنا أنظر اليه فقمت لا أنظر ذلك المشهد وما سواه فقمت ساعة ثم رجعت الى العمر [illegible] فلم أجد بشر الحافي
فسألت [illegible]
[illegible] الذي كان [illegible]
فقال بشر [illegible]
نعم وأين هو فقال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الاسواق
ولا قوة الا بالله العلي
العظيم [illegible] الذي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible]
في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بالله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قال [illegible]
[illegible]
فقال [illegible]
[illegible] الى الله تعالى
[illegible] الى
[illegible]
آمين *(ومنهم من [illegible] رضي الله تعالى
عنه) انه قال [illegible]
الحلاوة في أيام حياتي وعاهدت ربي عز وجل ان لا آكل شيئا الا بعد أربعين يوما فكنت في الحلاوة عشرين [illegible]

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة فمر فائيل يأتيه ويزوره فبينما هما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا فائيل حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان في السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوي قائما أبدا يقولون سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال اني أحب أن أعيش فارغا من عبادة ربي حتى عبادته فقال يا فائيل أو تحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم قال فائيل فان لله عينا في الارض تسمى عين الحياة فمن الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هيا بنا تعاون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير أنا نجد في السماء أن لله في الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فنحن نظن ان تلك العين في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة وقال لهم أخبروني هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسألتم من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع في الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء اني قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها أن الله خلق في الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الحياة فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها في الارض التي على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والموالي ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتي عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هي مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال اني أريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء لم يطؤا هذه الارض فلا نطأها فانا نخاف أن يتنغص عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن أسلكها فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا لو نعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد لم يسعنا الا تبعدك ولكنا نخاف من الله تعالى فسادا في الارض ومن عليها فقال ذو القرنين لا بد من أن أسلكها فقالت العلماء شأنك بها فقال ذو القرنين أي الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل أبصر قالوا الاناث قال وأي الاناث أبصر قالوا البكاري قال فارسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى ابكارا ثم انتخب من عسكره وأهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد راية للخضر عليه السلام وجعله مقدما في ألفين وبقي ذو القرنين في أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا الى اثنتي عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندري كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا أصابنا فدفع ذو القرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له سيبت بصيكم الضلال فاطرح هذه في الارض فاذا صاحت فليرجع اليها أهل الضلال أين ما صاحت قال فسار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر ويحط ذو القرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر أن العين في الوادي وألقى في قلبه ذلك فقام على شفير الوادي ومكث طويلا ثم أجالته الخرزة فطلب سوتها فانتهى اليها فاذا هي على جانب العين فترع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ وليس ثيابه ثم انه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر الى سوتها وان أصحابه فركب وقال لاصحابه سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة في أربعين يوما ثم انهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض عراء ومل خشخاشية فاذا هم بقصر مبني في تلك الارض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم انه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا واذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بانفه الى الحديدة معلقا بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفاك ما رأيت حتى وصلت الي ثم قال يا ذا القرنين حدثني فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر في الارض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال يا ذا القرنين هل

كثرت شهادة الزور في الارض قال نعم قال فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك فضرق فزعا شديدا فقال الطائر لا تخف حدثني قال سل قال هل ترك الناس شهادة أن لا اله الا الله بعد قال لا فانضم الطائر الى شأنه ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا فعاد الطائر كما كان ثم قال يا ذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدري على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا هو بملك ممدود اليه سور وفوق رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال يا ذا القرنين ان الساعة قد قربت وأنا منتظر أمر ربي بما مرني أن انفخ في الصور ثم ان صاحب الصور أخذ شيأ من بين يديه كأنه بحر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فان شبع هذا شيئ وان باع هذا بعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى اتى الى أصحابه فحدثهم بامر الطائر وما قاله له وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره وقال أخبروني ما هذا الحجر وما أمره فقالوا أيم الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور قال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا شيئ وان باع جمعت فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعوه في الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فقال الالاف حجر فقالت العلماء فقلع علما دون هذا لا نعرف أصعب من هذا أم علم ولا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا أعلم ما فيه فانظروا عليها السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في احدى الكفتين وأخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الاخرى ثم أخذ كفا من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فقرب العلماء بعد الله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله لقد وضعنا معه ألف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والعالم بالجاهل والجاهل بالعالم ألا ترى الى بلى وانا لا بلى يا ذا القرنين صدقت فاخبرني ما هذا الحجر فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه الله لصاحب الصور ان الله تعالى مكن له في الارض والبلاد فاعطاه الله منها ما لم يسبقه أحد من خلقه أو طأ له منها ما لم يوطأ لاحد من خلقه فلم تشبع وأتبعت نفسك شهوتها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يبلغه أحد ولا يبلغه أنس ولا جان فهذا مثل ضربه الله لصاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبدا حتى يحثى عليه التراب ولا يملأ بطنه الا التراب يا ذا القرنين ثم قال يا ذا القرنين ما حقك بأخضر في ضرب هذا المثل لاجرم لا طلبت أثرا في البلاد بعد مسيري هذا حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان في وسط الظلمة وطئ الوادي الذي فيه الزبرجد فقال من معه ما هذا فقد نفد زادنا وفرغ ما معنا فقال ذو القرنين ما هذا الذي تعتنا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان من أخذ منكم ومن غيركم من أخذ منه شيأ ومنهم من ترك فلما خرجوا من الظلمة ونظروا واذا هو زبرجد فندم الآخذون الا قليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخا ذي القرنين لو ظفر بوادي الزبرجد في مبدأ أمره لما ترك منه شيأ حتى كان يرجع الى أهله وهو لانه كان راغبا في الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد في الدنيا لا يبالي فيها ثم انه رجع الى العراق وملك الملوك العلوائف كلها ومات في طريقه قبل وصوله بشهر (وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) انه رجع الى ذومة الجندل وكانت منزله فاقام بها حتى مات فقالوا كان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل ذا رافي أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس من بعده فابى وانثال النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم فيما قيل طليموس بن لوسوع وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة في حياة الاسكندر وبعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمقاض واليونانية ولبني اسرائيل بيت المقدس ونواحيه الديانة والرياسة على غير وجه الملك الى ان خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

ثم يرى فيكون هو الشيخ عليكم ثم توفي الشيخ المرحوم الله تعالى فاجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة أيام ينتظرون ما يرد عليهم الشيخ رضي الله تعالى عنه فبينما هم كذلك اذ لاح لهم بالعلم الاخضر فرفع قربانهم وارتفع فمار كل من الفقراء يتمنى أن يكون هو المرتفع فبينما هم منتظرون الوعد الكريم وما كون فيمن تفضل بالعز العلي اذا بالعلم قد وقع على رأس مجدوح ولم يكن يحتمل له ذلك ولا لاحد من المعتبرين فقام الفقراء مزدحمين على الزاوية ونزلوا منزلة الشيخ فبينما هم كذلك اذ قال كيف أصل اليك وأنا ربيل ولم أكن أعرفه بل ظننته الفقراء حتى تمادت بهم من الناس ما لا يحتمل فقال لهم الفقراء هذا أمر من الله ما لنا فيه ولا له ولا ندري ما نقول له فقال لهم مجدوح فاذهبوا حتى أمضي الى السوق وأبيع من حوائجي فقال الناس فاعلموا للملك فذهبوا الى السوق ووقف كل فقير في حقه ورجع الى الفقراء وبقي مجدوح في السوق ولزم الزاوية والفقراء وصار مجدوح كما هو وله من الكرامات والفضائل ما لا يحتمل ذكره فسبحان المنفرد الكريم العرش العظيم فصار على العبادة حتى مات رضي الله تعالى عنه (وحكي ان الحجاج بن يوسف الثقفي) بعث الى رجل من أهل الخير والصلاح

(مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام)

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عبرت بنو اسرائيل بعد موسى بهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعبدون الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل فمنهم من يقتلون ومنهم من يطردون كما قال الله تعالى حتى كان من بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام *(تسمية زكريا عليه السلام)*

هو زكريا بن يوحيا بن آذن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناشور بن سلوم بن شفاط بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام

(باب في ذكر مولد مريم عليها السلام ونبذ من خبرها)

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآيات قال المفسرون هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى اذ بينهما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقال ابن اسحق هو عمران بن ياشم بن أمون بن منشان بن حزقيل بن أحريف بن يؤام بن عزازيا بن اميا بن ناوس بن نوشا بن يارض بن يهوشافاط بن رام بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة في ذلك أن زكريا بن يوحيا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين اسم احداهما مشيعا بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الاخرى حنة امرأة عمران وهي بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسى لتمام حنة لوالد سنين أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائرا يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوة الولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمته ونذرته وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فرزئت مالي بما علم ولم تعلم ما هو فقالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا أي عتيقا عن الدنيا وأشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيت المقدس حتى أعلقه مفرغا لعبادة الله وخدمته فتقبل مني انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر ونذر جعل المحرر والمحررة في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وان أراد أن يخرج بعد التحرير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمائهم الا من في نسل هرون بيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان اذ كانت الجارية لا تكفل ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في بطنها فلما علمت ذلك قالت لهارون وجها عمران وهو اذ ذاك سيد بني اسرائيل انا قد نذرت ما في بطني محررا فاقبلاه مني فقبلاه منها فقالت حنة عند ذلك يا رب اني وضعتها أنثى وليست الذكر كالانثى أي في خدمة الكنيسة والعبادة فيها العوانس وضعتها وما يعلم بما من الحيض والنفاس والاذى واني سميتها مريم وهي باللغة العابدة وانخلده فتوكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واني أعيذها وأي أجيرها وأعيذ ذريتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبد الله ابن حامد باسناده وأخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (وأخبرنا) شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم يخلص اليهما منه شئ قال وذكر لنا أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الله راجعة الى النذيرة أي فتقبل الله النذيرة أي مريم من حنة وانبتها نباتا حسنا يعني سوى

(باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام)

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء باخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام ان الله يرزق مريم الفاكهة في غير حينها قال ان الذي قدر على أن يرزق مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدا على الكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك أي فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لي أي أعطني من لدنك ذرية طيبة تسلا نقيا صالحا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعني جبريل وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول فبينما هو في محرابه عند المذبح قائم يصلي والناس ينتظرونه أن يأذن لهم بالدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض فتفزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى واختلفوا فيه لم سمي يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى أحياه بقرآنه وقال قتادة وغيره لان الله تعالى أحياه بالايمان والنبوة وقال الحسن بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية دليله ما أخبرني به الحسن بن محمد بن حمويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله عز وجل الا قد هم بخطيئة أو عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل (قال الاستاذ وكان شيخنا) أبو القاسم الجنيد يقول سمي بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة وسمعت أبا منصور الخشاري يقول قال عمر بن عبد الله المقدسي أوحى الله الى ابراهيم أخليل عليه السلام أن قل ليسارة وكان اسمها كذلك اني مخرج منك عبدا لا يهم بمعصيتي اسمه يحيى فهبي له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار اسمها سارة مصداقا بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام فسمي كلمة لان الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وجد ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك ان أمه كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أ يحيى يا مريم أحامل أنت فقالت لها كذا تقولين هذا قالت اني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه واعانه به وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قال يحيى قبل أن يرفع عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم وقال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذي لا يغضب وقال سفيان الذي لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذي لا ماء له ودليل هذا التأويل ما أخبرنا به ابن فنقويه باسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذب عليه ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فأخذها فقال وكان ذكره مثل هذه القذاة وقال المدني الحصور الذي لا يدخل في اللعب ولا الا باطيل فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب أنى يا سيدي قاله لجبريل هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل انما قال زكريا رب لله لا لجبريل أنى يكون لي غلام من أين يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر لا تلد عقيم قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فاجيب كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أكان ذلك شكا في وعده أم انكار القدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ما قال عكرمة والسدي ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحاه الى كما أوحى اليك في سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك في الولد وانما شك في كيفيته والوجه

الذي يكون منه الولد فقال أنى يكون لى ولد أى كيف يكون لى ولد أتجعاني وامرأتى شابتان أم رزقه الله على كبرنا أم تزوجني من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك منك بأمر الله فكبر الامر عليه واعظمه وهذا قول الحسن قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل بكليتك على عبادتى وطاعتى لانه حبس لسانه عن الكلام ولم يكن منعه من ذلك علة غير قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار هذا قول قوم من أهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام الا من أذى اشارة وعلى هذا أكثر المفسرين وقال عطاء أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا فوله يحيى يذكر يا عليه السلام وفى بعض الاخبار أنه لما ولد يحيى رفع الى السماء فتغذى بالبرد حتى فطم ثم أنزل الى أبيه وكان يضىء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

(باب فى صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا أحسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر ما له يبلغ شحمة الاذن مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الفسيرة قوى فى طاعة الله تعالى وقد سادالناس فى عبادة الله وطاعته

(فصل فى نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده)

قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل ان يحيى قال له أترابه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون انه نبى صغير فكان يعلم الناس ويفقههم فى أحكامهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم سار ودخل الشام يدعو الناس واتبعه ناس كثير من بنى اسرائيل وأمرهم أن يأمرهم بخمس خصال ويضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيأ وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله ثم أسكنهم دارا له ودفع لهم مالا يتبرون فيعملون بأكل كل واحد منهم يكتفى ثم يؤدون اليه فضل الربح فعمد العبد الى فضل الربح فدفعوه الى عدو سيدهم وأمرهم بالصلاة فقال ان مثل الصلاة كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه يسمع مقالته ويقضى حاجته فاذا دخل عليه الرجل التفت عنه وأقبل بوجهه على غيره فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدى اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق وأمرهم بذكر الله عز وجل وقال مثل الذاكر مثل قوم لهم عدو فاتاهم فى ديارهم فلم يقدروا على الامتناع منه فأتى حصنا حصينا فتحصن فيه فكذلك العبد لا يقدر على الشيطان الا بذكر الله تعالى وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لاحد عدو يعمل اليه وتستره (وأما سيره) فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر والصوف فوقع فى قلبه أن الصوف واذاهم قد خرقوا ثيابهم وما كوا بها السلاسل وشدوا بها الى سواري المسجد فقال ما هذا فقالوا أتيناه يا يحيى لما أمامه أنسى لى مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى أتخلى بنفسى فى المقدس وأعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان فقال له أمه حتى يأتى نبى الله زكريا عليه السلام فأوامره فى ذلك فلما دخل زكريا المحراب لها يحيى فقال له زكريا يا بنى ما يدعوك الى هذا وانما أنت صبى صغير فقال له يا أبت اما رأيت من هو أصغر منى مات قال بلى فقال لامه أنسجى له مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف فعمل له ذلك فلبسه على بدنه وجمع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى اذا كانت مدرعة الشعر ليقطر ذات يوم الى ما قد نزل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى أتبكى على ما قد نزل من جسمك خوفا منى بلا لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن الصوف فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين أضراسه فبلغ ذلك أمه فجاءت عليه وأقبل زكريا يجمع الاحبار والرهبان فقال لزكريا يا بنى يحيى ما يدعوك لهذا يا بنى انما أسألك بحقى أن تجيبنى عما أسألك عنه قال أمرتنى بذلك يا أبت قال نعم قال ألست القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا الباكون من خشية الله تعالى قال بلى قال فاجتهد وقام فنفض مدرعته فأتت عليه أمه فقالت أتأذن لى يا بنى أن أضع ذلك قطعتين من لبد يوارى أضراسك فانى أشفق

قال فلما سمع الشاب كلامه قال أما من ذلك معذور والعفو من ذلك أول فقالت له قد قبلت على صفته فما الذى فى يدك فيه دليل على ما ادعيت فقال له أما أن أخبرك أنى من البيت قال فقد دلنى الكلام به قد دلك على البيت (قلت) هذا الزوج هو من الامم العارف بالله تعالى من الشباع الذكور الذى ما وطئ قدمه الدنيا ولا ترك الملك ودخل فى طريق القوم رضى الله عنهم وقد تقدمت ترجمته فى هذا الجمع رضى الله تعالى عنه ونفعنا به كما نفع به فى الدنيا والآخرة آمين

(شعر)

فلو كان النساء كمن ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

(وسئل) عن سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه) أنه قال أول ما رأيت من العجائب والاكرام انى خرجت يوما من الايام الى بعض ظاهر البلد التى كنت قاطنا بها لبعض المهام فبينما أنا أطالع فى بعض كتب الحديث اذ سمعت قائلا يقول فى قلبى يا سهل تعلم أن لله عز وجل عبادا يعبدونه فى الليل والنهار عقيب كل صلاة فانتبهت انتباها شديدا وعزمت عزما أكيدا أنى لا أترك ذلك اذا رأيت نفسى على وجه الارض وهو أنه آدم ذاق بيده

دموعك فقال لها أنك فاتخذت له قطنا فبلت له بوا بيان أمر اسمه يحيى فكان دموعه فيه كما سمي ابنا لناس دموع عينيه ثم أخذهما فعصرهما فخرت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا إلى ابنه والى دموعه فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم ان هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا إذا أراد أن يعذب إسرائيل التفت يمينا وشمالا فاذا رأى يحيى لم يذكر جنة ولا نارا فجلس يوما بني اسرائيل وأقبل يحيى يدلف نحوه بعباءة وقميص فلما التفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فانشأ يقول حدثني حبيبي جبريل عن الله عز وجل أن في جهنم جبلا يقال له السكران في أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان تحاف الرحمن تبارك وتعالى في ذلك الوادي جب قامته مائة عام في ذلك الجب توابيت من نار في تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج هائما على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها يا أم يحيى فوجدها مغلية فقالت يحيى فاني قد تفوقت أن لا تراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت في طلبه فرت بفتيان من بني اسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدين قالت أطلب ولدي يحيى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فغشي أم يحيى والفتية معها حتى مر بهم إبليس لعنه الله فقال يا راعي هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا قال لعلك تسألين يحيى بن زكريا قالت نعم ذلك ولدي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا وكذا فعاد يمشي في الماء رافعا بصره الى السماء يقول وعزتك يا مولاي لا أذوق باردا الشراب حتى أتفارا الى منزلي منذ فارقت أمه فلما رأته دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين يديها وناشدته بالله أن ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك أن تطعم مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك الصوف فانه الين ففعل ثم انها طبخت له عدسا فأكل واستوفى مذهبه النوم فلم يقم لصلاته فنودي في منامه يا يحيى أردت دار الخبر امن داري وجوار الخير امن جواري فاستيقظ وقام وقال رب أنا عبدك وعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لامه ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما متوريتاني فقالت له أمه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا يا أم يحيى دعيه فان ولدي قد كشف له عن قناع غفلته ولن ينتفع بالعيش فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم

(باب في مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء في سبب قتله فقال بعضهم كان يحيى عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان له امرأة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتلة الانبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيى ينهى عن ذلك ويقول لها لا تبرزي كاشفة عن جسدك وكان كثيرا ما يقول لها مكتوب في التوراة أن الزناة يرقصون يوم القيامة على رؤسهم أنتن من الجيف فأمرت بيحيى فسجن وكان قد سجن رجل من أبناء الملوك وكان لا يزال يأتيها ليلا فعلم بها أبو يحيى فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فعلمت بتلها واستقبلت بها زوجها فقال لها لم فعلت ذلك فقالت وجب لها علي لما صدق فقال سلي ما شئت فقالت البنت أسوة بسنة أهل الحبس أصنع بهم ما شئت فقال أبوها أنها ترحمهم وتستر وجوههم فقال أبوها قد فعلت فأمرت أمها بأهل السجن فحرموا عليها فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح وأخذ رأسه في طشت ثم حملت الطشت الى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك اني قد وجبت لك ذبيحة من أعظم ما وجدته ولو كان مثله ألف لذبحتهم لك قال وما هو قالت يحيى بن زكريا فقال هلكت وأهلكت أبو يك فتبرأ الله مما بهم من النعم وساط عليهم عدوا فذبح البنت وأوبهما وساط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان الملك بنت أخ تحبه يريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها فلما بلغ أمها أنه ينهى عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك وسألك عن حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال لي غيره هذا فقالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشت

فذبحه فنبذت من دمه قطرة فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فساء بجور زمن بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفا منهم على سن واحد فلم يسكن فقتلهم فسكن (وقال السدي) باسناده كان ملك بني اسرائيل بكرم يحيى بن زكريا ويدنى مجلسه ويستشير في أموره ولا يقطع أمرا دونه وانه هوى أن يتزوج ابنة امرأته فسأل عن ذلك يحيى فنهاه عنه وقال لست آمن اذا بلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا فأحرا وطيبتها وألبستها من الحلي وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تستقبل رأسه وتتعرض له فاذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا أعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تستقيه وتتعرض له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسألين قالت أن تبعث الى رأس يحيى بن زكريا في هذا الطشت قال لم يحل سلبني غيرهذا قالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه بعث اليه فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تفعل لك فلما أصبح اذا دم يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فارتفع الدم فوقه ولم يزل يغلي ويأتي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي وذكر الحديث الطويل الذي في قصة سنحاريب وبختنصر كما تقدم ذكره في أخبار بختنصر (وقالت علماء النصارى) الذي قتل يحيى ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيرودوس بسبب امرأة يقال لها هيرودويا كانت امرأة أخ له يقال له فلقوس عشقها فواقعها على الفجور ونهاه يحيى وأعلمه أنه لا تحل له فسألت المرأة هيرودوس أن يأتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط في يديه وجزع جزعا شديدا (قال كعب الاحبار) كان يحيى من أجمل الناس وجها وأحسنهم في زمانه فأحبته امرأة الملك الذي كان في زمانه حبا شديدا فأرسلت اليه تراوده عن نفسه فأرسل اليها انه لا يحل له بالنساء والملك أحمق فلما أن نهي الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لي أن أقتله ولا يخبر الناس اني قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فأرسلت اليه وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود من يضرب عنقه ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بهم وبأهلها الارض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

(ذكر مقتل زكريا عليه السلام)

(قال كعب الاحبار) فلما سمع زكريا أن ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا في الارض حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يا نبي الله الي ههنا فلما أتاها انفتحت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى أشار بطرف ردائه فخرج من الشجرة فلما صنع ذلك ثلاث مرات صنع اليهود الخبيث في أطراف أرديتهم لا يدرون لما أمر وا بذلك وأشد الملك وأهله يأتمرون زكريا فاستقبلهم بابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس لهم ادخل في هذه الشجرة قالوا أتصدقك قال فاني ان أريتكم علامة تصدقوني بها قالوا نعم فأراهاهم أراهم طرف ردائه فاتخذوا المناشير فنشروا الشجرة فنشروها نصفين فسلط الله عليهم أشد أهل الارض عملا البحوسيا فانتقم الله به من بني اسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظماء بني اسرائيل وسبي منهم مائة وسبعين ألفا (وقيل) ان السبب في قتل زكريا أن ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف بين زكريا وقال لاصحابها أحدكم يريد زكريا وهو الذي يدخل عليها فطلبوا زكريا فهربوا منهم فأشرفوا على وادي كثير الاشجار فتشبه الشيطان بصورة راع فقال يا زكريا فدادر كوك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها وأخرج ابليس هدبة ردائه فمزقت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعي هل رأيت رجلا ههنا فان صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدبة ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وقطعوها قطعتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفي الخبر أن الشمس بكت على يحيى بن زكريا سبعا وكان بكاؤها أن طلعت وغربت حمراء ويروى أن يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله أعلم

(خبر في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به)

فقالت بخير أعذت منك الله فصرت متحيرا في معرفتها ولم أعرفه فبينما أنا كذلك اذ أتيت في سوق بول فاذا عيسى ذلك فصرت متحيرا في أمري فان قمت خطيت رقاب الناس ثانيا وان جلست لم أتمكن من الصلاة قال سهل فالتفت الى الشاب وقال يا سهل أتدري ما قلت قال نعم يا سيدي قال فنزع رداءه عن منكبه وغطاني به وقال قم اقض حاجتك وأسرع لتدرك الصلاة قال فقمت فاذا بباب مفتوح وقائل يقول لم الباب يا رسول الله فوالله لقد رأيت الباب مصراعا مشيد البناء شاهق الاركان واذا بخلوة قائمة واذا بها عين ماء ظاهرة تجري وماء أحلى من الشهد واذا بشقة معلقة وسواك الى جنبها قال سهل فعجبت من ذلك ثم خلعت ثيابي وأردت الماء فاغتسلت وتوضأت ولبست أثوابي فسمعته ينادني ويقول ان كنت قد تطيبت أو بلت فقل نعم فطلبت أن أنزع الرداء عني فاذا أنا جالس في مكاني ولم أشعر بي أحد فصرت متفكرا في نفسي متعجبا مما رأيت وحسبت أكذب نفسي

قال الله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال العلماء باخبار الانبياء لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمس عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا صالحا نجارا يتصدق بعمل يده وكان يوسف ومريم بلبنان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفسها ماؤها وما يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى العارة التي فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذي اتاها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم في السنة وأشده حرا فدماؤها فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقي فقال ان عندي لفضلا من ماء أكتفي به يومي هذا الى غد قالت ولكني والله ما عندي ماء فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثل الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثني اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أي مؤمنا مطيعا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه علمت ان التقي ذو رحمة وخشية وهي تحسبه رجلا من بني آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب أمرد مضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق قالت السكينة انما أرسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها ولو تقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد * وقال السدي وعكرمة كان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد مادامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أي مشرقا لانه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة (قال الحسن) انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم حجابا أي سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هي كذلك في تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ في جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يليان معالجته بأنفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعلم في زمانهم ما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذي بها استعظمه واستفظعه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة فاذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدري فقالت له قل فولا جميلا قال لها أخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذي أنبته من غير بذر ألم تعلم ان الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وأمر أنه من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شيء من أمر الله وانه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها ذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه فلما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكآبة وجهها ونتوء بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس * وسمعت من الثقات ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم

ل لج الباب رجل
ه فنظرت فاذا الباب
ينه ثم ولجت القصر
يجدت الخلة والطهارة
السواك والمنشفة
لولا فقلت آمنت بالله
عظيم فقال يا سهل من
طاع الله أطاعه كل
ي اطلبه تجده قال
ولي فتفرغرت عيناي
الدموع فمسحتهما
تحتهما فلم أر الشاب
لا القصر فصرت متحيرا
ي ما فاتني منه مرضي
له تعالى عنه ونفعنا به
بعلومه وأعاد علينا
ن بركاته آمين
(وحكي عنه أيضا
ما الله عنه) * أنه قيل
بعض أصحاب سهل
ف كان مال سهل
ال خدمه ثلاثين
نة فما رأيته ومنع جنبه
ى فراشه ليلا ولا نهارا
كان يصلي الصبح
ضوء العشاء وهرب
ن الناس الى جزيرة
ن عبادان والبصرة
ا فرمن الناس الا من
جل حج سنة من السنين
ا رجع قال لا خرج
يت سهل بن عبد الله
الموقف بعرفة فقال
أنحوه نحن كان عنده
ذلك اليوم وهو
ن بيننا فحلف بالطلاق
لاث انه رآه في ذلك
يوم بعرفة فقال له

ويوسف هذه وقد أفحم فيها عيسى ودعا انطلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يدعون ان عيسى عليه السلام لما قتل دفن بها وبعد ثلاثة أيام عرج به الى السماء ولا ينقطع أبد الدهر منها وانه ينزل فيها والله أعلم

(باب في ذكر ميلاده عليه السلام)

قالوا فلما أثقلت مريم ودنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها أن معبد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع لذكر فيه اسمه فابرزي الى موضع تأوين فيه فتحولت مريم الى بيت خالتها أخت أمها أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فالتزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت أني حبلى فقالت مريم وأنت أيضا أشعرت أني حبلى قالت امرأة زكريا فاني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها انك ان ولدت بين أظهر قومك عيروك وحسدوك وقتلوك وولدك فاطعني من عندهم أي فاخرجي * وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار ليس بينه وبين الاكاف شيء فانطلق بها يوسف حتى اذا كان قريبا من أرض مصر في منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس فالجأها الى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء (قال الكلبي) لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ما هو الا أن حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباذ الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا أي بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته أمه في ساعة وصور في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد بها المخاض التجأت الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فاحتوشتها الملائكة وكانوا صفوفا حولها محدقين بها فلما كانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا أي جيفة ملقاة فردت أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير يجري تحتها وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها أن لا تحزني من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلمها بإذن الله تعالى قالوا فلما ولد عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب باردا اذا شربت منه وحارا اذا استعملته وذلك قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الارض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يبسها فتدلت سعوفها وأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل لها وهزي اليك بجذع النخلة أي حركيه تساقط عليك رطبا جنيا طريا قال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدري للمرأة اذا عسر عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة حين يولدون وقال بعض البلغاء في وصف التمر هذه الصغيرة له الكبير قالوا ثم ان يوسف النجار عمد الى حطب فجعله كالحظيرة حولها بالقرب منها اذ قد أضر بها البرد ثم أشعل لها النار لتصطلي بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت في خرجه فاطعمها اياها فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز (قال وهب) فلما ولد عليه السلام أصبحت الاصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤوسها ففزعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له في لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فأتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعا منذ فرقهم قبل تلك الساعة وانما كان يراهم أشتاتا فسألهم فأخبروه أنه حدث في الارض حدث فأصبحت الاصنام كلها منكوسة على

السلام فسألاه عما جرى بينهما من هذا الحديث فقال مهل ما لكم في هذا الحديث حاجة اشتغلوا بالله تعالى ثم التفت الى الخالق وقال له اسألك عليك عز وجل ولا تنغص بذلك أحدا بعد ذلك ثم مضى الى الجزيرة الخضراء ونهار بالسر عن الناس نفعنا الله تعالى به وبمنابه وبركته آمين *(وحكي عن خادمة رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها) انها قالت كانت رابعة العدوية تصلي الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت هجعة في مصلاها حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها وهي فزعة يا نفس كم تنامين والى كم تقومين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور فكان هذا دأبها حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها (قالت) خادمتها رضي الله تعالى عنها لما حضرت وفاة رابعة دعتني ثم قالت يا عبدة اذا أنا مت فلا تعلمي بي أحدا وكفنيني في جبتي هذه وكانت جبة من شعر كانت تقوم فيها اذا نامت عيون الناعسين قالت فكفنتها فيها وفي خمار من صوف فلما دفنتها رأيتها في المنام وعليها حلة خضراء من استبرق وخمار من سندس خضر فقلت لها ما فعلت الجبة التي كفنتك فيها والخمار الصوف فقالت انه نزع عني وابدلت هذا الذي ترينه علي وطويت أكفاني

ونحتم عليها رفعت في عليين ليكون لها ثوابها يوم القيامة قالت فقلت لمثل هذا فليعمل العاملون فقالت وما هذا عند الله من

أكرامه لأوليائه بشيء

فقلت لها مر بني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل فقالت عليك بذكر الله تعالى فانه يوشك أن تغبطي بذلك في قبرك رضي الله تعالى عنها (وحكى عن أحمد ابن أبي الحواري عفا الله عنه) أنه قال إذا كانت الرابعة العدوية أحوالها شتى فكانت مرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الانس ومرة يغلب عليها الخوف فكانت تنشد في الحب هذا الشعر

حبيبي لا بعادك حبيب ... وما لسواك في قلبي نصيب

حبيب غاب عن بصري وشخصي ... ولكن عن فؤادي لا يغيب

وهي تنشد في حال الانس تقول هذا الكلام

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وهي تنشد في حال الخوف تقول

وزادي قليل ما أراه مبلغي ... ألا زاد أبكي أم لطول مسافتي

رؤسهم ولم يكن شيء أهون على هلاك بني آدم منها لانهم كانوا يدخلون في أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيقولون انها هي التي تكلمهم فلما أصابهم هذا الحدث صغروها في أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا واعلم انا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الارض وقلبنا البحار وكل شيء فلم نر دونها أرضا ولا جبلا فقال لهم ابليس فما يكون الأمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فرفعهن بالمكان الذي وله فيه عيسى فلما رأى الملائكة تحدثن بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه فاراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه قال فاذا رؤس الملائكة دوننا كلهم الى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة دوننا فاراد أن يدخل من بينهم فمنعوه من ذلك يدل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يلعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين تولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يلعن فلعن في الحجاب قال وهب فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ما جئتكم حتى أحصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجو الاعلى وكل هذا بلغته في ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد الا بعلمي ولا وضعته الا وأنا حاضرها وانى لارجو ان يضل به أكثر من يهتدي به وما كان نبي أشد على وعليكم من هذا المولود ثم انه خرج قوم في تلك الليلة يؤمونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يعتدون أن طلوع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فرآهم ملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون فاخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان أهديتموهم هذه الاشياء قالوا ثالث أمثاله لان الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم سيد أهل زمانه ولان المر يجبر به الكسر والجرح وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يشفي الله به كل سقيم ومريض ولان اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه الله الى السماء ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فاذا علمتم مكانه فاعلموني بذلك فاني راغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية الى عيسى عليها السلام وأرادوا أن يرجعوا الى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فنبههم ملك وقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه بمكانه فانه انما أراد قتله فانصرفوا في طريق آخر

*وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثني وحدثته فاذا شغاني عنه انسان صح في بطني وأنا أسمع والله أعلم

(باب في رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم ان جماعة من قومها لما هيأ الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها ويسر الله لها أسبابها ولادتها قال كلي يا مريم من الرطب واشربي من الماء العذب وقري عينا وطيبي نفسا فاما ترين من البشر أحدا فسألك عن ولدك أولا ملت عليه فقولي اني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وكذلك هو في قراءة ابن مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن أكلم اليوم انسيا فاتت به قومها تحمله قال الكلبي احتمل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فاد خلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فأتت مريم تحمله بعد أربعين يوما فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا فنظروا عظيما يا أخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من أتقياء بني اسرائيل وليس بهرون أخي موسى وذكروا أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون * وقال وهب كان هرون من أمثل بني اسرائيل وأظهرهم فسادا فشبهوها به ما كان أبوك عمران امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أي زانية فمن أين لك هذا الولد فاشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال وهب فاتاها ذكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما اني عبد الله آتاني الكتاب الآية فاقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيبا للنصارى والزاما للحجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن

يرجعوها فلما تكلم عيسى تركوها فقالوا ثم لم يتكلم شيء بعد هاحتى كان بغزالة غير من الصبيان والله أعلم

(باب في ذكر تزويج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر)

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان عيسى بعد مضي اثنين وأربعين سنة من ملك أغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بني اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث اليه ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالغلام وأمه الى مصر وأوحى الله الى مريم ان الحقي بمصر فان هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعي الى البلاد فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهي الربوة التي قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر أبو اسحق الثعلبي) في التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس وقال كعب هي أقرب الارض الى السماء وقال أبو زيد هي مصر وقال الضحاك هي عرصة دمشق وقال أبو العالية هي ايلياء وقال القرار الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فاقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمدة في منكبها والوعاء الذي فيه السنبل في منكبها الآخر حتى نمى لعيسى اثنا عشرة سنة (وروى) عن محمد بن علي الباقر رضي الله عنه أنه قال لما ولد عيسى كان ابن يوم كانه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب وأقعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال لها عيسى فقال المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدري ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني ان كنت تدري والا فاسألني حتى أفسر لك فقال له المؤدب فسر لي فقال عيسى الالف آلاء الله والباء بهاء الله والجيم جلال الله والدال دين الله هوز الهاوية حطم جهنم وهي الهاوية والويل واد في جهنم حملت خطيئات الخلايا عن المستغفرين كلام كامن كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء فرشت تقرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم فقال المؤدب لامه أيتها المرأة خذي ابنك فقد علم ولا حاجة له الى المؤدب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين المفسر باسناده عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلت أمه اليه لتعلم فقال له قل المعلم بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما أدري قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

(باب في صفة عيسى وسلمته على السلام)

قال كعب الاحبار كان عيسى من مريم رجلا أحمر ما لا الى البياض ضليع الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشي حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حليلة ولا متاعا ولا ثيابا ولا رزقا لاحد يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يرى ما لا عين ولا أذن والارض وحي الموتى باذن الله وكان يخبر قومه بما كلوا وما يدخرون في بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشي على وجه الماء في البحر وكان أشعث الرأس يسير الوجه مزاجها في الذهاب في الآخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا في الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله أعلم

(باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه الى أن نبئ)

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أراد لها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوي اليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتحبين ان أدله على ماله قالت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع لي المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد الى رجلين منهم احدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمى وقال له وقم به فقال الاعمى انا أضعف من ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك المباركة فلما سمعوه يقول ذلك سمروا وتفكروا ثم تابوا وقالوا لك من حاجة يا سيدي فان قلت نعم كانت معي وان قلت لا تمضي وتتبع ثيابهم ان لبس ثيابا غيرها وتصلي الى المساجد

الاعمى حتى قام فلما استقل قائما هوى المقعد الى كوة نخرانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فاخذه الدهقان ووضعه في خزانته وقال يا مريم خذي نصفه فقالت اني لم أخلق لذلك قال الدهقان فاعطه لابنك قالت هو أعلم مني شأنا ثم لم يلبث الدهقان ان أعرس لابن له فصنع له عيدا فجمع عليه أهل مصر كلهم فمكث يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فامر عيسى بدنه على أفواهها وهو يمشي فكلما أمر يده على جرة امتلأت شرابا حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة (آية أخرى) قال السدي كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي الى أهله فيبكي عليهم حتى يعلموا ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فجيء عيسى عنهم بيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فهو وهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا ههنا فقال لهم فما في هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذا هم خنازير فقشا ذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر (آية أخرى) قال السدي لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسيحان في الارض اذ جاء بني اسرائيل ونزلا في قرية على رجل فاضافهما وأحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزينا فقالت لها لا تسأليني فقالت أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم نوبة زوجي وليس عندنا سعة فقالت قولي له لا يهتم له بشيء فانه قد أحسن الينا وانى أمرني أن يدعوله فيكفيني ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت فلا نبالي لانه أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولي له اذا انقرب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحما وماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثله فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فان خمري قد أتي بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال أخبرني على الحق قال فانا أخبرك عندي غلام ما سأل الله شيئا الا أعطاه يا موانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا يستجاب له حتى يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي بعد أن أراه قال عيسى ان أحببته تتركوني أنا وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكان هذا حتى اذا ذاموته يريد أن يستخلف علينا ابنه فما كانوا كأنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه (آية أخرى) قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي وكز برجله فقتله فالقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاخذوه وانطلقوا به الى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لا أدري من قتله وما رأيت صاحبه فاراد وا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم اتئوني بالغلام فقالوا له ما تريد منه قال أريد أن أسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فاخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فاقبل عيسى على الدعاء فاحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلني فلان على الذي قتله فقال بنو اسرائيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم قالوا فمن هذا الذي معه قال قاضي بني اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى أمه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له أمه يا بني ألم أنهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين (آية أخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بعد ما أخرجته من الكتاب الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الصباغين دفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى اني قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع الى عشرة أيام

ثمان أحمد بن حنبل رضي الله عنه رأيته في المنام وهو يمشي ويختر في مشيته فقلت له يا أخي أي مشية هذه فقال مشية الخدام في دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي ورأيت بعض المعلمين من ذهب آخر وقال هذا بقولك القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ثم قيل لي يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فاذا بسفيان الثوري رضي الله عنه له جناحان يطير بهما من شجرة الى أخرى وهو يقرأ هذه الآية الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال فقلت له ما فعل الله بعبد الرزاق الواعظ قال تركته في بحر من نور في مركب من نور يراديه العزيز الغفور فقلت ما فعل الله ببشر بن الحرث فقال يتبختر ومن مثل بشر بن الحرث تركته على مائدة بين يدي الجليل وهو مقبل عليه ويقول له كل يا من لم تأكل واشرب يا من لم تشرب وتنعم يا من لم تتنعم فقلت ما فعل الله بمعروف الكرخي فقال تركته يتبحبح العرش والحق

وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد عملت كل واحد منها على اللون الذي يصنع به فاحب أن تكون فارغا منها فرفت فدومى ثم خرج فصاح عيسى عليه السلام جبابا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها كوني باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها فاني جب واحد فقال يا عيسى ما فعلت قال فرغت منها قال أين هي قال في الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها في جب واحد لقد أفسدت تلك الثياب قال ثم فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا أخضر وثوبا أحمر الى أن أخرج منها على الالوان التي أرادها بفعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم

(باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس)

قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويأمرها بالرجوع مع ابنها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكنا في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها بيت النصارى وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تمت له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه أن يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم وبذاهم وكانوا يعوذون من خوفه ففعل ما أمره به فاحبه الناس ومالوا اليه وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفا فمن أطاق منهم أن يمشي اليه مشى اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعاء بشرط الايمان *ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى اللهم أنت الله من في السماء والله من في الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكم من في السموات وحكم من في الارض لا حكم فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السماء وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء أسألك باسمائك الكرام انك على كل شئ قدير

(باب في قصة الحواريين عليهم السلام)

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين أي ألهمتهم ووفقتهم ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بانا مسلمون اعلم أن الحواريين كانوا أتباع عيسى من مريم وأولياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلا وأسماؤهم شمعون الصفا واسمه سمعان وأندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه وفيلبس وبرثولماوس وتوماوس العشار ويعقوب بن حلفا واليا الذي يدعى تداوس وشمعون القناني وهو هذا الاسخريوطي عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم فيما بينهم والذي قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فربهم عيسى فقال لهم ما تصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا تمشون معي حتى نصطاد الناس قالوا له وكيف ذلك قال ندعو الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبي العربي فاتبعوه أولئك وآمنوا به واتفقوا معه قال السدي كانوا ملاحين قال ابن اسحاق كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا بعثهم عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهم واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح الله من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فقال قصار وا يعاون الثياب بالكراء فقال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك الذي أترك ملكي وأتبعك فانطلق

بن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة قال النحاة سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا قوارين علمهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام فاما حواريو هذه الامة فاخبرنا الحسين بن محمد الدينوري باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قريش وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين

(ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مبعثه الى ان رفع صلوات الله عليه)

منها أنه أيده الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس وتظاهرها في سورة المائدة اذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذي نفخ فيه الروح أضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا كبيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أي الروح الطاهرة وسمي عيسى عليه السلام روحا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدي وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيي الموتى ويرى الناس تلك العجائب (ومنها) تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أي الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فكان يسوي من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه أكمل الطير خلقا فيكون أبلغ في القدرة لان له ثديا وأسنانا ويلد ويحيض ويطير (قال وهب) كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا لتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل (ومنها) ابراء الاكمه والابرص كما قال تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني والابرص الذي به وضح والاكمه الذي ولد أعمى ولم يبصر أقط ولم يكن في الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما أعيا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فاراهم المعجز من جنس ذلك (ويروى) أن عيسى عليه السلام مر بقرية بعميان فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا القضاء فلما مسوا أعينهم بايديهم فقال لهم ما دعاكم الى هذا قالوا نخفنا عاقبة القضاء صنعنا بانفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم بايديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى باذن الله قال تعالى واذ تخرج الموتى باذني وأحيا منهم أمواتا منهم العاذر وكان صديقا فارسلت أخته الى عيسى أن أخاك العاذر يموت فأته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فاتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتني الى بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم اني أحيي الموتى باذنك فأحي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي ووالد ومنها ابن العجوز وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان في هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقال الحواريون لا يدخل هذه القرية أحد غريب الا قتلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب

نباته فطاف سبعا ثم استند نحو القبلة فسأل ربه فمات رحمة الله تعالى عليه فنظرت في وجهه ففتح عينيه في وجهي وهو يضحك فقلت له ياأخي أنت ميت أم حي فقال بل حي وكل محب لله فهو حي قال فتعجبت منه ثم أخذت في غسله وتكفينه وتجهيزه ودفنه رضي الله تعالى عنه

(وحكي عن الشيخ أبي علي الروذباري عفا الله عنه) انه قال ورد علي جماعة من الفقراء فرض منهم رجل ومكث في مرضه أياما كثيرة فقل أصحابه من خدمته وشكوا الى ذلك فخالفت نفسي وحلفت أن لا يتولى خدمته أحد غيري فصرت أخدمه بنفسي أياما حتى مات رحمة الله تعالى عليه ثم غسلته وكفنته وصليت عليه ولحدته فبينما أنا عند اضطجاعه في قبره اذ نظرت الى عينيه فوجدتهما مفتوحتين ثم أقسم وقال ياأبا علي لانصرك بجاهي يوم القيامة كما نصرتني وخالفت نفسك وخدمتني ثم أسبل عينيه رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته

*(وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى

المعمور فقال له امرأته عجوز أما رضي أن أدعك لا أدعه يدخل الى حتى تقول أطعموني يا عيسى
بالباب اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى أسعى لك بشئ هذه فقال له الفتى ما لي بها
أم لا لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى إن كان ذلك وما يدريك يا عيسى بن مريم قال أنا
عيسى فاضاء وبات عنده فلما أصبح قال له اغد وادخل على الملك [illegible] فأمر بسريره
واخراجه فقضى الذي جئت من أجله فخرج الفتى فاخبره بما كان فذهب اليه واخبره بما قاله له فقال
ما أمره عيسى فضربه دون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فاخبره فقال ارجع اليه فقله وقل له
أنا أزوجك ابنتي على حكمي وحكمي قصر من ذهب وقصر من فضة وبيوت من زبرجد فقال أفعل ذلك
فاذا بعث معك أحدا فاخرج به فان سوفي تجده يتحدث فيه شيئا ثم ان الفتى دخل على الملك فقال له ما
بحكمي فقال وما حكمك فحكم الذي سماه عيسى فقال نعم رضيت ابعث من شئت فبعث معه [illegible]
اليهم ما سأله الملك فعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته وعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله قد رأيت
هذا وأنت على مثل هذا الحال فقال له عيسى اني آتي ما يبني على ما سمي مثل الفتى أنا أبتدعه وأصيب
فخلى عن الصبيان واتبع عيسى فانطلق عيسى برسوله حتى أتى به أصحابه وقال لهم هذا الكبير الذي ذكرت لكم
العجوز الى ان مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال
الذين حملوا السرير على عنقه ورجع الى أهله وبقي الميت (ومنها) انه أتى رجل كان يأتيه أحيانا فلم
أتيه يوما وقد مات بالامس فدعا الله عز وجل فعاش وقيل انها (ومنها) سام بن نوح قال له الحواريون يا روح
يصف لهم سيدنا نوح قال لو بعثت لهم من شهد السفينة فسمعت لهم الاعظم وأتى قبورهم فنادوه
من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح ادعه تجبك فقالوا نعم فدعا الله باسمه الاعظم وسمى باسم نوح
اخرج باذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وعلى رأسه شيب فقال له عيسى أكذلك مت قال لا ولكني ظننت
باسم الله الاعظم قال ولم تكبر ولم يشب من ذلك الرأس وكان سام ابن خمسمائة سنة ثم أحيوهم
بعبر السفينة فقال له عيسى متى قال له سام انه لما كان بيني وبين الطوفان مائتا سنة رأيت غرابا
ذلك وعدد كر هذا الخبر في قصص نوح عليه السلام (ومنها) عن رجاء قال قال عيسى عليه السلام أحمدوا
أسرفة لنا بالنار وهو الحطب فاتوا بكثير من حطب الكرم وكانوا في تلك القرية يعبدون [illegible]
حجارة مملقة فوجد واقبرا عز يرا فاكثروا على ما هو ما [illegible] فجروا الى قبره
فرجعوا الى عيسى فاخبروه فقال لهم انا عيسى فقال لهم أحق ما تقولون فقالوا نعم فقام الى قبره
عيسى وهو في أكفانه وترابه فقال له أبعد الذي أماتك الله ثم أحياك ثم عمل شيئا من الله عز وجل
وشهر ونبت ثم قال له يا عزير بإذن الله قم فقام بإذن الله عز وجل ذلك تراب أكفانه وشعره ونبت
الرجل يعبدون عيسى فقال أشهد انه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا بما دعا به لهذا الكبير فقال
فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى مكانه فنادى عيسى يا عزير فقام من قبره وهو يقول يا عيسى
عيسى يحيي الموتى يا محيي يا قيوم (ومنها) اخبار عن عيسى عليه السلام من العرب قال الله عز وجل اخبارا عن
عيسى ما كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد
ولكن أخبرنا بما كل وما تدخرون في بيوتكم قال ما أعلمني الا أنكم تأكلون كذا وكذا وتدخرون كذا وكذا
(ومنها) ما روي انه خرج في بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه فصبر وكان كثير اللزوم لعيسى فلما
انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله فجاز ولم يبق على وجهه الماء فقال الرجل القصير بسم الله فجاز
فمشى على وجه الماء فذلك الحين فقال هذا عيسى روح الله فمشى على الماء وأنا أمشي على الماء فقال فاغمس
في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فاخبره بما خطر فقال له
عيسى لقد وضعت فضلك في غير الموضع الذي وضعك الله عليه وقلت الله عز وجل ما لم تكن تنبغي لك

الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يعد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الشاذي باسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو علم الله في معرفته العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد فما قالوا ولا أنا فقالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى ابن مريم مشى على الماء قال نعم لو ازداد يقينا لمشى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كان الرسل يعجزون قال ان الله تعالى أبلغ شأنا من أن يبلغ أحد شأنه

(ذكر حديث جامع في هذا الباب)

قال وهب سرح عيسى عليه السلام يسيح في الارض فصحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودي ثلاثة أرغفة فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم وقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته وجد طعامه فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فمرا الى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أتينا هذه الشجرة حتى نصيب فقال افعل فمرا ثم أصحابهما اثنين فقالا أعمى فقال له أرأيت ان أنا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله له فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي أراك الاعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فاذا هما بمقعد فقال له عيسى أرأيت ان عالجتك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذي أراك الاعمى بصيرا والمقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث كم كان معه الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى نهر يجاج فقال عيسى لا أرى جسرا ولا سفينة فذهبت رجلي من رأي وضع قدميه على وجه الماء فمشى على الماء فقال له عيسى بالذي أراك أمر الاعمى والمقعد وحفر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال لا والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بابنين له يبكيان عند أبيهما ميت فقال عيسى ما شأنهما فقالا كان لنا أبونا وترك لنا ثلاثة أرغفة فأكلناها فمات فقال عيسى للغلامين دعا أباكما يأكل من رغيفه فقالا ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنهما فانطلقا حتى انتهيا الى البحر فقال عيسى لصاحبه امش على البحر بإذن الله عز وجل فمشى على البحر فقال عيسى بالذي أراك المشي على البحر من صاحب الرغيف الثالث كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى الجبل فقال عيسى لصاحبه امش على الجبل بإذن الله عز وجل فمشى على الجبل فقال عيسى بالذي أراك المشي على الجبل من صاحب الرغيف الثالث كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى قرية خربة فقال عيسى لصاحبه امش على القرية بإذن الله عز وجل فمشى على القرية فقال عيسى بالذي أراك المشي على القرية من صاحب الرغيف الثالث كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى الخنازير فقال عيسى لصاحبه امش بإذن الله عز وجل فمشى فقال عيسى بالذي أراك المشي على الخنازير من صاحب الرغيف الثالث كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى الرمل فقال عيسى لصاحبه امش بإذن الله عز وجل فمشى فقال عيسى بالذي أراك المشي على الرمل من صاحب الرغيف الثالث كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى البحر فقال عيسى لصاحبه امش بإذن الله عز وجل فمشى فقال عيسى بالذي أراك المشي على البحر من صاحب الرغيف الثالث كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فقال عيسى سبحان الله فقال عيسى بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فقال عيسى لصاحب البقر فنادى عيسى يا صاحب البقر اجز لنا من بقرك هذا فقال ابعث صاحبك اليهودي يأخذه فانطلق اليهودي فذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظما فلما فرغوا قذف بعظامه في جلده ثم ضربه بعصاه وقال له قم بإذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال عيسى السحار ثم قال عيسى لصاحبه بالذي أحيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معي الا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى في أسفلها واليهودي في أعلاها فأخذ اليهودي عصا عيسى وقال أنا الآن أبرئ المرضى وأحيي الموتى قال وكان لذلك الملك القرية مريض قد أعنت فانطلق اليهودي ونادى من يبتغي طبيبا حتى أتى باب الملك فاستبر بوجهه فقال أدخلوني عليه فانا أرجو ان رأيته وان رأيتموه قد مات فانا أحييه فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه الا صاحبه فقال أدخلوني عليه فدخل عليه فضرب الملك بعصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول قم بإذن الله فلم يتم فاخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فاقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أرأيتم لو أحييت لكم الملك هل تتركون لي صاحبي قالوا نعم فدعا الله عز وجل فاحياه وقام فانزل اليهودي من الخشبة فقال يا عيسى أنت أعظم الناس علي منة والله لا أفارقك أبدا فقال له عيسى أنشدك الله الذي أحيا النبي والعجل بعد ما أكلناهما وأحياهما هذا بعد ما مات وأنزل من على الجذع بعد ما صلب كم كان معك من رغيف قال فاخذ بهذا كله وقال والله ما كان معي الا رغيف واحد فقال عيسى لا باس فانطلقا حتى أتيا بئرا عظيمة تربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لي واحدة لك واحدة للذي أكل الرغيف الثالث فقال اليهودي لعيسى أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلي فقال عيسى هي لك كلها فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة

أطلع النمرود فاعتطب
من منهن المطلب الهشم
لاحراق ابراهيم قال
فبادرت اليه العباد من
أقطار البلاد فقاموا
حولا كاملا يجمعون
الاحطاب الى أن ملؤا
ذلك الحفير بالاحتشاب
فقال قوم نكبكبه ونلقه
في النار ونضرمها عليه
واختلفوا في ذلك فقالهم
ابليس لعنه الله وقال
لهم اضرموا النيران فاذا
رأيتم لهيبها وعاينتموها رجع
عن دينه الى دينكم ثم
وضع لهم المنجنيق وقال
لهم اذا أتى وضعوه في
كفته وارموه في ذلك فانه
يصعد به المنجنيق في
الهواء ثم يوقعه في النار
وأنتم تنظرون كيف
يصنع قال فاتخذ النمرود
مكانا من الارض
مبنيا بالجص والساس
ينظر كيف يحارق ابراهيم
خليل الرحمن عليه الصلاة
والسلام قال فلما أوقدوا
النيران كاد أن يضيء
لها المشرق والمغرب
وسعد لهيبها الى أن
أطبق ما بين الخافقين
حتى ان الطير كان اذا طار
في الجو أحرقه لهب
النيران ثم أتى بابراهيم
عليه الصلاة والسلام
فلما نظر الى ذلك التفت
عينا وشمالا الى الكافرين
وقال اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات
والارض حنيفا وما أنا من
المشركين قال فوضعوه في المنجنيق ورموه في اسلوب فجعلت ملائكة السماء وقالوا الهنا وسيدنا • انقلها

اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظر والى شئ لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى لهم أيكم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلانا من السمن وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ما عدا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن اقتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم عددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال لعيسى يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعادت حيا فاضطربوا واستوحشوا فخافوا منها فقال عيسى مالكم تسألون أشياء اذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم أن تعذبوا بها سمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم كل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فقالوا أن يأكل منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله واشكروا لهنائه ولغير حسنكم البلاء فاكلوا منها وصدروا عنها ألف رجل وثلاثمائة رجل واثنا عشر ألفا من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برئ ولا زمن الا صح ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كافة مودة فاوحى الله الى عيسى أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشكك الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هل تكتم فشر والعذاب الله فاوحى الله تعالى الى عيسى أني شرطت على المكذبين شرطا من أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في العذرات والنجاسات ويأكلون القاذورات في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على المسوخين أهاليهم فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا (ومنها) ما روي ان عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فجعل يسأله فقال يا عبد الله أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال يا روح الله هذا امرأة كان لي من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها وديعة قال أفتحب أن أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من أنت فقال يا رسول الله أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة فلما كنت في هذه الساعة قبل لي أجب فاجبت ثم قال يا رسول الله قد مر علي من أليم العذاب أما ان رددني الله الى الدنيا أعطيته عهودا أن لا أعصيه أبدا فادع الله لي فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فمضى فقال صاحب القبر يا رسول الله قد غلطت بالقبر انما قبر هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتي فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فاخذ الرجل بيدها حتى انتهى الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فنظر بها ابن الملك فنظرها ونظرت اليه وأحب كل واحد منهما صاحبه فاشار اليها فوضعت رأس زوجها من حجرها واتبعت الفتى

فاسد فتغاروجها فتقدمها فلم يجسدها فطلبها فدل عليها فتعلق بها وقال امرأتي فقال الفتى هي بطريق تبوك لهم كذلك اذ طلع عيسى عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى ما تقولين قالت أنا جارية هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردي عليه ما أخذت منه قالت قد فعلت فسلت مكانها فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل أماته الله كافرا ثم بعثه فآمن وعمل رأيتم امرأة أماتها الله مرتين ثم أحياها فكفرت

(ومنها) رفعه الى السماء اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (روى) الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة فتفل وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت بكلمتك لمن خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب أمي فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وأمه قردة وخنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف عيبه فجمعت كاهنة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وبعثوا اليه فأتوه فقال يا معاشر اليهود ان الله يغضبكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فجمعه الله تعالى اليه سريعا فلما خشي عليه السلام أن يدركوه خطوا الى سقفها ورفعه الله تعالى من روزنة فامر رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له دانيا أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلم يأتهم لم ير عيسى فلما أعلمهم فقالوا أنه يقاتله فهو أقوى الله عليه فشبه عيسى فلما خرج قتلوه الله عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فجمع الحواريين وصنع لهم طعاما وقال استحرموني الليلة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضيهم ويمسح أيديهم بشيابه فتعاظموا ذلك وتنكروه فقال الا من رد علي شيأ مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم انا ما سميتكم الليلة عشاكم الا لعلمكم وغسلت أيديكم بيدي الا لكون لكم بي أسوة وانكم ترون أني خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم وأما الحاجة التي استعجلتكم عشاءكم فانكم تعلمون انه لي ولكم دون الدعاء أن يؤخر أجلي فلما تعجبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا وأرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاءه فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تسهرون في ليلة واحدة وتعيبون فيها فقالوا والله ما ندري مالنا فقد كنا نسهر فنكثر السهر ونطيق الليلة السهر وما نطيق بعد دعاءك الا على بناء وبه فقال يذهب الراعي وتبقى الغنم وجعل يأتيهم بكلام مثل هذا يوبخ نفسه ثم قال لهم أيكم يكفر بي أو يبيع الدنيا بثلاثة دراهم ولي يمين أعتقه من عذاب الله فقال يهوذا الاسخريوطي أنا فخرج حتى أتى اليهود فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على عيسى فجعلوا له ثلاثين درهما فانطلق معهم فلما أتى أصحاب الحواريين أوحى الله تعالى الى عيسى ان من أصحابك من يبيعك بثلاثين درهما فانظر من هو فاخبرهم عليه وكان شبههم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يجرونه ويقولون أنت كنت تحيي الموتى وتبرئ الاكمه والابرص أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم لم يسمحوا له حتى شجوه بالضرب وألقوا على رأسه شيئا كالاكليل من شوك فلما أتوا به الى الخشبة ليصلبوه عليها أوحى الله الى الارض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه واستعجم وما نطقوا بمكانه وهم يلتمسون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فلما صلبوا الذي هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وأبرأها من الجنون فكان ممن شبه لهم أنه عيسى فقالا له ما تصنع هاهنا وأنت كنت تقول ان الله تعالى رفعك فلم يرعني الا الخبر وان هذا شخص شبهه لهم (وقال مقاتل) ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فلما رآه الرقيب فزع فصعد الى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم انى لست عيسى انى فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى قال

وقال الجد لله على كثرة الانام ثم قال يا محمد كل ذلك بركات دعائك وقد رأيت عند ربك صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا آمين

والى أعداء السلام الثامن) انى لم أعد أمثال الكلاب من الامم المعمل ما سبق من الامم لئلا يتناول عليهم السلام يوم القيامة فرحمتهم وشفقة عليهم (الرابع) انى لم أعد أمثال القردة بالاموال والاولاد مثل الامم السابقة حتى كفروا وجحدوا نعمتي (الخامس) انى لم أعد أمثال أصحاب الفيل حتى يقع عليهم الفتور بكفرهم (السادس) انى لم أعد أمثال عند كل ذنب كما عاقبت الامم السابقة (السابع) انى أخرجهم الى آخر الزمان حتى يعاصروا آخر الامم حتى لا يطول تكذيبهم في القرآن (الثامن) انى لم أذق رؤسهم بأنواع مختلفة من العذاب كما أذقت رؤساء الامم السابقة بأنواع مختلفة من العذاب

لاصحابه أيكم يكفف عليه شيبي فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يانبي الله فقتل ذلك الرجل ومع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلي يسمى أشوع بن نند براوالله أعلم

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام)

(قال وهب) وغيره من أهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام ابث في السماء سبعة أيام ثم قال الله له ان أعداءك اليهود أيقولون عن العهد الذي أخذت فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانه لم يبق على وجه الارض أحد يحكيها ولم يحزن عليك أحد حزنها فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تخلق بك وأمرها أن تجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني اسرائيل في قرية من قرى الناصرية يقال لها بيت لدان وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر تخطيها أشراف بني اسرائيل فاستعفت فقالوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما أرادت اخفاءها عنهم فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وما كان يشفي الله على يديه من المرضى والزمني أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى دارها ووضعت يدها على ظهره فقال لها عيسى اقدمي ذوعاهة بنية صحة ولقد أعطاك الله مارجاه ومر ظهره بيده فاذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتمل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان السماء ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التي أهبط فيها هي الليلة التي تزعمها النصارى فالوا توجه بارس الرومية واندراوس ومتى الى الارض التي يأكل أهلها الناس وتوما والى أرض المشرق وفيليبس وبرثلما الى القيروان وافريقية ويحنس الى اندوس مدينة أصحاب الكهف والرقيم وهي أورشليم وهي ايلياء أرض بيت المقدس وبرتولوماوس الى الاعرابية وهي أرض الحجاز وشمعون الى أرض بربر فاصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يتحدث بافعال من أرسله عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشتمونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان ساحرا فقيل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائرا باذن الله وأنبأهم بالغيب وأراهم العجائب فقال الروم فما منعكم أن تذكروا لي من أمره فوالله لو علمت لكنت بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فاخبروه وخبروه ما يدعوهم على دينه واستنزل شبه عيسى والشبة التي صلب عليها فأكرمها وصلم المسها منه وغزا بني اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا فمن هنالك كانت أصل النصرانية في الروم (وقال أهل التوراة) حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته عيسى ببيت لحم من أرض أورشليم لغمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل والاسدي وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانيين وأوحى الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المدراس الى السماء لثلاث عشرة من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاش أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

(ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليها السلام)

(قال وهب) لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آتى بين الحواريين فاسر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفا ولللآخر يحيى أن يلتمسا أمه ولا يفارقاها فالتمساها ومعهما مريم الى مار وسملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون واندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فافاتتهما الارض فغابا فيها وأقبل ماروت ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيأ فردوا التراب على حاله وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فاخبره وبه فاسلم كما ذكرنا والله أعلم

(ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان)

صلى فقعد حزينا في آخر المسجد فلما قام الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له جبريل عليه السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك ان الله سبحانه وتعالى خلقني قبل أن يخلق السموات والارض بالفي عام فكنت أسمع وأقدمه فبينما أنا على تلك الحالة اذ قبضت من نور بيضاء تضيء فعلت عمر السحاب واذا بصوت منها يقول أحد أحد فرد صيد فقلت يارب من هذا أخلق خلقته قبلي أم خلق خلقته بعدي فقال الله عز وجل هذا خلق أخلقه في آخر الزمان وهو نبي مكرم اسمه محمد فاستصغر الايام فقلت يارب اسألك بحقه عليك أن تجعلني سفيرا بينك وبينه فكان كذلك فبينما أنا كذلك اذ جبهة أخرى تلتها وهي تمر عمر السحاب واذا بصوت منها يقول صدقة صدقة فقلت ومن هذا يارب فقال رجل من أمة هذا النبي يكون أول من يصدقه يسمى الصديق فلما بعثك الله يا محمد أتمام أبو بكر ينظر ك قبل أمتك بأربعين عاما

فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ بيد أبي بكر وعاهده أنه لم يكن له على فرشه الآن يكون خلفه رضي الله تعالى عنه من كل

قال الله تعالى وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكن كهلا في الدنيا وإنما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (أخبرنا) أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي بإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فيكم ابن مريم حكما عدلا وإنه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويهل من الروحاء حاجا أو معتمرا أو يلبيهما جميعا ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة فاقرؤا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد بن القاسم الفارسي بإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الأمة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن إلى جانب قبر عمر فطوبى لأبي بكر وعمر يحشران بين نبيين (وأخبرني) ابن فنجويه قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي بإسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها

(باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام إلى انطاكية وذلك في أيام ملوك الطوائف)

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام إذ أرسلنا إليهم اثنين واختلفوا في اسميهما فقال ابن إسحاق فاروص وماروص وقال وهب يحيى ويونس وقال مقاتل تومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فعززنا بثالث أي فقوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفا رأس الحواريين في أكثر قول المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان (قالت) العلماء بأخبار الأنبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين إلى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نحن نبرئ المرضى ونشفي الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى فقال الشيخ إن لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا إليه نطلع حاله فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان في مدينتهم ملك يعبد الأصنام فقال له سلاحين (وقال وهب) اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى الخبر إليه فدعاهما الملك فقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نبرئ الأكمه والأبرص ونشفي المرضى بإذن الله تعالى قال وفيم جئتما قالا جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال الملك أولنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك قال قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق (وقال وهب) بعث عيسى هذين الرسولين إلى انطاكية فأتياها فلم يصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه فرضي عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك إنه بلغني أنك حبست

الصحابة أجمعين (وعنه رضي الله تعالى عنه) أنه قال بينما نحن جلوس ... إذ أقبل أعرابي ... على النبي عليه السلام وجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ... النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ما حاجتك يا شيخ فقال إني أعمى ولم يكن عندي ... رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ... أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... محمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... أخرى فقال ... أشهد ... في شيبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ... محمد صلى الله عليه وسلم فقال فقبض أبو بكر رضي الله عنه

ووضع لحيته على يد الأعمى وقال أصلحها حتى في حب محمد صلى الله عليه وسلم قال فقبض الأعمى لحية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال

وجاءا في السجن وضربهما حتى دعوا الى غير دينهما فقال كلمتهما وسمعت جوابهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال للصغيرة استخبرهما فقال تسمعون لهما من أرسلكما الى ههنا فالا الذي خلق كل شيء فقال لهما تسمعون صنمنا أو ضرا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال تسمعون وما آتيكما قالا ما سمعنا بربك الا كما نسمع والامر في السماء والارض في الرحم بإذن الله قال فاسم الملك فقيء بغلام معلوس العينين موضع عينيه كالجبهة فصار الا يبدو ان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فاخذ اثنتين من اللبن فوضعهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهنا حتى يصنع لك صنعه مثل هذا فكون لك الشرف ولالهنا فقال الملك ليس لي عنك سر اعلم ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لحوله ويصلي كثيرا ويتضرع حتى ظن الملك انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذي تعبدانه يقدر على احياء ميت فالا الهنا يقدر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أحزنه فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فقالوا بالليت وقد تغير وأروح فقالا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم اني قد مت منذ سبعة أيام مشركا فادخلت في سبعة أودية من النار وما أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لي فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذا وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قولهم قد أثر في الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل وبلغ ذلك حبيب بن مري صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسم حبيب بن اسرائيل النجار وقال وهب وكان سقيما قد أثر فيه البرص فكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فقسمه نصفين يطعم نصفا لله ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم إيمانه ويعبد ربه في غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى في كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أوأنت شئتنا لم يتابعوا بسبع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون الى قوله اني آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطؤوا برجلهم حتى خرج قصبة من دبره وقال السدي كانوا يرمونه بالجار فهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقتلوه (وقال) الحسن خرقوا خرقا في سكة وعلقوه في سور المدينة ردموه في سور انطاكية فاوجب الله له الجنة وذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فقالوا قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم وذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون أي ميتون (أخبرنا) أبو بكر الحشاوي باسناده عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم

* (قصة يونس بن متى عليه السلام) *

قيل متى أسم لم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينبغي لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء باخبار القدماء كان يونس رجلا صالحا يتعبد في جبل وكان في قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس بن متى عليه السلام بالنهي عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه

كان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود فى زمانه وكان يعتريه حدة وذلك منهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله نخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر على قومه والمدارأة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه عجلة ونخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا (واختلف العلماء) فى سبب مغاضبته وسبب ذلك وقته وقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهو رواية الضحاك والعوفى عن ابن عباس قال كان يونس بن متى وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف وكانوا اثنى عشر سبطا فهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى الى شعياء النبى ان سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فانى ألقى الخوف فى قلوب أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال حزقيا الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجى فقال لا قال هل سماك لك قال لا فقال ههنا شعيا وأنبياء وأيامنا فأطلوا عليه فخرج مغاضبا للنبى والملك ولقومه فأتى بحر الروم وكان من أمره ما كان وقال الحسن البصرى انما غاضب ربه من أجل انه أمره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليذهب للتخوص اليهم فقال له الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعليه ويلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا فى خلقه ضيق فقال أتجانى ربى ان آخذ نعلى فذهب مغاضبا وروى شهر بن وشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى أهل نينوى فانذرهم أن العذاب قد حضرهم ان لم يتوبوا قال له أتمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة فكان من أمرها ما كان فعلى هذه الاقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس انما كانت رسالة يونس بعد أن نبذه الحوت ودليل هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس فى سورة الصافات ثم عقبها بقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما أوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما أوعدهم ولم يعلم السبب الذى رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا قال والله أعلم جميع اليهم كذابا أبدا أوعدتهم العذاب فى يوم ولم يأتهم وفى بعض الاخبار أن قومه كان من عادتهم أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذى أوعدهم خشى أن يقتلوه فغضب وقال كيف أرجع اليهم وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم بسبب صرف العذاب عنهم لانه قد كان خرج من بين أظهرهم لنزول العذاب وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان أحدهما مرويل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا فهذا (قال ابن عباس) وابن مسعود وغيرهما لما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على ملئا وسبع اليهم فأدعهم أربعين ليلة أخرى فان أجابوك والا فانى مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعا لاثنين ليلة فلم يجيبوه فقام فيهم خطيبا فوبخهم وقال انى محذركم العذاب الى ثلاثة أيام ان لم تؤمنوا ثم قال لهم ان آية ذلك أن تتغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة فأمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كانت ليلة ربيعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب (قال سعيد بن جبير) كما يتغشى الثوب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثى ميل وقال وهب أغيمت السماء غيما أسود هائلا لدخان شديد اهبط حتى غشى مدائنهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله فى قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع اليه فعمدوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة لله وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والانعام

فاذا هى اجمل ما يكون من النساء وأكملهن فوقفت الى جانب الباب وسلمت وقالت أنا مرينة بنت مروان بن عبد الملك بن محمد الاموى فالتفت زينب فكنت منكئة فاستويت بالسدة وقلت مرينة فقالت الله ولا حيالك ولا رعالك ولا سلمت ولا سلم عليك والحمد لله الذى أزال النعمة عنك وهتك ستر لؤمك بين الناس أتذكرين يا عدوة الله سيئ أفعالك نساء بنى العباس يسألنك بالله ان تكلمى أبا الفتى دفن ابراهيم بن محمد فوثب علين وأسمعتهن أخشن الكلام وأغلظ القول وشتمن بما لى الحالة التى علمت بها قالت زينب فلما سمعت كلامى ضحكت فوالله ما أنسى حسن ثغرها وعلاوسوتها بالفهقهة ثم قالت أى بنية عمى أى شئ أعجبك مما صنع الله بى حتى أودت ان تسوقى بى والله لقد صنعت بنساء أهلك ما قد ذكرت ولكن صدق على الله تعالى أن تكلمينى ذلك الليلة جائعة عريانة أفكان هذا شكرك لله على ما أولاك ثم قالت زينب فالتفت وقمرت فاذا هى تبكى فنادت الحيزران يا مرينة دخلت

باذنى فلا تخرجى الا باذنى وساحت جميعا وهاربوها فرجعت وقالت ما سقانى الا الضرب الجهد وسوء الحال

بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلط عجيجهم وبكاؤهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعدما أظلهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء للنصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة أهل نينوى ان ترادوا المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقتلعه ويرده (وروى) صالح المري عن عمران الجوني عن أبي خالد قال لما تغشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي يا حي حين تحيي الموتى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت أي فلم تكن قرية آمنت وضع الخاص موضع النفي لان فيه ضربا من المبالغة فنفعها ايمانها في وقت اليأس عند معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم ير شيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف أرجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق هاربا يريد مغاضبا الى قومه فاتى البحر كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه أي ان لن نقضي عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشيء يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقدر يهما جميعا في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذي قدر فهدى هذا قول أكثر المفسرين وقال عطاء معناه فظن أن لا نضيق عليه الحبس من قول الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي ويضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه (وقال ابن زيد) هو استفهام معناه أفظن أن لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن أن يعجز ربه فلا يقدر عليه قال وبلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا ربه فاستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سالف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فلما أتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها عبدا آبقا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق فقالوا تلقى في الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين فلما وقع في الماء وكل الله به حوتا فالتقمه وأوحى الله تعالى الى الحوت اني لم أجعل لك رزقا بين جعلتك له حرزا ومسكنا فخذه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت حوت آخر فاهوى به الى مسكنه في البحر فالتقم الحوت آخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الايلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوى وبقال ان الله تعالى رفق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بارض مجهولة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد لك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك اني كنت من الظالمين (وروى) سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى فنادى في الظلمات الى قوله وكذلك ننجي المؤمنين فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء أي بوجه الارض وهو سقيم أي عليل ضعيف كالفرخ المعط (واختلفوا) في مدة مكث يونس في بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدي والكلبي أربعين يوما فلما أخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها وكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها فذلك قوله تعالى وأنبتنا عليه أي عند شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله اليه أتبكي على شجرة يبست

قال فهضت الجبران وقامت فعانقتها (٢٤٢) فقالت لها الثالث في موضع من الحال الذي أنا فيه منذ ثلاث انطلق ان جاورتها ما يكون بالحمام على سرعة فدخلوا بها الحمام وأمرت بعض الجواري بخدمتها ثم وافتها بالحلي المذهبة والطيب ثم قامت اليها الخبيزران واعتنقتها وأجلستها في المجلس الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي وقدمت اليها المائدة فجعلت تأكل وهي تلقمها الى ان اكتفت فغسلت يديها ثم قالت لها الخبيزران فهل عندك أحد ينتظرك فقالت مالي أحد فقالت الخبيزران فقومي فانختاري لك مقصورة من مقاصيري فاسكني فيها عندي ولا نفترق حتى يفرق بيننا الموت فقامت وطافت فاختارت أوسعها وأنزهها فحولت اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والملابس الحرير والرقيق ثم قالت الخبيزران ان هذا أمر أة مسها الضر وأورثها الفقر مالا تقدر عليه ولا يغسل ما في قلبها الا المال احملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحمل اليها ذلك ثم دخل المهدي في آخر الامر فقال ما بالكم فنهضت اليه وبثت واعلمته بجميع ما جرى وما قالت حين دخلت عليها فغضب غضبا شديدا وقال

لحاب فلما واعتذرت اليها وفعلت معها الخيزران كذا وكذا فسره ذلك وقال احملوا اليها من عندي مائة ألف درهم وقال للخادم كان على رأسه بانها مني السلام وقل لها الذي ما سررت بشيء منذ دهري كسروري اليوم بمقامك عندنا ولولا استحثاثك لسرت اليك مسلما على قاضيا لحقك قال فلما مضى الخادم بالرسالة جاءت الى المهدي وسلمت عليه وقالت ما على أمير المؤمنين مني احتشام فاني صرت من جواريه فقال أمير المؤمنين لا والله بل أعز من والدي قال فلم تزل المرأة عند الخيزران حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها وعلى الخيزران وعلى أمير المؤمنين المهدي وجزاهم الله تعالى عن معروفهم ومكارم أخلاقهم خيرا * (ولما توفي أمير المؤمنين المنصور رحمة الله تعالى عليه) * عرض عليه موهوب نفيس له قيمة عظيمة الثمن فعرفه وقال هذا كان لهشام بن عبد الملك ابن مروان ثم انتقل الى ابنه محمد بن هشام وما بقي من الامويين غيره ولا بد لي منه ثم التفت الى صاحبه الربيع وقال اذا كان الغد وصليت بالناس في المسجد الحرام وجمع الناس كلهم فاغلق الابواب ووكل بها جماعة من الثقات

ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أودن ان أهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من أين أنت يا غلام قال أنا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام ان كنت يونس فانت تعلم انه ان لم يكن لي بينة فلست فمن يشهد لي فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام أترهم قال لهم يونس اذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك اني قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فامر الملك بقتله وقال كذبت فقال اني لي بينة فارسلوا معي أحدا يشهد فارسلوا معه رجلا فاتى البقعة والشجرة والشاة وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فاخذ الملك بيد الغلام وأجلسه في مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان مني قال فاقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فاقام لهم أمرهم (يروى) ان يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فاضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فاوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شيء عملته بيدي أعيش فيه وأنتم تأمرني بكسره فبكى يونس فاوحى الله اليه هذا عمل فخار من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسا ووطنتها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادي فمضى يونس وهبط واديا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التي كانت مع الغلام قالت لهم ان أردتم يونس فاهبطوا الى الوادي فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونهما وسألوه أن يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لي في مدينتكم فبكوا وألحوا عليه فاجابهم للدخول فاتي له بحجلة من فضة واجلس عليها فمثل له جبريل عليه السلام على سابحة وهو ينادي هذا جلاس الجبارين فوثب يونس من الحجلة وجعل يمشي حتى دخل معهم المدينة فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصار الغلام الراعي ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالوا ساكنين بعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله أعلم

(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء في الرقيم قال النعمان ابن بشير الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهليهم فبينما هم يمشون اذ أصابتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فاطبقت على باب الكهف فاوصد عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فلعل الله يرحمنا فقال الرجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لي أجراء يعملون عملا لي فاستأجرت كل رجل منهم باجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشطر أصحابه فعمل في بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت علي من الاكرام ان لا أنقصه شيأ مما استأجرت به أصحابه لما استبد في عمله فقال رجل منهم أتعطي هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيأ من شرطك انما هو مالي أحكم فيه بما شئت قال ففضت وذهب وترك أجرته فوضعت حقه في جانب من البيت ما شاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر فاشتريت به فيه فبلغت ما شاء الله فربي بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لي ان لي عندك حقا فقلت له اذكره لي حتى أعرفه قال فذكره فقلت له ايالك أبني وهذا احتملك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي ان لم تتصدق علي فاعطني حقي فقلت والله ما أسخر ان هذا لحقك ومالي فيه شيء فدفعته اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت ثم انها رجعت فذكرتني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت ثم ذكرت ذلك لزوجها فقال لها وجها أعطيه نفسك وأغيثي عيالك فرجعت الي فنشدتني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها أرتعدت من تحتي فقلت لها ما شأنك فقالت اني أخاف الله رب العالمين فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء

فتركتها وأعدتها لما تحب بما كشفتها اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفوا وقال الآخر قد علمت حسنتمرة كان لي أوان كبيران وكان لي غنم فكنت أطعم أبوي وأسقيهما ثم ارجع الى غنمي قال فاصابني يوما غيث فبقيت حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت حلبي فحلبت غنمي وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى أبوي فوجدتهما قد ناما فشق علي أن أوقظهما وشق علي أن أترك غنمي فما برحت جالسا وحلبي في يدي حتى أيقظتهما فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه قال النعمان لكأني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كأن الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال ابن عباس) الرقيم واد بين عسفان وايلة دون فلسطين وهو الوادي الذي فيه أصحاب الكهف قال كعب هي قرية بها وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله شأن أصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر أصحاب الكهف في أيام ملوك الطوائف بعد عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وأما قصتهم) فيقال لما ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا له يا عمر أنت ولي الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد ان نسألك عن خصال ان أخبرتنا بها علمنا أن الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا أن الاسلام باطل وان محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن أثقال السموات ماهي وأخبرنا عن مفاتيح السموات ماهي وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ماهو وأخبرنا عن أنذر قومه لاهو من الجن ولا هو من الانس وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا في الارحام وأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه وما يقول الديك في صراخه وما يقول الفرس في صهيله وما يقول الضفدع في نقيقه وما يقول الحمار في نهيقه وما يقول العنبر في صفيره (قال) فنكس عمر رأسه في الارض ثم قال لاعيب بعمر اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن يسأل عما لا يعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد أن محمدا لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا ان لا تقوموا حتى توجه نحو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أعنك الاسلام فقال وماذا لك فاخبره الخبر فاقبل برقل في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أنظر الى عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى فدعا علي كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبي صلى الله عليه وسلم علمني ألف باب من العلم فتشعب لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه ان لي عليكم شريطة اذا أخبرتكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم فقالوا نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أثقال السموات ماهي قال أثقال السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فاخبرنا عن مفاتيح السموات ماهي قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فجعل بعضهم ينظر الى بعض ويقولون صدق الفتى قالوا فاخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذي التقم يونس بن متى فسار به في البحار السبعة قالوا أخبرنا عن أنذر قومه لاهو من الجن ولا من الانس قال هي قلة سليمان بن داود قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فاخبرنا عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا في الارحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصا موسى قالوا فأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوى قالوا فاخبرنا ما يقول الديك في صراخه قال يقول اذكروا الله يا غافلين قالوا أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله قال يقول اذا مشى المؤمنون الى الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فاخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه قال يقول لعن الله العشار وينهق في أعين الشياطين قالوا فاخبرنا ما يقول الضفدع في نقيقه قال يقول سبحان ربي المعبود المسبح في لجج البحار قالوا فاخبرنا ما يقول العنبر في صفيره قال يقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وثب الحبر الثالث فقال يا علي اقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقي خلة واحدة أسألك عنها فقال سل عما بدا لك فقال أخبرني عن قوم

الحالة اذ أقبل محمد بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم فلما رآه مقبلا وكان لا يعرفه تقدم اليه وقال يا هذا ما بالك فقال لا شيء فقال قل والا أمان الله على نفسك فقال أنا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن أنت قال محمد بن زيد بن علي بن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وأيقن بالموت فقال لا تجزع فانك لست قاتل أبي ولا جدي وليس لي عليك ثأر وانا أجتهد في خلاصك ان شاء الله تعالى ولكن اعذرني فيما أنا صانع بك من مكروه وقبيح فطرح رداءه على وجهه وغطى رأسه وجذبه به الى قريب من الربيع فقال يا أبا الفضل ان هذا الخليفة جعلني من أهل الكوفة أكرائي جماله فلما دفعت اليه الاجرة هرب مني وأكرى جماله لبعض أهل خراسان ولي عليه شهود وأريد منك أن توصله معي الى القاضي وتعلمه جماله عن الذهاب مع الخراسانيين فوكل به الربيع رجلين وقال لا تفارقاه الى القاضي ومحمد قابض على الرداء فقال استكثر به وجهه

في أول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم قال علي رضي الله عنه يا يهودي هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودي ما أكثر ما قد سمعنا فراءتكم ان كنت عالما فاخبرني باسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها فاستحيى علي كرم الله وجهه بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أيها العربي حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان بارض ومدينة يقال لها أفسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فاقبل في عساكره حتى دخل أفسوس فاتخذ هادارا لملكه وبنى فيها قصرا فوثب اليهودي وقال ان كنت عالما فسئل ذلك القصر وتجالسه فقال يا أيها اليهود ابتنى فيها قصرا من رخام طوله فرسخ في عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج في كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرفي المجلس مائة وثمانين كوة ولغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين تغيب تدور في المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا في عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فاجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فاجلس عليها أهل مملكته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني ثم كان تاجه فقال يا أيها اليهود كان تاجه من الذهب السبيكة له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضيء كالسراج في الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من أبناء البطارقة فنطقهم بمناطق الديباج الاحمر وسربلهم بسرابيل القز الاخضر وتوجهم وقلدهم وخلعهم وأعطاهم عمد الذهب وأقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من أولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع أمرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت سيدا فاخبرني ما كانت أسماء الستة فقال علي كرم الله وجهه حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره فرطليوس وكشطوس وسادنيوس وكان يستشيرهم في جميع أموره وكان اذا جلس كل يوم في بهو داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفي يد الثاني جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فينثر المسك بقع في جام ماء الورد فتمرغ فيه فتنشف ما فيه من بشره وجناحيه ثم يصيح به الثاني فيطير فيقع في جام المسك فيتمرغ فيه فتنشف ما فيه من بشره وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض بشره وجناحيه على رأس الملك فجاء من المسك وماء الورد فكث الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يمسه مسداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا احتلام فاما رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من أجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه وينابعه قتله فاجابوه باجمعهم فاقاموا في ملكه زمانا بعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم بالس في عبدله على سريره والتاج على رأسه اذ أتى بعض بطارقته فاخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم لذلك غما شديدا حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا الها كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يسهو وينغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يفكرون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فجمعوا عنده فاكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا يا تمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتي وقع في قلبي شئ منعني عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال أطلت فكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أطلت فكري في هذه الارض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن سبسبها ورملها بالجبال الرواسي الثلاثة ثم أطلت

بعد عنه قال ثم ذهب الى سبيله فقبل شحمة ابن هشام بين عينيه ورأسه وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته ثم أخرج جوهرا قيمته كثيرة وقال لله تعالى يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفي بقبول هذا فقال له اذهب بنا على فنحن أهل بيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأة رضي الله تعالى عنهم

(وقيل للاحنف بن قيس) من تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيته يوما من الايام قاعدا بفناء داره متقلدا بحمائل سيفه محدثا قومه فبينما هو كذلك اذ أتى برجلين أحدهما مقتول والآخر مكتوف فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ما قطع كلامه ولا التفت الى ابن أخيه ثم التفت الى ابن أخيه وقال يا ابن أخي أثخنه بالضرب وسيئ بقتله بسهولة ثم قال لابنه الآخر يا بني قم فادفن أخاك وسل كتاب ابن عمك وسق الى أهلك مائة ناقة دية ولده فانا غارمها (وروي عنه أيضا) انه جلس في داره يوما على المائدة ومعه ولد له صغير فجاءت جارية بسفود عليه شواء

من دراهم ودنانير وثياب وطيب ودواب وغير ذلك فلما قدم المدينة قصد على أهلها أكثر من أهل مكة وبعث الى رجل من الانصار بالف درهم وعشرة أثواب وكان الرجل الانصاري من أهل بدر فأتاه الرسول بذلك العطاء فغضب وقال أما وجد معاوية من يرسل اليه بمثل هذا العطاء غيري أردده عليه فقال الرسول لا أتدرعلى ذلك فدعا الانصاري ابنه وقال يا بني أسألك بحقي عليك الا رددت هذا العطاء على معاوية وضربت جسده الشباب وجهه فأخذها ابن الانصاري وأتى الى معاوية فعرف معاوية الشر في وجهه فقال ما تريد فقال ان أبي يقرئك السلام ويقول أمثلي ترسل اليه بمثل هذا العطاء فقال معاوية من الرسول الى أبيك فقال فلان فقال قاتله الله انا عاهدا العطاء لغير أبيك وعطاء أبيك دفعه الى رجل غيره ثم قال يا غلام على بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا ووصيفا ووصيفة مسرعا فحضر الجميع وقال يا بن أخي خذ الجميع وعد الى

فكري في نفسي فقلت من أخرجني جنيا من بلدان أمي ومن عند أبي وربائي ان لهذا الصاحب لشأنا عظيما ومقدرا سوى دقيانوس الملك فاكببت الفتية على رجليه يقبلونهما وقالوا يا سيدنا قد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فاشر علينا ما تقول الا نحوني ما أجد لي ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع بثمر بثلاثة دراهم وصرها في ردائه وركبوا ظهورهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تمليخا يا نحوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن ظهوركم وامشوا على أرجلكم لعل الله يجعل لكم من أمركم فرجا ومخرجا فنزلوا عن ظهورهم ومشوا على أرجلهم سبع ساعات حتى صارت أرجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشي على أقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا أيها الراعي أعندك شربة ماء أو لبن فقال عندي ما تحبون ولكني أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم الا هاربا فاخبروني بقصتكم فقالوا ان هذا البلد ظالم لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فاخبروه بقصتهم فانكب الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فقفوا لي ههنا حتى أرد الاغنام الى أربابها وأعود اليكم فوقفوا له برهة وأقبل يسعى فتبعه كلبه له نوبي اسود فاتى الراعي فقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني ما كان لون الكلب واسمه فقال يا أخا اليهود حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان أبلق سوادا وكان اسمه قطمير (قال الاستاذ) اختلف العلماء في لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان أحمر وقال مقاتل كان أصهب وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبي لونه كالثلج وقيل لون الهر وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا فروي عن علي كرم الله وجهه ان اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي احدى الروايتين عن علي وقال شعيب الجبائي كان اسمه حمران وقال الاوزاعي نتوى وقال مجاهد قطمور وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان أصهب واسمه تعني (وأخبرني ابن فنحويه) باسناده عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ان اسم كلبهم كان قطمور وقيل قطمير أخبرني أبو علي الزهري باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم سبعة وثامنهم كلبهم وهم مكسلينا ومنمليا ومرطوس وبينوس وساريوس ودادنوس وكشطوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير كلب أبغر فوق القطمير ودون الكركي وقال محمد بن أمية القطمير الكلب الصغير وقال مابق بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث وكتبه أبو عمرو الجيري عني (رجعنا الى الحديث) قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم انا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنبحه فاخذوا عليه طريقا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد أخذوا عليه باب الحارة والطريق أقعى على رجليه وتكلم وقال بلسان طلق يا قوم لم تطردوني وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعي جبلا وانحط بهم على كهف موثب اليهودي وقال يا علي ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين يا أخا البرد اسم الجبل نايجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم * (رجعنا الى الحديث) * قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فاكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجثم الليل فاووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين (قال ابن عباس) كانوا يقلبون في السنة مرة ثلاثا كل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة كان لهم في كل سنة تقليبتان * (رجعنا الى الحديث) * قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الى الهة غيرك وخرجوا هاربين منك فركب في ثمانين ألف فارس وجعل يقفو آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشيء ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فاتوني بالبنائين فاتى بهم فرموا عليهم باب الكهف بالجص والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لا اله الا الله الذي في السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلاثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهموا من

فسألها الرسول فقال يا أمير المؤمنين ان الله الحق الله أو مطاعة أو ذا أنفة

رقدتهم لما زغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عباد الله تعالى فوصوا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمر ناهذا الذي يعجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت في ليلة واحدة فالقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فليأتنا بطعام منها وليتظر أن لا يكون من الطعام الذي يجن شحمه الطعام بر وذلك قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما أي أحل وأجود وأطيب فقال لهم تملخا يا اخوتي لا يأتيكم أحد بالطعام غيري ولكن أيها الراعي ادفع الى ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعي ومزق ركائبه بيده ليعلم لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول أراني نائما فما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر باقوام يقرؤن الانجيل واستقبله أقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه قال أفسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تملخا ان كنت صادقا فان أمري عجيب ادفع الي بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك الزمان الاول ثقالا كبارا فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودي وقال يا على ان كنت عالما فاخبرني كم كان وزن الدرهم منها فقال يا أما اليهود أخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له الخباز يا هذا ان كنت أصبت كنزا فاعطني بعضه والا ذهبت بك الى الملك فقال تملخا ما أصبت كنزا وانما هذا من ثمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك فغضب الخباز وقال لا ترضى ان أصبت كنزا أن تعطيني بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان بدء ي الربوبية قدمات منذ ثلثمائة سنة وتسعة وتسعين ثم أمسكه واجتمع الناس ثم انهم أتوا به الى الملك وكان عادلا عاقلا فقال لهم ما قصة هذا الفتى قالوا أصاب كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز الا خمسها فادفع الى خمس هذا الكنز وامض سالما فقال أيها الملك تثبت في أمري ما أصبت كنزا وانما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها قال نعم قال أتعرف فيها أحدا قال نعم قال فسم لنا فسمى له نحو من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا انا نعرف هذه الاسماء وليست هي من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار فقال نعم أيها الملك فابعث معي أحدا يصحبني حتى أتي بهم دارا أرفع دارا في المدينة فقال مذعورا ثم فزع الباب ففزع لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال أيها الناس ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت الى تملخا وبينه وقال له ما اسمك قال تملخا بن فاسيلين فقال الشيخ أعد علي فاعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلها وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فانهى ذلك الى الملك فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تملخا نزل عن فرسه وحمل تملخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون له يا تملخا ما فعل بأصحابك فاخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد ولها رجلان ملك مسلم وملك نصراني فركب أصحابه وأتوا تملخا فلما صار وا قريبا من الكهف قال لهم تملخا يا قوم اني أخاف أن اخوتي يحسبون بوقوعكم عليهم افتراسا فيسل والدواب وصلصلة اللجم والسلاح فيظنون أن دقيانوس قد غشيهم فيموتون جميعا فتقوا قليلا حتى أدخل اليهم فاخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تملخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس يقال دعوني منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد بلوكم فقالوا له يا تملخا تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين قال فما أنتم تريدون قالوا ارفع يديك ونرفع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب في أنفسنا الا بعثت أرواحنا ولم يطلع علينا أحد فامر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فايقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم وأن أحوالهم

وارفق بعملك فقدم الغلام ورجع لوجهه برفق ورتبه الغلام الى أبيه وأخبره بذلك وهو من محسن اخلاقهم (وقيل) نزل بعض اللصوص الى دار لبعض ابن أبوه وهو قائم يصلي بالليل فجمع اللص جميع ما في البيت من قماش وغيره وشده وحمله على رأسه وتخلف ينظر اليه ولا يكلمه ثم خرج اللص من البيت الى الطريق فلما أراد النهوض فلم يقدر على ذلك فقال له تخلف يا ابن أخي عندي المفتاح وافتح الباب واخرج فلعلك تحتاج الى ذلك فقال ان مثلك والله ان يؤدي ثم تركه ما كان أخذه وتاب الى الله تعالى * (وحكي بعضهم) قال كان لعبد الله ابن الزبير أرض بجاورة لارض معاوية ابن أبي سفيان وكان في كل أرض عبيد لعمارتها فدخل عبيد معاوية في أرض عبيد عبد الله بن الزبير وغصبوا منها قطعة فكتب عبد الله ابن الزبير الى معاوية أما بعد يا معاوية فان عبيدك قد غصبوا أرضي فامرهم بان ينكفوا عنها والا كان لي ولكم شأن فلما وقف معاوية على كتابه دفعه

الى ولده يزيد فقال ما ترى يا يزيد قال أرى ان تبعث له جيشا أوله عندنا وآخره عندك يأتيك برأسه فقال معاوية هيهات

كانت عبرة أراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا أنا أبني على باب الكهف مسجدا وقال النصراني بل ماتوا على ديني فانا أبني على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب المسلم النصراني فبنى على باب الكهف مسجدا ذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يا يهودي ما كان من قصتهم ثم قال علي كرم الله وجهه لليهودي سألتك بالله يا يهودي أوافق هذا ما في توراتكم فقال اليهودي ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا أبا الحسن لانسمي يهوديا ما شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك أعلم هذه الامة (وقال عبيد ابن عمير) كان أصحاب الكهف فتيانا معلوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم نفروا في عيدلهم عظيم في زي وموكب فأخر جوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله في قلوبهم الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا في أنفسهم من غير أن يظاهر بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرأى مجلسه وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم من صاحبه ما قد خامره على نفسه ثم قالوا لبعضهم ليخرج كل فتيين منكم فيتناوشا ثم ليفش كل واحد منكم أمره الى صاحبه فخرج فتيان منهم فتواقفا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فاقبلا وهما مستبشران الى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد واذا هم جميعا على الايمان واذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض وأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب سيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم وكتبوا في اللوح فلان وفلان ابنا ملوكنا فقدناهم في يوم كذا في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن وما ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين الانقي باسناده عن أبي جعفر الباقر قال كان أصحاب الكهف سياحة * وقال وهب بن منبه جاء حواري من أصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد الا سجد له فكره ان يدخلها فأتى الى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامي وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في مقامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه ويتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم بخبر السماء والارض وبخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة وكان يشرط على صاحب الحمام ان الليل لي لا يحول بيني وبينه أحد فيصلي فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيرهم الحواري وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحى ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبوا نهره ولم يلتفت اليه ثم انهم دخلوا معافا جميعا الحمام فأتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان بحضرته فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فروا بصاحب لهم فزرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبهم حتى أووا هم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فنرى رأيكم فضرب الله على آذانهم فرجع الملك في أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فاندخلت فيه فتغنمي من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا (وقال) محمد بن اسحق مرج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين المسيح

من ذلك يا بني قال ما هو يا أبت فقال على بدواة وقرطاس فكتب فيه قد وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألني والله عما سألته والدنيا وما فيها هينة في جنب رضوان الله وقد كتبت على نفسي مسطورا أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين على ان الارض والعبيد الذين فيها لمن أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام قال فلما قرأ عبد الله بن الزبير كتب اليه يقول قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين لا عدمني الله بقاءه ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على الكتاب ناوله الى ولده يزيد فلما قرأه تمثل في وجهه فرحا فقال له معاوية يا بني اذا نلت شيئا من هذا الدهاء فداوه بمثل هذا الدواء وانا القوم لم نر في الحلم الا خيرا رضي الله عنه

* (وحكي ان المهلب بن أبي صفرة) * مر يحيى من أهل همدان فرآه شاب من أهل الحي فقال هذا المهلب قالوا نعم فقال والله ما ساوى خمسمائة درهم وكان المهلب رجلا أعور فسمعه المهلب فلما كان الليل أخذ المهلب في كمه خمسمائة درهم وأتى الحي فارتمى الشاب بحصين وأتاه فأتى

وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا يدين بدين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي
أفسوس فلما نزلها كبر ذلك على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا في كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر حين
دخلها أن يتبع أهل الايمان فيجمعوا اليه واتخذ شرطا من كفار أهلها وجعلوا يتبعون أهل الايمان في
أماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم الى المجامع التي يذبح فيها للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين
عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى
فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم يقطعون
ويربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة على
أهل الايمان فمنهم من أقر فترك ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا
وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس والدعاء وكانوا من أشراف الروم وكانوا ثمانية فبكوا وتضرعوا وجعلوا
يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين
الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينما هم على ذلك اذ أدركهم الشرط وكانوا قد
دخلوا في مصلى لهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من
دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم
ورفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا تجمع الناس للذبح وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون منك ويعصونك فلما
سمع ذلك أتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم في التراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهة
التي تعبد في الارض وان تجعلوا أنفسكم أسوة لغيركم ثم انتم تختاروا اما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح غيركم من
الناس واما أن أقتلكم فقال مكسلمينا وكان أكبرهم ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته لن ندعو من
دونه الها أبدا ولن نقر بهذا الذي تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد ربنا الذي له الحمد والتكبير والتسبيح
والتقديس من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا
ما بدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك أمر بهم فنزع عنهم ما كان عليهم من
لبوس عظمائهم ثم قال لهم انكم اذا فعلتم ما فعلتم فاني سأؤخركم وأتفرغ لكم فأنجز لكم ما وعدتكم من
العقوبة وما يمنعني أن أعجل لكم ذلك الا أني أراكم شبابا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم
أجلا تتذكرون فيه وتراجعون عقولكم ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده
وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبا منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية أن دقيانوس
قد خرج من مدينتهم بادروا وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فأتمروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة
من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ناجلوس
فيمكثون فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء فلما قال ذلك
بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم واتبعهم
كلب كان لاحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا
براع معه كلب على دينهم وقال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعادوا ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب
ما تريدون مني لا تخشوا جانبي فاني أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم # (رجعنا الى حديث ابن اسحق) #
فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا
فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجملهم وأجلدهم فكان تمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة
يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ ورقه فينطلق الى
المدينة فيشترى طعاما وشرابا ويتسمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكر هو وأصحابه بشيء ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا
كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان
تمليخا بالمدينة يشترى طعاما فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام فأخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وأنهم

بخمسة آلاف دينار ولا تبتليه بأقسم شيخ من أهل الحق فقال والله ما أشد واقبلته من جمال ـيلا (وقال أحمد بن أبي دؤاد) ما رأيت رجلا عرض على الموت ورأى النطع مفروشا والسيف مسلولا ولم يكترث لذلك ولا عدل عما أراد الا تميم بن جميل وقد كان خرج على المعتصم ورأيته وقد جيء به أسيرا مكتوفا وقد اجتمع الناس من الآفاق والنواحي ينظرون كيف يقتله المعتصم وكان المعتصم قد جلس له مجلسا مشكرا وأمر الناس بالدخول فدخل تميم وحضر السياف وفرش النطع وكان تميم جميل الوجه تام الخلقة حسن القامة فرآه المعتصم فعجب من ولا فكر فيما نزل به فأحب المعتصم أن يستنطقه ليعلم أين عقله في ذلك الوقت فقال المعتصم ان كان لك عذر يا تميم فأت به فقال أما اذ أذن أمير المؤمنين فالحمد لله الذي جبر بك الدين ولم بك شعث المسلمين وأنار بك أسرار الحق وأخمد بك شهاب الباطل وان الذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الالسن الفصيحة وتصدع الافئدة الصحيحة وايم الله لقد كبر الذنب وعظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا عفوك أو انتقامك وأنت الى العفو أقرب وهو بك أشبه وأليق وأنشد يقول

فتذاكروا المسوامع علماء المدينة ليذهبوا للملوا فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله
تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ثم ان تمالحا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فانا معوا منه
وتركوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على أنفسهم فلما سمعوا منه وذلك عند غروب
الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتذاكرون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم في
الكهف وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف فلما به ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس
والتمسهم فلم يجدهم وقال لبعض قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا الليلة كانوا يحسبون اني
غضبان عليهم بتجاهرهم ما جهلوا من أمري فاني لا أغضب عليهم ان تابوا وعبدوا آلهتي فقال علماء المدينة
ما أنت بحقيق ان ترحم قومك مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا
لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فسألهم عنهم
وقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أماتوا فلم نعصك ولم تقتلنا بقوم مردة وانهم خالفونا
وانطلقوا الى جبل يسمى نابلوس فلما قالوا له ذلك غلى سيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية فالقى الله في نفسه
أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية للامة تستخلف بعدهم وأن يبين
لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال
دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعا وعطشا ولكن الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ
يعلمون ما يصنع وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيهم ما غشيهم
يقلبون ذات اليمين وذات الشمال * قال ثم ان رجلين مؤمنين وكانا في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهم مالسم
أحدهما تمليخوس والآخر مرنوش وباس اشتهر أن يكتبا أن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من
رصاص ويجعلا في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يطلع على هؤلاء الفتية قوما
مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح فعملا ذلك وبنيا عليه فبقي دقيانوس
ما بقي وبات قومه وماتوا وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل ذلك البلاد رجل صالح يقال له
تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس في ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله العظيم
ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا
شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق وانهم يقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانا نحن من
الارواح ولا تبعث الاجساد وأما الجسد فيأكله التراب وما في الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرسل الى من
كان يظن فيه خيرا وأنهم كانوا أئمة في الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة
الحواريين فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فاغلقه عليه ولبس مسحا وجعل يحثو رمادا على رأسه ليله ونهاره
يتضرع الى الله تعالى ويبكي ويناجي ربه فيقول أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية من
الرحمن الرحيم جل وعز الذي يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم
فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يبعث بها عبده الصالح تندوسيس وأنه يتم
نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذي أعطاه وأن لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيأ وأن يجمع من كان
تبدد من المؤمنين فالقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف وكان اسم ذلك الرجل أوليامس أن
يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه فانا سنجعل لهما جعلا ينزعان ثلثا الحجارة ويتركان
بها ثلث الحجارة حتى تزعما على فم الكهف وفقدا عليهم باب الكهف وحجبهم الله عن الناس فيزعمون أن أتجع
من يريد أن ينظر اليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلهم نياما فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف
أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين
مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا استيقظون
منها اذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرون في

يتبع

ومن ذا الذي يأتي بعذر
وتحفة
وسيف المنايا بين عينيه
يصلت
وما جزعي مني ان أتى
الموت نحوي
لأعلم ان الموت شيء
مؤقت
ولكن خلقي صيغة قد
تركتهم
وأكبادهم من حسرة
تتفتت
كأني أراهم حين أنعى
اليهم
وقد أجملوا تلك الوجوه
وصوتوا
فان عشت عاشوا صالحين
بغبطة
أذود الردى عنهم وان
حتموا
(قال) فبكى المعتصم
حتى ابتلت لحيته وقال
ان من البيان لسحرا
ثم قال والله يا عم لقد غلب
السيف العفو وقد
وهبتك لله ولصبيتك
وعفوت عن زلتك ثم أمر
بقتله فقتله على
موضعه الذي كان خرج
عنه ووصله بشيء كثير
(وتكلم بعضهم)
قال قدم الى معن بن
زائدة أسارى فعرضهم
على السيف فقام اليه
رجل منهم وقال أيها
الامير نحن أسرى الشوق نحن
بالله بجماع من أثر
الطريق فانا نرى أيتان
لبطعنا فلكل كبد سواء أجر فاسر بإطعامهم فاحضرت الموائد وعليها الطعام واجتمعوا وأكلوا ومعن ينظر اليهم

وجوههم

وجوههم ولا أبشارهم ولا ألوانهم شيأ ينكرونه فاما هم كهيئتهم حين رقدوا يرون أن ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا اصدق نفقاتهم بين الناس فانك الذي قال الناس في شأنك شيئا أمس منذ هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد شيل لهم أنهم قد ناموا كاطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تلمليخا لقد لبثتم في المدينة لقد عوا الطوا نيف أو تقشعوا قالوا فاقضوا شاء الله بعد ذلك فعل فقال مكسلمينا لتحوناه اعلموا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم كأذا عاكم غدا ثم قالوا بأثلجنا نطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنا بم اليوم وتلطف ولا تشعرن بك أحدا وابتع لنا طعاما واتنا به وزد تأعلى العلعام الذي يشتنابه أمس فانه كان ذلا وقد أحسن صنيعا بما فعل تلخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت تكفاف الربع فانطلق تلخا متنكرا حتى ظاهر باب الكهف فرأى حجارة مرزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيدا من الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما رأى تلخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لاهل الايمان فلما رآها عجب وجعل يقلبها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر من أبواب المدينة فنظر فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأى ناسا كثيرا لم يكونوا قبل ذلك فجعل يعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم انه رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت شعري أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعل عالم قد بدل كما بدل كثيرا ثم رجع على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك فرقا ورأى انه حيران فقام مستظهره الى جدار المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فلبس على الارض أحد يذكر عيسى الا قليلا وأما الغداة فما مر بكل انسان يذكر عيسى ولا يخافه ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أمرت فيها فانى أسمع كلام أهلها ولا أعرف واحدا منهم والله لا أعلم مدينة بقرب مدينتنا غلغم كما حيران لا يتوسموها انه لقي رجلا من أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة فقال له أفسوس قال في نفسه لعل بي مسا أو أمر الذهب عقلي والله ليعدون لي أن أبادر الخروج منها قبل أن يسيء ظني فأهلك هذا ما يتعدث به تلخا أصحابه سرا بين لهم ما هم فيه ثم أقبل وهو يقول والله لو تعلم الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم أخرج الورق التي كانت معه عطاها وسلم ثم وقال يا عبد الله بعني بهذه طعاما فانظر هذا الرجل وتقار الى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه فنظر اليها ثم جعلها يتداولونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتناظرون ويتحدثون بقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم يتشاورون رأى له فرصة فرقا شديدا فجعل يقول انهم قد فطنوا به وهموا أنهم يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس قال وجعل الناس يأتون بالورق ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق انفسوا واقدروا فأخذ ثم ورقي فاسكبوها فلا حاجة لي في طعامكم فقالوا ياتلخا من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين فانت تريد أن تخفيه عنا فطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه يخفى عليك ما وجدت فقال ان لم تفعل فانت السلطان ونسأل اليه فلما سمع قولهم تجهم في نفسه ثم قال لقد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ثم قالوا والله يا تلخا لا نتبعك أن تكتم ما وجدت ولا تظن في نفسك أن تخفي علينا فغير في نفسه ليس يدري ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبر بهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وملؤوه من نقده ثم جعلوا يشوذونه في سكك المدينة شكلا حتى سمع به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنزا فاجتمع على أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها وما نعرفه فجعل تلخا

جميع المسلمين (وعرض) على الجيش أسرى فامر بقتلهم فقتل منهم جماعة ثم قال السلطان قد عرض على القتل لا يزال الله بين السنة شيرا بابا جايو فانا وان كنا قد أسأنا الى الذين فوالله ما أحسنتم في العفو فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز واذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا امره له في الكفار فكيف في المسلمين وقال الشاعر وما قتل الاحرار كالعفو عنهم اذا أثقل الاعناق حمل الدماء

فقال الجاليق يا هؤلاء اما لي مراجعة لو قال لي اصل ما قال هذا الرجل عما ما قتلنا منهم أسيرا ولكن أطلقوا سبيلهم (ولما) ولى الجاليق العراق قال العلج بالمرأة اعلم وربة فاما سخرته قال لها انه بالامس في وقعتنا التي كنت تحرضين الناس عليها قتل ولدي وزوجي وأخواني فقالت لها أنتم قد كان ذلك فالتفت الجاليق الى وزرائه وقال ما ترون فيما طلبت الجل به لها فضحكت المرأة فالتفت الجاليق الى وزرائه وقال ما ترون فيما طلبت الجل به لها فضحكت من وزرائه فقال وزراء فرعون كانوا خيرا منهم فنظر الجاليق الى وزرائه فرآهم ضحكوا فقال لها كيف ذلك فقالوا

أنهم قالت من وزرائك فقال وزراء فرعون كانوا خيرا منهم فنظر الجاليق الى وزرائه فرآهم ضحكوا فقال لها كيف ذلك فقالوا

ما يدري ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق وليتكلم ولو قال انه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا ان أباه وأخوته في المدينة وان حسبه في أهل المدينة من علمائها أهلها وانهم سيلونه اذا سمعوا وقد استيقن أنه عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وانه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران يتنازعني بأتيه بعض أهله فخاصمه من أيديهم فبينما هو كذلك اذ قد اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة وهما بريهما وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن انهم انما انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا ويجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران فجعل يلتفت اليهم ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والارض أفرغ علي اليوم صبرا وأوجد معروفا من تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين الحوتي والبهيم يعلمون ما التبست فيأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فاما كانا قد توافقنا التكون معه الا التكفر بالله ولا نفترق في موت ولا حياة أبدا يا ليت شعري ما هو فاعل بي هل هو قاتلي أم لا سبيل هذا أصحابه عن نفسه وسبق رجع اليهم فانتهى به الى الرجلين الصالحين ارموس واسطيوس فلما علم يقينا أنه لم يذهب به الى دقيانوس أفاق وسكن ما به فأخذ ارموس واسطيوس الورق ونظرا اليه وجعلا ينظران اليه ثم قال أحدهما أن الكنز الذي وجدت ما فيه فقال ما وجدت كنزا وانما هذه الورق ورق آبائي وقومي هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال أحدهما من أنت فقال له تلطفا فلن أولك ومن يعرفك بها فأبى أن يسميه فلم يحيروا جوابا يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر ما يقول فلما رأى تحيره أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقام أحدهم ونظر اليه نظرا شديدا وقال له أتظن انا نرثي لك وانك تفلت بباطل هذا المال أبدا ثم ضرب هذه الورق ونقشها اكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب تظن ان تأفكنا وتسخر بنا ومن شبهنا كما ترى وحولك ترى هذه المدينة وولاة أمرها ونحن من هذه البلدة بايديناوليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار لا يبلغ ما ذا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفني هذا الكنز الذي وجدت فلما قال له ذلك قال له تعلم أبشرني من شيء أنا لكم عمه فان فعلتم صدقتكم بما عندي فقالوا له لا تكتمنا شيأ قال ما عهدي بالملك دقيانوس فالوا الذي تعرف اليوم على وجه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وملك بعده قرون كثيرة قال له ويحك والله ما أجد من الناس أحدا يصدقني على ما أقول لقد كنا فقدنا زمان الملك دقيانوس أكثر من ثلثمائة عام وأنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبينا نحن خرجت لاشتري لاهلي طعاما وأنتم تسمون الاخبار وادا أنا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي فلما سمع أرموس ما يقول قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يدي هذا الفتى فانطلقوا ومعه بريد أصحابه فانطلق معه أرموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف ينظرون اليهم وكان المدينة أصحاب الكهف ظنوا ان قد اختلسهم عنهم لانه لم يأتهم بخبرهم وشرائعهم في القدر الذي كان بايديهم فعلموا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبينما هم ينظرون ذلك ويتحدثون اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل فسمعوا عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وانه بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الفلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا فأن أصحابنا فانه الآن بين يدي دقيانوس ينتظرني فاتيه وبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يشعروا الا وارموس وأصحابه وقوف على باب الكهف وقد سبقهم تلميذ فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم انهم سألوه عن شأنه فاخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياما باس الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تلميذ أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من علماء أهل المدينة ففتح التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلينا وتلميخا ومرطونس وكشطوطش وذاسيوس وكشريوس وبطيونس كانوا فتية هربوا من

ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما ظهروا عليهم وجدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أيديهم وحمدوا الله وسبحوه ثم دلوا على الفتية الكهف وبعد وهم بملوسلم شرفا وجوههم لم تبل ثيابهم ثم فر ارموس وأصحابه يسجدوا وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وانبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان ارموس وأصحابه بعثوا الى ملكهم الذي كان تقدم اليهم ان يعمل لله لا تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله في ملكك فاعمل الى فتيتهم فهم لله وبدينك توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الملك بقرقم من السدة التي كان عليها قال أحمد الله هم رب السموات والارض قط وان على وجهي برحمتك فلم تفارق النور الذي جعلته لآبائي والعبد الصالح قسطيانوس الملك فلما رأى أهل المدينة تركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا الكهف فلما رأى الفتية تقدموا بين الملك ومن معه فسجدوا له وخروا سجدا لله على وجوههم وقاموا تقدموا بين قدامهم ثم اعتنقوهم وبكى وهم جالس بين يديه على الارض يسجدون الله ويحمدونه ثم ان الفتية قالت تقدموا بين نستودعكم الله ونقرأ عليكم السلام ومضى الله ومضى الملك وأعلن من آمن بالله والامن فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فماتوا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك بهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة فاجعلنا في تراب في التراب نسير طائعين كما كنا فيه فجعلهم في توابيت من ساج فماتوا فجاءهم الله من خرجوا من عندهم بالرعب فلا يرتد وأحد أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا يظهرون أمر أن يوتى كل سنة فيه انهم لما أتوا باب الكهف قال لهم عبدوس أدخل على أصحابي فابشرهم فيدخل ويخرج الله وجوههم وأرواحهم فحمى عليهم مكانهم فلم يقدروا اليه كذا ذكر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فهذا ما جاء في أصحاب الكهف ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يريهم في دار الدنيا فلما نزل من ابتهالهم أمر بعض خيار أصحابه بالهبوط عليهم والتأذن بدخولهم الى الامة فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلعوبل كيف أبصرهم قال ابصرتهم كما كنت أبصر أطرافي أبا بكر وعلى الثاني عمر وعلى الثالث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أبا ذر ثم ادرج الريح الرقاد المعروف بالمخدر فقال يا بن داود ان الله أمرها أن تطيل فتعمل النبي عليه الصلاة والسلام ما أمر به فطلعت الريح حتى انتهت بهم الى باب الكهف فلما دنوا من باب الكهف فلما رأوا منه رافقام الكلب يسعى أبصر الهوه وهو وعلى عليهم فلما رآهم برأ وأسه وبدا بعض بدنه وأومأ برأسه ان ادخلوا الكهف فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا الذي أنبأنا نبيه محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم يا بلعوبل السلام ثم انهم بدأوا بأجسامهم يتساقطون ظاهرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا مرنا يا محمد صلى الله عليه وسلم بما شئت السلام ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى مرقدهم الى اليوم والزمان عند فرج المهدي فيقال ان المهدي يبعثهم فيحييهم الله تعالى له ثم انهم يرجعون الى مرقدهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جاء كل واحد منهم على مثاله وعليهم الريح الرماد فهبط جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف وجدتموهم والذي أجاءكم فقالوا يا رسول الله ما وجدنا عليهم وسلما عليهم فلما ورد السلام بأجسامهم وبأعلامهم رسالتك فأبايوا وأنابوا وهدوا الى الرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا يسألون عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بيني وبين أصحابي واعفر لمن أحبني وأحب أهل بيتي وأحب أمتي وأحب أصحابي

(مجلس في ذكر حبس عليه السلام)

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفقيه باسناده عن وهب بن منبه اليماني قال كان في الموصل ملك يقال له زادانه

من الخلق المستقر به
فقال المأمون هذا ما
حدوه الله في المتا
بالأمر الذي أجعل
عقوبته من يلدي ذا من
الذنب الذي آتيه فقرأ له
مما قال فرض المأمون
لهارون عنه وأعطاه أطلق
سبيله رضي الله عنه (وعن
عبد الملك بن مروان)
انه أتاه رجل من بني
مخزوم وكان من أحب
ابن الزبير فالمصعب بن
يحيى عبد الملك قال
فدرد الله الى بلس المرد
ورجع فقال له ابن ال
يا أمير المؤمنين ان الله
وفي الحبيب مصدوره
في الموصل فجعل
أتيت به فقال عبد
الملك أطلقوه وأمر له
بجائزة وأنعم عليه
الله عنه (وقال) كان
قريبا من المهلب والي على
خراسان وبلغه عنه
الوجه فجعل الرد
كلما وجه
وجه
فبلغ ذلك قتيبة فغلبه
فهرب الشاعر منه وسعى

الى أم قتيبة فأخذ منها كتابا بالوصية وقدم الى قتيبة فلما دخل عليه قال يا ولدي بأي وجه تلقاني قال بالوجه الذي أتى به ربي فان احسانك الي

وكان قد ملك الشام كلها ودان له أهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له افلون وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حواري عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه اليه ليجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فبينما هو قد برز في مجلس له وأمر بصنم افلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بانواع العذاب وقد أوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافلون ألقي في تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام ما صنع فظيع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده وألقى الله في نفسه بغضه وجاهد نفسه فعمد الى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه في أهل ملطية حتى لم يبق منه شيء وكره أن يجاهده بالمال وأحب أن يلي ذلك بنفسه فاقبل عليه وقال له اعلم انك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك وان الذي ربا هو الذي علمك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك وحييك ويميتك ويضرك وينفعك واذا قال لشيء كن فيكون وانك انما عبدت الى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني عنك شيأ من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك أن سأله عن حاله وأمره من هو ومن أين هو فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته أذل عباده وأفقرهم اليه من التراب خلقت واليه أصير فقال له الملك لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرؤي أثره عليك كما ترى أثري على من حولي ومن هو في طاعتي فاجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره ثم قال له أتعدل افلون الاصم الابكم الذي لا يغني عنك شيأ برب العالمين الذي قامت السموات والارض بامره أم تعدل ما هو فليا وما مال بولاية تسلمنه فانه عظيم قوملك بما مال الناس من ولاية الله تعالى فان الناس كلهم في يده أحياء يأكل الطاعم ويمشي في الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى أنبت له الريش وكساه النور فصار انسانا ملكا سماويا أو ضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخلدا بلا موت وما مال بولاية تسلمنه فانه عظيم قوملك بالمسيح بن مريم وما مال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وأمه آية للعالمين أم تعدل هذه الروح العالية التي اختارها الله بكلمته وفضلها على امائه وما مالت بولاية الله بل وما مالت بولايتين فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فاسلمها الله صح عظيم ملكها حتى افتحت عالم الملكوت في يوم فانتشت لحياة وانت في دمها وقطعت اصابع أوصالها فقال له الملك انك لتعد ثنا بشيء ليس لنا به علم فانظر بالرجلين اللذين ذكرتهما حتى أنظر اليهما فاني أنكر أن يكون هذا من أمر الشر فقال له جرجيس انما جاءك الانكار من قبل القوة بالله تعالى وأما الرجلان فلن تراهما ولن يراك الا أن تعمل بعملهما فانزل منازلهما فقال له الملك أما الحق فقد أعنونا اليك وتبين لنا كذبك لاننا نعرف بامور عرفت عنها ولم تأت بتصديقها ثم ان الملك نجا جرجيس بين العذاب وبين السجود لافلون فقال له جرجيس ان كان افلون هو الذي رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت لي والا فاخسأ أيها الملك المعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فشرش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ونضح عليه في خلال ذلك بالخل والخردل فغشي الله من ذلك الالم والهلال فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بست مسامير من حديد فاحميت حتى جعلت نارا تضرم بها رأسه حتى سال دماغه فخلصه من الالم والهلاك فلما رأى ذلك أنه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتى اذا جعله نارا أمر به فادخل في جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد جوفه فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له يا جرجيس اما تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به فقال ان ربي الذي أخبرتك به جعل العذاب عني وهو عني لا يسمع علينا فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخاف على نفسه وملكه وأجمع رأيه على أن يقتله في السجن فقال له الملأ من قومه انك ان تركته طليقا في السجن يكلم الناس أوشك ان يميل بهم عليك ولكن مره بعذاب في السجن تبتله عن كلام الناس فامر به فقطع على وجهه ثم أوتد في يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد في كل ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على ظهره ثم انه حمل على ثلاثة اسطوانة ثمانية عشر رجلا فقال يوما ذلك ونداعت الحجر فلما أدركه الليل أوحى الله تعالى اليه ملكا وذلك أول ما بدء الله تعالى به الملائكة وأول ما جاء الوحي فقطع عنه الحجر ونزع الاوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره

أكثر من حسانك لي وما سألني له (١٥٤) أكثر من حسنك فيه ونزل شبيله وعفا عنه (وأشرف المأمون ويامن

صره) فرأى رجلا
ناعا ومعه غنمة يكتب
م على حائط القصر فقال
حد غلمانه أنزل الى ذلك
لرجل وأسلم إليه
وافرا أما كتبه فقسراه
اذا هو هذا الشعر
اقسم بجمع ذي اللوم
الشوم
تى يعيش في أركانك
لبوم
وم يعيش خيلك البوم
ن فرحي
كون أول من يرعاك
سرغوم
قال له أجب أمير
لمؤمنين فقال له الرجل
ألتسلن بالله يا غلام
تذهب بي اليه فقال له
لغلام انه رآك من
القصر فاخذه وأوقفه
ين يدي أمير المؤمنين
وقال وبعثه كتب كذا
كذا فقال المأمون ويلك
ما حملك على هذا فقال
أمير المؤمنين انه لم يخف
علينا ما عواه نصرك من
خزائن الاموال والحلي
حلل والطعام والشراب
الاضعة والفرش
الجواري والخدم
أمرت عليه وأبقى غاية
ن الجوع والفاقة
وقفت مفكرا في أمري
قلت في نفسي هذا
قصر عامر عال وأنا
ائع ولا فائدة لي فيه
و كان خرابا وصرت
لم أعدم متعرضا أو

بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له اصدق يعدوك فجاهد في الله حتى يجوده فان الله يقول الله اصبر وابشر فاني قد ابتليت بعدوي هذا سبع سنين يعذبني ويقتلني مرتين أو أربع مرات وفي كل ذلك أرد اليه روحه فاذا كان في الله في الرابعة نقلت روحك أو فينا أجوك فلم يشعروا الا وقد وقف جبريل على رؤوسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك يا جبريل من أخرجك من السجن فقال أخرجني الذي سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك ملأ قلبه غيظا ودعا بأنواع العذاب حتى لم يغل منها شيئا فلما رآها جبريل أوجس في نفسه خيفة وبزعائم أقبل على نفسه يهابها على موته وهم يصوبون فلما فرغ من عتابه قال لهم الملك دعوه بين شيئين فدوه ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق رأسه فنشر ومشى ستة من بين يديه وصار جزأين ثم مضوا الى أبراج فقطعوها فطفا وردوا له سبعة أسود ضارية كانت له في حبس وكانت صنفا من أصناف عذابه فرموا بهم الى الهاوي نحوها أمرها الله عز وجل فقضت على رؤسها واعناقها وقامت على براثنها فقال الملك يومئذ ميتا وكانت أول موتاتهما فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذي صلبوه وضم بعضه الى بعض حتى سواه ثم دب الله اليه روحه وأرسل الله ملكا فاخرجه من قعر الجب فأتاه وبشره بالنصر فلما أصبح قال الملك لجبريل قال له اعلم ان القدرة التي خلق الله بها آدم هي التي أخرجتك من قعر الجب أخرج فاخلق بعدوك وبلغه في الله حتى يجهد موت الصابرين ولم يشعروا الا وأصحابه الآخرون الاوقد أقبل جبريل وهم عكوف على عبدانهم قد صنعوه فرعا يلعبون بين يديه ومقبلا قال الملك ما أشبه هذا الرجل بربجيس فقالوا كأنه هو فقال الملك ليس هو سقا الاترون الى سكون وبعجوانه هيئة فقال سر معي يا هوذا لبيس القوم انتم وقتلتم وصلبتم فاحبابي الله تعالى بقدرته فهلموا الى الرب العظيم الذي اذا دعوتموه كفاكم ما أهمكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر أعينكم فبعوا له من كان ببلاد الاثمن السحرة فجاءوا بسحرة قال الملك لكبيرهم اعرض علي من كبير سحرك ما يسرعني فقال له على شور بن البعر فأتاه فنفث في احدى أذنيه فانشقت باثنتين ثم نفخ في الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ثم دعا بفدان فوثب الثوران بالزرع وبعضهم الناس وذوي وطحن وجعل يثير كل ذلك في ساعة واحدة وهم يرون فقال له الملك هل تقدر أن تسحر لي جبريل بهذا فقال الساحر أي دابة تطلب أسحره لك قال كلبا فقال الساحر اوعلي بغنيم من غنمك فاتاه بالتيس فنفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه أن يضرب جبريل حتى انهي على آخره فلما فرغ منه قال له الساحر هيا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت فيه عاشت فحش الله لي بهذا الشراب وقد اتى فيه عليكم فلما قال ذلك أقبل الساحر على الملك وقال له اعلم أيها الملك انا لو كنا نقاوم ربوبية الله لكنا غلبناه لكنا نقاوم ربا لا سلطان له على السموات والارض وهو الملك الذي لا يرام وقد كانت امرأتك من أهل الشام وقد سحرت بجبريل وما يريد منع من الايجيء حتى تأتيه وفي آخر ذلك من البلاغة قال له يا جبريل انا امرأتي أشد حبا لي مالا والله لان كنت أحرش عليها ما أنت تحرش وايم الله ان يحيى لي ثورى ذا حتى أجمع كلاه ثم ذروت عنه ثم ان أبي أن يحيى لها ثوريها ثم ان أعطاها ساوقال لها اذهبي الى ثوريك فاحرثي عليه فاذا قال الساحر للملك ما قال قال له يا جبريل ان ثوري قد ما تنتظر به ستة أيام ومن قتله السباع وبيني وبينه سبعة أيام فقال له الملك بعدي متهما الاتباسيرا وقرعته بالعصا فانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلق اليها فحين أتت سحرهما وكان أول شيء به الهاسن ثوريها ذوات أحدهما وشمر أذنى الآخر فجعت أحدهما الى الآخر وقرعتهما بالعصا وقال كما أمرها فقاما يحرثان باذن الله تعالى وعجلت علمهم حتى جاءهم الطير بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعلمهم عند الملك انكم قد رأيتم أمر هذا الرجل على السحر وانكم قد عجزتموه فلم يبق اليه عندكم وقتلموه قلم تنهل رأيتم ساحرا يدر أعن نفسه الموت أو أحد يحاط فقالوا له ان كان لا بد لكلام رجل فصبا اليه فلعله استوهبك اليه فقال آمنت بالله واشهد أني بري مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقتلوه فلما رأى القوم ذلك اتبع جبريس أربعة آلاف آمنوا فعند اليهم الملك فلم يزل يعذبهم بالوان العذاب حتى أفناهم فلما فرغ منهم قال لجبريس هلا دعوت ربك فاحيا لك أصحابك هؤلاء

ندخل وننظر فاذا أصبنا كلمة فقال الهي ما هذا فقال هذا صفي باسباني في دار الفناء انظر يا موسى الى دار البقاء نظر فاذا بقبة من ياقوتة

كل سنة ما دام قد صرنا عاسرا (وانشد في المعنى)
اذا كنت في أمر أكون فوقه
فقد ذل أول أنت ما شئت
وتاركه
فكم دست الايام أرباب دولة
وقد ملكوا أضعاف ما أنت ملكه
(وروي عن موسى بن عمران سلوات الله عليه)
انه خرج يوما فمر الطريق فاذا هو برجل واقف على الطريق فقال له أين يا نبي الله قال الى الصلاة قال فما هي قال لك بكرسي وثلاثين سنة من تجبته بلغ وفد موسى عليه السلام لما بلغه الرسالة ربه يا موسى تسبني بما عندي قال يا رب أنت أعلم بما عندك قال لم أكن أرسلك بعلمي أن تؤدي ما أرسلتك به فلما أدى الرسالة وأدى الأمانة قال له ربه جميع ما أراد ربه موسى لم يعلمه فكانه قال الهي وسيدي أين منزله قال له ربه أجبه فاتبعه الرجل حتى أتى الملك فقال يا موسى هرب منك قال لم قال سمعت الايلة الى عيرنا فان أردت ان تراه يا موسى فادخل هذه الغيضة قال

الذين قتلوا ابنه برئت فقال له جرجيس ما على دينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له خليطيس انك تحب يا جرجيس ان الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمرا ان دعا سألت بل وصدقتك وكسبتك عن قومى وأنا أربعة عشر رجلا وهذه مائدة بين أيدينا عليها ألوان الأطعمة وصاف من أشجار فادع ربك بشيء هذه الكراسي والاوانى كما بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها أصله ورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سألت أمرا عظيما ولكنه على الله هين فدعا الله عز وجل فغار من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسي والاوانى كلها وساخت عروقها بإذن الله وثبتت واورقت وازهرت وبانت فلما رأوا ذلك انتسب لهم خليطيس الذي عنى عليه فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يعمل به كيده ثم انه عدا الى نحاس فصنع منه ورة ثور له جوف اسع ثم حشاه نفطا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الثور في جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهبت في اب كل شيء فيها واختلط جرجيس في جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله سحابا صافا فلأت السماء منها وأسود فيما بين وبرق واعتق وأرسل الله اعصارا ملأ بلادهم بحارا قائما حتى اسود ما بين السماء والارض فكنوا أياما مختبرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار وأرسل الله ميكائيل فاستقل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب بها الارض ففرغ من رؤسها أهل الشام فخروا لوجوههم ساعتين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا ما وقف بكلامهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوليانوس يا جرجيس ان كنت أنت أصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذي يصنع فادع ربك لنا موتانا التي في هذه المقابر وفان فيها أمواتا منهم من نعرفهم ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس اقدر على أن يصلح الله عنكم هذا الصنع وبريكم هذه الاعاجيب الا لتكونن على بصيرة فتؤمنوا بربها فغضب ثم أمر بالقبور فنبشت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى انفار وا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال يا جرجيس اسمي توبيل قال متى مت قال في زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الى ما دعا قالوا ما بقي من أصناف العذاب شيء الا وقد عذبتموه به الا الجوع والعطش فذوبوهما فمدوا الى بئر عميقة فكان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد لا بصر في بيت وكانوا لا يوسلون له من عند أحد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام أو شراب فقالت لا والذي يحلف به ما عندنا طعام منذ كذا وكذا وسأخبرك أنى لست أقول لها جرجيس هل لك في الله تعالى فان لك فقال لها نعم فدعا له فقال لابنها قم فصدقته ثم انها انطلقت فجاءت له بشيء فأكلوا وشربوا ثم قال لابنها قم فاذهب فاحتطب حطبا فاحتمله على الدعاء فانحدرت تلك الدعامة وأبنت له كل فاكهة تؤكل أو ترى حتى كان مما أبنت اللوز بقشره واللوز وهو مثل البرد يكون بالشام وظهر الدعامة فرع من فوق البئر فظله من فوقه فاقبلت العجوز وهو فيما شاء ما كل وشرب فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي ابني قال لها أدنيه مني فادنته فبصق في عينه فابصر ونفث في أذنيه فسمع فقال له أطلق لسانه وربه فعل وحمد الله تعالى فقال لها أخبريه فان له ولما عليها وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته فاذ وقع بصره على الشجرة فقال ان أرى شجرة كهذه ما كانت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فامر الملك بابيت فهدم وبالشجرة أن تقطع فلما هموا بقطعها أبيس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فقالوا أمر بجرجيس فيطلع على وجهه وأوتاده أربعة أوتاد وأمر بجبل فاقر اسطوانا وجعل في أسفل الجبل حطبا حتى وشفارا ثم أسر بار بعين ثورا فنهضت بالجبل نهضة واحدة فرجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فامر بقطعة أن تحرق فالقيت في النار حتى عادت رمادا فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه في البحر فبارحوا من مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر ان الله يامرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فاني أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فاخرجته

الذين قتلوا ابنه برئت فقال له جرجيس ما على دينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له خليطيس انك تحب يا جرجيس ان الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمرا ان دعا سألت بل وصدقتك وكسبتك عن قومى وأنا أربعة عشر رجلا وهذه مائدة بين أيدينا عليها ألوان الأطعمة وصاف من أشجار فادع ربك بشيء هذه الكراسي والاوانى كما بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها أصله ورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سألت أمرا عظيما ولكنه على الله هين فدعا الله عز وجل فغار من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسي والاوانى كلها وساخت عروقها بإذن الله وثبتت واورقت وازهرت وبانت فلما رأوا ذلك انتسب لهم خليطيس الذي عنى عليه فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يعمل به كيده ثم انه عدا الى نحاس فصنع منه ورة ثور له جوف اسع ثم حشاه نفطا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الثور في جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهبت في اب كل شيء فيها واختلط جرجيس في جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله سحابا صافا فلأت السماء منها وأسود فيما بين وبرق واعتق وأرسل الله اعصارا ملأ بلادهم بحارا قائما حتى اسود ما بين السماء والارض فكنوا أياما مختبرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار وأرسل الله ميكائيل فاستقل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب بها الارض ففرغ من رؤسها أهل الشام فخروا لوجوههم ساعتين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا ما وقف بكلامهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوليانوس يا جرجيس ان كنت أنت أصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذي يصنع فادع ربك لنا موتانا التي في هذه المقابر وفان فيها أمواتا منهم من نعرفهم ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس اقدر على أن يصلح الله عنكم هذا الصنع وبريكم هذه الاعاجيب الا لتكونن على بصيرة فتؤمنوا بربها فغضب ثم أمر بالقبور فنبشت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى انفار وا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال يا جرجيس اسمي توبيل قال متى مت قال في زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الى ما دعا قالوا ما بقي من أصناف العذاب شيء الا وقد عذبتموه به الا الجوع والعطش فذوبوهما فمدوا الى بئر عميقة فكان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد لا بصر في بيت وكانوا لا يوسلون له من عند أحد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام أو شراب فقالت لا والذي يحلف به ما عندنا طعام منذ كذا وكذا وسأخبرك أنى لست أقول لها جرجيس هل لك في الله تعالى فان لك فقال لها نعم فدعا له فقال لابنها قم فصدقته ثم انها انطلقت فجاءت له بشيء فأكلوا وشربوا ثم قال لابنها قم فاذهب فاحتطب حطبا فاحتمله على الدعاء فانحدرت تلك الدعامة وأبنت له كل فاكهة تؤكل أو ترى حتى كان مما أبنت اللوز بقشره واللوز وهو مثل البرد يكون بالشام وظهر الدعامة فرع من فوق البئر فظله من فوقه فاقبلت العجوز وهو فيما شاء ما كل وشرب فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي ابني قال لها أدنيه مني فادنته فبصق في عينه فابصر ونفث في أذنيه فسمع فقال له أطلق لسانه وربه فعل وحمد الله تعالى فقال لها أخبريه فان له ولما عليها وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته فاذ وقع بصره على الشجرة فقال ان أرى شجرة كهذه ما كانت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فامر الملك بابيت فهدم وبالشجرة أن تقطع فلما هموا بقطعها أبيس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فقالوا أمر بجرجيس فيطلع على وجهه وأوتاده أربعة أوتاد وأمر بجبل فاقر اسطوانا وجعل في أسفل الجبل حطبا حتى وشفارا ثم أسر بار بعين ثورا فنهضت بالجبل نهضة واحدة فرجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فامر بقطعة أن تحرق فالقيت في النار حتى عادت رمادا فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه في البحر فبارحوا من مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر ان الله يامرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فاني أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فاخرجته

من البحر ثم حمته حتى صار الرماد صبرة واحدة كهيئته قبل أن يذرى فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه
فرجعوا ورجع جرجيس وأخبر والملك بخبر الصوت الذي سمعوه والريح الذي جعته فقال له الملك يا جرجيس هل
لك فيما هو خير لك ولنا مما نحن فيه ولولا أن يقول الناس انك غلبتني وقهرتني لاتبعتك وآمنت بك ولكن اسجد
لاقلون سجدة واحدة واذبح له شاة واحدة ثم اني أفعل ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فادنني على صنمك
ففرح الملك بقوله وقام اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له اعزم علينا أن تنزل هذا اليوم ولا تبيت هذه الليلة
الا في بيتي وعلى فراشي وفي كرامتي حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب وبرى الناس كرامتك علي فأنزله في
بيته فنزل فيه جرجيس حتى اذا أدركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة
الملك استجابت له فلم يشعر الا وهي خلفه تبكي فدعاها جرجيس الى الايمان فآمنت به وأمرها فكفت ايمانها
فلما ان أصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها فلما سمعن العجوز بذلك خرجت تتمول اينها على عاتقها
وتبع جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظر واذا بالعجوز
واينها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز باسمه فتعلق وأجابه ولم يكن يتكلم
قبل ذلك قط ثم اقتحم من عاتق أمه يمشي على رجليه ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدي
جرجيس قال له اذهب فادع على هذه الاصنام وهي يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون
معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف ادعو الاصنام فقال له قل لها ان جرجيس يسألك بالذي يلزمك عليك بالذي
خلقك الا ما أجبته فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت اليه ركضت الارض برجله
فخسفت بهم وبمنابرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هار بافرقا من الخسف فلما مر جرجيس أخذ
بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس أخبرني أيها الروح النجس وانطق الملعون ما الذي يحملك على
أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم انك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خسيرت
بين ما أشرفت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم وبين هلاكه لاخترت هلاكه على
ذلك كله وانه ليقع لي من الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى
أمر جبريل أن يأتيه بطين من الارض فعجنه بيده ثم أمر جميع الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال هذا لي
سبيله جرجيس فدخل ابليس من جوف صنم منها وهار بافلم يذكروا أبدا فقال الملك يا جرجيس
غررتني وخدعتني وأهلكت آلهتي فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعبر ولتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت عني
فكيف تقتل ولكنك يا أيها الملك تمنع نفسها مني وانما انت مخلوق ضعيف لا أملك الا ملكني ربي فلما قال هذا جرجيس أقبلت
امرأة الملك وكانت من عقلائهم وحكمائهم وعددت لهم افعال جرجيس والعبر التي أراهم الله تعالى اياها وقالت
لهم ما تنكرون من هذا الرجل الا دعوه فيخسف بكم الارض كما خسف بأصنامكم الله الله أيها القوم في أنفسكم
فقال لها الملك ويحك يا اسكندرة ما أسرع ما أضللت هذا الساحر في ليلة واحدة وأنا أقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر
مني بشيء فقالت له أما رأيت الله كيف نظر به بك وسلطه عليك ليكون له الفلاح والحجة عليك في كل موطن فلما
سمع كلامها أمر بهم الملك عند ذلك فعلقت على خشبة جرجيس التي كان صلب عليها وجعلت عليهم الاشراط التي
جعلت على جرجيس فلما أتاها قالت ادع ربك يا جرجيس يخفف عني فاني قد آمنت بالعذاب فقال لها انظري
فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك ما الذي يضحكك قالت أرى ملكين فوقي معهما تاج من سنى الجنة
ينظران به خروج روحي فلما خرجت وجهاز بها بذلك التاج صعد بها الى الجنة فلما قبض الله روحها
أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني منازل الشهداء فهذا آخر أيامي الذي
كنت وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا اللهم اني أسألك أن لا تقبض روحي ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل
بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم به حتى تشفي به صدري وتقر به عيني فانهم ظلموني
وعذبوني فيك اللهم واسألك أن لا يدعو بعدي داع في بلاء وكرب فيذكرني ويتشدد باسمي الا فرجت عنه

كثيرة الهيبة هل في عسكرك من هو أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم فارتحلت مع العسكر ومعها أموال
كثيرة حتى دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت هل ههنا أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أيدي شواهده في قلب شاهده
وأن شاهده فيما يحاكيه
الحمد لله لا بين ولا صلة
هذا بيان لما عنى من يعانيه
(وقال علماء السلف
رضي الله عنهم) بعثنا
عمر بن الخطاب رضي
الله عنه في غزاة وكنا
أربعة آلاف فحاصرنا
قلعة على جبل لا تصل
أسلحتنا اليه وفيها
مجوس وأميرهم امرأة
حسناء قال فطلعت على
السور فنظرت الى
عسكر الصحابة رضي
الله تعالى عنهم فرأت
شابا ملثما من العرب
وكان جلدا فارسا شجاعا
يضرب بالسيف ويطعن
بالرمح فقالت يا مباه فقالت
لها جارية ما بالك قالت
ان سمعنا قد فتح فقالت
الجارية وكيف ذلك
فقالت ستر بين بعدسا ثم
أرسلت الى الشاب
هل أجد اليك سبيلا قال
نعم بشرط أن تسلمي
الحصن الظاهر البناء
والباطن لله فقالت أما
الظاهر فاعسر به وأما
الباطن فلا وقال قلبي
تسلمينه لله وتفسرين
لوحدانيته فارسلت اليه
تعال بعسكرك فلما دخل
الحصن وعرض عليها
الاسلام قالت اني امرأة

هذا فيرفقال لا أسلم الا على يديه فجلست عند قبره وقالت أشهد أن لا اله الا الله محمدا وأن رسول الله ثم قالت خرجت من دار الكفر فيراني أخشى
أن أقع بعد الاسلام في المعصية فاسأل ربك الذي أرسلك أن لا أعصيه قال ثم وضعت خدها على حائط القبر وماتت من

ورحمته وأجبت وشفعتني فيه فاما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فاما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه
بالسيوف فظلم من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ما رعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت
رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منتن
لا يشمه أحد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من آمن بحبرحيس وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك قال
الاستاذ وكانت قصة حبرحيس في أيام ملوك العاوائث والله أعلم *(باب في قصة شمسون النبي عليه السلام)*
قال الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر (أخبرنا) أبو عمر والعراقي باسناده عن ابن
أبي نجيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب
المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر
التي لبس الرجل فيها السلاح في سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله اليضي باسناده عن وهب بن منبه أن رجلا من
أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه قد جعلته نذيرا
وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم
في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب الاموال وكان اذا قاتلهم لقيهم بالخفة لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه
تعب وعطش فيجري له من الجبل ماء عذب فيشرب منه حتى يروى وكان قد أعطي قوة في البطش وكان لا يوثقه
حديد ولا غيره فاهدوا هم في الله ألف شهر يصيب منهم ما بحبته ولا يقدرون منه على شئ فاحتالوا عليه وقالوا لا تأتيه
الا من قبل امرأته فحملوا لها جعلا على ذلك فاجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعملوا ما حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام
فاوثقي يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام أوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذب يديه
فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت له أحب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم اني قد
ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيأ فارسلوا اليها بحمامة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها في عنقه فلما نام جعلتها في
عنقه ثم أحكمتها واما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت احببت به قوتك ما رأيت مثلك
قط فهل في الارض شئ يغلبك قال لا الا شئ واحد قالت وما هو قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا
شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان أبي كانت أخبرتني أن لا يغلبني شئ أبدا ولا يعيا فاني الاشعري فلما نام أوثقت
يده الى عنقه بشعر رأسه فاوثقته ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا وأخذوه فدعوا أنه وأذنبوه فقؤا عينيه وأوقفوه
للناس بين ظهراني المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا الى
شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس أن يسلمه عليهم فامر ان يأخذ بعمودين
من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فهدم ما جميعا فخر هم ما قام ارت المدينة بمن فيها وما كانوا فيها هدما
وهلكت أيضا امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابه من جسده تاما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون
في أيام ملوك العاوائث والله أعلم *(باب في قصة أصحاب الاخدود)*
قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات روى عطاء عن ابن عباس انه كان بحران ملك من
ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له
ساحر حاذق فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث لي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبد الله بن
السامري يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يتعود بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يختلف عن الساحر وكان
في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فاعجبه وكان يبطئ عند الراهب
ويأتي المعلم فضربه ويقول له ما الذي حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له
ما بطأك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت المعلم فقل له حبسني أبي واذا أتيت أباك فقل
حبسني المعلم وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فرجها الغلام ورماها بحجر وقال
اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فاتى الراهب وأخبره فقال له الراهب

فوق ما تعلم من ورادي الا كفيتهم مؤنة الاعادي قال فبينما هي كذلك اذ ذهب الله الاعداء وجاء الامان وذهب الردى ثم غابت انت
عن أهلها رضي الله تعالى عنها (وقيل) انه كان في بني اسرائيل شاب مسرف على نفسه يأتي المعاصي فاخرجوه من بينهم فمضى حتى أتى الوفا وهو في

أنت قالها قال نعم قال ان لك لشأنا وقد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقيل له الحية هذا صنع فقال له أنت قلت الحية قال لا قال أن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض وما بينهم وما رب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا فادع الله أن يرد علي بصري فقال له الغلام أرأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فارد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والارض فغضل له الملك أتعبد من عملك هذا فابى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام اني لا أشفي أحدا وانما يشفي الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار ووضعه في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جيء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال ذهبوا به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروته الجبل فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا وجاء الغلام يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الملك ذلك فدفعه الى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقور وهي السفينة واطرحوه في البحر فلجوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاقذفوه في البحر وغرقوه فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة ففرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك لقتله بالسيف فتناول السيف فضرب به صدغه فشجه في الارض وعرفه الناس وعظموه وعلموا الله هو وأصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلي الا أن تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سرير لك فتصلبني على جذع وترميني بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال بسم الله فاصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين عبد الله بن السامري ولاد بن الاد بنه فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأعلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه في الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك أرجعي عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقى في النار ثم أخذ الاوسط وقال لها ارجعي عن دينك فابت فألقي في النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي فابت فامر بالقائه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا أماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فالقي الصبي في النار وأمه على أثره وقد روي هذا الخبر باذكر نامر فوعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل معناه وقد تكلم ستة في المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحيى بن ذكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخدود (وقال سعيد بن المسيب) كما عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو راضع يده على صدغه فكلما مد يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر رضي الله عنه أن سيروا حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس عذبوا بالنار أما الذي بالشام فانطاكوس الرومي أحرق قوما من المؤمنين وأما الذي بفارس فهو بختنصر (وكانت قصته) ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن ابن أبي الدنيا قال لما هزم المسلمون أهل الاسفندار وانصرفوا جاءهم نعي عمر فاجتمعوا وقالوا أي شيء نجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب وليسوا من مشركي العرب قال علي كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمرة قد أحلت لهم فتناولها ملك من

وقالوا يا نبي الله هذا فلان الفاسق الذي أخبرتنا فتعجب موسى من ذلك فاوحى الله تعالى اليه انهم صدقوا لكنه لما حضرته الوفاة في هذه الغربة نظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة منكسرة فرفع بصره الي وقال الهي وسيدي ومولاي عبدك من عبيدك غريب في بلادك ذليل لو علمت ان عذابي يزيدك في ملكك لم أسألك المغفرة وليس لرجائه الا أنت وقد سمعت فيما أنزلت تقول اني أنا الغفور الرحيم أفكان يحسن أن أردك يا موسى وقد توسل بي وتشفع الي وعزتي وجلالي لو سألني في المذنبين من أهل الارض لوهبتهم له وأنا الغفور الرحيم (وروي) انه كان في بني اسرائيل ملك جبار وكان يكره الفقراء والصدقة وينادي في المدينة كل من تصدق بشيء قطعت يده وكان في المدينة امرأة صالحة تزوجها ومعها ولدان فكانت تغزل وتشتري كل يوم دقيقا وتعمل منه ثلاثة

فراص لها ولولديها فبينما هي على تلك الحالة اذ سمعت بباب افاعطته قرصها صدقة وقالت له لا تأكل عند أحد خوفا عليه من الملك فاخذه ومضى فلما كان في بعض الطريق أخرج القرص ليأكله فلقيه بعض أعوان الملك وقال له من أين أتاك هذا الرغيف فقال اعطتنيه امرأة فقبضوا

ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه أن تخطب الناس فتقول أيها الناس ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات اذا ذهب هذا في الناس تناسوا حرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال أيها الناس ان الله أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا ما جاءنا به نبي ولا أنزل علينا في كتاب فرجع الى أخته وقال ويحك ان الناس قد أبوا علي فقالت ابسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا فقال لها ان الناس قد أبوا فقالت جرد فيهم السيف فأبوا أن يقروا فقالت خد لهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعك خل عنه ومن أبى فاقذفه في النار فخد الاخدود وأوقد فيها النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله فانزل الله تعالى فيهم قتل أصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق وأما الذي في اليمن فهو يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن تبع ابن شرخ الحميري وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحق بن بشار عن وهب بن منبه أن رجلا كان بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فأجابوه فسار اليهم ذو نواس بين النار أو اليهودية فأبوا عليه فأحرق منهم اثني عشر ألفا وقال مقاتل انما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين انسانا وقال الكلبي كان أصحاب الاخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنين في النار خرجت النار الى أعلى شفير الاخدود فأحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثني عشر ذراعا وتبعا ذو نواس فسلط الله عليهم اريا طا الحبشي حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فأغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو بن معديكرب

أتوعدني كأنك ذو رعين * بأنعم عيشة أو ذو نواس
وقدما كان قبلك في نعيم * وملك ثابت في الناس راسي
قديم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأمسى أهله بادوا وأمسى * ينقل في أناس من أناس

(باب قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحق بن بشار كان من حديث أصحاب الفيل ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقي من علماء اليمن وغيرهم ان ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذو نواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك الا ما كان من أهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر فدعاهم الى اليهودية فأبوا فخيرهم فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود وصنف لهم أصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من ألقي في النار الا رجلا من أهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له فركض حتى أعجزهم في الرمل فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكني أكتب لك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فكتب له الى النجاشي يأمره بنصره فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من الحبشة يقال له ارياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وابعث الى بثلث نسائها فلما دخلها ارياط شهم القتال فتفرقوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهلك فيه فكان آخر العهد به ودخلها ارياط فعمل بما أمره النجاشي فقال ذو جدن الحميري فيما أصاب أهل اليمن

دعيني لا أبا لك لم تطيقي * لحاك الله قد أنزفت ريقي
لدى عزف القيان اذا انتشينا * اذا نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس علي عارا * اذا لم يشكني فيها رفيقي
وان الموت لا ينهاه ناه * ولو شرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب في أسطوان * يناطح جدره بيض الانوق
وغمدان الذي نبئت عنه * بنوه مسكا في رأس نيق
بمنهمة وأسفله جروب * وحر الموحل اللثق الزليق
مصابيح السليط يلحن فيه * اذا يمسي كومضات البروق
فأصبح بعد جدته رمادا * وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التي غرست اليه * يكاد البسر يهصر بالعذوق

عليه ورجع به الى الملك وأخبره بقصته فقال اطحنوا به الى ومعه وارا نبوني به والفقير فحسب أنه يريد أن يعطيها شيأ عوض ما قدمتها أحضروها فلما أتت الملك فقال لها أما سمعت النداء ثم أمر بقطع يدها فقطعت وعلقت في عنقها فأمضت الى منزلها فأقامت تعبد الله وكانت صائمة قائمة الى أن أفطرت ونامت وهي شاكرة لله تعالى فلما أصبح الصبح مر فقير وقال من يتصدق بصدقة تنفعه فأعطته قرصا من أقراص أولادها فذهب وهو يقول جزى الله عني هذه المرأة خيرا فانها تصدقت علي فسمعه أحد خدام الملك فقبض عليه وأتى به الى الملك فأمر باحضارها فحضرت بين يديه فأمر بقطع يدها الاخرى فقطعت وباتت بمنزلها واذا بسائل يقول من يتصدق على الجائع المسكين الذي طاف هذه المدينة لم يعطه أحد من أهلها لقمة واحدة قال فلما سمعته أخرجت اليه قرصا فأخذه ومضى فاذا برجل من أعوان الملك فقبض عليه وأتى به الى الملك فأخبره المرأة فقال هي لم تنته وأمر بقطع رجلها فأقامت ثلاث ليال واذا بسائل يقول يا من يتصدق على الفقير المسكين الذي له مدة وهو صائم وليس له قوت الا نبات الارض فرحمته وأعطته قرصا فرآه بعض الملك فأخبره بما كان من المرأة فأمر بقطع رجلها الاخرى فأقامت الى أن أفطرت فلما جاء الفجر زحفت الى البحر ... واسلم ... [illegible]

وأسلم ذو نواس مستبيا * وحشر قومه فمنك المضيق

قال فاقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشي أن ابعث بجندك ومن معك فاقام حينا ثم ان أبرهة بن الصباح سار بجنده في أمر الحبشة حتى انصدع واصدعين فكانت معه طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع شيأ فلا تلق الحبشة بعضها على بعض ولكن اخرج الي فاينا قتل صاحبه انضم اليها الجند فارسل اليه انك قد أنصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيما عظيما وسيما في يده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا لحما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف أبرهة وزير يقال له عتودة فلما دنا ارياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمي أبرهة الاشرم فلما رأى عتودة ذلك حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة فبلغ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب عليه وحلف لا يدع أبرهة حتى يجز ناصيته ويطأ بلاده ثم انه كتب الى أبرهة انك عدوت على أميري فقتلته بغير أمري وكان أبرهة رجلا مارد افلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وملأ جرابا من تراب أرضه وكتب الى النجاشي أيها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك انتخلفنا في أمرك وكنت أعلم بأمر الحبشة وأسوسها وكنت أردت أن يعتزل فابى فقتلته وقد بلغني الذي حلف عليه الملك وقد حلقت رأسي وبعثت اليك بملء جرابا من تراب أرضي وبعثته اليك لتطأ عليه الملك فيبر قسمه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه وأقره على عمله وكتب اليه بان ابعث بن معك من الجند ثم ان أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ثم انه كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها قط ولست منتهيا حتى أصرف اليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج الى القليس فدخلها ليلا فقذر فيها ثم هرب فلحق بارضه فغضب لذلك أبرهة وقال انه أنما نظر اليها فدخلها ليرد بذلك الغيرة فيها فقال من اجترأ على هذا فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذي يحجونه بمكة بالذي حلفت فصنع هذا فلما سمع أبرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فامر بسائر الحبشة الى مكة وأخرج معه الفيل فبلغ ذلك العرب فاعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده وحقا عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه وأخذ ذا نفر فاتى به أبرهة فقال له أيها الملك لا تقتلني فان استبقائك لي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم خرج سائرا حتى اذا دنا من ديار خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم وهما شهران وناهس ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا أسيرا فقال له أيها الملك اني دليلك بأرض العرب فلا تقتلني وهذا أنا أدلي على قومي بالسمع والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود ابن معتب الثقفي في رجال من ثقيف وقالوا له أيها الملك انما نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريد يعنون به اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولاهم فخرج حتى اذا كانوا بالمغمس مات أبو رغال فهو الذي ترجم قبره العرب وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمته فجمع اليه أموال الاوباش لعبد المطلب بن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي بعير ثم ان أبرهة بعث حناطة الحميري الى أهل مكة سفيرا فقال له سل عن شريفها ثم أبلغه اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فان لم تعرض لقتال الا أن تقاتلوه فانما أتى لهدم هذا البيت ثم الا نصراف عنكم فقال له ان الملك ارسلني اليك لاخبر له بل أتقاتلوه انما أتى لهدم هذا البيت ثم الا نصراف عنكم فقال عبد المطلب ينخلي بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان عنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق حتى أتى الملك فزعم بعض العلماء انه أردف على بغلة له كان راكبا عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نصر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء بما نزل بنا فقال ما غناء رجل أسير لا يأمن ان يقتل بكرة أو عشية ولكني سأبعث لك الى أنيس سائس الفيل فانه صديق لي فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير

أبواب السماء وضجت الملائكة بالتسبيح والتقديس لله رب العالمين فامر الجليل جبريل فنزل اليها وقال لها ايا أمة الله أسكني رب العالمين ان أريد بديار ورجالها ولدا يبارك الصفة ثم أخلف بيمينه ورجالها واصحابها بقدرة من يقول للشيء كن فيكون فقامت باذن الله تعالى وبرد الله تعالى عليها ولدها من الذئب والنمر فبلغ ذلك الملك فاحضر المرأة بين يديه وتعجب في صنع الله تعالى فقالت له ان الذي نصدقه من أجله رد علي يدي ورجلي وأولادي فقام على قدميه وقال آمنت بالذي خلقك وسواك وصار يعبد الله تعالى حتى توفاه الله هو والمرأة في يوم واحد ووضعا في قبر من الجنة وارتفعت بهما الى السماء حتى غابت عن الابصار نفعنا الله بهما وبركاتهما في الدنيا والآخرة آمين (رقيل) كان ببغداد رجل يعرف بابن الرومي وكان له زوجة وأولاد فنزل بالناس مجاعة عظيمة فقام الفتى وعياله ثلاثة أيام لم يعرفوا الطعام

واشتد بهم الامر فلما كان في اليوم الرابع قالت زوجته وكانت بنت عم ابن عمي أنا وأنت نصبر على الجوع فكيف الحيلة في هؤلاء الاطفال فقال لها ما تريدين من شغلا أفعله قالت نعم اعمد الى سوق الغزالين فلو عملت بنصف درهم كان فيه قوتي والاطفال فقال لها سمعا وكرامة قال فاخذ فاسا

وترتيلا فخرج يعالج البيت فوجد في طريقه جداه يجورا ومنشا وقال وعزى واللات لئن لم تدخل البيت الليلة لأدخلن اليوم الا ما شاء الله فكان يوشع أول الطير فقال طاسة قبل القبلة ولم يزل (٦٢) راكعا وساجدا يومه كله فقرأ في ذلك اليوم في صلاته سورة الاخلاص أحد عشر ألف مرة ثم صلى

ويعلم منزلا وحفلا عنده فقال فارحل الى أريس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يعلو ويعلم الناس من السهل والجبل والوحش والطير في رؤس الجبال فدأصاب له اللات مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عندها فنفعه فانه صديق لي وان أحسن ما يصل اليه من الخير ثم ان أبرهة دخل على أبرهة هو وعبد المطلب فقال له أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤس الجبال وقد جاءك فاغبر ناه بسلك حر باولا صالح عاملك يستأذن عليك لنوائك أحب ان تأذن له فكلمك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما دخل علم مجلس بين يديه فأعظمه وأجله فجلس معه على السرير ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي ان يرد علي مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك وانصرفت زين الآن قلت له ولم قال حين جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لا هدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعني فقال له أنت ودلك ثم أمر له بابله فردت عليه فقال محمد بن اسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم ان عبد المطلب قد ذهب الى أبرهة بعمرو بن معدي كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة ونحو بلدين وآلة الهدلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على ان يرجع عنهم ولا يهدم البيت فابى ان يرجع قال فلما ردت الابل على عبد المطلب وجمع قاتبير قريش الظهر وأمرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس الجبال تحوفا عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا ان عدو البيت من عاداكا * فامنعهم ان يخربوا قراكا

(وقال أيضا)

لاهم ان المرء يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصلـ * ـيب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فامر ما بدا لك

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه وأصحاب أبرهة بالحبش وقد تهيأ للدخول مكة وهي جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله في الارض عظما وقوة وجسما وقال الكلبي لم يكن عندهم الا دلك الفيل الواحد فذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وقال الحسن كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا (١) واختلفوا على هذا التأويل لوفان رؤس الاحبة يقال انه سيهم الفيل الاعظم قالوا فاقبل بفيل الى الفيل الاعظم فاخذ باذنه وقال ارجل نحود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فمسحوه فابى ان يقوم يضربونه بالعمول في رأسه فابى فادخلوا حديدا بين مراقه وموراقه وفعلوا به ذلك فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى الحرم فبرك وأبى ان يقوم ثم ان الله تعالى أخرج من عندهم وسعد في الجبل وأرسل الله تعالى طيرا من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أمثال العدس والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت وذلك قوله تعالى طيرا أبابيل أي متفرقة تتبع هذا وهذا وهنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها أنياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال أبو اليزداد نشأها الله في الهواء في ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أي سنك كل

(٢) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتهم إقوقا فما وقع منها حجر على رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف ماكول

---

(١) قوله واختلفوا على هذا التأويل لوفان رؤس الاحبة يقال انه سيهم الفيل الاعظم الخ (قوله أي سنك كل) فعل فارسي معرب بمعنى حجر